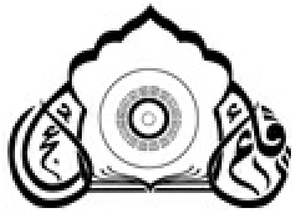


مرکز تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان



السلام علیک یا صاحب الزمان

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء التاسع عشر

من منشورات

المكتبة الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

فهرست ----- ۵
منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۱۹ ----- ۸
مشخصات کتاب ----- ۸
تتمه باب المختار من کتب مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام و رسائله إلی أعدائه و أمرائه ----- ۹
تتمه المختار الخامس و العشرون من کتبه و رسائله ----- ۹
خطبه المؤلف ----- ۹
المصدر ----- ۱۱
المعنی ----- ۱۳
اشاره ----- ۱۳
و فی المقام یبحث عن فروع فقهیّه: ----- ۲۷
اشاره ----- ۲۷
أمّا الفرع الأوّل ----- ۲۷
و أما الثانی ----- ۲۹
و أمّا الفروع الثالث ----- ۳۰
فرع فقهی ----- ۳۵
کلام فی الرجعه ----- ۳۶
الترجمه ----- ۴۱
و من عهد له علیه الصلاه و السلام الی بعض عماله ----- ۴۳
اشاره ----- ۴۳
المصدر ----- ۴۴
اللغه ----- ۴۴
الاعراب ----- ۴۹
المعنی ----- ۵۱
الترجمه ----- ۶۵

و من عهد له علیه الصلاه و السلام الی محمد بن ---- ۶۶
اشاره ---- ۶۶
ذکر ماخذ العهد و مصادره ---- ۶۸
اشاره ---- ۶۸
صوره العهد علی روایه أبی اسحاق فی کتاب الغارات ---- ۷۰
صوره ما کتب أمیر المؤمنین علی علیه السّلام الی أهل مصر ---- ۷۱
کتاب أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) الی محمد بن أبی بکر و أهل مصر ---- ۷۲
صوره العهد علی ما فی تاریخ الطبری ---- ۷۷
صوره العهد علی ما فی تحف ابن شعبه ---- ۷۸
صوره العهد علی ما فی نسختی الشیخین ---- ۸۱
صوره العهد علی روایه أبی جعفر محمد بن أبی القاسم الطبری ---- ۸۸
اللغه ---- ۸۹
الاعراب ---- ۹۰
المعنی ---- ۹۱
الترجمه ---- ۹۸
اشاره ---- ۹۸
و برخی از این عهد این است: ---- ۹۹
و من کتاب له علیه السلام الی معاویه و هو من ---- ۱۰۰
اللغه ---- ۱۰۴
الاعراب ---- ۱۱۰
المصدر ---- ۱۱۱
المعنی ---- ۱۱۵
اشاره ---- ۱۱۵
حلف الفضول و سبب تسمیته کذلک ---- ۱۳۲
و صبیه أهل النار: ---- ۱۴۶
حماله الحطب ---- ۱۵۰

الترجمه ----- ۱۹۶
رساله منفرده فی لقاء الله تعالی ----- ۱۹۹
اشاره ----- ۱۹۹
خاتمه ----- ۲۹۱
و من کتاب له علیه السلام الی أهل البصره و هو ----- ۳۶۹
اشاره ----- ۳۶۹
المصدر ----- ۳۶۹
اللغه ----- ۳۷۰
الاعراب ----- ۳۷۲
المعنی ----- ۳۷۲
الترجمه ----- ۳۹۰
و من کتاب له علیه السّلام الی معاویه - و هو المختار ----- ۳۹۰
اشاره ----- ۳۹۰
المصدر ----- ۳۹۱
اللغه ----- ۳۹۲
الاعراب ----- ۳۹۷
المعنی ----- ۳۹۸
الترجمه ----- ۴۰۳
درباره مرکز ----- ۴۰۴

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۱۹

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله إلى أعدائه و أمرائه

تتمه المختار الخامس و العشرون من كتبه و رسائله

خطبه المؤلف

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد لولىّ النعم، و منزل الكلم على قلوب من كرّم من بنى آدم، و له الحمد على ما أولانا من مواهبه السنيّه الوافره، و رزقنا من أيادى الاولى و الاخره، و الصّلاه و السّلام على مهبط كلماته و مقسّم هباته، واقف مواقف الشهود محمّد المصطفى و آله امناء المعبود، و مظاهر أسمائه الحسنى، و صفاته العليا، و أعلام الهدى، و على من تمسّک بذيل ولايتهم و اقتفى بهديهم و هدايتهم.

و بعد فيقول العبد الراجى لقاء ربّه الكريم نجم الدين الحسن بن عبد اللّه الطبرى الاملى المدعوّ بحسن زادهٔ آملى رزقه اللّه و جميع المؤمنين الفناء فى التوحيد، و هداهم إلى أمره الرّشيد السديد، و تغمّدهم بغفرانه و رضوانه: هذا هو السفر الخامس من تكمله منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه، قد من اللّه علينا بما أجرى على القلم فى شرح طائفه من كلمات وليّه الأعظم باب مدينه العلم وصىّ خير البشر، فينتهى به المنهاج إلى التاسع عشر، ربّ أنعمت فزد و آتنا من لدنک رحمه و هيّىء لنا من أمرنا رشدا.

اللّهمّ إن كانت بضاعتنا هذه وجيهه عندک، و لها ثمن و قدر و قيمه من جزيل ثوابک و سنىّ عطائک فاجعلها ذخرا لأساتيذى العظام الذين عطفت علينا قلوبهم و رزقتنا من مأدبه علومهم. اللهمّ اجعل الغابرين عندک فى أعلى علّيين، و متّع الإسلام و المسلمين ببقاء الباقين آمين ربّ العالمين.

ثمّ قد تأخّر تأليف هذا المجلّد و طبعه و نشره لما أقبل فى أثناء التأليف من تقبّلنا اصول الكافى لجعله معربا مشكولا و كان أمرا صعبا مشكلا، فانّه قد انجرّ الخلاص

منه إلى قرب سنتين و نصف مع أنّا قد بذلنا جهدنا فيه و أسهرنا أعيننا ليالى و أتعبنا أنفسنا متواليا، و ذلك الأمر و إن عوّق التكمله عن النشر لكن اصول الكافى بمنّ اللّه سبحانه و فضله قد برز اليوم على أحسن وجه يستقبل إليه العالم البصير و يشكره و يستنكف عنه الجاهل الضرير و يكفره، على أنّ الامور مرهونه بأوقاتها، فلنعد إلى ما كنّا فيه فنقول مستعينا من اللّه تعالى:

المصدر

روى هذه الوصيه ثقه الإسلام الكلينى رضوان اللّه عليه فى باب أدب المصدّق من كتاب الزكاه من الجامع الكافى عن علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى عن حريز، عن بريد بن معاويه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام.

و رواها شيخ الطائفه الطوسى قدس سرّه فى باب من الزيادات فى الزكاه من التهذيب عن الكلينى بذلك الإسناد، و الكتابان من أصحّ الجوامع الروائيّه عند الاماميّه، و من الكتب الأربعه المعتبره عندهم عليها مدار استنباطهم و إليها مراجع اجتهادهم.

ثمّ إنّ قول السيّد - ره -: «و إنما ذكرنا هنا جملا منها» صريح فى أنّه اختار منها فصولا و حذف منها فصولا، فالوصيّه طويله و لكنّا لم نجدها بطولها مع طول الفحص و كثره البحث فى ما حضرنا من الجوامع الروائيّه و ما أتى بها الكلينى و الشّيخ قريب ممّا فى النهج.

و العلّامه المجلسى - ره - بعد نقلها من النهج فى ثامن البحار (ص ۶۴۰ من الطبع الكمبانى، فى باب كتب أمير المؤمنين عليه السّلام و وصاياه إلى عمّاله و امراء أجناده) و فى المجلّد العشرين منه (فى باب أدب المصدّق من كتاب الزكاه ص ۲۴). قال: أقول: أخرجته من الكافى فى كتاب أحواله عليه السّلام بتغيير ما رواه فى كتاب الغارات عن يحيى بن صالح عن الوليد بن عمرو عن عبد الرّحمن بن سليمان عن جعفر بن محمد قال: بعث علىّ عليه السّلام مصدقا من الكوفه إلى باديتها، إلى آخر ما قال و نقل طائفه من الروايه.

و نقل الروایه من کتاب الغارات المحدث النوری - ره - فی باب ما یستحبّ للمصدّق و العامل استعماله من الاداب من کتاب الزکاه من مستدرک الوسائل.

و الروایات یخالف بعضها بعضا فدونکها علی نسختی الکافی و التهذیب و نجعل ما فی التهذیب بین الهلالین.

قال الکلینی بالإسناد المقدم ذکره عن برید بن معاویه قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: بعث أمیر المؤمنین صلوات اللّه علیه مصدّقا من الکوفه إلی بادیتها فقال له: یا عبد اللّه (یا أبا عبد اللّه) انطلق و علیک بتقوی اللّه وحده لا شریک له و لا تؤثرنّ دنیاک علی آخرتک و کن حافظا لما ائتمنک علیه راعیا لحقّ اللّه فیک حتّی تأتی نادی بنی فلان فاذا قدمت فانزل بمائهم من غیر أن تخالط أبیاتهم، ثمّ امض إلیهم بسکینه و وقار حتّی تقوم بینهم فتسلّم علیهم، ثم قل لهم: یا عباد اللّه أرسلنی إلیکم ولیّ اللّه لاخذ منکم حقّ اللّه فی أموالکم فهل للّه فی أموالکم من حقّ فتؤدّون إلی ولیّه (فهل للّه فی أموالکم حقّ فتؤدّوه إلی ولیّه) فان قال لک قائل:

لا- فلا- تراجعه و إن أنعم لک منهم منعم فانطلق معه من غیر أن تخیفه أو تعده إلّا خیرا فاذا أتیت ماله فلا تدخله إلّا باذنه فإنّ أکثره له فقل له: یا عبد اللّه أ تأذن لی فی دخول مالک ؟ فان اذن لک (اذن له) فلا تدخل (فلا تدخله) دخول متسلط علیه فیه و لا عنف به فاصدع المال صدعین ثمّ خیّره أیّ الصدعین شاء فأیّهما اختار فلا تعرّض له، ثمّ اصدع الباقی صدعین ثمّ خیّره فأیّهما اختار فلا تعرّض له و لا تزل کذلک حتّی یبقی ما فیه وفاء لحقّ اللّه تبارک و تعالی من ماله فاذا بقی ذلک فاقبض حقّ اللّه منه، و إن استقالک فأقله ثمّ اخلطها و اصنع مثل الذی صنعت أوّلا حتّی تأخذ حقّ اللّه فی ماله فاذا قبضته فلا توکل به إلّا ناصحا شفیقا أمینا حفیظا غیر معنف بشیء منها ثمّ احدر کلّ ما اجتمع (ثمّ احدر ما اجتمع) عندک من کل ناد إلینا نصیّره حیث أمر اللّه عزّ و جلّ فاذا انحدر بها رسولک فأوعز إلیه أن لا- یحول بین ناقه و فصیلها و لا یفرّق بینهما و لا یمصرّن (و فی نسخه من التهذیب: و لا یمصّ لبنها) فیضرّ ذلک بفصیلها، و لا یجهد

بهـا ركوبا، و ليعـدل بينهنّ فى ذلك، و ليوردهنّ كلّ ماء يمرّ به، و لا يعـدل (و لا يبـدل) بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّريق (الطرق) فى الساعه الّتى تريح و تغبق، و ليرفق بهنّ جهده حتّى يأتينا باذن اللّه سـحاحا سمانا غير متعبات و لا مجهدات فيقسّمهنّ باذن اللّه على كتاب اللّه و سنّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله على أولياء اللّه فإنّ ذلك أعظم لأجرك و أقرب لرشدك ينظر اللّه إليها و إليك و إلى جهدك و نصيحتك لمن بعثك و بعثت فى حاجه فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: ما ينظر اللّه إلى ولىّ له يجهـد نفسه بالطاعه و النصيحه له و لإمامه (و النصيحه لإمامه) إلّا كان معنا فى الرفيق الأعلى، قال: ثمّ بكى أبو عبـد اللّه عليه السّلام ثمّ قال: يا بريد لا و اللّه (يا بريد و اللّه) ما بقيت للّه حرمه إلّا انتهكت و لا عمل بكتاب اللّه، و لا سنه نبيّه فى هذا العالم، و لا اقيم فى هذا الخلق حدّ منذ قبض اللّه أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه، و لا عمل بشىء من الحقّ إلى يوم الناس هذا. ثمّ قـال: أمـا و اللّه لاـ تـذهب الأيّام و الليالى حتّى يحيى اللّه الموتى و يميت الأحياء و يردّ اللّه الحقّ إلى أهله و يقيم دينه الـذى ارتضاه لنفسه و نبيّه فابشروا ثمّ ابشروا فو اللّه ما الحقّ إلّا فى أيديكم.

و الرّوايه على نسخه كتاب الغـارات على مـا فى المسـتدرك تنتهى إلى الرفيق الأعلى و لم ينقـل بعـده، و هى توافق النسـختين المذكورتين تقريبا.

و روى شطرا منها الشيخ قدس سرّه فى المسأله ۲۶ من زكاه الخلاف هكذا:

أنزل مـاءهم من غير أن تخالـط أبيـاتهم ثمّ قل: هل للّه فى أموالكم من حقّ ؟ فان أجابك مجيب فامض معه و إن لم يجبك فلا تراجعه. انتهى. و احتمال النقل من حيث المعنى بعيد، ثمّ حرفت كلمتا مائهم و أبياتهم فى النسخ المطبوعه من الخلاف بمالهم و أموالهم.

المعنى

اشاره

قـد أوصـى عليه السّـلام من يسـتعمله على جبايه الصـدقات بامور يراعى بعضـها فى حقّ نفسه، و بعضـها فى الرّعيّه، و بعضـها فى الأنعام. و يستفاد منها أحكام عديده فقهيّه و آداب كثيره أخلاقيه اجتماعيه، و قوانين عدليّه حقّه إلهيّه لا يأتيها الباطل من

بين يديها و لا من خلفها.

و هـذا هو السلطان العـادل الـذى كان ظلّ اللّه تعالى فى أرضه، و للّه درّ الرّضـى قائلا: ليعلم بها أنّه عليه السّلام كان يقيم عمّاد الحقّ و يشرع أمثله العدل فى صغير الامور و كبيرها و دقيقها و جليلها، و لا ريب أنّ السياسه إذا كانت بيده أو بيد من يقوم مقامه و يجلس مجلسه و يجرى أوامره ممّن حـاز هـذه الرتبه العظمى و الـدرجه العليـا كـان الزمان نورانيّا، و إذا خلى الزمان عن تـدبير مدبّر إلهى كانت الظلمات غالبه.

قوله عليه السّلام:(انطلق على تقوى اللّه وحده لا شـريك له) كان من دأبه عليه السّلام فى أكثر وصاياه أن يصدرها بالأمر بتقوى اللّه و قد مضى الكلام فى ذلك فى شرح المختار الثّانى عشر فراجع.

قوله عليه السّلام:(و لا تروعنّ مسلما) لما جعله عليه السّلام واليا على جبايه الصدقات و الولايه إماره توجب البغى و الطغيان على الناس إلاّ واليا عصـمه اللّه تعالى عن اتباع الهوى نهاه عن أن يفزع مسـلما. و قد ذاق المسلمون فزعا شديدا مرّه بعد مرّه فى أماره الثالث حتّى ضاق عليهم العيش فأجمعوا على قتله و قتلوه.

قوله عليه السّلام:(و لا تختارنّ عليه كارها إلـخ) اى لا تختارنّ على المسـلم أمرا يكرهه بل ارفق به و خيّره فيه و كأنّ هذا الكلام توطئه لما سيأتى فى وصيّته له:

و اصدع المال صدعين ثمّ خيّره إلخ، و إن كان مفهومه أعمّ منه يشمل النهى عن الاختيار عليه كلّ ما يكرهه.

هـذا على نسـخه الرّضـى، و أمـا على نسـخ اخرى أعنى تجتـازن بـالجيم و الزاى المعجمه فمعنـاه لا تسـلك و لا تسـر على أرض المسـلم أو مـاله أو بيته و نحوهـا يكره مرورك بها، فكلمه كارها على الأوّل منصوب على المفعوليه، و على الثّانى منصوب على الحال من الضمير المجرور و المراد من حقّ اللّه الزكاه.

و هـذا هو الملـك العادل الالهى ينهى عامله عن أن يمرّ ببيوت أحـد من المسـلمين يكره مروره بها و إن كان ذلك المسلم من رعاه الأغنام و من أهل الباديه

ص:۶

من طبقه أنزل العوام و مـا هـذا إلاّ أدب اللّه و أدب رسوله، و اين هـذا و من ملـك ينتحل إلى الإسلام و يأمر عمّاله أن يجتازوا على أحبـار الأمّه و حمله القرآن ليلا و ينهبوا بيوتهم اغتيالا، و ينفوهم من أوطانهم و يميلوا عليهم ميلا، و القرآن الفرقان ينادى بأعلى صوته: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً فَلا تَدْخُلُوها حَتّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » (النور ۲۸، ۲۹).

و فى تفسير الدر المنثور: أخرج ابن شيبه و الحكيم الترمذى و ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن مردويه عن أبى أيوب قال: قلت: يا رسول اللّه أرأيت قول اللّه: حتّى تستأنسوا و تسلّموا على أهلها، هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس ؟ قال: يتكلّم الرجل بتسبيحه و تكبيره و تحميده و يتنحنح فيؤذن أهل البيت.

و فى تفسير مجمع البيـان: روى أنّ رجلا قال للنبى صلّى اللّه عليه و آله أستأذن على امّى ؟ فقال: نعم، قال: إنّها ليس لها خادم غيرى أ فأستأذن عليها كلّما دخلت ؟ قال:

أ تحبّ أنّ تراها عريانه ؟ قال الرجل: لا، قال: فاستأذن عليها.

قوله عليه السّلام:(فاذا قدمت على الحىّ فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم إلخ). و فى روايه أخرى عنه عليه السّلام كما فى المجلّد العشرين من البحار «ص ۲۳ من الطبع الكمبانى» أنه قال: يؤخـذ صـدقات أهل الباديه على مياههم و لا يساقون. يعنى لا يساقون من مواضعهم الّتى هم فيها إلى غيرها. و هذا أدب آخر غير ما فى النهج و أمّا ما فى النهج فمعناه أنه عليه السّلام أمره أن لا يخالط بيوتهم ابتداء بل ينزل بمياههم أولا ثمّ يمض إليهم بالسكينه و الوقار.

أمره بالنزول بمائهم لأنّ من عاده عرب الباديه بل من عاده غير العرب من أهل الباديه أيضا أن تكون مياههم بارزه عن بيوتهم، و لا ريب أن الإنسان يكره أن يخالط غيره بيته على حين غفله من أهله و ذلك لتنفر الطباع الإنسانيّه عن أن يطلع الغير على أسراره و بواطن أحواله.

على أنّ النزول كذلك يوجب خوف النسوان و فزع الأطفال و لذا أردفه أن يقدم عليهم بعد النزول بمائهم بالسكينه و الوقار و يسلّم عليهم تحيّه كامله قال تعالى: «فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً ».

و قال صلّى اللّه عليه و آله: السّلام اسم من أسماء اللّه فافشوه بينكم الخبر.

و بالجمله أنّ تلك الامور توجب تأليف قلوبهم، و عدم نفارهم من أداء حقّ اللّه فى مالهم، و فوائد كثيره اخرى لا تخفى على اولى النهى.

قوله عليه السّلام:(ثمّ تقول: عباد اللّه إلخ) أمره أن يرفق بالرعيّه فى أخذ حقّ اللّه فى أموالهم بأن يقول: أرسلنى إليكم ولىّ اللّه و خليفته لاخذ منكم حقّ اللّه فى أموالكم، و فى الكلام ملاطفه لطيفه توجب استيناسهم و ذلك لأنّ ولىّ اللّه و خليفته لا يظلم أحدا و لا يعدل عن الحقّ مثقال ذرّه، و لا يسلط ظالما على أحد من آحاد الرعيّه.

ثمّ أمره أن يسألهم هل تعلّقت بأموالهم زكاه فيؤدّوه إلى ولىّ اللّه أم لا؟ فان قال قائل من ربّ المال: لا، فلا يراجعه بل ينصرف عنه لأنّ القول قول ربّ المال ما لم يعلم كذبه و الأصل يعاضده، و لأنّها عباده يقبل قوله فيها فلا يفتقر أداؤها إلى اليمين كغيرها من العبادات، و لأنّه أمين، و لأنّ له ولايه الاخراج فيكون قوله مقبولا كالوكيل، و نحوه روايه غياث بن إبراهيم: كان علىّ عليه السّلام إذا بعث مصدّقه قال: إذا أتيت على ربّ المال فقل له تصدّق رحمك اللّه ممّا أعطاك اللّه فان ولى عنك فلا تراجعه انتهى فلو قال ربّ المال: لم يحل على مالى الحول أو قد أخرجت ما وجب علىّ أو تلف ما ينقص تلفه النصاب أو لا حقّ علىّ أو أنّ المال عندى وديعه أو نحو ذلك قبل منه و لم يكن عليه بيّنه و لا يمين كما أنّه عليه السّلام أمر عامله بقبول قول ربّ المال و لم يأمر باستظهار و لا باليمين و إليه ذهب فقهاؤنا الإماميه فراجع إلى زكاه الشرائع و القواعد و شروحهما و إلى خلاف الشّيخ و منتهى العلاّمه، و إن أنعم لك منعم أى إن قال: نعم فى مالى زكاه فانطلق معه من غير أن تخيفه إلخ و فى المقام روايات أنيقه فى باب أدب المصدّق من

البحار (ص ۲۲ ج ۲۰) قوله علیه السّلام:(فخذ ما أعطاک من ذهب أو فضه) یمکن أن یستفاد من هذا الکلام جواز إخراج الزکاه من قیمه الأنعام ذهبا و ورقا کما یستفاد منه جواز إخراج قیمه الغلات کذلک بل أیّ شیء کانت القیمه لأنّ ذکر قیمه خاصّه لا یخصّصها بها کما لا یخفی، و المقصود من الزکاه دفع حاجه الفقیر و کما یحصل بدفع العین فکذا یحصل بدفع القیمه حتّی أنّ العلّامه قال فی المنتهی: إذا کان البعیر بقیمه الشاه فأخرجه أجزأ عندنا و عند الشافعی أما نحن فللمساواه فی القیمه إلخ و قال فی البحث السابع من المقصد الثّانی من زکاه المنتهی: یجوز إخراج القیمه فی الزکاه سواء کان ما وجبت الزکاه فیه ذهبا أو فضه أو أحد الحیوانات و هو اختیار الشّیخ رحمه اللّه و أکثر علمائنا انتهی. و قال فی القواعد: یجوز إخراج القیمه فی الأصناف التسعه و العین أفضل.

و قد قسم المفید رحمه اللّه کما فی المختلف للعلامه قدّس سرّه الأموال إلی الأنعام و غیرها و منع من إخراج القیمه فی الأوّل إلّا أن تعدم الأصناف المخصوصه کما فی المعتبر للمحقّق قدّس سرّه، و سوّغه فی الثّانی فإنّه الظاهر من کلام ابن الجنید فانه قال: و لا بأس بأن یخرج عن الواجب من الصدقه و الحقّ فی أرض العنوه ذهبا و ورقا بقیمه الواجب یوم أخذه. و یردّهما قوله علیه السّلام هذا، و اطلاق روایات اخری مذکوره فی محلّها.

بل یستفاد من اطلاقها جواز إخراج القیمه فی الزکوات کلّها و فی الفطره أیّ شیء کانت القیمه. و قال الشافعی و أصحابه: إخراج القیمه فی الزکاه لا یجوز و إنما یخرج المنصوص علیه و لفقهاء العامّه فی المقام وجوه اخری من الاختلاف فراجع إلی المسأله ۵۸ من زکاه خلاف الشّیخ.

ثمّ إنّ قوله علیه السّلام فخذ ما أعطاک من ذهب أو فضه، یفید جواز الإخراج من القیمه فهل یعتبر قیمه وقت تعلق الزکاه بالمال، أو قیمه یوم أخذها، أو یقید ذلک بما إذا لم یقوم المالک الزکاه علی نفسه، و لوقومها علی نفسه و ضمن القیمه فالواجب هو ما ضمنه زاد السوق قبل الإخراج أو انخفض و البحث مشبعا موکول إلی الفقه.

و لقائل أن يقول: إنّ قوله عليه السّلام: فإن كان له ماشيه أو إبل فلا تدخلها إلّا باذنه - إلخ، ظاهر فى أنّه جعل زكاه الأنعام مقابل غيرها من الزكوات فجوّز إخراج القيمه فى الأولى دون الثانيه و لم يشعر كلامه فى الثانيه إلى جواز إخراج القيمه أصلا بل يظهر منه خلافه كما ذهب إليه المفيد - ره - و غيره.

و لكن يجاب عنه بأنّ إطلاق قوله عليه السّلام فهل للّه فى أموالكم من حقّ ، يشمل القسمين كليهما و كذلك إطلاق قوله: فخذ ما أعطاك من ذهب و فضه، و قوله: فإن كان له ماشيه أو إبل - إلخ - يفسّر أحد القسمين أعنى زكاه الأنعام كما هو الظاهر من كلمه الفاء على هذا التقدير أى إن أعطاك زكاه الأنعام من جنسها من المواشى و الإبل فحكمها كذلك و يجب أن تكون سيرتك فيها كذلك فليتأمل جيّدا.

ثمّ إنّ الماشيه و الإبل تعمّ أنواعهما من معز و ضأن و بقر و جاموس و عراب و بخاتى و لا تشمل الماشيه البغال و الحمير و الرقيق و الخيل فلا يجب فيها الزكاه بل و لا يستحب فى الثلاثه الاول و انما يستحب فى إناث الخيل السّائمه فقط عن كلّ عتيق ديناران و عن كلّ برذون دينار واحد. و كذا لا تشمل بقر الوحش لأنّها تنصرف باطلاقها إلى الأهليّه، و خالف فيه بعض العامّه فراجع إلى المسأله ۶۲ من زكاه الخلاف، و إلى زكاه المنتهى.

قوله عليه السّلام:(فإنّ أكثرها له إلخ) علّل إذنه بأنّ أكثر الماشيه و الإبل له. و أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بأنّ قوله: فأنّ أكثرها له، كلام لا مزيد عليه فى الفصاحه و الرياسه و الدين و ذلك لأنّ الصدقه المستحقه جزء يسير من النّصاب و الشريك إذا كان له الأكثر حرم عليه أن يدخل و يتصرّف إلّا باذن شريكه فكيف إذا كان له الأقلّ ، انتهى.

أقول: كلام الأمير عليه السّلام هذا ظاهر فى أنّ الزكاه تجب فى عين المال لا الذمّه، كما أنّ قوله عليه السّلام: و اصدع المال صدعين ثمّ خيّره - إلخ - ظاهر أيضا فى أنّ الخيار إلى ربّ المال لا إلى السّاعى أعنى أنّ ربّ المال مخيّر فى أن

يعيّن ذلک فی أیّ جزء شاء کما ذهب إلیهما شیخ الطائفه قدّس سرّه فی زکاه الخلاف (مسئله ۲۸) و نصّ بالأوّل العلاّمه فی القواعد و المحقّق فی الشرائع و المعتبر بقولهما: الزّکاه تجب فی العین لا فی الذمّه و الروایات الاخری صریحه أیضا بأنّ الفریضه تتعلق بالأعیان لا بالذمّه و الأصل براءه الذمّه. و هو المشهور من الإمامیّه بل لم ینقل الخلاف فیه صریحا عن أحد منهم بل ادّعی غیر واحد منهم الاجماع علیه.

ثمّ المراد بوجوبها فی العین تعلقها بها أعنی أنّ العین هی مورد هذا الحقّ لا الذّمه، لا وجوب إخراج الزکاه منها لما علمت آنفا من جواز إخراج القیمه فی الزّکوات کلّها. و فی المقام بحث فقهیّ أتی به صاحب الجواهر - ره - فی زکاه الجواهر، و الفقیه الهمدانی - ره - فی کتاب الزّکاه من مصباح الفقیه. أعرضنا عنه خوفا للإطناب و لخروجه عن موضوع الکتاب فلیرجع الطالب إلیهما.

قوله علیه السّلام:(و اصدع المال صدعین إلخ) ثمّ علّم السّاعی کیفیه استخراج الزّکاه من المال و أمره أن یفرّقها فرقتین و یخیّر ربّ المال فی اختیار إحدی الفرقتین و أن لا یتعرّض لما اختار و هکذا إلی أن یبقی منها مقدار حقّ اللّه فیها. ثمّ أمره بتسهیل الأمر له و عدم تشدیده علیه بقوله (فان استقالک فأقله) ثمّ أمره أن یستأنف العمل رأسا بعد الاقاله بأن یخلط المال ثمّ یصدعه صدعین و یخیّره فی اختیار أیّ شقین شاء، ثمّ یقسّم الشق الباقی قسمین و هکذا إلی أن ینتهی أحد الصدعین إلی مقدار الواجب من حقّ اللّه فیقبض.

قال الشّیخ - ره - فی المسأله ۲۱ من زکاه الخلاف: یفرق المال فرفتین و یخیّر ربّ المال و یفرق الاخر کذلک و یخیّر ربّ المال إلی أن یبقی مقدار ما فیه کمال ما یجب علیه فیؤخذ منه، و قال عمر بن الخطّاب: یفرق المال ثلاث فرق یختار ربّ المال واحده منها و یختار السّاعی الفریضه من الاخری، و قال الشافعی: لا یفرق المال ذکر ذلک فی القدیم، دلیلنا اجماع الفرقه و الخبر المروی عن أمیر المؤمنین علیه الصّلاه و السّلام فیما قاله لعامله عند تولیته إیاه و وصّاه به و هو

معروف. انتهى.

ثمّ إنّ إطلاق كلامه عليه السّلام فى خيار ربّ المال فى إخراج الفريضه من أىّ صدعين شاء يقتضى عدم الفرق فى جواز الاخراج من أحد الصدعين بين ما إذا تساوت قيمتهما أو اختلفت و بهذا التعميم جزم غير واحد من الإماميه منهم العلّامه فى جمله من كتبه كما حكى و المحقّق فى المعتبر و الشرائع حيث قال فيه:

و المالك بالخيار فى إخراج الفريضه من أىّ الصّنفين شاء. و قال صاحب المدارك:

و هو متّجه لصدق الامتثال بإخراج مسمّى الفريضه و انتفاء ما يدلّ على اعتبار ملاحظه القيمه مطلقا كما اعترف به الأصحاب فى النوع المتّحد. انتهى.

ثمّ يستفاد من كلامه عليه السّلام: و اصدع المال صدعين، إلخ فرع فقهى آخر كما ذكره العلّامه فى المنتهى (ص ۴۸۱) فى زكاه الإبل و استشهد بهذا الكلام حيث قال: لو اجتمع فى مال ما يمكن إخراج الفريضتين كا المأتين يعنى المأتين من الإبل يتخيّر المالك ذهب إليه علماؤنا إن شاء أخرج الحقاق الأربع، و إن شاء أخرج خمس بنات لبون - ثمّ نقل أقوال العامّه فيه إلى أن قال: لنا ما رواه الجمهور فى قول النّبى عليه السّلام فى كتاب الصدقات: فإذا كانت مأتين ففيها أربع حقاق أو خمس بنات لبون أىّ الصّنفين وجدت أخذت. و قوله عليه السّلام لمعاذ: إياك و كرائم أموالهم. و من طريق الخاصّه ما رواه الشّيخ فى الحسن عن بريد بن معاويه قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: بعث أمير المؤمنين عليه السّلام مصدّقا من الكوفه إلى باديتها - فنقل الرّوايه بكمالها ثمّ قال بعده: و لأنّ الامتثال يحصل مع إخراج المالك أىّ النّصفين شاء فيخرج به عن العهده، و لأنّها زكاه ثبت فيها الخيار فكان ذلك للمالك - إلخ.

قوله عليه السّلام:(و لا تأخذنّ عودا إلخ) ثمّ نهى عليه السّلام السّاعى عن أن يأخذ فى الفريضه تلك المعيبات الخمس. قد علمت فى بيان اللّغه أنّ العود المسنّ من الإبل و هو الّذى جاوز فى السنّ البازل و المخلف. و الهرم هو كبر السنّ . و فى منتهى الأرب: يقال: جمل بازل و ناقه بازل - و اين در سال نهم باشد - و ليس بعده سنّ يسمّى

و يقال بعد ذلك بازل عام و بازل عامين. مخلف كمحسن: شتر كه از نه سالگى در گذشته باشد. عود: كلانسال از شتر و كوسپند، هرم ككتف: نيك پير خرف.

قال العلاّمه قدّس سرّه فى زكاه المنتهى (ص ۴۸۵ ج ۱): مسئله و لا يؤخذ المريضه من الصحاح و لا الهرمه من غيرها و لا الهرمه الكبيره و لا ذات العوار من السليم و ذات العوار هى المعيبه و لا نعلم فيه خلافا قال اللّه تعالى: «وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ». و روى الجمهور عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: و لا يؤخذ فى الصدقه هرمه و لا ذات عوار و لا تيس إلا أن يشاء المصدّق. و من طريق الخاصّه ما رواه الشّيخ فى الصّحيح عن محمّد بن قيس عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: و لا يؤخذ هرمه و لا ذات عوار إلاّ أن يشاء المصدّق، و لأنّ فى ذلك ضررا للفقراء. انتهى.

أقول: قوله - ره -: و لا الهرمه من غيرها و لا الهرمه الكبيره يشير إلى قوله عليه السّلام: و لا تأخذن عودا و لا هرمه. و المشهور فى المصدّق بكسر الدّال و ذكره الخطائى بفتحها، قال: و كان أبو عبيد يرويه إلاّ أن يشاء المصدّق بفتح الدّال يريد صاحب الماشيه، أفاده ابن الأثير فى النهايه، و الطريحى فى المجمع و النّراقى قدّس سرّه فى المستند ثمّ قال: و احتمله - يعنى فتح الدّال - فى الذّخيره.

أقول: لكن الصّواب هو الأوّل كما عليه المشهور فإنّ المراد من قول النّبى صلّى اللّه عليه و آله و صحيحى أبى بصير و محمّد بن قيس إلاّ أن يشاء المصدّق أنّ تلك المعيبات لا يؤخذ فى الفريضه إلاّ أن يقبلها المصدّق لأنّ العاملين على الزكاه من الأصناف الثمانيه من مستحقى الزّكاه قال اللّه تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَهً مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (التوبه: ۶۱) فهو يكون مستحقّا للزّكاه فيعطيها بدل الصّحيح من الماشيه و الإبل و ليس فى ذلك ضرر للفقراء فالرّوايات قائله بجواز أخذ تلك المعيبات مع مشيّه المصدّق بمعنى قبوله إيّاها له، و كيف يصحّ حمل الرّوايه على معنى إلاّ أن يشاء صاحب الماشيه مع أنّ قوله فى ذلك لا يسمع و الأصحاب صرّحوا من غير ذكر خلاف بل ادّعوا الاجماع

عليه أنّه لا يكفى فى الفريضه المريضه من الصحاح و الهرمه من الفتيات و ذات العوار من السليمه مضافا إلى قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » (البقره: ٢٧٢).

على أنّ إطلاق المصدّق بالكسر على السّاعى الّذى يأخذ الفريضه ممّا أجمعت عليه أئمّه اللّغه و عامّه الرواه. و قال ابن الأثير فى النهايه: و خالف أبا عبيد عامّه الرواه فقالوا: بكسر الدّال و هو عامل الزّكاه الّذى يستو فيها من أربابها يقال: صدّقهم يصدّقهم فهو مصدّق.

و فى الكافى فى باب آداب المصدّق باسناده عن محمّد بن خالد أنه سأل أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الصّدقه، فقال: إنّ ذلك لا يقبل منك، فقال: إنّى أحمل ذلك فى مالى فقال له أبو عبد اللّه عليه السّلام: مر مصدّقك أن لا يحشر من ماء إلى ماء. الحديث.

و فى ذلك الباب منه أيضا باسناده عن حريز، عن محمّد، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام انه سئل أ يجمع الناس للمصدّق أم يأتيهم على مناهلهم ؟ قال: لا بل يأتيهم على مناهلهم فيصدّقهم.

و فيه أيضا باسناده عن غياث بن ابراهيم، عن جعفر، عن أبيه، عليهما السّلام قال:

كان علىّ عليه السّلام إذا بعث مصدّقه قال: إذا أتيت على ربّ المال فقل له: تصدّق رحمك اللّه ممّا أعطاك اللّه، فان ولى عنك فلا تراجعه.

و قال الجوهرى فى الصحاح: المصدّق الّذى يصدّقك فى حديثك و الّذى يأخذ صدقات الغنم، و المتصدّق الّذى يعطى الصّدقه. و فى أساس البلاغه للزمخشرى: أخذ المصدّق الفريضه، قال:

ودّ المصدّق من بنى عبر أنّ القبائل كلّها غنم

و فى منتهى الأرب: تصديق: راستگو داشتن كسيرا و صدقات گرفتن مصدّق كمحدّث صدقات گيرنده نعتست از آن.

فبما قدّمنا علم أيضا أنّ ضبط المصدّق فى الروايه كما ذهب إليه أبو موسى على

ما فی النهایه الأثیریّه علی تشدید الصاد و الدال معا و کسر الدّال بمعنی صاحب المال و أصله المتصدق فادغمت التاء فی الصاد، لیس بصواب أیضا.

قال قطب الدّین الراوندی رحمه اللّه تعالی - علی ما نقله عنه الشارح البحرینی - ره -: الظاهر من کلامه علیه السّلام أنه کان یأمر باخراج کلّ واحد من هذه الأصناف المعیبه من المال قبل أن یصدع بصدعین. انتهی.

و قال الشارح المعتزلی: و ینبغی أن یکون المعیبات الخمس و هی المهلوسه و المکسوره و أخواتهما یخرجها المصدّق من أصل المال قبل قسمته و الاّ فربّما وقعت فی سهم المصدّق إذا کان یعتمد ما أمره به من صدع المال مرّه بعد مرّه. انتهی.

أقول: إذا کان أخذ تلک المعیبات فی الفریضه منهیا عنه فهی خارجه عن الفریضه رأسا سواء اخرجت قبل صدع المال أو بعده نعم إخراجها قبل الصدع تسهیل للأمر و إلاّ فلیس هو أحد الأحکام أو الاداب المعتبره فی الزکاه کما لم یتعرض علیها أحد من الفقهاء فی الکتب الفقهیه.

ثمّ إنّ للامام أن یستأجر الساعی بأجره معلومه مده معلومه و أن یجعل له جعاله علی عمله إذا أوفی العمل دفع إلیه العوض فلم یکن له فی هذا الوجه أخذ شیء من الصدقات، و أمّا فی غیر هذا الوجه فربما لم تقع الفریضه فی سهمه بل تقع فی سهم الفقراء فلو یخلو فی کلام الشارح المعتزلی و إلاّ فربّما وقعت فی سهم المصدّق من دغدغه لأنّ کلامه ینبیء أنّ النهی عن أخذ المعیبات الخمس فی الفریضه یکون من حیث وقوعها فی سهم المصدّق و قد علمت تحقیق القول فیه.

ثمّ إنه هل یجوز للهاشمی أن یکون عاملا؟ منع أصحابنا الامامیّه من ذلک لأنّ ما یأخذه زکاه و هی محرّمه علیهم و لمّا سأل الفضل بن العباس و المطّلب ابن ربیعه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن یولّیهما العماله قال لهما: الصدقه أوساخ الناس و انها لا تحلّ لمحمّد و آل محمّد، کما فی المنتهی، و فی صحیحه العیس بن القاسم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ اناسا من بنی هاشم أتوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فسألوه أن یستعملهم

على صدقات المواشـى و قالوا: يكون لنا هذا السهم الّذى جعله اللّه عزّ و جلّ للعاملين عليها فنحن أولى به، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا بنى عبد المطّلب إنّ الصدقه لا تحلّ لى و لا لكم و لكن قد وعدت الشـفاعه. و قال الشـيخ قدّس سـرّه: هذا مع تمكّنهم من الخمس أمّا مع قصورهم فيجوز لهم.

أقول: مرادهم من عـدم جواز كون الهاشـمى عاملاـ إذا لم يكن الزكـاه من الهاشـميّين لأنّ زكاه غير الهاشـميّين محرّمه على بنى هاشم لا مطلق الزكاه، كما فى زكاه الفطره.

قال العلاّمه فى المنتهى: قد وقع الخلاف بين الفقهاء فى وجه استحقاق العاملين على الزكاه، فعندنا أنه يستحق نصيبا من الزكاه، و به قال الشافعى و قال أبو حنيفه: يعطى عوضا و أجره لا زكاه.

لنـا: قوله تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها » و العطف بالواو يقتضـى التسويه فى المعنى و الاعراب و ما رواه الجمهور عن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله أنّ اللّه تعالى لم يرض فى قسـمتها نبىّ مرسل و لا ملك مقرّب حتّى قسّـمها بنفسـه فجزّاهـا ثمانيه أجزاء، و من طريق الخاصّه ما رواه زراره و محمّـد بن مسـلم فى الحسن عن أبى عبـد اللّه عليه السّـلام قالا: قلنا له: أرأيت قوله تعـالى: «إِنَّمَـا الصَّدَقـاتُ لِلْفُقَراءِ » الاـيه أ كـلّ هولاـء يعطى ؟ فقال: إنّ الإمام يعطى هؤلاء جميعا، و عن سـماعه قال: سـألت أبـا عبـد اللّه عليه السّـلام عن الزكاه لمن يصـلح أن يأخـذها؟ قال: هى تحلّ للّـذين وصف اللّه تعالى فى كتابه: للفقراء و المساكين إلى آخرها. و لأنّه لو استحقّها على سبيل الاجره لافتقر إلى تقدير العمل أو المدّه و تعيين الاجره و ذلك منفىّ إجماعا لأنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام بعده لم يعينوا شيئا من ذلك.

و لأنّه لو كان اجره لما منع منها الهاشمى.

احتـجّ أبو حنيفه بأنّه لا يعطى إلاّ مع العمل و لو فرّقها المالك أو الإمام لم يكن له نصـيب، و لأنّه يأخـذها مع الغنى و الصـدقه لا تحلّ لغنى. و الجواب كونهم لا يأخذون إلاّ مع العمل لا ينافى استحقاقهم منها و نحن ندفعها إليهم على

وجه استحقاقهم لها بشرط العمل لأنها عوض عن عملهم لعدم اعتبار التقدير و إعطاؤه لا ينافى غناه لأنّه يأخذها باعتبار عمله لا باعتبار فقره كما يعطى ابن السبيل مع غنائه فى بلده و يدخل فى العاملين الكاتب و القسّام و الحاسب و الحافظ و العريف أمّا الإمام و القاضى و نائب الامام فلا. انتهى.

ثمّ إنّ النهى عن أخذ المعيبات منصرف عمّا إذا كان النصاب كلّه كذلك فلو كان كلّه كذلك لم يكلّف شراء الصحيح، على أنّ قوله تعالى «منه» فى الايه يدلّ على أنّ الخبيث بعض المال، و كذا الظاهر من قوله تعالى «وَ لا تَيَمَّمُوا » فانّ القصد إلى الخبيث ظاهر فى وجود غيره أيضا، كما أنّ المرجع فى صدق الأصناف المعيبه إلى العرف فانّ صدق المعيب على مثل العرج القليل أو مقطوع الاذن أو القرن و نحوها بحيث يشملها النهى فى الايه و فى قوله عليه السّلام و فى الأخبار الاخرى مشكل بل خلافه ظاهر أو متعيّن.

قوله عليه السّلام:(و لا تأمننّ عليها إلاّ من تثق به، إلخ)ثمّ أكّده بقوله: و لا توكل بها إلاّ ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا إلخ. نهى عليه السّلام عامله عن أن يولى على مال المسلمين من ليس محلاّ للأمانه، و الأمانه أحد الشروط المعتبره فى العاملين و قد اشترطوا فى العامل البلوغ و العقل و الاسلام و العداله و الفقه و اعتبر بعضهم الحرّيه أيضا و قد علمت آنفا أنه لا يجوز للهاشمى أن يكون عاملا، و يقتصر فى الفقه فيمن يتولّاه على ما يحتاج إليه.

قال فى المدارك: لا ريب فى اعتبار استجماع العامل لهذه الصفات الأربع التكليف و الايمان و العداله و الفقه لأنّ العماله تتضمّن الاستيمان على مال الغير و لا أمانه لغير العدل، و لقول أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخبر المتقدم: فاذا قبضته فلا توكل به إلاّ ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا. و إنما يعتبر الفقه فيمن يتولّى ما يفتقر إليه و المراد منه معرفته بما يحتاج إليه من قدر الواجب و صفته و مصرفه و يختلف ذلك باختلاف حال العامل بالنسبه إلى ما يتولّاه من الأعمال. قال: و يظهر من المحقق فى المعتبر الميل إلى عدم اعتبار الفقه فى العامل و الاكتفاء فيه بسؤال العلماء و استحسنه فى

البيان و لا بأس به.

قال: و شرط كونه غير هاشمى إنما يعتبر فى العامل الذى يأخذ النصيب لا فى مطلق العماله فلو كان العامل من ذوى القربى و تبرّع بالعمل أو دفع إليه الإمام شيئا من بيت المال جاز، لأنّ المقتضى للمنع الأخذ من الزكاه و هو منتف هنا.

و كذا لو تولى عماله قبيله أو مع قصور الخمس، و يدلّ على اعتبار هذا الشرط ما رواه الشيخ فى الصحيح عن العيص بن القاسم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ اناسا من بنى هاشم أتوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فسألوا أن يستعملهم على صدقات المواشى الخبر.

قال: و حكى الشيخ فى المبسوط عن قوم جواز كون العامل هاشميا لأنه يأخذ على وجه الاجره، فكان كسائر الإجارات و هو ضعيف جدا قاله فى المختلف و الظاهر أنّ القوم الّذين نقل الشيخ عنهم من الجمهور إذ لا أعرف قولا لعلمائنا فى ذلك.

قال: و اختلف الأصحاب فى اعتبار شرط الحرّيه فذهب الشيخ إلى اعتباره و استدلّ له فى المعتبر بأنّ العامل يستحقّ نصيبا من الزكاه و العبد لا يملك و مولاه لم يعمل ثمّ أجاب عنه بأنّ عمل العبد كعمل المولى، و قوى العلّامه فى المختلف عدم اعتبار هذا الشرط لحصول الغرض بعمله و لأنّ العماله نوع اجاره و العبد صالح لذلك مع اذن سيّده، و يظهر من المحقق فى المعتبر الميل إليه و لا بأس به، أمّا المكاتب فلا ريب فى جواز عمالته لأنّه صالح للملك و التكسّب انتهى كلامه - ره -.

قال العلّامه - ره - فى المنتهى فى وجه اشتراط الاسلام بأنّ الكافر ليس أهلا للأمانه قال اللّه تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ » و رفع أبو موسى الأشعرى إلى عمر حسابا فاستحسنه فقال من كتب هذا؟ فقال: كاتبى، قال: فأين هو؟ قال: على باب المسجد، فقال: أجنب هو؟ قال: لا و لكنّه نصرانى فقال: لا تأتمنوهم و قد خوّنهم اللّه و لا تقرّبوهم و قد بعّدهم اللّه. و لأنّ ذلك ولايه على المسلمين و قد قال اللّه تعالى: «وَ لَنْ يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ».

قوله عليه السّلام (حتّى توصله إلى وليّهم فيقسمه بينهم) إن بنى الفعل الأوّل على

الخطاب فهو راجع إلى العامل، و على الغيبه إلى من فى قوله: إلاّ من تثق به و أما الثانى فالصواب فيه أن يقرأ على الغيبه لكى يرجع إلى الولىّ و أراد بالولىّ نفسه. قال اللّه تبارك و تعالى: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ » «المائده» و الايه من الأدلّه الواضحه على أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام هو ولىّ المسلمين بعد اللّه تبارك و رسوله صلّى اللّه عليه و آله فالايه دالّه على إمامته عليه السّلام بعد النّبى صلّى اللّه عليه و آله بلا فصل فراجع إلى كتب التفسير.

و أفاد الفاضل الشارح المعتزلى فى المقام حيث قال: قد كرّر عليه السّلام قوله: لنقسمها على كتاب اللّه و سنه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله فى ثلاثه مواضع من هذا الفصل الأوّل قوله: حتّى يوصله إلى وليهم ليقسمه بينهم، الثانى قوله: نصيره حيث أمر اللّه به، الثالث قوله: ليقسمها على كتاب اللّه، و البلاغه لا تقتضى ذلك و لكنّى أظنه أحبّ أن يحتاط و أن يدفع الظنه عن نفسه فانّ الزمان كان فى عهده قد فسد و ساءت ظنون الناس لا سيما مع ما رواه من عثمان و استيثاره بمال الفيء.

قوله عليه السّلام (ثمّ احدر إلينا إلخ) ثمّ أمر عليه السّلام المصدّق بأن يسوق إليه سريعا ما اجتمع عنده من حقّ اللّه يقال: حدر يحدر كينصر و يضرب إذا أسرع، إنما أمره كذلك لأنّ فى تأخيره خوف التلف، أو لشدّه احتياج المستحقّين إليه.

و فى المقام يبحث عن فروع فقهيّه:

اشاره

أحدها أنّ الظاهر من كلامه عليه السّلام: احدر إلينا جواز نقل مال الزكاه إلى بلد آخر.

و ثانيها حمل الزكاه وجوبا إلى الولىّ عليه السّلام أو إلى من قام مقامه.

و ثالثها عدم جواز التصرف فى الزكاه للساعى، و فى الفروع اختلاف بين الفقهاء و نكتفى بنقل طائفه من أقوالهم دون أدلّتهم تفصيلا.

أمّا الفرع الأوّل

ففى المختلف قال الشيخ فى الخلاف: لا يجوز نقل مال الزكاه من بلد إلى بلد مع وجود مستحقه فان نقله كان ضامنا له إن هلك، و إن لم يجد له مستحقا جاز له نقله و لا ضمان عليه أصلا. و فى المبسوط : و إذا وجب عليه زكاه فعليه أن يفرّقها فى فقراء أهل بلده فان نقلها إلى بلد آخر مع وجود المستحق

فی بلده و وصل إلیهم أجزأه و إن هلکك ضمن و إن لم یجد مستحقا فی بلده جاز حملها إلی بلد آخر و لا ضمان علی حال و لا فرق بین أن ینقلها إلی قریب أو بعید فإنّه لا یجوز نقلها عن البلد مع وجود المستحق إلّا بشرط الضمان و مع عدم المستحق یجوز بالإطلاق.

و فی النهایه: متی لم یجد من تجب علیه الزکاه مستحقّا عزلها من ماله و انتظر بها مستحقها فان لم یکن فی بلده جاز أن یبعث بها إلی آخر فإن اصیب فی الطریق أجزأه، و إن کان قد وجد فی بلده مستحقا فلم یعطه و آثر من یکون فی بلد آخر کان ضامنا لها إن هلکت وجب علیه إعادتها.

و قال المفید: إذا جاء الوقت فعدم المستحق عزلها من ماله إلی أن یجد من یستحقها من أهل الفقر و الایمان و إن قدر علی إخراجها إلی بلد یوجد فیه مستحق أخرجها و لم ینتظر بها وجود مستحقها ببلده إلّا أن یغلب علی ظنه فوت وجوده و یکون أولی بها ممّن یحمل إلیه من أهل الزکاه فان هلکت فی الطریق المحمول فیها إلی مستحقها أجزأت عن صاحب المال و لا یجزیه ذلک إذا حملها و هلکت و قد کان واجدا لمستحقها فی بلده و إنما أخرجها منه إلی غیره لاختیار أهل الاستحقاق و وضعها فی بعض من یؤثره منهم دون من حضره.

و قال صاحب الوسیله فیها: إذا وجد المستحق فی بلده کره له نقلها إلی آخر فان نقل ضمن، و إن لم یوجد لم یضمن.

و قال أبو الصلاح: و أهل المصر أولی من قطّان غیره، فان لم یکن فی المصر من یتکامل فیه صفات مستحقها اخرجت إلی من یستحقها، و إذا ارید حملها إلی مصر آخر مع فقد من یستحقها فی المصر فلا ضمان علی مخرجها فی هلاکها و إن کان السبیل مخوفا لم یجز حملها إلّا بإذن الفقیر، فان نقلت من غیر إذنه فهی مضمونه حتّی تصل إلیه، و إن کان فی مصره من یستحقها فحملها إلی غیره فهی مضمونه حتّی تصل إلی من حملت إلیه إلّا أن یکون حملها إلیه باذنه فیسقط الضمان.

ص:۲۰

و أما الثانى

ففى المختلف أيضا قال المفيد رحمه اللّه تعالى: فرض على الامّه حمل الزكاه إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و الامام خليفته و قائم مقامه فاذا غاب الخليفه كان الفرض حملها إلى من ينصبه خليفه من خاصّته فاذا عدم السفراء بينه و بين رعيّته وجب حملها إلى الفقهاء المأمونين من أهل ولايته. و قال أبو الصلاح: يجب على كلّ من تعيّن عليه فرض زكاه أو فطره أو خمس أو أنفال أن يخرج ما وجب عليه من ذلك إلى سلطان الإسلام المنصوب من قبله تعالى إو إلى من ينصبه لقبض ذلك من شيعته ليضعه مواضعه، فان تعذّر الأمران فإلى الفقيه المأمون فإن تعذّر و أثر المكلف تولّى ذلك بنفسه فمستحق الزكاه و الفطره الفقير المؤمنين، و هذا الكلام منهما يشعر بوجوب حمل الزكاه إلى الإمام أو نائبه أو الفقيه على ما رتّبناه.

و قال ابن البراج: و إذا كان الإمام ظاهرا وجب حمل الزكاه إليه ليفرّقها فى مستحقها، فان كان غائبا فإنّه يجوز لمن وجبت عليه أن يفرّقها فى خمسه أصناف و هو يدلّ على الوجوب أيضا.

و قال الشيخ رحمه اللّه تعالى: الأموال ضربان: ظاهره و باطنه، فالباطنه الدنانير و الدراهم و أموال التجارات، فالمالك بالخيار بين أن يدفعها إلى الإمام أو من ينوب عنه و بين أن يفرّقها بنفسه على مستحقها بلا خلاف فى ذلك. و أما زكاه الأموال الظاهره مثل المواشى و الغلّات فالأفضل حملها إلى الإمام إذا لم يطلبها، و إن تولّى ففرّقها بنفسه فقد أجزأ عنه.

و قال السيّد المرتضى: الأفضل و الأولى إخراج الزكاه لا سيما فى الأموال الظاهره كالمواشى و الحرث و الغرس إلى الإمام و إلى خلفائه النائبين عنه [و إن تولّى ظ] من وجبت عليه بنفسه من دون الإمام جاز.

ثمّ قال العلّامه رحمه اللّه تعالى: و الحقّ الاستحباب إلّا مع الطلب فيجب كما اختاره الشيخ و هو قول ابن إدريس، إلى أن قال: لو طلبها الإمام فلم يدفعها إليه و فرّقها بنفسه قال الشيخ لا يجزيه و هو الذى يقتضيه قول كلّ من أوجب الدفع إليه مع غير الطلب، و قيل: يجزيه.

لنا أنها عباده لم يأت بها على وجهها المطلوب شرعا فيبقى فى عهده التكليف أمّا أنها عباده فظاهر، و أمّا أنّه فعلها على غير الوجه المطلوب فللاجماع على وجوب الدفع إلى الإمام مع الطلب فاذا فرّقها بنفسه لم يأت به على وجهه.

احتجّ الاخرون بأنّه دفع مالا إلى مستحقه فيخرج عن العهده، و الجواب إنما يخرج عن العهده لو دفعه إليه على الوجه المطلوب منه.

و أمّا الفروع الثالث

ففى المنتهى: إذا قبض السّاعى الصدقه و حملها إلى الإمام أو فرّقها إن كان قد أذن له فى التفريق فليس له أن ينتفع منها شيئا إلّا مع الحاجه و العذر كما إذا مرضت الشاه فيخاف عليها التلف قبل اتّصالها إلى المستحق أو كان التفريق مخوفا أو احتاج فى نقله إلى مؤنه يستوعبه فأمّا لغير عذر فلا يجوز لقوله عليه السّلام لمعاذ بن جبل: أعملهم أنّ عليهم صدقه تؤخذ من أغنيائهم فتردّ فى فقرائهم، و لما بعث أمير المؤمنين عليه السّلام المصدق قال له: ثمّ احدر ما اجتمع عندك من كلّ ناد إلينا نصيّره حيث أمر اللّه عزّ و جلّ ، و لما عدل عن البيع الّذى هو الأرفق إلى الأشقّ دلّ على أنّ الواجب ذلك، أمّا مع العذر فلا بأس لأجل الضروره، و قد روى الشيخ رحمه اللّه تعالى عن محمّد بن خالد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام بيع الصدقه، و هو محمول على ما قلناه، إذا ثبت هذا فإن باع لا للضروره لم يصحّ البيع فان كانت العين باقيه استرجعت و ان نقصت ضمن الأرش، و إن كانت تالفه ضمن المشترى المثل فان تعذّر أو لم يكن مثله ضمن القيمه.

قوله عليه السّلام:(فاذا أخذها أمينك إلخ) فيه زياده تأكيد لقوله الماضى آنفا:

و لا تأمننّ عليها إلّا من تثق بدينه، حيث ذكره بالوصف مشعرا بذلك من كونه أمينا ثمّ أمره أن يوعز إلى أمينه و يوصى إليه بحال الماشيه و الإبل بأن يراعى فيها عدّه امور:

أحدها أن لا يحول بين ناقه و فصيلها طمعا فى اللّبن.

و ثانيها أن لا يحلب كلّ ما فى ضرعها فيضرّ ذلك بولدها فيبقى جائعا.

و ثالثها أن لا يتعبنّها ركوبا.

ص:۲۲

و رابعها أن يعدل بين صواحباتها و بينها فى الركوب أى لا يخصّ بالركوب واحده بل تاره يركب عليها و اخرى على غيرها. هذا إذا جعلنا ذلك مشيرا إلى الركوب كما هو الظاهر المنساق من العباره، و يمكن أن يكون مشيرا إلى كلّ واحد من الركوب و حلب الضرع أى كما يجب عليه العدل بينها فى الركوب يجب عليه العدل فى الحلب أيضا بأن لا يخصّ واحده منها فى ذلك بل تاره يحلب هذه و اخرى اخرى.

و خامسها أن يرفه على اللاّغب أى أن يريح المعيى و يدعه و يعفّه عن الركوب ليستريح.

و سادسها أن يستأنى بالنقب، و هو الّذى رقّت أخفافه فيشق عليه المشى لأنّ الأرض تجرحه حينئذ، و كذلك أن يستأنى و يرفق بالظالع و هو الذى يظلع أى يغمز فى مشيه.

و سابعها أن يوردها ما تمرّ به من الغدر أى لا يمنعها من الماء.

و ثامنها أن لا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّريق أى لا يمنعها من الكلاء.

و كانت نسختا الكافى و التهذيب فى هذا القسم هكذا: و لا يعدل - او و لا يبدل - بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّريق فى الساعه الّتى تريح و تغبق.

و صاحب المدارك - ره - نقل الخبر بطوله من الكافى فى زكاه المدارك (ص ٢٨١ من الطبع على الحجر) و قال بعد نقل الخبر: و نقلنا هذا الحديث بطوله لما فيه من الفوائد، ثمّ قال: قال ابن إدريس - ره - فى سرائره بعد ان أورد هذا الخبر: قوله عليه السّلام: و لا تعدل بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطرق فى الساعه الّتى تريح فيها و تعنق قال محمّد بن إدريس: سمعت من يقول: تريح و تغبق بالغين المعجمه و الباء يعتقد أنه من الغبوق و هو الشرب بالعشى، و هذا تصحيف فاحش و خطاء قبيح و انما هو بالعين غير المعجمه و النون المفتوحه و هو ضرب من سير الابل شديد قال الرّاجز:

يا ناق سيرى عنقا فسيحا إلى سليمان فتستريحا

لأنّ معنى الكلام أنّه لا يعدل بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطرق فى الساعات الّتى لها فيها راحه و لا فى الساعات الّتى عليها فيها مشقه و لأجل هذا قال تريح من الراحه و لو كان من الرواح لقال تروح و ما كان يقول تريح و لأنّ الرواح عند العشاء يكون قريبا منه و الغبوق و هو شرب العشى على ما ذكرناه و لم يبق له معنى و انما المعنى ما قلناه و انما أوردت هذه اللفظه فى كتابى لأنّى سمعت جماعه من أصحابنا الفقهاء يصحفونها. انتهى كلامه - ره -. انتهى ما أتى به السيّد - ره - فى المدارك.

و قال الفيض قدّس سرّه فى الوافى (ص ۲۲ ج ۶) فى بيان الحديث: و الغبوق بالغين المعجمه و الباء الموحّده شرب آخر النهار، و ضبطه صاحب كتاب السرائر تعنق بالعين المهمله و النون من العنق و هو شدّه سير الابل و جعل جعله تغبق تصحيفا فاحشا و خطاء قبيحا معلّلا بانّ يريح من الراحه ليس من الرواح.

ثمّ قال الفيض - ره - قال استاذنا رحمه اللّه: كون ذلك تصحيفا غير معلوم بل يحتمل الأمرين. انتهى كلام الفيض. و مراده من استاذه هو استاذه فى العلوم النقليه السيّد ماجد بن هاشم الصادقى البحرانى طاب ثراه كما نصّ عليه فى ص ۱۴ ج ۶ من زكاه الوافى.

و تاسعها أن يروّحها فى ساعات الرّواح.

و عاشرها أن يمهلها عند وصولها إلى النطاف و الأعشاب، و النطاف المياه القليله الصّافيه جمع النطفه، و الأعشاب جمع العشب و هو الكلاء الرطب.

ثمّ إنّ كلامه عليه السّلام:(و لا يمصر لبنها فيضرّ ذلك بولدها و لا يجهدنّها ركوبا) يفيد أنّ للسّاعى أن ينتفع من الصدقه على مقدار الحاجه كما تقدّم الكلام آنفا فى الفرع الثالث.

و ينبغى التأمل جدّا فى ما أمره عليه السّلام و نهاه فى حقّ البهائم سيّما فيما أوصى من رعايه العدل فى الركوب و الحلب فيها ليعلم أنّ اللّه يحبّ العدل فى حقّها أيضا، و أنّه سبحانه بيّن كلّ ما يتعلق بأفعال المكلّفين و لم يترك شيئا إلاّ و له فيه

حکم. و هذا هو خلیفته أوصی فی أخسّ خلیفته ما أوصی، فما ظنّک بأشرفها و أکرمها.

فلنذکر فی المقام عدّه روایات منقوله من أئمه الدّین علیهم السّلام فی حقّ الدابه علی صاحبها و آداب رکوبها و حملها، ففی الکافی و الفقیه (الوافی ص ۶۶ ج ۸) عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال لقمان لابنه: یا بنیّ إذا سافرت مع قوم فأکثر استشارتهم فی أمرک و امورهم – إلی أن قال: و لا تنامنّ علی دابّتک فانّ ذلک سریع فی دبرها و لیس ذلک من فعل الحکماء إلّا أن تکون فی محمل یمکنک التمدّد لاسترخاء المفاصل، و إذا قربت من المنزل فانزل عن دابّتک و ابدأ بعلفها قبل نفسک فانّها نفسک إلخ. قال الفیض قدّس سرّه: الدّبر محرکه قرحه الدابّه، و انما جعل الدابّه نفسه لأنّ هلاکها یستلزم هلاکها.

و فی الخصال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: للدابّه علی صاحبها خصال ستّ :

یبدأ بعلفها إذا نزل، و یعرض علیها الماء إذا مرّ به، و لا یضرب وجهها فانّها تسبّح بحمد ربّها، و لا یقف علی ظهرها إلّا فی سبیل اللّه عزّ و جلّ ، و لا یحملها فوق طاقتها، و لا یکلّفها من المشی إلّا ما تطیق.

و فی البحار – باب حق الدابه علی صاحبها و آدابها و حملها ص ۷۰۱ ج ۱۴ من طبع الکمبانی – من المحاسن عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

لا تضربوا وجوه الدّواب و کلّ شیء فیه الروح فانه یسبّح بحمد اللّه.

و فیه من مجالس الصدوق عن الصادق علیه السّلام قال: للدابّه علی صاحبها سبعه حقوق: لا یحملها فوق طاقتها، و لا یتّخذ ظهرها مجلسا یتحدّث علیها، و یبدأ بعلفها إذا نزل، و لا یسمها فی وجهها فانها تسبّح، و یعرض علیها الماء إذا مرّ به، و لا یضربها علی النفار، و یضربها علی العثار لأنها تری ما لا ترون.

و فیه من المحاسن و الفقیه عن ابن فضّال عن حمّاد اللحام قال: مرّ قطار لأبی عبد اللّه علیه السّلام فرأی زامله قد مالت فقال: یا غلام اعدل علی هذا الجمل فانّ اللّه یحبّ العدل.

و فيه من نوادر الراوندى عن علىّ عليه السّلام قال: للدّابّه على صاحبها ستّ خصال: يبدأ بعلفها إذا نزل، و يعرض عليها الماء إذا مرّ به، و لا يضربها إلاّ على حقّ و لا يحملها إلاّ ما تطيق، و لا يكلّفها من السير إلاّ طاقتها، و لا يقف عليها فواقا.

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لا تتّخذوا ظهور الدواب كراسى فربّ دابه مركوبه خير من راكبها و أطوع للّه تعالى و أكثر ذكرا.

و فيه من الفقيه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّ اللّه تبارك و تعالى يحبّ الرفق و يعين عليه فاذا ركبتم الدواب العجاف فانزلوها منازلها فان كانت الأرض مجدبه فانجوا عليها، و ان كانت مخصبه فانزلوها منازلها. فقال صلّى اللّه عليه و آله: من سافر منكم بدابّه فليبدأ حين ينزل بعلفها و سقيها.

و فى الكافى باسناده عن عمرو بن جميع عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لا تتورّكوا على الدّواب و لا تتّخذوا ظهورها مجالس.

و فى البحار عن أبى الدرداء أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله قال: من قال إذا ركب دابّه:

«بسم اللّه الّذى لا يضرّ مع اسمه شىء فى الأرض و لا فى السماء سبحانه ليس سمىّ له سبحان الّذى سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون و الحمد للّه ربّ العالمين و صلّى اللّه على محمّد و آله عليهم السّلام» إلاّ قالت الدابّه: بارك اللّه عليك من مؤمن خففت على ظهرى و أطعت ربّك و أحسنت إلى نفسك بارك اللّه لك و أنجح حاجتك.

و قد مضى كلام الأمير عليه السّلام حين يركب فى شرح المختار الخامس عشر من باب الكتب «ص ۱۶۹ ج ۱۸» فراجع. و فى المقام روايات عديده أتى بها المجلسى - ره - فى البحار فراجع «ص ۷۰۱ ج ۱۴ - إلى ص ۷۰۸ من طبع الكمبانى».

قوله عليه السّلام:(حتّى يأتينا باذن اللّه إلخ) ثمّ ذكر عليه السّلام غايه ما أمر العامل أن يوصى إلى أمينه بما مرّ فى أمر الدوابّ ، أى له أن يراعى فيها بتلك الامور حتّى يأتينا إلخ. فقوله: حتّى يأتينا متعلق بقوله: فأوعز إليه، و المنقيات اسم فاعل من انقت الابل اذا سمنت يقال: انقت الابل أى سمنت و صارت ذات نقى بكسر النون

ص:۲۶

فسکون القاف أی ذات مخّ . ثمّ اتبعه علیه السّلام تشدیدا فی حفظ مال المستحقّین و تأکیدا لما أوصی مرارا من قسمته علی ما أوجب اللّه تعالی بقوله:(لنقسمها علی کتاب اللّه و سنّه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله) ثمّ وعده بما یترتب علی عمله هذا من الأجر العظیم و القرب من الرشد و الهدایه و الصواب، و قال علیه السّلام:(إنّ ذلک أعظم أجرا) لأنّ فیه کثره مشقّه لا تخفی و لأنّ ذلک أحفظ لمال المستحقّین فثواب حافظه و أجره أقرب رشدا لأنّ فیه اتّباع ولیّ الأمر علی نهج رضاه فیه أکثر، و لأنّ اختیار عمل فیه کثره مشقه یدلّ غالبا علی خلوص العامل و صدق نیّته فی إطاعه الامر.

و کفی فی عظم الأجر ما وعد علیه السّلام علی ما فی روایتی الکافی و التهذیب المقدّمتین فی ذکر المصدر حیث قال علیه السّلام: فانّ ذلک أعظم لأجرک و أقرب لرشدک ینظر اللّه إلیها و إلیک و إلی جهدک و نصیحتک لمن بعثک و بعثت فی حاجه فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال: ما ینظر اللّه إلی ولیّ له یجهد نفسه بالطاعه و النصیحه له و لإمامه إلاّ کان معنا فی الرفیق الأعلی. قال الفیض قدّس سرّه فی الوافی «ص ۲۲ ج ۶» فی بیان الرفیق الأعلی: أی فی الرفقه العالیه و هم الأنبیاء و المرسلون و الملائکه المقربون.

فرع فقهی

روی المسلم فی آخر کتاب الزکاه من صحیحه باسناده عن عبد اللّه بن أبی أوفی قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهمّ صلّ علیهم» فأتاه أبی أبو أوفی بصدقته فقال: «اللهمّ صلّ علی آل أبی أوفی». انتهی.

أقول: قوله صلّی اللّه علیه و آله: اللهمّ صلّ علیهم یشیر إلی قوله تعالی: «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » - توبه: ۱۰۴». ثمّ إنّ الأمیر علیه السّلام لم یأمر العامل بالدّعاء بعد أخذ الصدقه لصاحبها و لو کان واجبا لذکره اللهمّ إلاّ أن یقال: إنّ الرضیّ أسقطه علی دأبه فی النهج بل صرّح فی المقام بانه ذکر هنا جملا منها کما دریت، و نسخه الکافی کالتهذیب کانت قریبه منه، و مع فرض ذکره فی الوصیّه القول بوجوبه مشکل بل الحق فی المقام أنّ الدّعاء مستحب و لیس الدّعاء موقتا.

قـال العلاّمه - ره - فی المنتهی «ص ۵۱۵»، مسئله و إذا أخـذ السـاعی أو الامام الصّـدقه دعا لصاحبها قال اللّه تعالی: «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَـدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَکِّیهِمْ بِهـا وَ صَـلِّ عَلَیْهِمْ » و تردّد الشّـیخ فی الوجوب فقال فی الخلاف به(۱) و هو مـذهب داود بن علیّ بن خلف الاصـبهانی لظاهر الایه و قال فی المبسوط بالاسـتحباب و هو مذهب أکثر الجمهور و هو أولی لأنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لمّا بعث معاذا إلی الیمن قال له: أعلمهم أنّ علیهم صـدقه تؤخذ من أغنیائهم فتردّ فی فقرائهم، و لم یأمره بالدّعاء و لو کـان واجبا لـذکره، و لأنّه براءه للـذمّه، و لأنّ الفقراء لو أخـذوا الصّـدقه بأنفسـهم لم یجب علیهم الـدّعاء فتاتیهم أولی (کـذا فی المنتهی و فی العبـاره تصـحیف) «الظـاهر: فنـائبهم م» و لأنّ هـذا أداء عباده فلا یجب الـدّعاء لها کالصّـلاه، و الایه محموله علی الاستحباب و لا شیء موقت فی هذا الدّعاء و أیّ دعاء ذکره کان حسنا.

و فی المسـتند للنراقی - قـدّه -: یسـتحب للعامل و الفقیه و الفقیر الدّعاء للمالک بعد أخذ الزکاه، أمّا من حیث اسـتحباب الدّعاء مطلقـا فظـاهر، و أمّـا من جهه خصوص المورد فلفتوی جمع من الأصـحاب، و لاـ یجب قطعـا للأصـل و عـدم الـدلیل سوی الایه المخصوص بالنبیّ صـلّی اللّه علیه و آله خطابا و تعلیلا بقوله سـبحانه: «إِنَّ صَـلاتَکَ سَـکَنٌ لَهُمْ » مضافا إلی عدم معلومیّه شمول مرجع الضـمیر لجمیع المؤمنین و عدم صـراحه الایه فی کون الصّـلاه المأمور بها لأجل أداء الزکاه و بعد مضیها بل عدم ظهورها فیه أیضا.

کلام فی الرجعه

و اعلم أنّ ظـاهر قوله علیه السّـلام فی ذیـل هـذه الوصیّه علی نسـختی الکـافی و التهـذیب حیث قال علیه السّـلام: - أما و اللّه لا تـذهب الأیّام و اللّیـالی حتی یحیی اللّه الموتی و یمیت الأحیـاء و یردّ اللّه الحقّ إلی أهله و یقیم دینه الـذی ارتضـاه لنفسه و نبیّه فابشروا ثمّ ابشروا فو اللّه ما الحقّ إلاّ فی أیدیکم - یدلّ علی الرجعه.

ص:۲۸

۱- (۱) ثم مال عنه و قال فی کتاب قسمه الصدقات من الخلاف أیضا بالاستحباب کما فی المبسوط . منه.

و قال الفيض - ره - فى الوافى «ص ۲۲ ج ۶»: قوله يحيى اللّه الموتى و يميت الأحياء، إمّا محمول على الحقيقه بناء على الرجعه، و إمّا تجوّز، شبّه الشيعه لقلّتهم و خفائهم و عدم تمكّنهم من اظهار دينهم بالموتى انتهى كلامه - ره - أقول: حمل العباره على التجوّز بعيد من صوب الصواب جدّا و تكلّفه واضح و لو جاز حمل العباره على هذا النحو من التجوّز لا يبقى لظاهر الألفاظ معنى، و لا للرجعه محلّ لامكان حمل كلّ خبر قائل بالرجعه على نحو هذا المعنى المتكلّف فيه.

ثمّ إنّ لعلمائنا الاماميّه رسائل عديده منفرده فى إثبات الرجعه و ربّما أتوا بالبحث عنها فى أثناء كتبهم الكلاميّه تمسّكوا فى إثباتها بعدّه آيات و بروايات كثيره.

و قال المحدّث الخبير الشّيخ الحرّ العاملى طيّب اللّه رمسه فى أوّل كتابه فى الرجعه المسمّى بالإيقاظ من الهجعه بالبرهان على الرجعه، و هو أطول كتاب عمل فى الرجعه ممّا حضرنا من المؤلّفات فيها ما هذا لفظه: و قد نقل جماعه من علمائنا إجماع الإماميّه على اعتقاد صحتها و اطباق الشيعه الاثنى عشريّه على نقل أحاديثها و روايتها و تأوّلوا معارضها على شذوذ و ندور بالحمل على التقيّه إذ لا قائل بها من غير الشيعه الإماميّه، و ذلک دليل واضح على صحتها، و برهان ظاهر على ثبوتها و نقل روايتها.

و قال فى آخر كتابه هذا: فهذا ما خطر بالبال و اقتضاه الحال من الكلام فى إثبات الرجعه و دفع شبهاتها على ضعفها و عدم صراحتها فى ابطال الرجعه و قوّه أحاديث الرجعه و أدلّتها كما رأيت فانّها وصلت إلى حدّ التواتر بل تجاوزت بمراتب فأوجبت القطع و اليقين بل كلّ حديث منها موجب لذلک لكثره القرائن القطعيّه من موافقه القرآن و الأدله و السنه النبويه و تعاضدها و كثرتها و صراحتها و اشتمالها على ضروب من التأكيدات و موافقتها لاجماع الاماميّه و إطباق جميع الرواه و المحدّثين على نقلها و وجودها فى جميع الكتب المعتمده و المصنّفات المشهوره المذكوره سابقا و غيرها، و عدم وجود معارض صريح لها أصلا و عدم

احتمالها للتقيه، و استحاله اتفاق رواتها على الكذب، و لعدم قول أحد من العامّه المخالفين للاماميّه بها، و لعداله أكثر رواتها و جلالتهم، و لصحه طرق كثيره من أحاديثها، و لكون أكثر رواتها من أصحاب الإجماع الذين اجتمعت الاماميه على تصحيح ما يصحّ عنهم و تصديقهم و أقرّوا لهم بالعلم و الفقه، و للعلم القطعى بأنّ كثيرا من هذه الأحاديث كانت مرويه فى الاصول المجمع على صحتها الّتى عرضت على الأئمه عليهم السّلام فصحّحوها و أمروا بالعمل بها، و لكثره تصانيف علماء الإماميّه فى إثبات الرجعه، و لم يبلغنا أنّ أحدا منهم صرّح بردّها و إنكارها فضلا عن تأليف شيء فى ذلك.

و إنّى مع قلّه تتبعى لو أردت الان لأضفت إلى أحاديث هذه الرساله ما يزيد عليها فى العدد فتتضاعف الأحاديث لأنّى لم أنقل من رسائل المتأخّرين شيئا مع أنّه حضرنى منها ثلاث رسائل و فيما ذكرنا بل فى بعضه كفايه إن شاء اللّه تعالى فقد ذكرنا فى هذه الرساله من الأحاديث و الايات و الأدلّه ما يزيد على ستّه مائه و عشرين، و لا أظنّ شيئا من مسائل الاصول و الفروع يوجد فيه من النصوص أكثر من هذه المسأله. انتهى كلامه – ره –.

و قال الاحسائى فى شرح الزياره الجامعه «ص ۲۶۸ من الطبع على الحجر ۱۲۷۶ ه» فى شرح قول الامام عليه السّلام «مصدّق برجعتكم» بعد نقل طائفه من الكلام فى الرجعه: مع ما ورد فى الرجعه من النصوص الكثيره منها ما تقدّم ذكره عن السيّد نعمه اللّه الجزائرىّ أنّه قال: وقفت على ستّمائه و عشرين حديثا فى هذا الباب. و الشّيخ عبد اللّه بن نور اللّه البحرانى الّذى تقدّم ذكره و بعض كلامه و قلنا يأتى تمامه قال: و كيف يشكّ مؤمن بحقيقه الأئمه الأطهار عليهم السّلام فيما تواتر عنهم فى قريب من مأتى حديث صريح رواها نيّف و أربعون من الثّقات العظام و العلماء الأعلام فى أزيد من خمسين من مؤلّفاتهم كثقه الإسلام الكلينى، و الصدوق محمّد بن بابويه، و الشّيخ أبى جعفر الطوسى، و المرتضى و النّجاشى و الكياشى و العيّاشى و علىّ بن إبراهيم و سليم الهلالى و الشّيخ المفيد و الكراجكى و النعمانى و الصفّار

و سعد بن عبد اللّه و ابن قولويه و علىّ بن عبد الحميد و السيّد علىّ بن الطاوس و ولده صاحب كتاب زوائد الفرائد، و محمّد بن علىّ بن إبراهيم و فرات بن إبراهيم مؤلف كتـاب التنزيل و التحريف و أبى الفضل الطبرسـى و أبى طالب الطبرسـى و إبراهيم بن محمّد الثقفى و محمّد بن العبّاس بن مروان و البرقى و ابن شهرآشوب و الحسن بن سليمان و القطب الراوندى و العلاّمه الحلّى و السيّد بهاء الدّين و علىّ بن عبد الكريم و أحمد بن داود بن سعيد و الحسن بن علىّ بن أبى حمزه و الفضل بن شاذان و الشّيخ الشّهيد محمّد بن مكّى و الحسين بن حمدان و الحسن بن محمّد بن الجمهور العمى مؤلّف كتاب الواحده و الحسن بن محبوب و جعفر بن محمّد بن مالك الكوفى و طهر بن عبد اللّه و شاذان بن جبرئيل صاحب كتاب الفضائل و مؤلف كتاب العتيق و مؤلف كتاب الخطب و غيرهم من مؤلفى الكتب عندنا و لم نعرف مؤلّفه على التّعيين و لذا لم ننسب الأخبار إليهم و إن كان موجودا فيها - إلى أن قال البحرانى المذكور:

و لنذكر لمزيد التشييد و التأكيد أسماء بعض من تعرّض لتأسيس هذا المدّعى و صنّف فيه أو احتجّ على المنكرين أو خاصم المخالفين سوى ما ظهر ممّا قد منافى ضمن الأخبار و اللّه الموفق فمنهم أحمد بن داود بن سعيد الجرجانى قال الشيخ فى الفهرست: له كتاب المتعه و الرّجعه، و منهم الحسن بن علىّ بن أبى حمزه البطائى و عدّ النّجاشى من جمله كتبه كتاب الرجعه. و منهم الفضل بن الشاذان النيسابورى ذكر الشّيخ فى الفهرست و النّجاشى أنّ له كتابا فى إثبات الرجعه. و منهم الصّدوق محمّد بن علىّ بن بابويه فانّه عدّ النّجاشى من كتبه كتاب الرجعه. و منهم محمّد بن مسعود العيّاشى ذكر النّجاشى و الشيخ فى الفهرست كتابه فى الرجعه. و منهم الحسن بن سليمان على ما روينا عنه الأخبار. و أما سائر الأصحاب فانهم ذكروها فيما صنفوا فى الغيبه و لم يفردوا لها رساله و أكثر أصحاب الكتب من أصحابنا أفردوا كتابا فى الغيبه و قد عرفت سابقا من روى ذلك من عظماء الأصحاب و أكابر المحدثين الذين ليس فى جلالتهم شكّ و لا ارتياب. و قال العلاّمه - ره - فى خلاصه الرّجال فى ترجمه ميسر بن عبد العزيز: و قال العقيقى

أثنی علیه آل محمّد صلّی اللّه علیه و آله و هو ممّن یجاهد فی الرجعه انتهی.

و قال علم المهدی سیّد المرتضی: إنّ الّذی تذهب الشیعه الامامیه إلیه أنّ اللّه تعالی یعید عند ظهور إمام الزمان المهدی علیه السّلام قوما ممّن کان قد تقدّم موته من شیعته لیفوزوا بثواب نصرته و معونته و مشاهده دولته، و یعید أیضا قوما من أعدائه لینتقم منهم فیلتذّوا بما یشاهدون من ظهور الحقّ و علوّ کلمه أهله.

و الدلاله علی صحّه هذا المذهب أنّ الّذی ذهبوا إلیه ممّا لا شبهه علی عاقل فی أنه مقدور للّه تعالی غیر مستحیل فی نفسه فانا نری کثیرا من مخالفینا ینکرون الرجعه إنکار من یراها مستحیله غیر مقدوره، و إذا ثبت جواز الرجعه و دخولها تحت المقدور فالطریق إلی إثباتها إجماع الإمامیّه علی وقوعها فانهم لا یختلفون فی ذلک و إجماعهم قد بیّنا فی مواضع من کتبنا أنّه حجه لدخول قول الإمام علیه السّلام فیه إلی آخر ما قال، و قد نقل کلامه تماما المجلسی - ره - فی الثالث عشر من البحار الکمبانی «ص ۲۳۵».

و قال المجلسی - ره - «ص ۲۳۱ ج ۱۳ من البحار الکمبانی»: اعلم یا أخی أنّی لا أظنک ترتاب بعد ما مهّدت و أوضحت لک فی القول بالرجعه التی أجمعت الشیعه علیها فی جمیع الأعصار و اشتهرت بینهم کالشمس فی رابعه النهار حتّی نظموها فی أشعارهم و احتجّوا بها علی المخالفین فی جمیع أمصارهم و شنع المخالفون علیهم فی ذلک و أثبتوه فی کتبهم و أسفارهم، منهم الرازی و النیسابوری و غیرهما، و قد مرّ کلام ابن أبی الحدید حیث أوضح مذهب الإمامیّه فی ذلک و لو لا مخافه التطویل من غیر طائل لأوردت کثیرا من کلماتهم فی ذلک. و کیف یشکّ مؤمن بحقیقه الأئمّه الأطهار علیهم السّلام فیما تواتر عنهم فی قریب من مأتی حدیث صریح - إلی آخر ما تقدّم من الشیخ البحرانی المذکور آنفا..

الترجمه

از جملهٔ وصیّت آن حضرت علیه السّلام است که آنرا برای کسی که او را بر گرفتن زکاه عامل می گردانید می نوشت، و ما در اینجا پارهٔ از آنرا آورده ایم تا بان دانسته شود که آن حضرت ستون حق را بپا می داشت و در کارهای کوچک و بزرگ و پنهان و آشکار أحکام عدل را ظاهر میکرد:

برو بر تقوی خدای یکتای بی همتا، مسلمانی را مترسان، و آنچه را که ناخوش دارد بر او مگزین، و بیش از حقّی که خدا در مال او دارد از او مگیر، و چون بقبیله ای رسیدی بکنار آبشان فرود آی بدون این که بخانهایشان در آیی، و بعد از آن برو بسویشان بارامی تن و جان تا در میانشان بایستی پس بر آنان سلام کن و تحیّت و درود را برایشان کم و ناقص مگردان، بعد از آن میگوئی ای بندگان خدا ولیّ خدا و خلیفهٔ او مرا بسوی شما فرستاده تا حق خدا را در اموال شما از شما بستانم آیا در اموال شما برای خدا حقّیست که آنرا بولیّ او بدهید؟ اگر کسی گفت:

نه باز مگرد بر او و دوباره سخن را بر او اعاده مکن، و اگر کسی گفت: آری هست با او برو بدون این که او را بیم دهی و بترسانی، یا بر او سخت گیری یا دشواری را بر او تکلیف کنی، آنچه که از طلا و نقره بتو داده بگیر، اگر او را گاو و گوسفند و شتر است بدون اذنش داخل در آنها مشو زیرا بیشتر آنها مال او است و هر گاه با اذن او بر سر آنها رفتی چون کسی که بر آنها تسلط دارد و درشت کردار است مرو، و حیوانی را مرمان و مترسان و صاحبش را در حق آن مرنجان.

و مال را بدو بخش کن و صاحبش را مخیّر کن تا هر کدام بخش را که خواهد اختیار کند و چون اختیار کرد متعرض آنچه را که اختیار کرده است مشو، دوباره آن باقی را بدو قسم کن باز او را مخیّر کن تا هر کدام قسم را که خواهد اختیار کند و چون اختیار کرده متعرض آنچه را که اختیار کرده است مشو و همچنین پیوسته این کار را میکنی تا آن قدر بماند که وفا کند بحق خدا در مال او، پس حق خدا را از او می گیری پس اگر خواهش فسخ کرده بپذیر و دوباره آنها را درهم آمیز،

سپس آن چنان کن که در اوّل کردی تا حق خدا را در مال او بگیری.

و نگیر شتر پیر را و نه کهن سال را و نه شکسته را و نه سل دار یا بمرض از پای در افتاده را و نه عیبناک را.

و أمین مگردان بر آن مالها مگر کسی را که بدین او وثوق داری که بمال مسلمانان رفق و مدارا کند و مهربان باشد تا مال را به ولیّ مسلمانان برساند که در میانشان قسمت کند، و وکیل مگردان بر آن مواشی و ابل مگر کسی را که نیکوخواه و مهربان و امین و نگهبان باشد، درشتی به آنها نکند و زیان نرساند، نرنجاند و خسته نکند، پس آنچه که از أموال زکاه در نزد تو گرد آمده زود آنها را بسوی ما بفرست تا در هر جا که خدا بدان امر فرموده است بگردانیم و صرف کنیم.

پس چون آنها را امین تو برای آوردن گرفت بأو سفارش کن که بطمع شیر میان شتر و بچهٔ شیرخوارش جدائی نیندازد، و همه شیر آنرا ندوشد که به بچه اش ضرر برسد، و آنرا بسوار شدن خسته نگرداند، و بین او و دیگر شتران در سوار شدن و دوشیدن بعدل رفتار کند (یعنی گاهی بر او سوار شود و گاهی بر دیگران و گاهی از او بدوشد و گاهی از دیگران نه شیر یکی را تمام بدوشد و در همه راه بر یکی سوار شود) و باید آسان گرداند و رفاهت دهد خسته را و او را آسایش دهد، و بر حیوانی که پایش سوده شد و از رفتار وامانده و بتنگ آمده آهستگی کند و درنگ و تأنّی نماید، و باید آنها را به غدیرها و حوضهای آب که می گذرند فرود آورد و وارد سازد و آنها را از زمین گیاهدار به راههایی که از گیاه خالی است نگرداند، و باید آنها را در هر چند ساعتی در چراگاهها راحت دهد تا بفراغت اکل و شرب نمایند، و باید آنها را در نزد آبها و گیاهها مهلت دهد تا باذن خدا فربه و پر مغز نه رنج دیده و خسته در نزد ما آورد که آنها را علی کتاب اللّه و سنّت پیمبر خدا قسمت کنیم که باین طور گفتیم عمل شود إنشاء اللّه برای پاداش تو بزرگتر و برشد و رستگاریت نزدیکتر است.

و من عهد له علیه الصلاه و السلام الی بعض عماله

اشاره

و قد بعثه علی الصدقه - و هو المختار السادس

و العشرون من باب کتبه علیه السّلام و رسائله

أمره بتقوی اللّه فی سرائر اموره و خفیّات أعماله حیث لا شهید غیره، و لا وکیل دونه. و أمره أن لا یعمل بشییء من طاعه اللّه فیما ظهر فیخالف إلی غیره فیما أسرّ، و من لم یختلف سرّه و علانیته و فعله و مقالته فقد أدّی الأمانه، و أخلص العباده. و أمره ألّا یجبههم و لا یعضههم و لا یرغب عنهم تفضّلا بالإماره علیهم فإنّهم الإخوان فی الدّین، و الأعوان علی استخراج الحقوق. و إنّ لک فی هذه الصّدقه نصیبا مفروضا، و حقّا معلوما، و شرکاء أهل مسکنه، و ضعفاء ذوی فاقه، و إنّا موفّوک حقّک فوفّهم حقوقهم، و إلاّ فإنّک من أکثر النّاس خصوما یوم القیامه و بؤسا لمن خصمه عند اللّه الفقراء و المساکین و السّائلون و المدفوعون و الغارم و ابن السّبیل، و من استهان بالأمانه و رتع فی الخیانه و لم

ینزّه نفسه و دینه عنها فقد أخلّ بنفسه فی الدّنیا و هو فی الاخره أذلّ و أخزی، و إنّ أعظم الخیانه خیانه الأمنه، و أفظع الغشّ غشّ الأئمّه.

المصدر

رواه القاضی نعمان المصری رحمه اللّه تعالی المتوفّی ۳۶۳ ه ق - مسندا فی دعائم الاسلام کما فی الباب ۱۲ من کتاب الزکاه من مستدرک الوسائل للمحدّث المتضلع الحاج المیرزا حسین النوری الطبرسی - ره - (ص ۵۱۶ ج ۱)، و فی باب أدب المصدّق من کتاب الزکاه من البحار للعلاّمه المجلسی - ره - (ص ۲۲ ج ۲۰ من الطبع الکمبانی) و نقله من النهج فی المجلّد الثامن من البحار (ص ۶۴۲) و المنقول عن الدعائم أنّ أمیر المؤمنین علیا علیه السّلام أوصی مخنف بن سلیم الأزدی و قد بعثه علی الصدقه بوصیّه طویله أمره فیها بتقوی اللّه ربّه فی سرائر اموره و خفیات أعماله و أن یتلقاهم (یلقاهم - نسخه) ببسط الوجه و لین الجانب، و أمره أن یلزم التواضع و یجتنب التکبر فانّ اللّه یرفع المتواضعین و یضع المتکبّرین.

ثمّ قال له (و قال له. خ) یا مخنف بن سلیم إنّ لک فی هذه الصدقه حقا و نصیبا مفروضا (نصیبا و حقا مفروضا. خ) و لک فیها شرکاء فقراء و مساکین و غارمون و مجاهدون و أبناء سبیل و مملوکون و متألّفون و إنّا موفّوک حقک فوفّهم حقوقهم و إلاّ فانک من أکثر الناس یوم القیامه خصما و بؤسا لامریء خصمه مثل هؤلاء. انتهی.

أقول: لم نجد الوصیّه بطولها فیما عندنا من الجوامع الروائیه و غیرها مع کثره الفحص و الجدّ فی الطلب، و لم یحضرنا دعائم الاسلام و لعلّ اللّه یحدث بعد ذلک أمرا.

اللغه

(لا یجبههم) أی لا یزجرهم أصله من الجبه بمعنی مقابله الانسان بما

ص:۳۶

یکرهه. قال ابن الأثیر فی النهایه: الجبه هو الاستقبال بالمکروه و أصله من اصابه الجبهه یقال: جبهته إذا أصبت جبهته. انتهی قوله. و قال الشارح المعتزلی: و أن لا یجبههم: لا یواجههم بما یکرهونه و أصل الجبه لقاء الجبهه أو ضربها فلما کان المواجه غیره بالکلام القبیح کالضارب جبهته سمّی بذلک جبها. انتهی. و فی القاموس: جبهه کمنعه ضرب جبهته و ردّه أو لقیه بما یکره. انتهی. و فی منتهی الأرب جبهه (من باب فتح): زد بر پیشانی او و رد کرد آن را، و بمکروه پیش آمد او را و نابایست آورد بر وی. انتهی. و قال امیّه بن أبی الصّلت فی ابن له عقّه:(۱)

غذوتک مولودا و علتک یافعا تعلّ بما ادنی إلیک و تنهل

إذا لیله نابتک بالشکو لم أبت لشکوک إلّا ساهرا أتململ

کأنّی أنا المطروق دونک بالّذی طرقت به دونی و عینی تهمل

فلمّا بلغت السنّ و الغایه الّتی إلیها مدی ما کنت فیک اؤمّل

جعلت جزائی منک جبها و غلظه کأنک أنت المنعم المتفضّل

فلیتک إذ لم ترع حقّ ابوّتی فعلت کما الجار المجاور یفعل

تراه معدّا للخلاف کأنّه بردّ علی أهل الصّواب موکّل

(و لا یعضههم) ای لا یرمیهم بالبهتان و الکذب و فی القاموس عضه کمن عضها و یحرک و عضیهه و عضهه بالکسر کذب و سحر و نمّ و جاء بالإفک و البهتان کأعضه و فلانا بهته و قال فیه ما لم یکن انتهی. و قال المتوکل اللیثی (الحماسه ۴۴۲ من شرح المرزوقی).

احذر وصال اللّئیم إنّ له عضها إذا حبل وصله انقطعا

و قال المرزوقی فی شرحه: احذر مواصله اللئیم و مؤاخاته لأنّه إذا انقطع حبل وصله و انصرم ما یجمعک و إیّاه من ودّه یتکذّب علیک و یخلق من الإفک فیک ما لم تکتسبه لا بیدک و لا لسانک، و العضه ذکر القبیح کذبا و زورا و یقال:

ص:۳۷

۱- (۱) الابیات من الحماسه فراجع الی شرح الحماسه للمرزوقی. الحماسه ۲۵۴. منه.

عضهته إذا رميته بالزّور. و أعضه الرجل أتى بالعضيهه و هى الإفك، و من كلامهم يا للعضيهه و يا للأفيكه.

(بؤسا) قال الجوهرى فى الصحاح نقلا عن أبى زيد فى كتاب الهمزه: بئس الرجل يبأس بؤسا و بئيسا اشتدّت حاجته فهو بائس. أنشد أبو عمرو:

بيضاء من أهل المدينه لم تذق بئسا و لم تتبع حموله مجحد

و هو اسم وضع موضع المصدر. و قال الشّارح المعتزلى: قال الراوندى بؤسا أى عذابا و شدّه ثمّ خطأه بقوله: فظنّه منوّنا و ليس كذلك بل هو بؤسى على وزن فعلى كفضلى و نعمى و هى لفظه مؤنثه يقال: بؤسى بفلان، قال الشاعر:

أرى الحلم بؤسى للفتى فى حياته و لا عيش إلّا ما حباك به الجهل

انتهى قوله. و أقول: نسخه الرّضى تطابق ما اختاره الراوندى و اللّغه أيضا توافقه و انتصابه على المصدر كما يقال سحقا لك و بعدا لك، فما صحّحه الراوندى ليس بخطاء. نعم ما فسّره الراوندى بقوله: أى عذابا و شدّه، مخدوش لأنّ العذاب و الشدّه ليس من معانى البؤس بل هما من معانى البأس.

(الفقراء و المساكين) قال عزّ من قائل: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ » الايه «التوبه ۶۰» قد ذهب جماعه إلى انهما مترادفان، و لكن الحقّ كما هو الظاهر من كلام الحقّ تعالى أنّهما متغايران و ذهب إليه أكثر العلماء و لكنّهم اختلفوا فى معناهما على أقوال كثيره بعد ما اتفقوا على استحقاقهما من الزكاه و الأصح أنّ المسكين أسوأ حالا من الفقير و أنه المحتاج الّذى يسأل و الفقير المحتاج الّذى لا يسأل، لما رواه الكلينى قدّس سرّه فى الصحيح عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السّلام أنه سأله عن الفقير و المسكين فقال: الفقير الذى لا يسأل و المسكين الذى هو أجهد منه الّذى يسأل.

و عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: قول اللّه عزّ و جلّ : «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ »، قال: الفقير الّذى لا يسأل النّاس و المسكين أجهد منه و البائس أجهدهم.

أقول: يعطى معنى المسكين الّذى قاله الامام عليه السّلام من أنه الّذى أجهد منه قوله تعالى: «أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ » و ذكر أهل اللّغه و التفسير: المتربه الحاجه الشديده. و من أنّه الّذى يسأل قوله تعالى: «فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخافَتُونَ أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ » - القلم - ٢۶»، و قوله تعالى: «وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً » - النساء - ١٠» و قوله تعالى: «وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَ الْمَساكِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ » الايه - النور - ٢٣».

و يعطى معنى الفقير من أنه الّذى لا يسأل قوله تعالى: «لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً » - البقره - ٢٧٧» و قوله تعالى:

«إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » - البقره - ٢٧۵»، و قوله تعالى: «لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً » - الايه - الحشر - ٩».

ثمّ إنّ المسكين بحسب النسبه أعمّ من الفقير لأنّ الفقير مقابل الغنى أى الّذى ليس له مال و المسكين من كانت به المسكنه أيضا. و بعد فى المقام بحث طويل الذيل أعرضنا عنه لخروجه من موضوع الكتاب و خوفا من الاسهاب و الاطناب، فراجع إلى تفاسير القرآن الكريم و فى زكاه الكتب الفقهيه، و قد أشبع الكلام السيّد صاحب المدارك عند قول المحقّق - ره - فى زكاه الشرائع: أصناف المستحقين للزكاه سبعه: الفقراء و المساكين إلخ. (ص ٢٧٧ من الطبع الرحلى على الحجر).

(المدفوعون) جمع المدفوع من دفعه إذا نحّاه و أبعده و ردّه. قيل: المراد منه هنا الفقير لأنّ كلّ أحد يكرهه و يدفعه عن نفسه و سيأتى بقيّه الكلام فيه فى المعنى.

و قال المجلسى - ره - فى البحار (ص ۶۴٣ ج ٨ من الطبع الكمبانى) و فى بعض النسخ: المدقعون بالقاف، قال فى القاموس: المدقع كمحسن الملصق

بالدّقعاء و هو التراب. انتهى.

و أقول: منه قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للنساء: إنّكنّ إذا جعتنّ دقعتنّ و إذا شبعتنّ خجلتنّ ، و لكن الصواب ما اخترناه و هو الّذى موافق لنسخه الرضى - ره -.

(الغارم) الّذى علاه الدّين لا يجد القضاء. (رتع) كمنع اى أكل و شرب ما شاء فى خصب و سعه. (فقد أخلّ بنفسه فى الدّنيا و هو فى الاخره أذلّ و أخزى) هذا هو المطابق للنسخه الّتى قوبلت بنسخه الشريف الرضى - ره - و هو أخلّ بالخاء المعجمه من غير ذكر الخزى كما فى بعض النسخ، و من غير ذكر الذلّ و الخزى كما فى نسخ اخرى. و فى أكثر النسخ المطبوعه فقد أحلّ بنفسه فى الدّنيا الذلّ و الخزى بالحاء المهمله فى أحلّ ، و فى بعضها الاخر فقد أذلّ نفسه فى الدنيا الخزى.

و فى نسخه اخرى مخطوطه، فقد أحلّ بنفسه فى الدّنيا الخزى. و جعل بعضهم الخزى بضم الخاء و فتح الزاى جمع الخزيه بفتح الخاء أى البليّه و لكن الصواب ما اخترناه موافقا للرضى - ره -.

قال فى القاموس: أخلّ بالشىء أجحف و بالمكان و غيره غاب عنه و تركه و الوالى بالثغور قلّل الجند بها و بالرجل لم يف له و الخلّه الحاجه و الفقر و الخصاصه، و فى المثل: الخلّه تدعو إلى السلّه أى إلى السرقه. خلّ و اخلّ بالضم احتاج و رجل مخلّ و مختلّ و خليل و أخلّ معدم فقير و اختلّ إليه احتاج و ما أخلّك اللّه إليه ما أحوجك و الأخلّ الأفقر. و ما يناسب المقام هو المعنى الأوّل أعنى الإجحاف. (الأمنه) قال الجوهرى فى الصحاح: الأمنه الأمن و منه أمنه نعاسا و الأمنه أيضا الّذين يثق بكلّ أحد و فى منتهى الأرب: أمنه محركه بى بيمى و راستى ضدّ خيانت و بمعنى امنه كهمزه است ثمّ قال: امنه كهمزه آنكه بر هر كس ايمن باشد و اعتماد كند و آنكه بروى هر كس اعتماد كند در هر كارى انتهى.

و هذا المعنى الأخير هو المراد إن قلنا أنّ المصدر مضاف إلى الفاعل، و إن قلنا أنّه مضاف إلى المفعول به فمعناها هو الذى يثق بكلّ أحد كما سيأتى.

و فى عدّه نسخ من المخطوطه و المطبوعه الامّه مكان الأمنه إلّا نسخه

ص:۴۰

الرضی رضوان اللّه علیه و هی الّتی اخترناها.

الاعراب

کلمه أمره فی المواضع الثلاثه من العهد مشکوله فی نسخه عندنا قوبلت بنسخه الرّضی بفتح الهمزه و المیم و الراء، و فی غیرها من النسخ الّتی عندنا آمره بمدّ الهمزه و ضمّ المیم و الراء، فعلی الأول فعل ماض مغایب و علی الثانی متکلّم من المضارع، و الصواب هو الأوّل و ذلک لأنّ اسلوب کلامه علیه السّلام فی هذا العهد علی وزان عهده الّذی کتبه إلی محمّد بن أبی بکر حین ولّاه مصر و هو: بسم اللّه الرّحمن الرّحیم هذا ما عهد عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین إلی محمّد بن أبی بکر حین ولّاه مصر أمره بتقوی اللّه و الطاعه فی السرّ و العلانیه - إلی أن قال علیه السّلام: و أمره أن یدعو من قبله إلی الطاعه و الجماعه - إلی أن قال علیه السّلام: و أمره أن یجبی خراج الأرض - إلی أن قال علیه السّلام: و أمره أن یحکم بین النّاس بالحقّ - إلی آخر العهد. أتی به فی جمهره رسائل العرب (ص ۵۳۲ ج ۱) ناقلا عن تاریخ الطبری (ص ۲۳۱ ج ۵) و شرح ابن أبی الحدید (ص ۲۵ ج ۲) فضمیر أمر یرجع إلی الاسم الظاهر و هو عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام و کذا الکلام فی هذا العهد لأنّه کما دریت طویل و لم یذکره الرضی کاملا، و کانت الکلمه علی نسخه الرضی علی هیئه الماضی فالمختار هو المتعیّن.

(فیخالف) الفعل منصوب لأنّه وقع بعد الفاء الّتی وقعت جوابا للنّفی أعنی لا یعمل و قد قرّر فی النحو أنّ المضارع ینصب بأن مضمره وجوبا بعد الفاء الّتی وقعت جوابا لنفی أو طلب، قال ابن مالک فی باب اعراب الفعل من الألفیه:

و بعد فا جواب نفی أو طلب محضین أن و سترها حتم نصب

(تفضلا) انتصب علی المفعول له. و الظاهر أنّ قوله بالاماره متعلق بلا یرغب و إن امکن تعلقه بالأفعال الثلاثه جمیعا. (فانّهم الأخوان) تعلیل لما أمره ثالثا.

قال الشارح الفاضل المعتزلی: انتصب أهل مسکنه لأنّه صفه شرکاء و فی التحقیق أنّ شرکاء صفه أیضا موصوفها محذوف فیکون صفه بعد صفه و قال: قال

ص:۴۱

الراوندی: انتصب أهل مسكنه لأنّه بدل من شركاء. ثمّ خطّأه بقوله: و هذا غلط لأنّه لا يعطی معناه ليكون بدلا منه. انتهی.

و أقول: إنّ ذوی فاقه بدل لقوله ضعفاء و لا ضير فی كون أهل مسكنه بدلا لقوله شركاء فانّ أهل مسكنه فی المقام هو المقصود بالذّات قال ابن مالك:

التابع المقصود بالحكم بلا واسطه هو المسمّی بدلا

و كونه مقصودا بالذات لا يستلزم أن يكون المتبوع ساقطا رأسا أو يجعل فی حكم الساقط كما يشاهد فی بعض كتب النحو إلاّ فی بدل الغلط و ذلك لأنّ فی ذكر المتبوع أعنی المبدل منه فائده لا محاله لم تحصل لو لم يذكر صونا لكلام الفصحاء عن اللغو و لا سيما كلامه تعالی و كلام نبيّه صلّی اللّه عليه و آله فادّعاء كونه غير مقصود بالنسبه مع كونه منسوبا إليه فی الظاهر و اشتماله علی فائده يصحّ أن ينسب إليه لأجلها دعوی خلاف الظاهر، كما أفاده العالم الأديب الرضی رحمه اللّه تعالی فی شرحه علی الكافيه. و تلك الفائده هی تقويه الحكم و تقريره لأنّه بمنزله إسناد الحكم إلی المحكوم عليه مرّتين كما أفاده الفاضل العالم السيّد عليخان رحمه اللّه تعالی فی شرحه علی الصمديه.

ثمّ إنّ قول الفاضل الشارح: لأنه لا يعطی معناه ليكون بدلا منه، لا يجری فی بدل الغلط ، علی أنّ بعض النحاه ذهب إلی أنّ اثنين فی قوله تعالی: و «لا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ » بدل كلّ معللا بقوله: لعدم اشتراط بدل الكلّ أن يكون متحدا مع المبدل فی المفهوم بل فی المصداق فمن حكم أنّه بدل بعض متمسكا بأنّ مفهومه بعض من مفهوم إلهين فقد أخطأ، أتی به الفاضل الميرزه أبو طالب فی تعليقته علی باب النعت من شرح السيوطی علی الألفيه.

(فقد أخلّ) جواب لقوله: و من استهان. (و أفظع) منصوب بأن معطوف علی أعظم.

(خيانه الأمنه) مصدر مضاف إلی الفاعل، أو مصدر مضاف إلی المفعول به و إن كان الأوّل أولی، و أمّا إذا كانت الامه مكان الأمنه فالثانی ليس إلاّ.

ص:۴۲

المعنی

قد أوصی أمیر المؤمنین علیه السّلام مخنف بن سلیم الأزدی بهذه الوصیّه لمّا بعثه علی الصّدقه. قال الاسترابادی فی کتاب رجاله الکبیر: مخنف بن سلیم الأزدیّ عربی کوفی و فی [د] مخنف بن سلیم [الأزدی [ی] - جخ] من خواصّه عربی. و فی [ق] فی أصحابه من الیمن مخنف بن سلیم الأزدی و کذا فی [صه] نقلا عنه و فی الجامع مخنف بن سلیم الأزدی بن الحارث بن عوف بن ثعلبه بن الدول بن سعد بن مناه ابن غامد الغامدی ولّاه علیّ بن أبی طالب علیه السّلام اصفهان روی عنه ابنه أبو رمله و اسمه عامر عداده فی أهل البصره و قیل فی أهل الکعبه. مخنف بکسر المیم و سکون الخاء المعجمه و فتح النون و بالفاء. سلیم بضم السین و فتح اللام. و الدول بضم الدّال و باللّام. و غامد بالغین المعجمه و رمله بفتح الراء و باللّام. انتهی کلام الأسترابادی.

و أقول: ما حصل لنا من الجوامع و المجامیع أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام أوصی مخنف بن سلیم بهذه الوصیّه لمّا بعثه علی الصدقه، و کتب إلیه کتابا لمّا کان عامله علی اصبهان و همدان و ذلک أنّ الأمیر علیه السّلام لمّا أجمع أن یسیر إلی الشام لقتال معاویه کتب إلی عمّاله یستفزّهم فکتب إلی مخنف:

سلام علیک فانّی أحمد الیک اللّه الّذی لا إله إلّا هو أمّا بعد فإنّ جهاد من صدف عن الحقّ رغبه عنه، و هبّ فی نعاس العمی و الضلال اختیارا به، فریضه علی العارفین، إنّ اللّه یرضی عمّن أرضاه و یسخط علی من عصاه. و إنّا قد هممنا بالسیر إلی هؤلاء القوم الّذین عملوا فی عباد اللّه بغیر ما أنزل اللّه، و استأثروا بالفیء و عطّلوا الحدود، و أماتوا الحقّ ، و أظهروا فی الأرض الفساد، و اتّخذوا الفاسقین ولیجه من دون المؤمنین، فاذا ولیّ اللّه أعظم أحداثهم أبغضوه و أقصوه و حرموه و إذا ظالم ساعدهم علی ظلمهم أحبّوه و أدنوه و برّوه، فقد أصرّوا علی ظلمهم و أجمعوا علی الخلاف و قدیما صدّوا عن الحقّ و تعاونوا علی الاثم و کانوا ظالمین فاذا أتیت بکتابی هذا فاستخلف علی عملک أوثق أصحابک فی نفسک و أقبل إلینا

ص:۴۳

لعلّك تلقى معنا هذا العدوّ المحلّ فتأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر، و تجامع المحقّ ، و تباين المبطل فإنّه لا غنى بنا و لا بك عن أجر الجهاد و حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

و كتبه عبيد اللّه بن أبى رافع فى سنه سبع و ثلاثين.

فاستخلف مخنف على اصبهان الحارث بن أبى الحارث بن الرّبيع، و استعمل على همدان سعيد بن وهب و كلاهما من قومه، و أقبل حتّى شهد مع على عليه السّلام صفّين.

نقله فى جمهره رسائل العرب (ص ۴۵۸ ج ۱) عن شرح ابن أبى الحديد (ص ۲۸۲ ج ۱).

قوله عليه السّلام:(أمره بتقوى اللّه إلخ) أمره عليه السّلام فى هذا الوصيّه بأوامر بعضها يبيّن وظيفته مع الخالق تعالى و بعضها يبيّن وظيفته مع الخلق، و ذكر للأوّل أمرين أحدهما قوله عليه السّلام: أمره بتقوى اللّه إلخ، و قد تقدّم منّا أنّه عليه السّلام كان يوصى فى أكثر كتبه و عهوده و وصاياه أوّلا بتقوى اللّه و كان هذا من دأبه عليه السّلام امتثالا لأمر اللّه سبحانه و اقتداء بكلامه حيث قال: «وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ » (النساء ۱۳۲) فراجع إلى شرح المختار الثانى عشر من باب الكتب (ص ۸۴ ج ۱۸) و إلى شرح المختار الخامس و العشرين.

و قد أفاد بعض الأماجد أنّ جميع خيرات الدّنيا و الاخره جمعت فى كلمه واحده هى التقوى. انظر إلى القرآن ما علّق عليها من خير و ثواب و أضاف إليها من سعاده و كرامه دنيويه و اخرويه:

الأوّل الثناء عليها قال اللّه سبحانه: «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ».

الثانى الحفظ و الحراسه من الأعداء و الماكرين قال اللّه تعالى: «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ».

الثالث التأييد و النصر قال اللّه تعالى: «إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ».

الرّابع النجاه من النار قال اللّه سبحانه: «ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا ».

الخامس الخلود فى الجنّه قال اللّه تعالى: «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ».

السّادس النجاه من الشدائد و الرزق الحلال قال اللّه تعالى: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ».

السّابع إصلاح العمل قال عزّ شأنه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ ».

الثامن غفران الذّنب قال اللّه جلّ جلاله: «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ».

التاسع محبّه اللّه تعالى عزّ اسمه: «إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ».

العاشر قبول الأعمال قال اللّه عمّ نواله: «إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ».

الحادى عشر الاكرام و الإعزاز قال اللّه تبارك و تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ ».

الثانى عشر البشاره عند الموت قال اللّه عظم شأنه: «اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَهِ ».

و لأجل اجتماع تلك الخصال قال اللّه سبحانه: «وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ ».

و أفاد نحوه مع زيادات من روايات و إشارات الشّيخ العالم الرّبانى جمال الدّين أحمد بن فهد الحلّى قدّس سرّه فى أواخر كتاب عدّه الداعى و نجاح السّاعى (ص ۲۲۶) فراجع.

و المرویّ فی مجمع البیان فی تفسیر القرآن عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال:

جماع التقوى فى قوله تعالى: «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (النحل ۹۱). قال:

و قيل: المتّقى الّذى اتّقى ما حرم عليه و فعل ما أوجب عليه. و قيل: هو الّذى يتّقى بصالح أعماله عذاب اللّه. و سأل عمر بن الخطّاب كعب الأخبار عن التقوى فقال:

هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ فقال: نعم، قال: فما عملت فيه ؟ قال: حذرت و تشمّرت فقال كعب: ذلك التقوى. و نظمه بعض الناس فقال:

خلّ الذنوب صغيرها و كبيرها فهو التّقى

و اصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرنّ صغيره إنّ الجبال من الحصى

و روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال: انما سمّى المتّقون لتركهم مالا بأس به حذرا للوقوع فيما به بأس. و قال عمر بن عبد العزيز: التقىّ ملجم كالمحرم فى الحرم.

و قال بعضهم: التقوى أن لا يراك اللّه حيث نهاك و لا يفقدك حيث أمرك. انتهى ما فى المجمع فى المقام، و قد أتى به فى أوّل سوره البقره.

و أقول: ما نقله من سؤال عمر عن التّقوى أتى به السيوطى فى الدرّ المنثور أيضا لكنّه قال: أخرج ابن أبى الدّنيا فى كتاب التقوى عن أبى هريره أنّ رجلا قال له: ما التقوى ؟ قال: هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ قال: نعم قال: فكيف صنعت ؟ قال إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال: ذاك التقوى انتهى. فليتأمّل.

ثمّ إنّ قول الشاعر: لا تحقرنّ صغيره إنّ الجبال من الحصى، كأنه يشير إلى قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حيث نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ايتونا بحطب فقالوا:

يا رسول اللّه نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب قال: فليأت كلّ انسان بما قدر عليه فجاءوا به حتّى رموا بين يديه بعضه على بعض فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: هكذا تجتمع الذّنوب ثمّ قال: إياكم و المحقرات من الذّنوب فانّ لكلّ شىء طالبا ألا و إنّ طالبها يكتب ما قدّموا و آثارهم و كلّ شىء أحصيناه فى امام مبين. رواه الكلينى قدّس سرّه فى الكافى. و أتى به الفيض فى باب استصغار الذنب و الاصرار عليه من الوافى (ص ۱۶۸ ج ۳).

و فى أوّل سوره البقره من تفسير الدرّ المنثور روايات و حكايات مفيده فى التقوى و لكن رأسها ما وصفه إمام المتقين علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام لهمّام بن شريح بن يزيد بن مرّه رضوان اللّه عليه و هو المختار ۱۹۱ من باب الخطب من النهج أوّله:

روى أنّ صاحبا لأمير المؤمنين عليه السّلام يقال له همّام كان رجلا عابدا – إلخ. و قد

رواه ثقه الاسلام الکلینی فی باب المؤمن و علاماته و صفاته من اصول الکافی ص ۹۷۹ ج ۲ من الکافی المشکول. و رواه الصّدوق – ره – فی المجالس أیضا. و الشّیخ الکراجکی – ره – فی کنز الفوائد. و هو مرویّ أیضا فی کتاب سلیم بن قیس الکوفی ص ۱۹۰ من طبع النجف. و راجع أیضا إلی باب صفات الشیعه و أصنافهم من المجلّد الخامس عشر من البحار (ص ۱۵۴ من الطبع الکمبانی). و إلی باب صفات المؤمن و علاماته من الوافی (ص ۳۳ ج ۳). و مرآه العقول (ص ۲۰۱ ج ۲) من المطبوع علی الحجر.

ثمّ أوصی علیه السّلام أن یکون تقواه فی سرائر أمره و خفیّات عمله و ذلک لأنّ الانسان یأبی عن إتیان الفواحش فی مرئی الناس صونا عن أن یتطرق إلیه ما لا یرضی ممّا یضرّه و یمنعه من الوصول إلی ما یهویه و یشتهیه. ثمّ علّل ذلک تنبیها له بقوله: (حیث لا شهید غیره و لا وکیل دونه) فمن عرف أنّه تعالی شهید و وکیل لا غیر و أنّه بدّه اللازم و معه اینما کان فهو لا یفعل إلاّ ما أجازه تعالی و أمره به فهذا العرفان و الشهود أشدّ بمراحل من الحضور مع الناس بل أین هذا من ذلک فلا یرتکب المعاصی إلاّ الغافل الّذی لا یدری أنّه من هو و بین یدی من هو و مع من هو، فهو من الّذین قال عزّ من قائل: استحوذ علیهم الشّیطان فأنساهم ذکر اللّه. و بما قدّمناه دریت أنّ ما ذهب إلیه الشارح المعتزلی و فسّر کلامه علیه السّلام حیث لا شهید و لا وکیل بقوله یعنی یوم القیمه و هم، لأنّه تعالی شهید و وکیل فی الدّنیا و الاخره. و تفسیر الکلام هو ما بیّناه لا غیر و ما فسّره الشارح المذکور یشابه کلام الظاهریین من المتکلّمین.

و روی ثقه الإسلام الکلینی – ره – فی الجامع الکافی عن إسحاق بن عمّار قال قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: یا إسحاق خف اللّه کأنّک تراه و إن کنت لا تراه فانه یراک، و ان کنت تری أنّه لا یراک فقد کفرت و إن کنت تعلم أنّه یراک ثم برزت له بالمعصیه فقد جعلته من أهون الناظرین علیک. و ما أجاد قول العارف عبد الرّحمن الجامی فی سبحه الأبرار حیث قال:

در مقامى كه كنى قصد گناه گر كند كودكى از دور نگاه

شرم دارى ز گنه در گذرى پردۀ عصمت خود را ندرى

شرم بادت ز خداوند جهان كه بود واقف أسرار جهان

بر تو باشد نظرش بيگه و گاه تو كنى در نظرش قصد گناه

و قد مضـى بحثنا عن رؤيته تعالى فى المختار الثامن من كتبه عليه السّلام و رسائله (ص ۲۴۲ ج ۱۷) فراجع. و سيأتى نقل رسالتنا منفرده فى لقائه تعالى فارتقب.

قوله: عليه السّلام (و أمره أن لا يعمل - إلخ) هـذا ثانى الأمرين الـذين ذكرهما بيانا لوظيفه العبـد مع خالقه تعالى و حاصله أنّ العبد يجب له الاجتناب من الرياء و السمعه و النفاق، ثمّ عرّف الأمين و المخلص ترغيبا للعباد إليهما بقوله:(و من لم يختلف سرّه - إلخ.) و قد روى ثقه الإسلام الكلينى قدّس سرّه فى الجامع الكافى باسناده عن مسع بن عبد الملك عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ما زاد خشوع الجسد على القلب فهو عندنا نفاق. رواه فى آخر باب صفه النفاق و المنافق من كتاب الايمان و الكفر من اصول الكافى (ص ۲۸۹ ج ۲ من الكافى المشكول).

و الظاهر أنّ المراد بالأمانه فى المقام هو أمانه العامل على الصدقات بأن يقال:

لمّا كان عليه السّلام بعث مخنف بن سليم على الصّدقه و اتّخذه أمينا على حفظها فى غيابه و بعض الناس يخالف سرّهم علانيتهم قال ذلك تحريضا للأمين إلى أداء الأمانه و إخلاص العباده. و لكلامه هـذا أثر تامّ لمن يبعث على عمل و حفظ مال و نحوهما حيث لا يعلم ما يعمل إلّا اللّه الشهيد الحفيظ .

قوله عليه السّلام:(و أمره أن لا يجبههم - إلخ) أخذ عليه السّلام فى بيان وظيفه العامل مع الخلق أمره أن لا يواجههم بما يكرهونه و لا يقول فيهم ما لم يكن فيهم بأن يقول مثلا: ما تعلق به الزكاه من أموالكم كان أكثر من ذلك و انّما كتمتموها منّى أو ما تدّعون من أنكم أدّيتم الزكاه لا أتقبّل منكم و إنّما تقولون به فرارا من الزكاه و نحوها، و أن لا يعرض عنهم تفضلا بالإماره عليهم أى لا يوجب إمارته عليهم هذه الامور كما هو دأب من غرّته الإماره. ثمّ علّل عليه السّلام ما أمره به بقوله:

ص:۴۸

(فإنّهم الاخوان فی الدّین و الأعوان علی استخراج الحقوق) فالاعراض عنهم و مقابلتهم بما یکرهون و الإفک فیهم یوجب تفرّقهم و تنفّر طباعهم، و تعطیل الحقوق و تفرقه الاخوان مستلزمه لتخریب البلدان، و تضییع الحقوق یؤدّی إلی مفاسد کثیره، و قد أکّد علیه السّلام فی مواضع کثیره بتأدیه حقوق الإخوان و مراعاه أحوالهم، و بیّن منزلتهم ببیانات شافیه وافیه، و کلامه علیه السّلام فی ذلک فی النهج مشحون.

قوله علیه السّلام:(و إنّ لک فی هذه الصّدقه - إلخ) و ذلک لأنّ مخنف کان عامله علی الصّدقه و قد قال عزّ من قائل فی سوره التوبه: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَهً مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ».

ثمّ قال له: إنّ لک و لغیرک فی هذه الصّدقات نصیبا مفروضا فوفّ حقوقهم کما أنّا موفّوک حقک فکما تحبّ أخذ حقک کاملا محفوظا فاحفظ حقوقهم و لا تخنهم و أدّها إلیهم، و وصف الشرکاء بأهل مسکنه و الضعفاء بذوی فاقه تحریضا للعامل علی الشفقه علیهم و حفظ أموالهم و تأدیه حقوقهم و عدم خیانته إیّاهم.

ثمّ حذّره عن سوء الخاتمه و نکال الاخره بقوله:(و إلّا فانک - إلخ) أی و إن لم توفّ حقوقهم فإنک من أکثر الناس خصوما یوم القیامه. ای یکون خصومک أکثر الناس و هم مستحقّوا الزکاه من الفقراء و المساکین و غیرهم من أصناف المستحقّین.

ثمّ شدّد التحذیر بقوله (و بؤسا لمن خصمه - إلخ) و الخصم هم أصناف المستحقین للزکاه کما هو الظاهر من کلامه علیه السّلام و هم فی القرآن الکریم ثمانیه إلاّ أنّ المحقّق - ره - مال فی الشرائع و جماعه إلی أنّهم سبعه أصناف ظنّا منهم أنّ الفقراء و المساکین صنف واحد و أنّ هذین اللفظین أعنی الفقراء و المساکین مترادفان و قد دریت فی بیان اللّغه أنه و هم و الحقّ أنهما متغایران کما اختاره أکثر العلماء.

و ذکر أمیر المؤمنین علیه السّلام أربعه أصناف منهم بلفظ القرآن و هم: الفقراء

ص:۴۹

و المساكين و الغارمون و ابن السبيل و أشار إلى العاملين بقوله: و إنّ لک فی هذه الصّدقه نصیبا مفروضا، فهؤلاء خمسه أصناف و بقیت ثلاثه أصناف منهم و هم المؤلّفه قلوبهم و الرقاب و فی سبیل اللّه، و بقی من کلامه علیه السّلام أیضا السّائلون و المدفوعون.

فقال الشارح البحرینی: أنه علیه السّلام قد ذکر ههنا فی معرض ایجاب الشفقه و الرحمه له خمسه: و هم الفقراء و المساکین و یدخل فیه السائلون، ثمّ المدفوعون و یشبه أن یرید بهم العاملین علیها و سمّاهم مدفوعین باعتبار أنّم یدفعون لجبایه الصّدقات أو لأنّهم إذا أتوا إلی من لا زکاه علیه فسألوه هل علیه زکاه أم لا دفعهم عن نفسه و ذکرهم هنا بهذا الوصف لکونه وصف ذلّ و انقهار و کونه علیه السّلام فی معرض الأمر بالشفقه علیهم. قال بعض الشارحین: أراد بهم الفقراء السائلین لکونهم یدفعون عند السؤال، ثمّ الغارم و ابن السبیل و انما ذکر هؤلاء الخمسه أو الأربعه لکونهم أضعف حالا من الباقین. انتهی کلامه.

و لکنّک علمت بما قدّمنا أنّ الأمیر علیه السّلام أشار إلی العاملین علیها بقوله و إنّ لک فی هذه الصّدقه نصیبا مفروضا فلا حاجه إلی التکلف الذی ارتکبه.

و قال الشارح المعتزلی: إنّه علیه السّلام إنّما أراد أن یذکر الأصناف المذکوره فی الایه فترک ذکر المؤلّفه قلوبهم لأنّ سهمهم سقط بعد موت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقد کان یدفع إلیهم حین الإسلام ضعیف(۱) و قد أعزّه اللّه سبحانه فاستغنی عن تألیف قلوب المشرکین و بقیت سبعه أصناف و هم الفقراء و المساکین و العاملون علیها و الرقاب و الغارمون و فی سبیل اللّه و ابن السبیل، فأما العاملون علیها فقد ذکره علیه السّلام فی قوله: و إنّ لک فی هذه الصّدقه نصیبا مفروضا، فبقیت ستّه أصناف أتی علیه السّلام بألفاظ القرآن فی أربعه أصناف منها و هی: الفقراء و المساکین و الغارم و ابن السبیل و أبدل لفظتین و هما الرقاب و فی سبیل اللّه بلفظتین و هما السائلون و المدفوعون.

و قال: و السائلون ههنا الرقاب المذکورون فی الایه و هم المکاتبون یتعذّر

۱- (۱) کذا فی الطبع علی الحجر و کأن الصواب: حین کان الاسلام ضعیفا منه..

علیهم أداء مال الکتابه فیسئلون الناس لیتخلّصوا من ربقه الرّق و قیل: هم الاساری یطلبون فکاک أنفسهم. و المدفوعون ههناهم الذین عناهم اللّه تعالی فی الایه بقوله: و فی سبیل اللّه، و هم فقراء الغزاه سمّاهم مدفوعین لفقرهم و المدفوع و المدفع الفقیر لأنّ کلّ أحد یکرهه و یدفعه عن نفسه، و قیل: هم الحجیج المنقطع بهم سمّاهم مدفوعین لأنّهم دفعوا عن إتمام حجّهم أو دفعوا عن العود إلی أهلهم.

انتهی کلامه.

و أقول: إنّ فی اختصاص سهم المؤلفه قلوبهم بزمان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کلاما أوّلا، و کذا فی اختصاص المؤلفه قلوبهم بالمشرکین ثانیا، و کذا فی اختصاص الرقاب بالمکاتبین ثالثا، و کذا فی اختصاص سبیل اللّه بفقراء الغزاه رابعا، و فی کلّ واحد منها بحث فقهیّ یطول بالورود فیها الکتاب و ینجرّ إلی الاسهاب و انما الغرض الاشاره إلیها حتی یراجع إلی محالها من شاء.

ثمّ إنّ اسلوب کلامه علیه السّلام علی نسخه النهج یحکی بأنه لیس فی مقام بیان أصناف مستحقّی الزکاه حتی یوجّه کلامه بتلک الوجوه، بل أتی بأربعه أصناف منهم هم أسوء حالا من غیرهم ترغیبا للعامل الی مراعاه أحوالهم و الشفقه علیهم.

و السائلون و المدفوعون الفقراء و المساکین إلّا أنّ السائل و المدفوع أسوء حالا من الفقراء و المسکین و المدفوع هو المطرود الذی یدفعه الناس و یطردونه و هو أسوء حالا من السائل و یؤیّده ما نقلنا من البحار آنفا من أنّ هذه الکلمه فی بعض النسخ کانت المدقعین مکان المدفوعین و المدقع الملصق بالتراب. فکأنه علیه السّلام قال: بؤسا لمن خصمه عند اللّه هؤلاء الّذین بلغوا إلی هذا المبلغ من الفقر و الضعف و العجز.

نعم علی نسخه الدعائم کما تقدّم فی المصدر قد أتی بجمیع أصناف المستحقین حیث قال: و إنّ لک فی هذه الصّدقه حقا - إلی قوله: و لک فیها شرکاء فقراء و مساکین و غارمون و مجاهدون و أبناء سبیل و مملوکون و متألفون - إلخ فعلی نسخه الدعائم معنی العباره بیّن لا یقبل التأویل و التوجیه. و بعد اللتیا و الّتی فان

أبيت إلاّ حمل كلامه فى النهج على أصناف المستحقين أيضا فلا بدّ من شمول السائلين و المدفوعين على الأصناف الثلاثه الباقيه أعنى المؤلّفه قلوبهم و الرقاب و فى سبيل اللّه بأحد الوجوه المتقدّمه أو نحوها، و لا وجه لإخراج المؤلّفه قلوبهم.

ثمّ إنّه عليه السّلام قال فى الوصيّه المتقدّمه لعامله:(ثمّ احذر إلينا ما اجتمع عندك نصيّره حيث أمر اللّه به) و قال لعامله فى هذه الوصيّه:(و انّا موفّوك حقّك فوفّهم حقوقهم) و ظاهر كلامه ههنا يشعر بأنّه عليه السّلام أمر عامله هذا أعنى مخنف أن ينقل الصّدقات إلى مستحقّى بلدها اصفهان أو همدان و نواحيهما، و قد مرّ بعض المسائل الفقهيه المربوطه فى الوصيّه المتقدّمه منها جواز نقل مال الزكاه من بلد إلى بلد آخر فراجع.

قوله عليه السّلام:(و من استهان بالأمانه - إلخ) لا يخفى لطف كلامه عليه السّلام:(و رتع فى الخيانه)فكانه عليه السّلام شبّه الخائن بدابّه ترعى فى مرعى لا تتدبّر فى مأكلها و مشربها و سوء خاتمتها.

قوله عليه السّلام:(فقد أخلّ بنفسه) أى أجحف بنفسها فالخائن لا يخون إلاّ نفسه و كلّ نفس بما كسبت رهينه و إذا كشف الغطاء عن هذه النفس الدنيه فى يوم تبلى السرائر فهى أذلّ و أخزى لأنّها ليست فى الاخره إلاّ ما كانت فى الاولى و لا نتعبك بالبحث عن الجزاء فى المعاد و إن شئت فراجع إلى كتابنا المسمى بالقيامه و نكتفى ههنا بنقل حديث شريف من الكلمه العلياء خاتم الأنبياء محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه و آله يهدى إلى الرشد لمن كان له قلب، رواه حمله الأحاديث فى جوامعهم الروائيّه و نحن نأتى به من كتاب الأمالى للعالم الجليل قدوه المحدثين الشيخ الصدوق أبى جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين بن بابويه القمّى قدّس سرّه و هو الحديث الرّابع من المجلس الأوّل منه رواه باسناده عن العلاء بن محمّد بن الفضل عن أبيه عن جدّه قال قال قيس بن عاصم: وفدت مع جماعه من بنى تميم إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله فدخلت و عنده الصلصال بن الدلهمس فقلت: يا نبىّ اللّه عظنا موعظه ننتفع بها فانا قوم نعبر فى البريه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا قيس إنّ مع العزّ ذلا، و إنّ مع الحياه موتا و إنّ

مع الدّنيا آخره و إنّ لكلّ شيء حسيبا و على كلّ شيء رقيبا و إنّ لكلّ حسنه ثوابا و لكلّ سيّئه عقابا، و لكلّ أجل كتابا و إنّه لا بدّ لك يا قيس من قرين يدفن معك و هو حيّ و تدفن معه و أنت ميّت فان كان كريما أكرمك و إن كان لئيما أسلمك ثمّ لا يحشر إلّا معك و لا تبعث إلّا منه و لا تسئل إلّا عنه فلا تجعله إلّا صالحا فانه إن صلح انست به و إن فسد لا تستوحش إلّا منه و هو فعلك. فقال: يا نبيّ اللّه احبّ أن يكون هذا الكلام فى أبيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب و ندّخره فأمر النّبيّ صلى اللّه عليه و آله من يأتيه بحسّان قال: فأقبلت افكر فيما أشبه هذه العظه من الشعر فاستتب لى القول قبل مجىء الحسّان فقلت: يا رسول اللّه قد حضرتنى أبيات أحسبها توافق ما تريد فقلت:

تخيّر خليطا من فعالك انما قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل

و لا بدّ بعد الموت من أن تعدّه ليوم ينادى المرء فيه فيقبل

فان كنت مشغولا بشىء فلا تكن بغير الذى يرضى به اللّه تشغل

فلن يصحب الانسان من بعد موته و من قبله إلّا الّذى كان يعمل

ألا إنّما الانسان ضيف لأهله يقيم قليلا بينهم ثمّ يرحل

و هذا الحديث و إن كان كلّه نورا و كلّ واحده من جملها تفتح بابا من الحقيقه و تشير إلى سرّ لأهله و مع ذلك فينبغى لك التأمل جدا فى قوله صلّى اللّه عليه و آله:

و إنّ مع الدّنيا آخره و لم يقل: و إنّ بعد الدّنيا آخره حتّى يجعل الاخره فى طول الدّنيا الزمانىّ فافهم، و فى قوله: من قرين يدفن معك و هو حيّ ، و قوله: لا يحشر إلّا معك، و قوله: لا تستوحش إلّا منه، لا سيما فى قوله: و هو فعلك أى ذلك القرين الحيّ المحشور معك هو فعلك. و نعم ما قيل:

نهفته معنى نازك بسى است در خط يار تو فهم آن نكنى اى أديب من دانم

و فى آخر الباب الخامس من إرشاد القلوب للديلمى – ره –: قال قيس بن عاصم وفدت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى جماعه من تميم فقال لى: اغتسل بماء و سدر فاغتسلت ثمّ رجعت إليه فقلت: يا رسول اللّه عظنا موعظه ننتفع بها فقال: يا قيس إنّ

مع العزّ ذلّا - إلخ، انتهى. و قال ابن الأثير فى اسد الغابه: إنه أسلم فأمره النّبى صلى اللّه عليه و آله أن يغتسل بماء و سدر.

و من الحديث يعلم أنّ قيس بن عاصم كان رجلا فهيما عاقلا لائقا بأن يخاطب بهذه الجمل و يلقى إليه تلك الصحيفه المكرّمه و الموعظه الحسنه بل الحكمه العاليه المتعاليه، و كان وفوده إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله سنه تسع من الهجره و هو الّذى قال فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: هذا سيّد أهل الوبر. و كان سيّدا شريفا جوادا عاقلا مشهورا بالحلم، و هو الذى رثاه عبده الطبيب بقوله:

عليك سلام اللّه قيس بن عاصم و رحمته ما شاء أن يترّحما

تحيّه من أوليته منك نعمه إذا زار عن شحط بلادك سلّما

فما كان قيس هلكه هلك واحد و لكنّه بنيان قوم تهدّما

و كان قيس بن عاصم قد حرّم على نفسه الخمر فى الجاهليّه و كان سبب ذلك أنه غمز عنكه ابنته و هو سكران و سبّ أبويها، و رأى القمر فتكلّم، و أعطى الخمّار كثيرا من ماله، فلمّا أفاق اخبر بذلك فحرّمها على نفسه و قال فيها أشعارا منها قوله:

رأيت الخمر صالحه و فيها خصال تفسد الرجل الحليما

فلا و اللّه أشربها صحيحا و لا أشفى بها أبدا سقيما

و لا أعطى بها ثمنا حياتى و لا أدعو لها أبدا نديما

فانّ الخمر تفضح شاربيها و تجنيهم بها الأمر العظيما

و أراد بالرجل الحليم نفسه فإنّه كان بالحلم مشهورا، قيل للأحنف بن قيس ممّن تعلّمت الحلم ؟ قال: من قيس بن عاصم المنقرىّ رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدّث قومه إذ اتى برجل مكتوف، و آخر مقتول فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، قال: فو اللّه ما حلّ حبوته و لا قطع كلامه، فلمّا أتمّه التفت إلى ابن أخيه، فقال: يا ابن أخى بئس ما فعلت أثمت بربّك و قطعت رحمك و قتلت ابن عمّك و رميت نفسك بسهمك ثمّ قال لابن له آخر: قم

یا بنیّ فوار أخاک و حلّ کتاف ابن عمّک و سق إلی امّک مائه ناقه دیه ابنها فانها غریبه.

و لمّا حضرته الوفاه دعا بنیه فقال: یا بنیّ احفظوا عنّی فلا أحد أنصح لکم منّی إذا متّ فسوّدوا کبارکم و لا تسوّدوا صغارکم فیسفّه الناس کبارکم و تهونون علیهم، و علیکم بإصلاح المال فإنّه منبهه للکریم و یستغنی به عن اللئیم، و إیّاکم و مسأله الناس فإنها آخر کسب الرجل و أوصی عند موته فقال: إذا أنا متّ فلا تنوحوا علیّ فإنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لم ینح علیه.

و کان قیس هذا أوّل من وأد و جاء إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال: إنی و أدت ثمانی بنات لی فی الجاهلیه فقال: اعتق عن کلّ واحده منهنّ رقبه قال: إنی صاحب إبل قال صلّی اللّه علیه و آله: إن شئت عن کلّ واحده منهنّ بدنه. کما فی الإصابه.

و فی اسد الغابه: روی عنه أنّه قال للنّبی صلّی اللّه علیه و آله: إنی و أدت اثنتی عشره بنتا أو ثلاث عشره بنتا فقال له النّبی صلّی اللّه علیه و آله: اعتق عن کلّ واحده منهنّ نسمه. و فی المقام ینبغی أن یبحث عن الدّیه و لکن الکلام یجرّ الکلام.

و یلیق أن ینظر فی شأن قیس هذا حیث کان أوّل الأمر ممّن یأد بناته قال عزّ من قائل: «وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ » (النحل ۶۰) ثمّ هدی بالقرآن الکریم إلی الدّین القویم، نعم إنّ هذا القرآن یهدی للّتی هی أقوم، و کان ممّن حرّم علی نفسه الخمر فی الجاهلیه و من أمره هذا و من حلمه و کلامه یعلم فخامه قدره و قدر ذکائه و فطنته.

و قد کان غیر واحد من اولی الدرایه حرّموا علی أنفسهم الخمر فی الجاهلیه منهم عثمان بن مظعون و قال: لا أشرب شرابا یذهب عقلی، و یضحک بی من هو أدنی منّی، و یحملنی أن أنکح کریمتی.

و منهم العباس بن مرداس فانه قیل له: ألا تأخذ من الشراب فإنه یزید فی قوتک و جرأتک، قال: لا اصبح سیّد قومی و أمسی سفیهها لا و اللّه لا یدخل جوفی شیء

يحول بينى و بين عقلى أبدا. و قد أتى بعدّه منهم ابن الأثير فى ترجمه العباس هذا من اسد الغابه.

قوله عليه السّلام:(و انّ أعظم الخيانه - إلخ) و ذلك لأنّ الخيانه فى نفسها قبيحه و إن كان فى حقّ من لا يثق بك، فهى فى حقّ من اعتمد عليك و وثق بك و استأمنك أقبح و أفحش و أعظم عقوبه و نكالا فى الاولى و الاخره، و كذلك الكلام فى الغشّ .

و كذلك على نسخه الامّه مكان الأمنه و لكن فى الأمنه لطفا ليس فى الامّه كما هو مختارنا الموافق لنسخه الرضى رضوان اللّه عليه. و معنى العباره على هذا الوجه يصحّ إن كان المصدر مضافا إلى المفعول و قد اختاره الفاضل الشارح المعتزلى حيث قال: و خيانه الامّه مصدر مضاف إلى المفعول به لأنّ الساعى اذا خان فقد خان الامّه كلّها، و كذلك غشّ الأئمّه مصدر مضاف إلى المفعول أيضا لأنّ الساعى إذا غشّ فى الصّدقه فقد غشّ الامام انتهى.

و أقول: قد تقدّم أنّ العباره إذا كانت الامّه فالجمله الاولى لا تحتمل إلّا إضافه المصدر إلى المفعول به، و تجعل الثّانيه على وزانها أيضا حتّى يصير الكلام على نسق واحد. و لكنّ حقّ التدبر فى الكلام و سياق العهد و اسلوبه تنادى بأنّ الصواب هو الأمنه و أنّ الاضافه فى الجملتين إلى الفاعل أولى إن لم تكن متعيّنه.

و انظريا باغى الرشاد و طالب السداد فى هذا العهد الشريف حيث صدّره عليه السّلام بتقوى اللّه فى بواطن الامور و الأعمال مشيرا إلى أنّ اللّه هو الشهيد الوكيل فينبغى لعبد اللّه أن يكون عند اللّه مطلقا و لا يكون من الغافلين أوّلا، ثمّ أمر بترك الرياء و النفاق المؤدّى إلى الاخلاص ثانيا، ثمّ أمر بالشفقه على الرعيّه و نهى عن التكبر و التطاول عليهم بسبب الإماره عليهم ثالثا، ثمّ أوصى فى حفظ حقوقهم و تأديتها إليهم إن أحبّ ألاّ يكون خصمه عند اللّه يوم القيامه هؤلاء المساكين رابعا، ثمّ حذّر من استهان بالأمانه بعذاب الاخره، و خيانته لنفسه خامسا، و كما صدّر عهده بتقوى اللّه تعالى كذا عقّبه بالزهد فى الدّنيا و تزكيه النفس عن الأدران النفسانيه و الأوساخ الدّنيويه حيث قال: و لم ينزّه نفسه و دينه عنها إلخ. سادسا، و ختمه بذمّ خيانه

الأمنه و غشّ الأئمه سابعا. نعم هكذا و اللّه كلام من اجتباه اللّه تعالى ليستنقذ عباده من الضلاله و الجهاله. و الحمد للّه ولىّ التوفيق و بيده أزمّه التحقيق.

ثمّ إنّ لمستحقّى الزكاه من الأصناف الثمانيه شروطا مذكوره مشروحه فى الكتب الفقهيه فلا نتعبك بعنوانها و البحث عنها.

الترجمه

از جملهٔ عهد آن حضرت عليه السّلام است كه آنرا به يكى از عمّالش هنگامى كه او را براى جمع زكاه فرستاده مرقوم فرمود:

امر كرد او را كه در امور پنهان و اعمال پوشيده اش با تقوى باشد چه گواهى جز خدا و وكيلى سواى او نيست.

و امر كرد او را كه در آشكار طاعتى بجا نياورد كه در پنهان خلاف آنرا مرتكب شود، و هر كه پنهان و آشكارش و كردار و گفتارش دو گونه و خلاف هم نيست امانت را ادا كرد و عبادت را به اخلاص گذرانده.

و امر كرد او را كه دست رد به پيشانى مردم نزند و نابايست و ناخوش بر آنها پيش نياورد، و بدانها بهتان نزند و بر آنها دروغ نبندد. و از جهت إمارت و حكومت بر آنان از ايشان روى برنگرداند چه آنان برادران دينى و ياوران بر گرفتن حقوق هستند.

و همانا كه براى تو در اين زكاه بهرهٔ واجب و حقى معلوم است، و مر تو را انبازان درويش، و ناتوان تهيدست در اين مال است، و ما حق تو را بتمام مى دهيم پس تو هم حق ايشان را بتمام و كمال بپرداز، و گرنه خصم تو در روز رستاخيز مردم بسيار خواهند بود. و بدا بكسى كه خصم او نزد خدا فقرا و مساكين و سائلان و رانده شدگان و وامداران و رهگذريان باشند، و آنكه امانت را خوار دارد و در خيانت چرا كند و خودش را و دينش را از آن پاك نسازد بخودش در دنيا ستم كرد و در آخرت هم خويشتن را زبون و رسوا ساخت. و همانا

ص:۵۷

که بزرگترین خیانت خیانت کسی است که دیگران بر وی اعتماد دارند، و زشت ترین غشّ کردن پیشوایان است(۱).

و من عهد له علیه الصلاه و السلام الی محمد بن

اشاره

أبی بکر حین قلده مصر - و هو المختار السابع

و العشرون من کتبه علیه السّلام و وصایاه و عهوده و رسائله

فاخفض لهم جناحک، و ألن لهم جانبک، و ابسط لهم وجهک و آس بینهم فی اللّحظه و النّظره حتّی لا یطمع العظماء فی حیفک، و لا ییأس الضّعفاء من عدلک علیهم. و إنّ اللّه تعالی یسائلکم معشر عباده عن الصّغیره من أعمالکم و الکبیره، و الظّاهره و المستوره فإن یعذّب فأنتم أظلم، فإن یعف فهو أکرم. و اعلموا عباد اللّه أنّ المتّقین ذهبوا بعاجل الدّنیا و آجل الاخره فشارکوا أهل الدّنیا فی دنیاهم و لم یشارکهم أهل الدّنیا فی آخرتهم. سکنوا الدّنیا بأفضل ما سکنت، و أکلوها بأفضل ما أکلت، فحظوا من الدّنیا بما حظی به المترفون، و أخذوا منها ما أخذه الجبابره

۱- (۱) این وجه ترجمه باعتبار اضافه مصدر به فاعل است و اگر مصدر را مضاف به مفعول به بدانیم: ترجمهٔ آن چنین می شود که: همانا بزرگترین خیانت خیانت به کسانی است که بشخص وی وثوق و اعتماد دارند، و زشت ترین غش کردن غش کردن به پیشوایان است.

المتكبّرون ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المبلّغ و المتجر المربح، أصابوا لذّه زهد الدّنيا فى دنياهم، و تيقّنوا أنّهم جيران اللّه غدا فى آخرتهم. لا ترد لهم دعوه، و لا ينقص لهم نصيب من لذّه، فاحذروا عباد اللّه الموت و قربه، و أعدّوا له عدّته فإنّه يأتى بأمر عظيم و خطب جليل بخير لا يكون معه شرّ أبدا، أو شرّ لا يكون معه خير أبدا فمن أقرب إلى الجنّه من عاملها؟ و من أقرب إلى النّار من عاملها؟ و أنتم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم و إن فررتم منه أدرككم و هو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصيكم و الدّنيا تطوى من خلفكم، فاحذروا نارا قعرها بعيد و حرّها شديد و عذابها جديد. دار ليس فيها رحمه، و لا تسمع فيها دعوه، و لا تفرّج فيها كربه، و إن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من اللّه و أن يحسن ظنّكم به فاجمعوا بينهما فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه على قدر خوفه من ربّه، و إنّ أحسن النّاس ظنّا باللّه أشدّهم خوفا للّه. و اعلم يا محمّد بن أبى بكر، قد ولّيتك أعظم أجنادى فى نفسى أهل مصر فأنت محقوق أن تخالف على نفسك و أن تنافح عن دينك و لو لم تكن لك إلاّ ساعه من دهرك فلا تسخط اللّه برضا أحد من خلقه، فإنّ فى اللّه خلفا من غيره و ليس من اللّه خلف فى غيره.

ص:۵۹

صلّ الصّلاه لوقتها الموقّت لها، و لا تعجّل وقتها لفراغ، و لا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال، و اعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلاتك. من هذا العهد:

فإنّه لا سواء إمام الهدى و إمام الرّدى، و وليّ النّبيّ و عدوّ النّبيّ و لقد قال لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله: إنّی لا أخاف علی امّتی مؤمنا و لا مشركا، أمّا المؤمن فیمنعه اللّه بإیمانه، و أمّا المشرک فیقمعه اللّه بشركه، و لكنّی أخاف علیكم كلّ منافق الجنان عالم اللّسان یقول ما تعرفون و یفعل ما تنكرون.

ذكر ماخذ العهد و مصادره

اشاره

قد روی هذا العهد فی كتب الفریقین بأسانید عدیده و طرق كثیره علی صور متقاربه أو متفاوته:

منهم أبو إسحاق إبراهیم بن محمّد بن سعد(۱) بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفی الكوفی صاحب مصنّفات كثیره، المتوفّی سنه ثلاث و ثمانین و مائتین

ص:۶۰

۱- (۱) فی الفهرست للشیخ قدس سره: سعید بن هلال علی ما فی طبع النجف، و الظاهر أنه تصحیف و الصواب ما اخترناه و هو سمی سعد بن مسعود الثقفی أخی أبی عبید بن مسعود عم المختار ولاه أمیر المؤمنین علی علیه السّلام علی المدائن كما فی الفهرست و غیره من كتب الرجال. و فی الاستیعاب لابن عبد البر: سعد بن مسعود الثقفی عم المختار بن أبی عبید له صحبه.و فی كتاب الرجال الكبیر للاسترآبادی: سعید فی الموضعین و لكن دریت انه تصحیف. و ضبط تاریخ وفاه أبی اسحاق العلامه الحلی فی الخلاصه. منه.

فی کتاب الغارات.

و منهم أبو جعفر محمّد بن جریر الطبری المتوفّی سنه عشر و ثلاثمائه فی کتابه فی تاریخ الرسل و الملوک (ص ۳۲۴۶ ج ۶ من طبع لیدن).

و منهم الشیخ الجلیل أبو محمّد الحسن بن علیّ بن شعبه الحرّانی المتوفّی ۳۳۲ ه ق فی تحف العقول (ص ۴۰ من الطبع علی الحجر. و ص ۱۷۱ من الطبع الجدید).

و منهم الشیخ الأجلّ أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام البغدادی الملقّب بالمفید المتوفّی سنه ۴۱۳ ه ق، فی أوّل المجلس الحادی و الثلاثین من أمالیه (ص ۱۵۱ من طبع النجف).

و منهم شیخ الطائفه الامامیّه أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علیّ الطوسی المتوفّی ۴۶۰ ه ق فی آخر الجزء الأوّل من أمالیه (ص ۱۶ من طبع طهران، و ص ۲۴ ج ۱ من طبع النجف).

و منهم أبو جعفر محمّد بن أبی القاسم محمّد بن علی الطبری الاملی المعروف بعماد الدّین الطبری من علماء الامامیه فی القرن السادس فی کتابه بشاره المصطفی لشیعه المرتضی (ص ۵۲ ج ۱ من طبع النجف) و فی کتابه فی الزهد و التقوی.

و أتی بما فی الغارات الفاضل الشارح المعتزلی فی أوائل الجزء السادس من شرحه علی المختار ۶۶ من خطب النهج (ص ۲۹۵ ج ۱ من الطبع علی الحجر).

و العلّامه المجلسی فی المجلّد الثامن من البحار (ص ۶۴۳ من الطبع الکمبانی).

و نقل بعض صور هذا العهد المنقول من الطبری و أبی إسحاق الثقفی الفاضل أحمد زکی صفوت فی جمهره رسائل العرب (ص ۵۳۲ إلی ۵۴۲ ج ۱ من طبع مصر).

و نقل طائفه من کتاب الغارات فی کیفیه شهادت محمّد بن أبی بکر و نبذه من مطالب اخری الفاضل المقدم المیرزه حبیب اللّه الخوئی فی شرح المختار المذکور آنفا إلّا أنه جعله المختار ۶۷ و لم یأت من صور هذا العهد إلّا واحدا منها فراجع إلی (ص ۱۱۲ من ج ۶ من الطبع الجدید).

ص:۶۱

و قال بعد نقله: أقول: و لأمير المؤمنين عليه السّلام كتاب آخر مبسوط إلى محمّد و أهل مصر و رواه إبراهيم - يعنى أبا إسحاق إبراهيم صاحب كتاب الغارات - نرويه إن شاء اللّه فى باب الكتب إن ساعدنا التوفيق و المجال انتهى.

أقول: و لكنه رضوان اللّه عليه قد قضى نحبه و قد بلغ شرحه إلى أواخر خطب النهج، كما تقدّم كلامنا فى ذلك فى أوّل تكمله المنهاج، و نحن نرويه ههنا إن شاء اللّه تعالى بصوره جميعا نيابه عن الخوئى رحمه اللّه و نسئل اللّه تعالى أن يجعل سعيه مشكورا، و يوفّقنا بإتمام شرح الكتاب إنّه المفيض الوهّاب.

صوره العهد على روايه أبى اسحاق فى كتاب الغارات

أمّا صوره العهد على روايه أبى إسحاق إبراهيم فى كتاب الغارات قال:

و كان عهد علىّ إلى محمّد بن أبى بكر رحمه اللّه الّذى قرئ بمصر: هذا ما عهد عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر حين ولّاه مصر: أمره بتقوى اللّه فى السرّ و العلانيه و خوف اللّه تعالى فى المغيب و المشهد.

و أمره باللّين على المسلم، و الغلظ على الفاجر، و بالعدل على أهل الذمّه و بالانصاف للمظلوم، و بالشدّه على الظالم، و بالعفو عن النّاس، و بالاحسان ما استطاع، و اللّه يجزى المحسنين.

و أمره أن يدعو من قبله إلى الطاعه و الجماعه، فانّ لهم فى ذلك من العاقبه و عظم المثوبه ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه.

و أمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينتقص و لا يبتدع ثمّ يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل، و إن تكن لهم حاجه يواسى بينهم فى مجلسه و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده على سواء.

و أمره أن يحكم بين النّاس بالحقّ ، و أن يقوم بالقسطاس، و لا يتّبع الهوى و لا يخاف فى اللّه لومه لائم فانّ اللّه مع من اتّقاه و آثر طاعته على من سواه.

و كتب عبد اللّه بن أبى رافع مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لغرّه شهر رمضان سنه ستّ و ثلاثين.

ص:۶۲

قال أبو إسحاق إبراهيم: ثمّ قام محمّد بن أبى بكر خطيبا فحمد اللّه و أثنى عليه و قال: أمّا بعد فالحمد للّه الّذى هدانا و إيّاكم لما اختلف فيه من الحقّ ، و بصرنا و إيّاكم كثيرا ممّا عمى عنه الجاهلون. ألا و إنّ أمير المؤمنين و لانّى اموركم و عهد إلىّ بما سمعتم و أوصانى بكثير منه مشافهه و لن آلوكم جهدا ما استطعت و ما توفيقى إلاّ باللّه عليه توكلت و إليه انيب، فان يكن ما ترون من آثارى و أعمالى طاعه للّه و تقوى فاحمدوا اللّه على ما كان من ذلك فانه هو الهادى إليه، و إن رأيتم من ذلك عملا بغير الحقّ فارفعوه إلىّ و عاتبونى عليه فانى بذلك أسعد و أنتم بذلك جديرون، وفّقنا اللّه و إيّاكم لصالح العمل.

صوره ما كتب أمير المؤمنين على عليه السّلام الى أهل مصر

لما بعث محمد بن أبى بكر اليهم يخاطبهم به و محمدا

أيضا فيه على روايه أبى اسحاق فى كتاب الغارات أيضا

و قال أبو إسحاق إبراهيم فى كتاب الغارات أيضا: و حدّثنى يحيى بن صالح عن مالك، عن خالد الأسدى، عن الحسن بن إبراهيم، عن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن عليه السّلام قال: كتب علىّ عليه السّلام إلى أهل مصر لمّا بعث محمّد بن أبى بكر إليهم كتابا يخاطبهم به و يخاطب محمّدا أيضا فيه: أمّا بعد فإنّى اوصيكم بتقوى اللّه فى سرّ أمركم و علانيته، و على أىّ حال كنتم عليها. و ليعلم المرء منكم أنّ الدنيا دار بلاء و فناء، و الاخره دار جزاء و بقاء، فمن استطاع أن يؤثر ما بقى على ما يفنى فليفعل فإنّ الاخره تبقى و الدّنيا تفنى، رزقنا اللّه و إيّاكم بصرا لما بصّرنا و فهما لما فهّمنا حتّى لا نقصّر عمّا أمرنا، و لا نتعدّى إلى ما نهانا.

و اعلم يا محمّد أنّك و إن كنت محتاجا إلى نصيبك من الدّنيا إلاّ أنّك إلى نصيبك من الاخره أحوج، فإن عرض لك أمران أحدهما للاخره و الاخر للدّنيا فابدأ بأمر الاخره. و لتعظم رغبتك فى الخير، و لتحسن فيه نيّتك فإنّ اللّه عزّ و جلّ يعطى العبد على قدر نيّته، و إذا أحبّ الخير و أهله و لم يعمله كان إن شاء اللّه كمن

ص:٦٣

عمله، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال حين رجع من تبوك: إنّ بالمدينه لأقواما ما سرتم من مسير و لا هبطتم من واد إلّا كانوا معكم ما حبسهم إلّا المرض يقول: كانت لهم نيّه.

ثمّ اعلم يا محمّد إنّى ولّيتك أعظم أجنادى أهل مصر، و ولّيتك ما ولّيتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك و تحذر فيه على دينك و لو كان ساعه من نهار، فإن استطعت أن لا تسخط ربّك لرضى أحد من خلقه فافعل فإنّ فى اللّه خلفا من غيره و ليس فى شىء غيره خلف منه، فاشتدّ على الظّالم، و لن لأهل الخير و قرّبهم إليك و اجعلهم بطانتك و إخوانك و السّلام.

كتاب أمير المؤمنين على (عليه السلام) الى محمد بن أبى بكر و أهل مصر

على صوره اخرى منقوله من كتاب الغارات أيضا

قال أبو إسحاق إبراهيم: حدّثنى يحيى بن صالح عن مالك بن خالد، عن الحسن بن إبراهيم، عن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن عليه السّلام قال: كتب علىّ عليه السّلام إلى محمّد و أهل مصر: أمّا بعد: فانّى أوصيكم بتقوى اللّه و العمل بما أنتم عنه مسؤلون فأنتم به رهن و إليه صائرون، فانّ اللّه عزّ و جلّ يقول: «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَهٌ »، و قال: و يحذّركم اللّه نفسه و إلى اللّه المصير، و قال: فو ربّك لنسئلنّهم أجمعين عمّا كانوا يعملون، فاعلموا عباد اللّه أنّ اللّه سائلكم عن الصغير من أعمالكم و الكبير فان يعذّب فنحن الظّالمون و إن يغفر و يرحم فهو أرحم الرّاحمين.

و اعلموا أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الرحمه و المغفره حين ما يعمل بطاعه اللّه و منا صحته فى التوبه، فعليكم بتقوى اللّه عزّ و جلّ فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها، و يدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها: خير الدّنيا و خير الاخره، يقول سبحانه: «وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَهٌ وَ لَدارُ الْآخِرَهِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ المؤمنين المتّقين قد ذهبوا بعاجل الخير و آجله شركوا أهل الدّنيا فى دنياهم و لم يشاركهم أهل الدّنيا فى آخرتهم يقول اللّه عزّ و جلّ : «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ »

«لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ ». سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدّنيا فى دنياهم، يأكلون من أفضل ما يأكلون، و يشربون من أفضل ما يشربون، و يلبسون من أفضل ما يلبسون و يسكنون من أفضل ما يسكنون، أصابوا لذّه أهل الدّنيا مع أهل الدّنيا مع أنّهم غدا من جيران اللّه عزّ و جلّ يتمنّون عليه، لا يردّ لهم دعوه و لا ينقص لهم لذه، أما فى هذا ما يشتاق إليه من كان له عقل.

و اعلموا عباد اللّه أنّكم إن اتّقيتم ربّكم، و حفظتم نبيّكم فى أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد، و ذكرتموه بأفضل ما ذكر، و شكرتموه بأفضل ما شكر و أخذتم بأفضل الصبر، و جاهدتم بأفضل الجهاد، و إن كان غيركم أطول صلاه منكم، و أكثر صياما إذا كنتم أتقى للّه و أنصح لأولياء اللّه من آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و أخشع.

و احذروا عباد اللّه الموت و نزوله، و خذوا له فإنه يدخله بأمر عظيم: خير لا يكون معه شرّ أبدا، و شرّ لا يكون معه خير أبدا، ليس أحد من النّاس تفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أىّ المنزلتين يصير: إلى الجنّه أم إلى النّار؟ أعدوّ هو للّه أم ولىّ له فان كان وليا فتحت له أبواب الجنّه، و شرع له طريقها، و نظر إلى ما أعدّ اللّه عزّ و جلّ لأوليائه فيها، فرغ من كل شغل، و وضع عنه كلّ ثقل و إن كان عدوّا فتحت له أبواب النّار و سهّل له طريقها و نظر إلى ما أعدّ اللّه لأهلها، و استقبل كلّ مكروه، و فارق كلّ سرور، قال تعالى: «الَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ما كُنّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ الموت ليس فيه فوت فاحذروه و أعدّوا له عدّته فانّكم طرداء للموت إن أقمتم أخذكم، و إن هربتم أدرككم، و هو ألزم لكم من ظلّكم، معقود بنواصيكم، و الدّنيا تطوى من خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات فانّه كفى بالموت واعظا قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: أكثروا ذكر الموت فانه هادم اللّذات.

و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعـد الموت أشدّ من الموت لمن لم يغفر اللّه له و يرحمه، و احذروا القبر و ضـمّته، و ضـيقه و ظلمته فانّه الّذى يتكلّم كلّ يوم:

أنـا بيت التراب، و أنـا بيت الغربه، و أنـا بيت الـدّود، و القبر روضه من ريـاض الجنّه أو حفره من حفر النّـار، إنّ المسـلم إذا مات قالت الأرض: مرحبا و أهلا قد كنت ممّن احبّ أن تمشـى على ظهرى، فاذا وليتك فستعلم كيف صنعى بك فيتّسع له مدّ بصره، و إذا دفن الكـافر قـالت له الأرض: لا ـ مرحبـا و لا ـ أهلا قـد كنت ممّن ابغض أن تمشـى على ظهرى، فإذا وليتك فسـتعلم كيف صنعى بك، فتنضمّ عليه حتى تلتقى أضلاعه.

و اعلموا أنّ المعيشه الضّنک الّتى قال سبحانه: «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَهً ضَنْكاً »، هى عذاب القبر فانّه يسلّط على الكافر فى قبره حيّات عظام تنهش لحمه حتّى يبعث لو أنّ تنّينا منها نفخ فى الأرض ما أنبتت الزرع أبدا.

و اعلموا عباد اللّه أنّ أجسادكم الرقيقه النّاعمه الّتى يكفيها اليسير من العقاب ضعيفه عن هذا، فإن استطعتم أن ترحموا أنفسكم و أجسادكم مما لا طاقه لكم به و لا صبر عليه فتعملوا بما أحبّ اللّه سبحانه، و تتركوا ما كره فافعلوا، و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه.

و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد القبر أشدّ من القبر يوم يشـيب فيه الصـغير، و يسـكر فيه الكبير و تذهل كلّ مرضـعه عمّا أرضـعت، و احذروا يوما عبوسا قمطريرا كان شـرّه مسـتطيرا، أما إنّ شـرّ ذلک اليوم و فزعه استطار حتّى فزعت منه الملائكه الّذين ليست لهم ذنوب و السبع الشداد و الجبال الأوتاد و الأرضون المهاد و انشـقّت السـماء فهى يومئذ واهيه و تغيّرت فكانت ورده كالدّهان، و كانت الجبال سـرابا بعد ما كانت صـمّا صلابا، يقول اللّه سبحانه: «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ »، فكيف بمن يعصيه بالسمع و البصر و اللّسان و اليد و الفرج و البطن إن لم يغفر اللّه و يرحم ؟ و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد ذلک اليوم أشدّ و أدهى، نار قعرها بعيد،

و حرّها شديد، و عذابها جديد، و مقامعها حديد، و شرابها صديد، لا يفتر عذابها، و لا يموت ساكنها، دار ليست للّه سبحانه فيها رحمه، و لا تسمع فيها دعوه و مع هذا رحمه اللّه الّتى وسعت كلّ شىء لا تعجز عن العباد، و جنّه عرضها كعرض السماوات و الأرض، خير لا يكون بعده شرّ أبدا، و شهوه لا تنفد أبدا، و لذّه لا تفنى أبدا، و مجمع لا يتفرّق أبدا، قوم قد جاوروا الرحمن، و قام بين أيديهم الغلمان، بصحاف من ذهب فيها الفاكهه و الريحان، و أنّ أهل الجنّه يزورون الجبّار سبحانه فى كلّ جمعه فيكون أقربهم منه على منابر من نور، و الّذين يلونهم على منابر من ياقوت، و الّذين يلونهم على منابر من مسك فبيناهم كذلك ينظرون اللّه جلّ جلاله و ينظر اللّه فى وجوههم إذ أقبلت سحابه تغشاهم فتمطر عليهم من النعمه و اللذّه و السرور و البهجه ما لا يعلمه إلّا اللّه سبحانه، و مع هذا ما هو أفضل منه رضوان اللّه الأكبر، أما إنّا لو لم نخوّف إلّا ببعض ما خوّفنا به لكنّا محقوقين أن يشتدّ خوفنا ممّا لا طاقه لنا به، و لا صبر لقوّتنا عليه، و أن يشتدّ شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه، و ما لا بدّ لنا منه، فإن استطعتم عباد اللّه أن يشتدّ خوفكم من ربّكم فافعلوا فإنّ العبد إنّما تكون طاعته على قدر خوفه، و إنّ أحسن النّاس للّه طاعه أشدّهم له خوفا.

و انظر يا محمّد صلاتک كيف تصلّيها فانّما أنت إمام ينبغى لک أن تتمّها، و أن تخفّفها و أن تصلّيها لوقتها فانّه ليس من إمام يصلّى بقوم فيكون فى صلاته و صلاتهم نقص إلّا كان إثم ذلک عليه و لا ينقص من صلاتهم شيئا.

و اعلم أنّ كلّ شىء من عملک يتبع صلاتک فمن ضيّع الصّلاه فهو لغيرها أشدّ تضييعا، و وضوءک من تمام الصلاه فأت به على وجهه فالوضوء نصف الإيمان أسأل اللّه الّذى يرى و لا يرى و هو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا و إيّاک من المتّقين الّذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.

فإن استطعتم يا أهل مصر أن تصدّق أقوالكم أفعالكم و أن يتوافق سرّكم

و علانيتكم، و لا تخالف ألسنتكم قلوبكم فافعلوا عصمنا اللّه و إيّاكم بالهدى، و سلك بنا و بكم المحجّه الوسطى.

و إيّاكم و دعوه الكذاب ابن هند، و تأمّلوا، و اعلموا أنّه لا سوى إمام الهدى و إمام الرّدى، و وصيّ النّبى و عدوّ النّبى، جعلنا اللّه و إيّاكم ممّن يحبّ و يرضى، و لقد سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: إنّى لا أخاف على امّتى مؤمنا و لا مشركا: أمّا المؤمن فيمنعه اللّه بايمانه، و أمّا المشرك فيحرمنّه اللّه بشركه و لكنّى أخاف عليهم كلّ منافق اللسان يقول ما يعرفون و يفعل ما ينكرون.

و اعلم يا محمّد أنّ أفضل الفقه الورع فى دين اللّه و العمل بطاعته فعليك بتقوى اللّه فى سرّ أمرك و علانيتك، و اوصيك بسبع هنّ جوامع الإسلام: اخش اللّه و لا تخش الناس فى اللّه، و خير القول ما صدّقه العمل، و لا تقض فى أمر واحد بقضائين مختلفين فيتناقض أمرك و تزيغ عن الحقّ ، و أحبّ لعامّه رعيّتك ما تحبّه لنفسك و اكره لهم ما تكره لنفسك، و اصلح أحوال رعيّتك، و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف لومه لائم، و انصح لمن استشارك، و اجعل نفسك اسوه لقريب المسلمين و بعيدهم. جعل اللّه خلّتنا و ديننا خلّه المتّقين و ودّ المخلصين، و جمع بيننا و بينكم فى دار الرّضوان إخوانا على سرر متقابلين إن شاء اللّه.

قال أبو إسحاق إبراهيم: فحدّثنى عبد اللّه بن محمّد بن عثمان عن علىّ بن محمّد ابن أبى سيف عن أصحابه أنّ عليا عليه السّلام لما كتب إلى محمّد بن أبى بكر هذا الكتاب كان ينظر فيه و يتأدّب به فلمّا ظهر عليه عمرو بن العاص و قتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاويه فكان معاويه ينظر فى هذا الكتاب و يتعجّب منه، فقال الوليد ابن عقبه و هو عند معاويه و قد رأى إعجابه به: مر بهذه الأحاديث أن تحرق، فقال معاويه: مه! فإنّه لا رأى لك، فقال الوليد أ فمن الرأى أن يعلم النّاس أنّ أحاديث أبى تراب عندك تتعلّم منها؟ قال معاويه: ويحك أ تأمرنى أن أحرق علما مثل هذا و اللّه ما سمعت بعلم هو أجمع منه و لا أحكم، فقال الوليد إن كنت تعجب من علمه و قضائه فعلام تقاتله ؟ فقال: لو لا إنّ أبا تراب قتل عثمان ثمّ أفتانا

لأخذنا عنه. ثمّ سكت هنيئه ثمّ نظر إلى جلسائه فقال: إنّا لا نقول إنّ هذه من كتب عليّ بن أبى طالب و لكن نقول: هذه من كتب أبى بكر الصّدّيق كانت عند ابنه محمّد فنحن ننظر فيها و نأخذ منها. قال: فلم تزل تلك الكتب فى خزائن بنى اميّه حتّى ولى عمر بن عبد العزيز، فهو الذى أظهر أنّها من أحاديث عليّ بن أبى طالب.

و قال ابراهيم: فلمّا بلغ عليا عليه السّلام أنّ ذلك الكتاب صار إلى معاويه اشتدّ عليه حزنا.

و قال: حدّثنى بكر بن بكار عن قيس بن الرّبيع، عن ميسره بن حبيب، عن عمرو بن مره، عن عبد اللّه بن مسلمه قال: صلّى بنا عليّ عليه السّلام فلمّا انصرف قال:

لقد عثرت عثره لا أعتذر سوف أكيس بعدها و أستمر

و أجمع الأمر الشتيت المنتشر

فقلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال: إنى استعملت محمّد بن أبى بكر على مصر فكتب إليّ أنّه لا علم لى بالسنّه فكتبت إليه كتابا فيه أدب و سنّه فقتل و اخذ الكتاب.

قلت: قد نقلت هذا العهد الشريف المحكم المتين الذى هو نسيج وحده فى المعارف الحقّه لا سيّما فى المعاد من كتاب الغارات المنقول فى شرح الفاضل المعتزلى و لكن من نسخه مخطوطه مصحّحه مشكوكه عتيقه قد أنعمنا اللّه تعالى بها و هى من كتب مكتبتنا، و بين ما نقلناه منها و بين ما طبع من نسخ شرح الفاضل المذكور تفاوه فى عدّه مواضع يتغير المعنى بها و لعلّنا نأتى بها أو ببعض ما يهتمّ و يعتنى به فى شرح العهد إنشاء اللّه تعالى.

صوره العهد على ما فى تاريخ الطبرى

و أما صوره العهد على ما ضبطه أبو جعفر الطبرى فى التاريخ فإنه قريب ممّا نقلناه من كتاب الغارات أوّلا و ليس فى نقله كثير فائده قال: قال هشام عن أبى مخنف قال: حدّثنى الحارث بن كعب الوالبيّ عن أبيه قال: كنت مع محمّد بن أبى

بکر حین قدم مصر فلمّا قدم قرأ علیهم عهده: بسم اللّه الرّحمن الرّحیم هذا ما عهد عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین إلی محمّد بن أبی بکر حین ولاّه مصر أمره بتقوی اللّه - إلخ.

و لم ینقل أبو جعفر الطبری وصیّته علیه السّلام المبسوطه لأهل مصر و محمّد و إنّما اکتفی بنقل العهد الـذی کتبه إلی محمّد فقط .

صوره العهد علی ما فی تحف ابن شعبه

و أمّا أبو محمّد الحسن بن علیّ بن الحسین بن شعبه الحرّانی - ره - فانه أتی بالعهد الّذی کتبه إلی محمّد، و ما کتبه إلی أهل مصر و محمّد جمیعا، و لمّا کان الأوّل قریبا أیضا ممّا فی کتاب الغارات و تاریخ الطبری أعرضنا عن نقله أیضا لقلّه الجدوی فی ذلک، و أمّا ما کتبه علیه السّلام إلی أهل مصر و محمّد فهذه صورته:

ثمّ کتب إلی أهل مصر بعد مسیره ما اختصرناه: من عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین إلی محمّد بن أبی بکر و أهل مصر: سلام علیکم.

أمّا بعد فقد وصل إلیّ کتابک و فهمت ما سألت عنه، و أعجبنی اهتمامک بما لا بدّ لک منه و ما لا یصلح المسلمین غیره، و ظننت أنّ الّذی أخرج ذلک منک نیّه صالحه و رأی غیر مدخول.

أمّا بعد فعلیک بتقوی اللّه فی مقامک و مقعدک و سرّک و علانیتک، و إذا أنت قضیت بین النّاس فاخفض لهم جناحک، و لیّن لهم جانبک، و ابسط لهم وجهک و آس بینهم فی اللحظ و النظر حتّی لا یطمع العظماء فی حیفک لهم و لا ییأس الضعفاء من عدلک علیهم، و أن تسأل المدّعی البیّنه و علی المدّعی علیه الیمین، و من صالح أخاه علی صلح فأجز صلحه إلاّ أن یکون صلحا یحرّم حلالا أو یحلّل حراما.

و آثر الفقهاء و أهل الصّدق و الوفاء و الحیاء و الورع علی أهل الفجور و الکذب و الغدر، و لیکن الصالحون الأبرار إخوانک، و الفاجرون الغادرون أعداءک فانّ أحبّ اخوانی إلیّ أکثرهم للّه ذکرا و أشدّهم منه خوفا و أنا أرجو أن تکون منهم إن شاء اللّه.

ص:۷۰

و إنّى اوصيكم بتقوى اللّه فيما أنتم عنه مسئولون و عمّا أنتم إليه صائرون فإنّ اللّه قال فى كتابه: «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَهٌ ». و قال: «وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ ». و قال: فو ربّك لنسألنّهم أجمعين عمّا كانوا يعملون، فعليكم بتقوى اللّه فانّها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها و يدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها من خير الدّنيا و خير الاخره قال اللّه تعالى: «وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَهٌ وَ لَدارُ الْآخِرَهِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ ».

اعلموا عباد اللّه أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الخير و آجله، شاركوا أهل الدّنيا فى دنياهم و لم يشاركهم أهل الدّنيا فى آخرتهم، قال اللّه عزّ و جلّ : «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ »، الايه. سكنوا الدّنيا بأحسن ما سكنت و أكلوها بأحسن ما أكلت.

و اعلموا عباد اللّه أنّكم إذا لقيتم اللّه و حفظتم نبيّكم فى أهله فقد عبدتموه بأفضل عبادته، و ذكرتموه بأفضل ما ذكر، و شكرتموه بأفضل ما شكر، و قد أخذتم بأفضل الصبر و الشكر، و اجتهدتم بأفضل الاجتهاد و إن كان غيركم أطول منكم صلاه و أكثر منكم صياما و صدقه إذ كنتم أنتم أوفى للّه و أنصح لأولياء اللّه و من هو ولىّ الأمر من آل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و احذروا عباد اللّه الموت و قربه و كربه و سكراته، و أعدّوا له عدّته فإنّه يأتى بأمر عظيم: بخير لا يكون معه شرّ و بشرّ لا يكون معه خير أبدا، فمن أقرب إلى الجنّه من عاملها و أقرب إلى النّار من أهلها فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم فإنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: أكثروا ذكرها دم اللّذات، و اعلموا أنّ ما بعد الموت لمن لم يغفر اللّه له و يرحمه أشدّ من الموت.

و اعلم يا محمّد إنّنى ولّيتك أعظم أجنادى فى نفسى أهل مصر و أنت محقوق أن تخاف على نفسك و أن تحذر فيه على دينك و ان لم تكن إلّا ساعه من النهار، فان استطعت أن لا تسخط ربّك برضى أحد من خلقه فافعل فإنّ فى اللّه خلفا من غيره

و لا فی شیء خلف من اللّه، اشدد علی الظالم و خذ علی یدیه، و لن لأهل الخیر و قرّبهم منک و اجعلهم بطانتک و إخوانک.

ثمّ انظر صلاتک کیف هی فإنّک إمام و لیس من إمام یصلّی بقوم فیکون فی صلاتهم تقصیر إلاّ کان علیه أو زارهم و لا ینتقص من صلاتهم شیء و لا یتمّمها إلاّ کان له مثل اجورهم و لا ینتقص من اجورهم شیء. و انظر الوضوء فإنّه تمام الصّلاه و لا صلاه لمن لا وضوء له. و اعلم أنّ کلّ شیء من عملک تابع لصلاتک، و اعلم أنّه من ضیّع الصّلاه فإنّه لغیر الصّلاه من شرائع الإسلام أضیع.

و إن استطعم یا أهل مصر أن یصدّق قولکم فعلکم و سرّکم علانیتکم، و لا تخالف ألسنتکم أفعالکم فافعلوا، و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إنّی لا أخاف علی امّتی مؤمنا و لا مشرکا أمّا المؤمن فیمنعه اللّه بإیمانه، و أمّا المشرک فیخزیه اللّه و یقمعه بشرکه، و لکنّی أخاف علیکم کلّ منافق حلو اللسان یقول ما تعرفون، و یفعل ما تنکرون لیس به خفاء، و قد قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله: من سرّته حسناته و ساءته سیّئاته فذلک المؤمن حقّا، و کان یقول صلّی اللّه علیه و آله: خصلتان لا یجتمعان فی منافق: حسن سمت و فقه فی سنّه.

و اعلم یا محمّد بن أبی بکر أنّ أفضل الفقه الورع فی دین اللّه، و العمل بطاعه اللّه أعاننا اللّه و إیّاک علی شکره و ذکره و أداء حقّه و العمل بطاعته إنّه سمیع قریب.

و اعلم أنّ الدّنیا دار بلاء و فناء و الاخره دار بقاء و جزاء فإن استطعت أن تؤثر(۱) ما یبقی علی ما یفنی فافعل رزقنا اللّه بصر ما بصّرنا و فهم ما فهّمنا حتّی لا نقصّر عمّا أمرنا و لا نتعدّی إلی ما نهینا عنه فانّه لا بدّ لک من نصیبک من الدّنیا، و أنت إلی نصیبک من الاخره أحوج، فان عرض لک أمران: أحدهما للاخره و الاخر للدّنیا، فابدأ بأمر الاخره، و إن استطعت أن تعظم رغبتک فی

ص:۷۲

۱- (۱) کانت العباره «أن تزین» مکان «أن تؤثر» و بدلنا الاول بالثانی قیاسا بما نقلنا آنفا من کتاب الغارات و کانت العباره فیه «تؤثر» و لا تفید تزین من الزینه معنی صحیحا الا بتکلف لا ینبغی فی حول کلام صدر من مشرع الفصاحه و البلاغه. منه.

الخير و تحسن فيه نيّتک فافعل فإنّ اللّه يعطى العبد على قدر نيّته إذا أحبّ الخير و أهله، و إن لم يفعله كان إن شاء اللّه كمن فعله.

ثمّ إنّى اوصيک بتقوى اللّه، ثمّ بسبع خصال هنّ جوامع الاسلام: تخشى اللّه و لا تخشى النّاس فى اللّه فانّ خير القول ما صدّقه الفعل، و لا تقض فى أمر واحد بقضائين فيختلف عليک أمرک و تزلّ عن الحقّ ، و أحبّ لعامّه رعيّتک ما تحبّ لنفسک و أهل بيتک، و ألزم الحجّه عند اللّه و اصلح رعيّتک، و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف فى اللّه لومه لائم، و أقم وجهک و انصح للمرء المسلم إذا استشارک، و اجعل نفسک اسوه لقريب المسلمين و بعيدهم، و أمر بالمعروف و انه عن المنكر و اصبر على ما أصابک إنّ ذلک من عزم الامور و السّلام عليک و رحمه اللّه و بركاته.

صوره العهد على ما فى نسختى الشيخين

المفيد و الطوسى قدس سرهما

أمّا صوره العهد على ما فى أمالى الشّيخ المفيد، و ما فى أمالى الشّيخ الطوسى رفع اللّه درجتهما فانّ إحداهما قريبه من الاخرى بل الطوسى - ره - رواه من الشّيخ المفيد بسند ينتهى إلى أبى إسحاق الهمدانى و بهذا السند رواه المفيد أيضا فى أماليه من غير اختلاف، إلاّ أنّا نجعل ما فى أمالى الطوسى أصلا و ذلک لأنا ننقله من نسخه مخطوطه مصحّحه عتيقه محفوظه فى مكتبتنا استنسخت من أصل كتب فى سنه ۶۱۸ و قوبلت عليه و قد نقل فى آخرها عباره خاتمه الأصل هكذا: تمّ كتاب الأمالى و هو ثمانيه عشر جزءا آخر نهار الجمعه ثانى شوال سنه ثمان عشر و ستمائه و الحمد للّه ربّ العالمين و صلّى اللّه على محمّد و آله الطّاهرين و سلّم تسليما، كتبه علىّ بن أبى محمّد بن أحمد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلىّ الحلّىّ حامدا للّه تعالى و مصلّيا على رسوله محمّد و آله الطّاهرين.

فدونک صوره العهد على روايه الطوسى من ذلک الأصل قال: حدّثنا الشيخ المفيد أبو على الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسى رحمه اللّه تعالى بمشهد مولانا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلوات اللّه عليه، قال: حدّثنا الشّيخ السعيد الوالد

أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علیّ الطوسی رحمه اللّه فی شهر ربیع الأوّل من سنه خمس و خمسین و أربعمائه، قال: حدّثنا أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه اللّه(۱) قال: أخبرنی أبو الحسن علیّ بن محمّد بن حبیش الکاتب، قال: أخبرنی الحسن بن علیّ الزّعفرانی، قال: أخبرنی أبو إسحاق إبراهیم بن محمّد الثقفی، قال: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد بن عثمان، قال: حدّثنا علیّ بن محمّد بن أبی سعید عن فضیل بن الجعد عن أبی إسحاق الهمدانی (و فی أمالی المفید: المجلس الحادی و الثلاثون مجلس یوم الاثنین السادس عشر من شهر رمضان سنه تسع و أربعمائه ممّا سمعته أنا و أبو الفوارس حدّثنا الشّیخ الجلیل المفید أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان أیّد اللّه تمکینه قال:

أخبرنی أبو الحسن علی بن محمّد بن محمّد بن حبیش الکاتب - و هکذا بالاسناد المقدّم حتّی ینتهی إلی أبی إسحاق الهمدانی) قال:

لمّا ولّی أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب محمّد بن أبی بکر مصر و أعمالها، کتب له کتابا و أمره أن یقرأه علی أهل مصر و لیعمل بما وصّاه به فکان الکتاب:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم من عبد اللّه أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب إلی أهل مصر و محمّد بن أبی بکر: سلام علیکم فانی أحمد إلیکم اللّه الّذی لا إله إلاّ هو، أمّا بعد فانّی اوصیکم بتقوی اللّه فیما أنتم عنه مسئولون و إلیه تصیرون فانّ اللّه تعالی یقول: «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ رَهِینَهٌ »، و یقول: «وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اللّهِ الْمَصِیرُ » و إلیه المصیر»، و یقول: «فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ عَمّا کانُوا یَعْمَلُونَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ اللّه عزّ و جلّ سائلکم عن الصغیر من أعمالکم و الکبیر فان یعذّب فنحن أظلم، و إن یعف فهو أرحم الرّاحمین (و قد سقط فی أمالی المفید المطبوع فی النجف شطر من الحدیث).

یا عباد اللّه إنّ أقرب ما یکون العبد إلی المغفره و الرحمه حین یعمل للّه بطاعته و بنصحه فی التوبه. علیکم بتقوی اللّه فانها تجمع الخیر و لا خیر غیرها و یدرک بها

۱- (۱) هو الشیخ الاجل المفید - ره -، و أما الشیخ المفید أبو علی الحسن فهو ابن الشیخ الطوسی - ره - و المفید المطلق المعروف هو الاول. منه.

من الخير ما لا يدرك بغيرها من خير الدنيا و الاخره قال اللّه عزّ و جلّ : «وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكَمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ لَدارُ الْآخِرَهِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ ».

اعلموا يا عباد اللّه أنّ المؤمن يعمل لثلاث من الثواب [لثلاث] أمّا الخير فانّ اللّه يثيبه بعمله فى دنياه، قال اللّه سبحانه لإبراهيم: «وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِى الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِى الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّالِحِينَ »، فمن عمل للّه تعالى أعطاه أجره فى الدّنيا و الاخره و كفاه المهمّ فيهما، و قد قال اللّه تعالى: «يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَهٌ وَ أَرْضُ اللّهِ واسِعَهٌ إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ »، فما أعطاهم اللّه فى الدّنيا لم يحاسبهم به فى الاخره»، قال اللّه تعالى:

«لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَهٌ »، و الحسنى هى الجنّه، و الزياده هى الدّنيا، و إنّ اللّه تعالى يكفّر بكلّ حسنه سيئه»، قال اللّه عزّ و جلّ : «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذّاكِرِينَ »، حتّى إذا كان يوم القيامه حسبت لهم حسناتهم ثمّ أعطاهم بكلّ واحده عشره أمثالها إلى سبعمائه ضعف، قال اللّه عزّ و جلّ : «جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً »، و قال: اولئك لهم جزاء الضّعف بما عملوا و هم فى الغرفات آمنون، فارغبوا [فارعنوا - كما فى النسخه المصحّحه من الأمالى] فى هذا رحمكم اللّه و اعملوا له و تحاضّوا عليه.

و اعلموا يا عباد اللّه أنّ المتّقين حازوا عاجل الخير و آجله، شاركوا أهل الدّنيا فى دنياهم و لهم يشاركهم أهل الدّنيا فى آخرتهم أباحهم فى الدّنيا ما كفاهم به و أغناهم، قال اللّه عزّ اسمه: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياهِ الدُّنْيا خالِصَهً يَوْمَ الْقِيامَهِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »، سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت، و أكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدّنيا فى دنياهم فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون، و شربوا من طيّبات ما يشربون، و لبسوا من أفضل ما يلبسون، و سكنوا من أفضل ما يسكنون، و تزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون، و ركبوا من أفضل ما يركبون، أصابوا لذّه

الـدّنيا مع أهـل الـدّنيا و هم غـدا جيران اللّه يتمنّون عليه فيعطيهم مـا يتمنّون، لا يردّ لهم دعوه، و لا ينقص لهم نصـيب من اللّـذه، فإلى هذا يا عباد اللّه يشتاق إليه من كان له عقل و يعمل له تقوى اللّه [فى المطبوعه بتقوى اللّه] و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه.

يا عباد اللّه إن اتّقيتم و حفظتم نبيّكم فى أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد و ذكرتموه بأفضل ما ذكر، و شكرتموه بأفضل ما شكر، و أخذتم بأفضل الصّبر و الشّكر، و اجتهدتم أفضل الاجتهاد، و إن كان غيركم أطول منكم صلاه و أكثر منكم صياما فأنتم أتقى للّه منه و أنصح لاولى الأمر.

احذروا يا عباد اللّه الموت و سكرته فأعدّوا له عدّته فإنّه يفجاكم بأمر عظيم: بخير لا يكون معه شرّ أبدا، أو بشرّ لا يكون معه خير أبدا، فمن أقرب إلى الجنّه من عاملها، و من أقرب إلى النّار من عاملها؟ انه ليس أحد من النّاس تفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أىّ المنزلتين يصير إلى الجنّه أم النّار؟ أعدوّ هو للّه أو ولىّ ؟ فإن كان وليّا للّه فتحت له أبواب الجنّه، و شرعت له طرقها و رأى ما أعدّ اللّه له فيها ففرغ من كلّ شغل، و وضع عنه كلّ ثقل، و إن كان عدوّا للّه فتحت له أبواب النّار، و شرع له طرقها، و نظر إلى مـا أعـدّ اللّه له فيها فاستقبل كلّ مكروه، و ترك كلّ سرور، كلّ هـذا يكون عنـد الموت و عنـده يكون بيقين، قال اللّه تعالى: «اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّهَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »، و يقول: «اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ ظالِمِى أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ما كُنّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ».

عباد اللّه إنّ الموت ليس منه فوت، فاحذروا قبل وقوعه، و أعدّوا له عدّه [عدّته - خ ل] فإنكم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم، و إن فررتم منه أدرككم، و هو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصيكم، و الدّنيا تطوى خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشّهوات، و كفى

بالموت واعظا، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كثيرا ما يوصى أصحابه بذكر الموت فيقول:

أكثروا ذكر الموت فانه هادم اللذّات حائل بينكم و بين الشهوات.

يا عباد اللّه ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت، القبر فاحذروا ضيقه و ضنكه و ظلمته و غربته، إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغربه، أنا بيت التراب أنا بيت الوحشه، أنا بيت الدّود و الهوام. و القبر روضه من رياض الجنّه، أو حفره من حفر النّار، إنّ العبد المؤمن إذا دفن قالت له الأرض: مرحبا و أهلا قد كنت من أحبّ أن تمشى على ظهرى فاذا وليتك فستعلم كيف صنيعى بك فيتّسع له مدّ البصر، و إنّ الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لا مرحبا بك و لا أهلا لقد كنت من أبغض من يمشى على ظهرى فاذا وليتك فستعلم كيف صنيعى بك فتضمّه حتّى تلتقى أضلاعه، و أنّ المعيشه الضنك الّتى حذّر اللّه منها عدوّه عذاب القبر انه يسلّط على الكافر فى قبره تسعه و تسعين تنينا فينهشن لحمه و يكسرن عظمه و يتردّدن عليه كذلك إلى يوم البعث، لو أنّ تنينا منها نفخ فى الأرض لم تنبت زرعا [زرعا أبدا - خ ل].

يا عباد اللّه إنّ أنفسكم الضعيفه، و أجسادكم الناعمه الرقيقه الّتى يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم و أنفسكم ممّا لا طاقه لكم و لا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحبّ اللّه و اتركوا ما كره اللّه.

يا عباد اللّه إنّ بعد البعث ما هو أشدّ من القبر يوم يشيب فيه الصغير و يسكر فيه الكبير و يسقط فيه الجنين و تذهل كلّ مرضعه عمّا أرضعت، يوم عبوس قمطرير يوم كان شرّه مستطيرا، إنّ فزع ذلك اليوم ليرهّب الملائكه الذين لا ذنب لهم و ترعد منه السبع الشداد، و الجبال الأوتاد، و الأرض المهاد، و تنشقّ السماء فهى يومئذ واهيه و تتغير فكأنّها ورده كالدّهان، و تكون الجبال سرابا مهيلا بعد ما كانت صمّا صلابا، و ينفخ فى الصور فيفزع من فى السموات و من فى الأرض إلاّ من شاء اللّه، فكيف من عصى بالسمع و البصر و اللسان و اليد و الرّجل و الفرج و البطن إن لم يغفر اللّه له و يرحمه من ذلك اليوم، لأنّه يصير إلى غيره: إلى نار

ص:٧٧

قعرها بعيـد و حرّها شديـد و شـرابها صديـد و عـذابها جديـد، و مقامعها حديـد لا يفتر عذابها و لا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمه و لا يسمع لأهلها دعوه.

و اعلموا يا عباد اللّه أنّ مع هذا رحمه اللّه الّتى لا تعجز العباد: جنّه عرضها كعرض السماء و الأرض اعدّت للمتّقين لا يكون معها شرّ أبـدا، لـذّاتها لا تملّ و مجتمعها لا يتفرّق، سـكّانها قـد جاوروا الرّحمن، و قام بين أيـديهم الغلمان بصـحاف من الـذّهب فيها الفاكهه و الريحان.

ثمّ اعلم يا محمّد بن أبى بكر أنّى قد ولّيتك أعظم أجنادى فى نفسـى أهل مصر فاذا ولّيتك ما ولّيتك من أمر الدّنيا فأنت حقيق أن تخاف فيه على نفسك، و أن تحـذر فيه على دينك، فإن اسـتطعت ألاّ تسـخط ربّك برضـى أحد من خلقه فافعل فإنّ فى اللّه عزّ و جلّ خلفـا مـن غيره و ليس فى شـىء سـواه خلـف منه. اشـتدّ على الظـالم و خـذ عليه، و لن لأهـل الخير و قرّبهم و اجعلهم بطائنك و أقرانك.

و انظر إلى صـلاتك كيف هى فانـك إمام لقومك أن تتمّها و لا تخفّفها فليس من إمام يصـلّى لقوم يكون فى صـلاتهم نقصان إلاّ كان عليه لا ينقص من صلاتهم شىء و تمّمها و تحفّظ فيها يكن لك مثل اجورهم و لا ينقص ذلك من أجرهم شيئا.

و انظر إلى الوضوء فإنّه من تمام الصّلاه: تمضمض ثلاث مرات، و استنشق ثلاثا، و اغسل وجهك ثمّ يدك اليمنى ثمّ اليسرى ثمّ امسح رأسك و رجليك فإنّى رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يصنع ذلك، و اعلم أنّ الوضوء نصف الإيمان.

ثمّ ارتقب وقت الصّـلاه فصـلّها لوقتها و لا تعجل بها قبله لفراغ و لا تؤخّرها عنه لشغل فإنّ رجلا سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن أوقات الصّلاه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

أتـانى جبرئيل عليه السّـلام فأرانى وقت الصّـلاه حين زالت الشـمس فكانت على حاجبه الأيمن، ثمّ أرانى وقت العصـر فكان ظلّ كلّ شـىء مثله، ثمّ صـلّى المغرب حين غربت الشـمس، ثمّ صـلى العشاء الاخره حين غاب الشـفق، ثمّ صلّى الصبح فأغلس بها و النّجوم مشتبكه فصلّ لهذه الأوقات، و الزم السنّه المعروفه و الطريق الواضح.

ثمّ انظر ركوعك و سجودك فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان أتمّ الناس صلاه

و أخفّهم عملا فيها.

و اعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلاتك فمن ضيّع الصّلاه فانّه لغيرها أضيع.

أسأل اللّه الّذى يرى و لا يرى و هو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا (فى امالى المفيد: على أن يعيننا) و إيّاك على شكره و ذكره و حسن عبادته و أداء حقّه و على كلّ شيء اختار لنا فى دنيانا و ديننا و آخرتنا.

و أنتم يا أهل مصر فليصدّق قولكم فعلكم و سرّكم علانيتكم و لا يخالف ألسنتكم قلوبكم. و اعلموا أنه لا يستوى إمام الهدى و إمام الرّدى، و وصيّ النّبى عليه السّلام و عدوّه، إنّى لا أخاف عليكم مؤمنا و لا مشركا أمّا المؤمن فيمنعه اللّه بإيمانه، و أمّا المشرك فيحجزه اللّه عنكم بشركه و لكنّى أخاف عليكم المنافق يقول ما تعرفون و يعمل بما تنكرون.

يا محمّد بن أبى بكر اعلم أنّ أفضل الفقه الورع فى دين اللّه، و العمل بطاعته، و أنّى اوصيك بتقوى اللّه فى سرّ أمرك و علانيتك و على أيّ حال كنت عليه، الدّنيا دار بلاء و دار فناء، و الاخره دار الجزاء و دار البقاء، فاعمل لما يبقى و اعدل عمّا يفنى، لا تنس نصيبك من الدّنيا.

اوصيك بسبع هنّ جوامع الإسلام: تخشى اللّه عزّ و جلّ و لا تخش النّاس فى اللّه و خير القول ما صدّقه العمل، و لا تقض فى أمر واحد بقضائين مختلفين فيختلف أمرك و تزيغ عن الحقّ ، و أحبّ لعامّه رعيتك ما تحبّ لنفسك و أهل بيتك و اكره لهم ما تكره لنفسك و أهل بيتك فإنّ ذلك أوجب للحجّه و أصلح للرعيّه و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف فى اللّه لومه لائم، و انصح المرأ إذا استشارك، و اجعل نفسك (لنفسك خ ل) اسوه لقريب المسلمين و بعيدهم. جعل اللّه مودّتنا فى الدّين، و حلّنا و إيّاكم حلّه المتقين(١) و ابقى لكم طاعتكم حتّى يجعلنا و إيّاكم

ص:٧٩

١- (١) فى النسخه المطبوعه من أمالى الطوسى: و خلتنا و اياكم خله المتقين، و فى أمالى المفيد: و جعلنا و اياكم حليه المتقين، لكن الصواب ما فى المتن المنقول من تلك النسخه المخطوطه، و ما فى النسخ المطبوعه مصحفه. منه.

بها اخوانا على سرر متقابلين.

أحسنوا أهل مصر موازره محمّد أميركم، و اثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيّكم صلّى اللّه عليه و آله. أعاننا اللّه و إيّاكم على ما يرضيه. و السّلام عليكم و رحمه اللّه و بركاته.

قلت: صوره العهد على روايه الشيخين تصدّق ما نقلناه آنفا عن كتاب الغارات أكثر تصديق من أنّ محمّد بن أبى بكر كتب إلى أمير المؤمنين عليه السّلام أنه لا علم لى بالسنّه فكتب عليه السّلام إليه كتابا فيه أدب و سنّه، و إلاّ لم يكن فى روايه أبى إسحاق إبراهيم فى كتاب الغارات كلام فى السنّه إلاّ قوله عليه السّلام فى جبايه الخراج و الصّلاه و الوضوء مجملا.

و كذلك يصدّقه ما رواه ابن شعبه فى التحف حيث قال الأمير عليه السّلام:

أمّا بعد فقد وصل إليّ كتابك و فهمت ما سألت عنه و أعجبنى بما لا بدّ لك منه - إلخ.

صوره العهد على روايه أبى جعفر محمد بن أبى القاسم الطبرى

فى كتابه بشاره المصطفى لشيعه المرتضى

و أمّا صوره العهد على روايه عماد الدّين الطبرى فى كتابه بشاره المصطفى لشيعه المرتضى فهى أيضا توافق صورته على روايه الشيخين قدّس أسرارهم قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمّد الحسن بن الحسين بن بابويه قرأته عليه بالرّى سنه عشره و خمسمائه قال: حدّثنا السعيد أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسى قال: حدّثنا الشّيخ المفيد أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد - إلى آخر السّند المذكور آنفا من أمالى الطوسى - و نقل العهد إلى قوله عليه السّلام: فأنتم أتقى للّه عزّ و جلّ منه و أنصح لاولى الأمر، ثمّ قال: قال محمّد بن أبى القاسم: الحديث طويل لكنّى أخذته إلى هاهنا لأنّ غرضى كان فى هذه الألفاظ الأخيره فإنّها بشاره حسنه لمن خاف و اتّقى و تولّى أهل المصطفى و الخبر بكماله أوردته فى كتاب الزهد و التقوى. انتهى كلامه - ره -.

ص:٨٠

(فاخفض) أی ألن لهم جانبک. و الجناح هاهنا هو الجنب أی کن ليّن الجانب لرعيّتک و لا تغلظ عليهم قال اللّه تعالی: «وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ». (رهن) بضمّ الراء و الهاء جمع رهن (و ابسط لهم وجهک) أی کن طلق الوجه لهم. (آس) أمر من المواساه يقال آساه بماله مواساه أی أناله منه و جعله فيهم اسوه. و لا يقال واساه بل هو لغه رديه کما فی القاموس. و يقال آسيت بين القوم إذا أصلحت و آسيت بينهم ای جعلت بعضهم اسوه بعض، و المراد من المواساه ههنا المساواه أی سوّ بينهم و تقديره اجعل بعضهم اسوه بعض. (المترفون) المنعمون الترفه بالضمّ : النعمه، و أترفته النعمه أطغته (الحيف): الجور. (فحظوا) الحظوه بالضمّ و الکسر و الحظه کعده: المکانه و الحظّ من الرزق و الفعل من باب علم. قال محمّد بن بشير (الحماسه ۴۳۶ من شرح المرزوقی):

أخلق بذی الصبر أن يحظی بحاجته و مد من القرع للأبواب أن يلجا

أی أن يظفر بطلبته.

(المشهد): المحضر، خلاف المغيب. (أن يجبی) ای أن يجمع من الجبايه. القسطاس بالضمّ و الکسر الميزان، أو أقوم الموازين، أو هو ميزان العدل أیّ ميزان کان کالقسطاس أو رومی معرّب.

(آثر) أی اختار. (يتمنّون عليه) التمنّی تشهّی حصول الأمر المرغوب فيه.

(شرع له) أی فتح له.

(مثوی) أی مقام و منزل. (طرداء) جمع طريد أی مطرود، و الطريده ما طردت من صيد أو غيره، و طردته نفيته عنّی.

(هادم اللذّات) الهدم بالدال المهمله نقض البناء، و قد ضبطه بعضهم بالذال المعجمه من الهذم بمعنی القطع. و فی أساس البلاغه للزمخشری: هذمه أسرع قطعه.

و سيف مخذم و مهذم و هذام.

ص:۸۱

(ضمّته) الضمّ قبض الشيء إلى الشيء و قد ضمّه فانضمّ إليه و معنى ضمّه القبر بالفارسيّه فشارش قبر.

(فاذا ولّيتك) أى ملكتك، من ولى الشيء بكسر العين فى الماضى و المضارع ولايه و ولايه بكسر الواو و فتحها إذا قام به و ملك أمره.

(أجناد) جمع الجند بمعنى العسكر. (محقوق) أى حقيق و جدير.

(تنافح) نافحت عنه أى خاصمت عنه، و جاهدت و ذبت و دافعت، و يقال:

نافحه إذا كافحه و دافعه.

(تنهش) نهشه كمنعه نهسه و لسعه و عضّه و بالفارسيه: گزيد او را.

(قمطريرا) أى شديدا. (مقامعها) جمع المقمعه أى العمود. (الصديد) ما يخرج من جوف أهل النّار من القيح و الدّم.

(صحاف) جمع صحفه من أعظم القصاع، و يقال بالفارسيّه: كاسهٔ بزرگ.

(و الّذين يلونهم) أى يكونون بعدهم. (المحجّه): الطريقه. (اسوه) بحركات الهمزه و سكون السين أى قدوه يقتدى القريب و البعيد بها.

(يقمعه) أى يقهره و يذلّله. (خض الغمرات) أمر من الخوض أى ادخل الشدائد. (خلّتنا) الخلّه الصّيفه، و أمّا على نسخه أمالى الطوسى: و حلّنا و إيّاكم حلّه المتّقين فظاهر.

الاعراب

(عن الصّغيره) متعلّق بقوله يسائلكم، (معشر عباده) منادى مضاف وقع فى البين. (حين ما يعمل بطاعه اللّه) ما مصدريه و منا صحته معطوف على المصدر.

كلمه ما فى قوله:(بأفضل ما سكنت) و فى أخواته مصدريه أى استعملوها على الوجه الّذى ينبغى. و الباء فى قوله (بالزاد المبلغ) بمعنى مع (من آل محمّد) بيان لأولياء اللّه. (ما كنّا نعمل من سوء) كلمه ما: نافيه أو استفهاميّه. (رحمه اللّه الّتى وسعت كلّ شيء لا تعجز عن العباد) قيل: رحمه اللّه مبتداء و الّتى خبرها و لا تعجز

ص:٨٢

خبر بعد خبر، و لكن الظاهر من تنسيق الكلام أنّ الّتى صفه لها و لا تعجز خبر لها (و لا ينقص من صلاتهم شيئا) نقص لازم و متعدّ. (تصدّق أقوالكم أفعالكم) أقوالكم مفعول به مقدّم على الفاعل أعنى أفعالكم.

المعنى

هذا العهد الشريف يحتوى فى أمر المعاد ما لا يحتويها غيره من خطبه و وصاياه و عهوده كما يظهر ذلك لك بالتأمّل فى سائر كلامه عليه السّلام، حتّى أنّ العهد الّذى كتبه إلى مالك رضوان اللّه عليه و هو أطول عهوده، و أنّ الكتاب الّذى كتبه إلى ابنه الحسن المجتبى عليه السّلام و هو أطول كتبه و وصاياه و من جلائلها لا يشتملان على معارف و حقائق فى المعاد، توجد فى هذا العهد القويم، و إن كان نبذه من كتابه إلى الحسن عليه السّلام فى ذلك و لكنّها لا يقاس إلى ما فى هذا العهد من دقائق و رقائق فى المعاد، و أمّا العهد الّذى كتبه إلى المالك فهو و إن كان من محاسن كتبه عليه السّلام و لكنّه برنامج الوظائف الاجتماعيّه و المدنيّه.

و بالجمله كتابه عليه السّلام هذا إلى محمّد بن أبى بكر يفتح أبوابا إلى معرفه ذلك المطلب الأسنى و المقصود الأسنى أعنى المعاد و أحوال الناس فيه، و شرحه على التفصيل ينجرّ إلى إطناب، و لذا نعرض عنه و نكتفى بشرحه الإجمالى و نشير إلى طائفه من معانى أقواله عليه السّلام و الأخبار الاخرى فى المقام على ما يقتضيه الحال و تفصيله يطلب من كتابنا المسمى بالقيامه فنقول مستعينا بمن له الاخره و الاولى:

قوله عليه السّلام:(فاخفض لهم جناحك-إلخ)أمره أن لا يغلظ على الرعيّه و أن يكون ليّن الجانب لهم، و خفض الجناح كنايه عن التواضع و اللّين و الانقياد و التسليم، كما ترى من دأب الطير إذا تواضع أحدها الاخر يخفض جناحه عنده.

و روى الكلينى قدّس سرّه فى الكافى باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك اللّه به طريقا إلى الجنّه و أنّ الملائكه لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى به - الخبر، و فى سوره الاسرى من القرآن الكريم: «وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي »

«صَغِيراً »، و قال عزّ من قائل خطابا لرسوله صلّى اللّه عليه و آله: «وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ ».

و روی الشّیخ الجلیل حسن بن زین الدّین الشّهید الثانی فی أوائل کتاب معالم الدّین فی الاصول مسندا عن الأصبغ بن نباته عن أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام قال:

تعلّموا العلم فانّ تعلّمه حسنه - إلی أن قال علیه السّلام: و ترغب الملائکه فی خلّتهم یمسحونهم بأجنحتهم فی صلاتهم لأنّ العلم حیاه القلب و نور الأبصار من الهدی - الخبر.

و لا یخفی علیک أنّ الجناح فی قوله علیه السّلام: فاخفض لهم جناحک، لا یحمل علی معناه المطابقی الحقیقی، و کذا فی الایتین المذکورتین و کأنّ المراد من أجنحه الملائکه أیضا کنایه عن تواضعهم لبغاه العلم فی الخبر الأوّل، و بمعنی لطیف أدقّ و أشمخ من هذا فی الخبر الثانی حیث قال علیه السّلام: یمسحونهم بأجنحتهم فی صلاتهم و معلوم أنّ مسح الجناح المؤلّف من العظم و اللّحم و الریش و غیرها بالمصلّی لا یزید فی کماله و تقرّ به إلی اللّه فالمسح بالأجنحه فی الخبر محمول علی ارتباط سرّ المصلّی العالم إلی عالم القدس، و لمّا کانت المعانی تنزلت من مقامها من غیر خلوّها عن مرتبتها کاسیه بلباس ألفاظ هذه النشأه، فلا بدّ للبصیر أن تجعل الألفاظ روازن إلی رؤیه معانیها الأوّلیّه، قال ثقه المحدّثین الشّیخ الصّدوق رضوان اللّه علیه فی رسالته فی الاعتقادات: اعتقادنا فی اللّوح و القلم أنّهما ملکان، و قال المعلّم الثانی أبو نصر الفارابی قدّس سرّه فی الفصوص:

فلیتدبّر فی قوله تعالی فی أوّل سوره الفاطر: «اَلْحَمْدُ لِلّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِکَهِ رُسُلاً أُولِی أَجْنِحَهٍ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ یَزِیدُ فِی الْخَلْقِ ما یَشاءُ إِنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ ».

و أفاد المتألّه السبزواری قدّس سرّه فی بیان الایه المبارکه فی شرحه علی الفصل الرابع و الثمانین من الدّعاء المعروف بالجوشن الکبیر بقوله: و لا نبالی بأن یکون لرقائقهم المثالیّه و أشباحهم الصوریّه أجنحه و لهم طیران و سیر کما أنّ لکلّ حقیقه من حقائقهم المعنویّه حقیقه الجناح من جناح القوّه العلاّمه و جناح

ص:۸۴

القوّه العمّاله و حقيقه الطيران و السير من الدرك و الفعل كما سمّى بعضهم القوى المدركه من النّفس النّاطقه بالطّياره و المحرّكه بالسّياره، و قال فى هامش الكتاب فى بيان قوله: بأن يكون لرقائقهم المثاليه - إلخ - لأنّ لكلّ معنى صوره و لكلّ حقيقه رقيقه كما أنّ لسنى الرخا صوره هى البقرات السمان و لسنى القحط صوره هى البقرات العجاف و قس عليه و التعبير كالتأويل.

قوله عليه السّلام:(و آس بينهم - إلخ) ثمّ أمره بالمساواه معهم حتّى فى اللّحظه و النظره لئلاّ يطمع العظماء فى حيفه مع الرّعيه و لا ييأس الضعفاء من عدله عليهم و قد مضى كلامنا فى العدل و المساواه فى شرح الكتاب الثالث أعنى كتابه عليه السّلام لشريح القاضى لمّا اشترى دارا بثمانين دينارا.

ثمّ علل أمره بالمساواه و العدل حتّى فى اللّحظه و النّظره بقوله:(فإنّ اللّه يسائلكم - إلخ) كى لا يظنّ أنّ عدم التسويه فى اللّحظه و النّظره ممّا لا يعتنى به و لا يحاسب عليه (فإن يعذّبهم اللّه فهم أظلم و إن يعفو فهو أكرم) و الأفعل ههنا ليس أفعل التفضيل بل هو أفعل الوصف نظير قوله تعالى: «أَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ » أى ليس بظالم، و ذلك لأنّ صدور الظلم كثيره و قليله منه تعالى قبيح عقلاء فمن ارتكب المعاصى فهو ظالم لنفسه و إن تاب عنها إليه تعالى و زكّى نفسه من درنها فقد أفلح و عفا اللّه عنه و هذا كرم ناله من اللّه تعالى، فإنّ اللّه أمر بالخير و نهى عن الشرّ.

قوله عليه السّلام:(و اعلموا عباد اللّه - إلخ) وصف المتّقين ترغيبا لعباد اللّه إلى التّقوى، و إنما قال:(إنّهم سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما اكلت) لأنّ مكسبهم كان على وجه حلال و طريق صواب فملبسهم و مأكلهم و مشربهم كلّها قد تهيّأت على ذلك الوجه و لم يكن لهم فيها وزر و لا وبال و المترفون و الجبابره المتكبّرون، لم يأخذوا من دنياهم إلاّ على قدر ما يحتاج الانسان أن يعيش و تركوا ما زاد منها على حسره هى أشدّ من نار جهنّم ألما:

ص:85

این بدر می رود از باغ بصد حسرت و داغ و آن چه دارد که بحسرت بگذارد آنرا

على أنه قد لزمهم أوزارها من مظالم العباد و غيرها، قال تعالى: «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ » - الايه (آل عمران ۱۸۱) و فى الخبر عن الباقر عليه السّلام: الّذى يمنع الزكاه يحوّل اللّه تعالى ماله يوم القيامه شجاعا من نار له ريمتان فتطوّقه ثمّ يقال له الزمه كما لزمك فى الدّنيا و هو قوله اللّه تعالى: «سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ » الايه (ماده نور من سفينه البحار) ثمّ تأمّل أيها البصير فى قوله عليه السّلام يحوّل اللّه تعالى ماله يوم القيامه شجاعا من نار، ثمّ فى قوله عليه السّلام يقال له: الزمه كما لزمك فى الدّنيا فإنّ هذا الخبر يفتح لك بابا من المعرفه فى أحوال الناس يوم القيامه.

و بالجمله إنّ المتقين شاركوهم فى دنياهم و انقلبوا عنها مع ما كسبوا و قدّموا لأنفسهم من الزاد المبلغ و المتجر المربح و لم يشاركهم أهل الدّنيا فى تلك النعمه العظمى و العطيّه الكبرى.

قال عزّ من قائل: «وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى » (البقره ۱۹۸). و قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخطبه ۱۸۰ أوّلها روى عن نوف البكالى إلخ: و ازمع الترحال عباد اللّه الأخيار و باعوا قليلا من الدّنيا لا يبقى بكثير من الاخره لا يفنى.

ثمّ ينبغى لك النظر حقّه فى قوله عليه السّلام (و تيقّنوا أنهم جيران اللّه غدا فى آخرتهم لا تردّ لهم دعوه و لا ينقص لهم نصيب من لذّه) حيث أخبر عليه السّلام عن المتّقين بأنّ صفه اليقين الكريمه بلغتهم إلى تلك الدّرجه الرفيعه فى آخرتهم و من بلغ إلى تلك الرتبه المنيعه لا تردّ له دعوه و ليست لذّه ينقص لهم نصيبها و ذلك لأنّ الموقنين داوموا الحضور عنده تعالى فى هذه النشأه الدنياويه و ليس الشهود الحقيقى إلاّ واحدا و البيت واحد و ربّ البيت واحد بل ليس فى الدار غيره ديّار بل أينما تولّوا فثمّ وجه اللّه بل هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن و الدّنيا مزرعه الاخره و نعم ما قال كعبه العاشقين سيّد الشهداء أبو عبد اللّه الحسين روحى

ص:۸۶

له الفداء فى دعاء العرفه، نعم.

بأبه اقتدى عدىّ فى الكرم و من يشابه أبه فما ظلم

حيث قال عليه السّلام: و أنت الّذى أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتّى لم يحبّوا سواك و لم يلجئوا إلى غيرك أنت المونس لهم حيث أوحشتهم العوالم، و أنت الّذى هديتهم حيث استبانت لهم المعالم، ما ذا وجد من فقدك، و ما الّذى فقد من وجدك.

قوله عليه السّلام:(فاحذروا عباد اللّه الموت و قربه - إلخ) المراد من الحذر عن الموت الحذر عن الأهوال الّتى يراها غير المؤمن عند الموت فكأنه عليه السّلام أمرهم أن يجعلوا الموت نصب أعينهم فإنّ من جعله نصب عينه زهّده فى الدّنيا و رغّبه فى الاخره و حثّه إلى إعداد عدّته، و من كلام سيّد الساجدين عليه السّلام فى الدّعاء الأربعين من الصحيفه: و انصب الموت بين أيدينا نصبا و لا تجعل ذكرنا له غبّا.

ثمّ علّل الأمر بالحذر بقوله (فانّه) أى الموت (يأتى بأمر عظيم و خطب جليل).

روى الكلينى فى الكافى باسناده عن عبد اللّه بن سنان عمّن سمع أبا جعفر عليه السّلام يقول لمّا حضرت الحسن عليه السّلام الوفاه بكى فقيل له: يا ابن رسول اللّه تبكى و مكانك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الّذى أنت به و قد قال فيك ما قال و قد حججت عشرين حجّه ماشيا و قد قاسمت مالك ثلاث مرات حتّى النعل بالنّعل ؟ فقال عليه السّلام: إنما أبكى لخصلتين: لهول المطّلع، و فراق الأحبّه (الوافى فى باب ما جاء فى الحسن بن علىّ عليهما السّلام ص ۱۷۴ ج ۲).

قوله عليه السّلام:(بخير لا يكون معه شرّ أبدا أو شرّ لا يكون معه خير أبدا) معنى الجمله الاولى ظاهر و انما الكلام فى معنى الثانيه لأنّ أخبار البرزخ دالّه على أنّ أقواما معذبون فى البرزخ و ينقطع منهم العذاب بعد البرزخ فقد روى الكلينى قدّس سرّه فى الكافى باسناده عن عبد الرّحمن بن عبّاد عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: إنّى سمعت و أنت تقول: كلّ شيعتنا فى الجنّه على ما كان منهم قال: صدقتك كلّهم و اللّه فى الجنّه قال: قلت: جعلت فداك إنّ الذّنوب كثيره كبار فقال: أمّا فى القيامه فكلّكم فى الجنّه بشفاعه النبىّ المطاع أو وصىّ النبى و لكنّى

و اللّه أتخوّف علیکم فی البرزخ قلت: و ما البرزخ ؟ قال: القبر منذحین موته إلی یوم القیامه (الوافی ص ۹۴ ج ۱۳).

و الظاهر أنه علیه السّلام أراد بکلامه هذا عاقبه امور الناس فی الاخره لأنّ ما یستفاد من ضمّ الایات القرآنیّه و تصدیق بعضها بعضا و تفسیر بعضها بعضا أنّ مال النّاس فی الاخره إلی أمرین أعنی أنهم ینقسمون آخر الأمر إلی فریقین فریق فی الجنّه و فریق فی النّار. قال عزّ من قائل: «یَوْمَ تَبْیَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِینَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ کَفَرْتُمْ بَعْدَ إِیمانِکُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ وَ أَمَّا الَّذِینَ ابْیَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِی رَحْمَتِ اللّهِ هُمْ فِیها خالِدُونَ » (آل عمران ۱۰۸).

و قال تعالی: «یَوْمَ یَأْتِ لا تَکَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِیٌّ وَ سَعِیدٌ فَأَمَّا الَّذِینَ شَقُوا فَفِی النّارِ لَهُمْ فِیها زَفِیرٌ وَ شَهِیقٌ خالِدِینَ فِیها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّکَ إِنَّ رَبَّکَ فَعّالٌ لِما یُرِیدُ وَ أَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّهِ خالِدِینَ فِیها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّکَ عَطاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ » (هود ۱۰۶-۱۰۹). و قال تعالی: «وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُری وَ مَنْ حَوْلَها وَ تُنْذِرَ یَوْمَ الْجَمْعِ لا رَیْبَ فِیهِ فَرِیقٌ فِی الْجَنَّهِ وَ فَرِیقٌ فِی السَّعِیرِ » (الشوری ۸). و اللّه تعالی أعلم بکلام أولیائه.

قوله علیه السّلام:(فمن أقرب إلی الجنّه من عاملها، و من أقرب إلی النار من عاملها) تحت هذا الکلام أیضا سرّ لمن کان له قلب لأنّه علیه السّلام قال: فمن أقرب إلی الجنّه من عامل الجنّه و کذا من أقرب إلی النار من عامل النار فمن عمل الحسنات فهو عامل الجنّه، و من ارتکب السیئات فهو عامل النار و لم یقل علیه السّلام فمن أقرب إلی الجنّه ممّن عمل ما یجرّه إلی الجنّه، أو من أقرب إلی النار ممّن عمل ما یدخله النار و نحوهما من العبارات. فمن عمل الحسنات فهو عامل جنّته، و من عمل السیئات فهو عامل ناره فتبصّر.

و قال تعالی: «کَذلِکَ یُرِیهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَیْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِینَ مِنَ النّارِ » (البقره ۱۶۸).

و قال تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً » (آل عمران: ٣٠) و قال تعالى: «وَ لا تُجْزَوْنَ إِلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (يس: ۵۴) لم يقل بما كنتم أو ممّا كنتم و نحوهما فتدبّر.

قوله عليه السّلام:(فاحذروا نارا قعرها بعيد و حرّها شديد و عذابها جديد) أمّا كونها بعيد القعر فلأنّها من دار الاخره و قال عزّ من قائل: «وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاّ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ » (العنكبوت ۶۵) فنارها حيّه بحياتها الذّاتيه لها فاذا أضفت كلامه هذا إلى قوله عليه السّلام: و من أقرب إلى النار إلى عاملها ينتج أنها ليست من عالم الخلق بل هو من عالم الأمر و كلّ ما فى عالم الأمر غير متصفه بصفات الخلق الناقصه المحدوده جدّا المستحيله المتبدّله آنا فانا فظهر معنى كونها بعيد القعر لمن وقف على ما اشرنا إليها موجزه.

و قال بعض الأعاظم: و من أعجب ما روينا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنه كان قاعدا مع أصحابه فى المسجد فسمعوا هدّه عظيمه فارتاعوا فقال صلّى اللّه عليه و آله: أ تعرفون ما هذه الهدّه ؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم. قال: حجر ألقى من أعلى جهنّم منذ سبعين سنه الان وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها و سقوطه فيها هذه الهدّه، فما فرغ من كلامه عليه السّلام إلاّ و الصّراخ فى دار منافق من المنافقين قد مات و كان عمره سبعين سنه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: اللّه أكبر فعلم علماء الصحابه أنّ هذا الحجر هو ذلك المنافق، و أنّه منذ خلقه اللّه يهوى فى جهنّم و بلغ عمره سبعين سنه فلما مات حصل فى قعرها، قال اللّه تعالى: «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ »، فكان سمعتهم تلك الهدّه الّتى أسمعهم اللّه ليعتبروا فانظر ما أعجب كلام النبوّه و ما ألطف تعريفه و ما أغرب كلامه، انتهى كلامه.

و أما كونها شديد الحرّ فلأنّ النّار ما دامت فى كسوه المادّه الدّنيا ويّه لم يظهر سلطان أثرها و تعوقها المادّه عن ذلك و كأنّها مغموره تحت رماد فاذا خلصت منها و خرجت عن غلافها تؤثّر أثرها التّام.

و أمّا أنّ عذابها جديد فكأنّ أمير المؤمنين روحى له الفداء يشير بقوله هذا

إلى قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً » (النساء ۵۷) و البحث فی المقام ینجر إلی الاطناب و یطلب فی کتابنا القیامه.

قوله علیه السّلام:(دار لیس فیها رحمه و لا تسمع فیها دعوه و لا تفرّج فیها کربه) قال عزّ من قائل: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لا بَیْعٌ فِیهِ وَ لا خُلَّهٌ وَ لا شَفاعَهٌ وَ الْکافِرُونَ هُمُ الظّالِمُونَ » (۲۵۵، البقره) فتدبّر أیّها العاقل فی قول اللّه تعالی و قول خلیفته و انظر إلی ما أنت فیه و لیس المحشور إلاّ أنت و لا یمکن سلبک و انتزاعک منک و لا یمکنک الفرار من نفسک فما عملته فهو جزاؤک قال اللّه المتعال: «إِنَّما تُجْزَوْنَ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ».

قوله علیه السّلام:(إمام الهدی) یعنی به نفسه (و إمام الرّدی) هو معاویه، و کذلک (ولیّ النّبی) هو علیّ علیه السّلام (و عدوّ النبیّ) هو عدوّ اللّه معاویه، و أمّا قوله (فإنه لا سواء) فذلک لأنّ بعد الحقّ لیس إلاّ الضلال کما قال عزّ من قائل: و ما ذا بعد الحقّ إلاّ الضلال، و لا یخفی علیک أنه لا یستوی النور و الظلمه و لا العلم و الجهل و لا الظلّ و لا الحرور و لا الحیّ و المیّت، و لا الحقّ و الباطل، و لا علیّ و معاویه.

قوله علیه السّلام (کلّ منافق الجنان) یعنی به عدوّا النبیّ و إمام الرّدی فهو شرّ من المشرک الّذی یقمعه اللّه بشرکه.

الترجمه

اشاره

این فرمانی است که أمیر علیه السّلام به محمّد بن أبی بکر در وقتی که از قبل وی والی مصر بود نوشت: با مردم فروتن و نرم و گشاده روی باش، و در لحاظ و نظر با همه یکسان تا بزرگان در تو طمع ستم نکنند، و ناتوانان ازدادت ناامید نشوند چه خدای بزرگ از کار بزرگ و کوچک و پوشیده و آشکار شما می پرسد پس اگر شکنجه دهد بستم ما است و اگر ببخشد بکرم او است.

ای بندگان خدا بدانید که پرهیزکاران هم دنیا دارند و هم آخرت را چه انباز أهل دنیا در دنیایشان بودند و اهل دنیا با آنان در آخرتشان انباز نیستند.

در دنیا بـه بهـترین وجـه زیسـت کردنـد و بهـترین غـذا خوردنـد و بهره کـه خـوش گـذرانان داشـتند نیز داشـتند، و آنچـه که گردنکشان خودبین از دنیا گرفتنـد نیز گرفتنـد، سـپس از آن کوچ کردنـد با توشـهٔ رسا و بازرگانی سودمنـد. مزهٔ ترک دنیا را چشـیدند، و بمقام یقین همجواری خـدا در آخرت رسـیدند. خواسـته شان رد نمی شود و بهرهٔ لذّتشان کم نمی گردد، پس ای بنـدگان خـدا از مرگ و زود فرا رسـیدنش بترسـید و زاد و توشهٔ راه گرد آورید زیرا مرگ امر بزرگی در پیش دارد که آن تا ابد یا خیر بدون شرّ است، یا شرّ بدون خیر چه کسـی به بهشت به سازندهٔ آن نزدیکتر است ؟ و چه کسی باتش بفراهم کنندهٔ آن ؟. بدانید که شـما راندهٔ مرگید اگر بایستید بگیرد و اگر بگریزید برسد از سایهٔ شـما بشـما وابسـته تر است. مرگ به پیشانی تـان گره زده است و دنیـا طومـار عمرتان را در می نوردد پس بترسـید از آتشـی که ته آن دور است و سوزنـدگیش سـخت و شکنجه های آن پی در پی. سـرایی که در آن رحمت نیست، و گوش بگفتار کسی داده نمی شود و اندوهی گشوده نمی شود اگر می توانید هم سخت از خدا بترسید و هم نیک بدو خوش گمان باشید که خوش گمانی بنده بخدایش باندازه ترسش از او است، آن کس خوش گمان تر است که ترس او بیشتر است.

بدان ای محمّد بن أبی بکر که ترا بر بزرگترین سـپاهیانم در نظرم یعنی مردم مصـر ولایت دادم لذا برایت سـزاوار این است که از خود روگردان باشـی و دینت را نگهبان اگر چه ساعتی بیش از عمرت نمانـده باشد پس خدا را بخرسـند داشـتن آفریده اش بخشم میار چه عوض از خدا توان یافت و از غیر او نی.

نماز را به وقتش بخوان نه درگاه فراغ پیش از وقت، و نه در صورت اشتغال پس از آن، و بدان هر کارت پیرو نماز تست.

و برخی از این عهد این است:

زیرا پیشوای راهنما (علی علیه السّلام)، و پیشرو نابودی و گمراهی معاویه ()

ص:۹۱

و دوست پیمبر و دشمن وی یکسان نیستند. پیمبر به من گفت که نه از امت مؤمنم بیمناکم و نه از مشرک، زیرا خدا مؤمن را بایمانش نگه دارد و مشرک را بشرکش خوار کند، ولی ترسم بر شما از منافق است که بگفتارش آشنائید و بکردارش بیگانه.

و من کتاب له علیه السلام الی معاویه و هو من

محاسن الکتب - و هو المختار الثامن و العشرون

من باب الکتب

أمّا بعد فقد أتانی کتابک تذکر فیه اصطفاء اللّه تعالی محمّدا صلّی اللّه علیه و سلّم لدینه، و تأییده إیّاه بمن أیّده من أصحابه فلقد خبأ لنا الدّهر منک عجبا إذ طفقت تخبرنا ببلاء اللّه عندنا، و نعمته علینا فی نبیّنا فکنت فی ذلک کناقل التّمر إلی هجر [هجر - معا]، أو داعی مسدّده إلی النّضال.

و زعمت أنّ أفضل النّاس فی الإسلام فلان و فلان فذکرت أمرا إن تمّ اعتزلک کلّه، و إن نقص لم یلحقک ثلمه، و ما أنت و الفاضل و المفضول و السّائس و المسوس [و الفاضل و المفضول و السّائس و المسوس - معا]، و ما للطّلقاء و أبناء الطّلقاء و التّمییز [و التّمییز - معا] بین المهاجرین الأوّلین و ترتیب [ترتیب - معا]

درجاتهم، و تعریف [تعریف - معا] طبقاتهم ؟ هیهات لقد حنّ قدح لیس منها و طفق یحکم فیها من علیه الحکم لها.

أ لا ـ تربع أیّها الإنسان علی ظلعک و تعرف قصور ذرعک، تتأخّر حیث أخّرک القدر؟ فما علیک غلبه المغلوب، و لا لک ظفر الظّافر، و إنّک [فإنّک - خ] لذهّاب فی التّیه، روّاغ من القصد، أ لا تری - غیر مخبّر لک - لکن بنعمه اللّه أحدّث، أنّ قوما من المهاجرین استشهدوا فی سبیل اللّه - و لکلّ فضل - حتّی إذا استشهد [شهید [نا]] قیل: سیّد الشّهداء و خصّه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بسبعین تکبیره عند صلاته علیه ؟ أ و لا ـ تری أنّ قوما قطعت أیدیهم فی سبیل اللّه - و لکلّ فضل - حتّی إذا فعل بواحد منّا کما فعل بواحدهم، قیل: الطّیّار فی الجنّه و ذو الجناحین ؟ و لولا ما نهی اللّه عنه من تزکیه المرء نفسه لذکر ذاکر فضائل جمّه تعرفها قلوب المؤمنین، و لا تمجّها آذان السّامعین، فدع عنک من مالت به الرّمیّه فإنّا صنائع ربّنا و النّاس بعد صنائع لنا، لم یمنعنا قدیم عزّنا و عادیّ طولنا علی قومک أن خلطناکم بأنفسنا فنکحنا و أنکحنا فعل الأکفاء و لستم هناک، و أنّی یکون ذلک کذلک و منّا النّبیّ و منکم المکذّب، و منّا أسد اللّه و منکم

ص:۹۳

أسد الأحلاف، و منّا سيّدا شباب أهل الجنّه و منكم صبيه النّار، و منّا خير نساء العالمين و منكم حمّاله الحطب، فى كثير ممّا لنا و عليكم، فإسلامنا ما قد سمعتم [سمع]، و جاهليّتنا لا تدفع، و كتاب اللّه يجمع لنا ما شذّ عنّا و هو قوله سبحانه: «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللّهِ »، و قوله تعالى: «إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ »، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلى بِالْقَرابَهِ وَ تارَةً أَوْلى بِالطّاعَهِ . و لمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السّقيفه برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم، و إن يكن بغيره فالأنصار على دعويهم. و زعمت أنّى لكلّ الخلفاء حسدت، و على كلّهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجنايه عليك فيكون العذر إليك و تلك شكاه ظاهر عنك عارها. و قلت: إنّى كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع و لعمر اللّه لقد أردت أن تذمّ فمدحت، و أن تفضح فافتضحت، و ما على المسلم من غضاضه فى أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا فى دينه

و لا- مرتابا بيقينه، و هـذه حجّتى إلى غيرك قصدها و لكنّى أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها. ثمّ ذكرت ما كان من أمرى و أمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأيّنا كان أعدى له و أهدى إلى مقاتله ؟ أ من بذل له نصرته فاستقعده و استكفّه، أم من استنصر فتراخى عنه، و بثّ المنون إليه حتّى أتى قدره عليه ؟ كلاّ و اللّه لقد علم اللّه المعوّقين منكم و القائلين لإخوانهم هلمّ إلينا و لا تأتون البأس إلاّ قليلا. و ما كنت لأعتذر من أنّى كنت أنقم عليه أحداثا فإن كان الذّنب إليه إرشادى و هدايتى له فربّ ملوم لا- ذنب له، و قد يستفيد الظّنّه المتنصّح. و ما أردت إلاّ الإصلاح ما استطعت و ما توفيقى إلاّ باللّه عليه توكّلت. و ذكرت أنّه ليس لى و لا لأصحابى عندك إلاّ السّيف فلقد أضحكت بعد استعبار، متى ألفيت بنو عبد المطّلب عن الأعداء ناكلين، و بالسّيوف مخوّفين ؟ فلبّث قليلا يلحق الهيجاء حمل، فسيطلبك من تطلب، و يقرب منك ما تستبعد، و أنا مرقل نحوك فى جحفل من المهاجرين و الأنصار و التّابعين بإحسان، شديد زحامهم،

ساطع قتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحبّ اللّقاء إليهم لقاء ربّهم، قد صحبتهم ذرّيّه بدريّه، و سيوف هاشميّه، قد عرفت مواقع نصالها فی أخيک و خالک و جدّک و أهلک و ما هی من الظّالمين ببعيد.

اللغه

قد مضى بيان طائفه من لغات هذا الكتاب فی شرح المختار التاسع من هذا الباب، أوّله قوله عليه السّلام: فأراد قومنا قتل نبيّه و اجتياح أصله و همّوا بنا الهموم - إلخ. (ص ۳۲۴ ج ۱۷).

(خبأ) أی أخفی، يقال: خبأ الشیء، من باب منع مهموزا، و خبّأ مشدّدا أی ستره و أخفاه و فی كثير من النسخ المطبوعه كانت الكلمه مشكوله بتشديد الباء و نسخه الرضیّ بتخفيفها كما اخترناها. (ببلاء اللّه) أی بانعامه و إحسانه، أو اختباره و امتحانه و لكن المناسب مع ما عندنا هو الانعام و الاحسان.

(هجر) محرّكه اسم بلد مذكر مصروف و غير مصروف و النسبه إليه هاجریّ على خلاف القياس و من ذلک قولهم نبأ هاجریّ ، و هو فی نسخه الرّضی مشكول مصروفا و غير مصروف معا، (مسدّده) أی معلّمه، (النضال) المراماه.

(ثلمه) الثلم: الكسر و العيب، و فی عدّه من النسخ المطبوعه و غيرها: لم ينقصک ثلمه، و لكن نسخه الرضیّ رضوان اللّه عليه كانت: لم يلحقک ثلمه كما اخترناه. (الطلقاء) جمع الطليق و هو من اطلق بعد الأسره.

(لقد حنّ قدح ليس منها) مثل، قال الميدانی فی فصل الحاء المهمله المفتوحه من مجمع الأمثال: حنّ قدح ليس منها، القدح أحد قداح الميسر و إذا كان أحد القداح من غير جوهره اخواته ثمّ أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها يعرف به أنّه ليس من جمله القداح، يضرب للرّجل يفتخر بقبيله

ص:۹۶

ليس منها أو يتمدّح بما لا يوجد فيه، و تمثّل به عمر حين قال الوليد بن عقبه بن أبى معيط : اقتل من بين قريش فقال عمر: حنّ قدح ليس منها، و الهاء فى منها راجعه إلى القداح. انتهى. قوله: أجاله المفيض يقال: أفاض أهل الميسر بالقداح أى ضربوا بها.

(ألا تربع) ربع كمنع: وقف و انتظر و تحبّس و منه قولهم: اربع عليك أو على نفسك أو على ظلعك قاله فى القاموس.

(و الظّلع) بسكون اللاّم: العيب، و بفتحها: العرج و الغمز، و هو مصدر ظلع البعير كمنع أى غمز فى مشيه، و من أمثالهم: ظالع يعود كسيرا، يعود من العياده، يضرب للضعيف ينصر من هو أضعف منه كما فى مجمع الأمثال للميدانى.

(الذّرع): الطاقه و الوسع و بسط اليد و ذرع الإنسان طاقته الّتى يبلغها، و فى آخر الدّعاء السابع من الصّحيفه السّجاديه: فقد ضقت لما نزل بى يا ربّ ذرعا، و فى شرحها الموسوم برياض السالكين للعالم المتضلّع السيّد عليخان قدّس سرّه فى ضيق الذّرع المناسب لقصورها نكات أدبيّه فراجع.

(التّيه): الضلال و التحيّر فى المفاوز قال اللّه تعالى: «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ »، (الرّواغ): كثير الميل، يقال: راغ الرجل و الثعلب روغا و روغانا إذا مال و حاد عن الشيء، و يقال: فلان يروغ روغان الثعلب و من الأمثال فلان أروغ من الثعلب.

(القصد): الاعتدال و الطّريق المستقيم، (غير مخبّر) خبّره الشيء و بالشيء من باب التفعيل أعلمه إيّاه و أنبأه كأخبره و أخبر به، (استشهد) أى قتل فى سبيل اللّه، و كذا اشهد، على صيغتى المجهول.

(تمجّها) يقال مجّ الماء من فيها إذا ألقاه، (الطّول) بالفتح فالسّكون:

الفضل، (عاديّ) أى قديم، قال الجوهرى فى الصحاح: عاد قبيله و هم قوم هود عليه السّلام و شيء عاديّ أى قديم كأنّه منسوب إلى عاد.

و قال الشّيخ محمّد عبده: العادى الاعتياديّ المعروف، أقول: الصّواب ما

قدّمنا و هذا الوجه خطر ببالنا أيضا إلّا أنّ مقابلته بالقديم منعنا عن ذلک، و فی روایه صبح الأعشی: و مدید طولنا.

(الرّمیه) المراد منها ههنا الصید الّذی یرمی و هو کالمثل یضرب لمن یمیل به عن الحقّ أغراضه الباطله و أصله أنّ الرجل یقصد قصدا فیتعرّض له الصید فیتبعه فیمیل به عن قصده الأصلی.

(فلجوا علیهم) أی ظفروا علیهم، و الفلج: الظّفر، و الفعل من بابی نصر و ضرب، قال محمّد بن بشیر:

کم من فتی قصرت فی الرّزق خطوته ألفیته بسهام الرّزق قد فلجا

و البیت من الحماسه، (الحماسه ۴۳۶ من شرح المرزوقی)، و فی الحدیث السادس من باب فی شأن إنّا أنزلناه فی لیله القدر و تفسیر من اصول الکافی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: یا معشر الشیعه خاصموا بسوره إنّا أنزلناه تفلجوا فو اللّه إنها لحجّه اللّه تبارک و تعالی علی الخلق بعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و انّها لسیّده دینکم و انّها لغایه علمنا الحدیث.

(صنائع) جمع صنیعه، قال الزمخشری فی أساس البلاغه: فلان صنیعتک و مصطنعک، و اصطنعتک لنفسی، قال الحطیئه:

فإن یصطنعنی اللّه لا أصطنعکم و لا اوتکم مالی علی العثرات

و قال فی القاموس: هو صنیعی و صنیعتی أی اصطنعته و ربّیته و خرّجته.

و الصنیعه أیضا هی ما یسدی من معروف أو ید إلی إنسان، قال ابن مولی لیزید بن حاتم:

و إذا صنعت صنیعه أتممتها بیدین لیس نداهما بمکدّر

و البیت من الحماسه، قال المرزوقی فی الشرح: یقول: و إذا اتّخذت عند إنسان یدا و أزللت إلیه نعمه فانّک لا تخدجها و لا تترک تربیتها لکنّک تکمّلها و تقوم بعمارتها مصونه من المنّ و التکدیر صافیه من الشوائب و التعذیر.

(شباب) جمع الشاب.

ص:۹۸

(شكاه) الشكاه فى الأصل: المرض، و توضع موضع العيب و الذمّ كما فى هذا البيت فمعناها العيب و النقيصه.

(ظاهر عنك) أى زائل عنك و ينبو، و لا يعلق بك، قال ابن الأثير فى النهايه:

و فى حديث عائشه كان يصلّى العصر و لم يظهر فيىء الشمس بعد من حجرتها أى لم يرتفع و لم يخرج إلى ظهرها، و منه حديث ابن الزبير لما قيل له يا ابن النطاقين تمثّل بقول أبى ذؤيب: و تلك شكاه ظاهر عنك عارها، يقال ظهر عنّى هذا العيب إذا ارتفع عنك و لم ينلك عنه شيء أراد أنّ نطاقها لا يفضّ منه فيعيّر به و لكنّه يرفع منه و يزيده نبلا، انتهى.

أقول فى بيانه: كانت امّ عبد اللّه بن الزبير ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر و أراد ابن الزبير أنّ تعييره إيّاه بلقب امّه ليس عارا يستحيى منه إنّما هو من مفاخره لأنّه لقب لقبها به رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و هو فى الغار مع أبى بكر على ما قيل فراجع إلى السيره النّبويه لابن هشام (ص ۴۸۶ ج ۱ من طبع مصر ۱۳۷۵ ه‍) و فى الحماسه: قال سبره بن عمرو الفقعسىّ و عيره ضمره بن النهشلىّ كثره إبله:

أعيرتنا ألبانها و لحومها و ذلك عار يا ابن ريطه ظاهر

قال المرزوقى فى الشرح: و ذلك عار ظاهر أى زائل، قال أبو ذؤيب:

و عيّرها الواشون أنّى احبّها و تلك شكاه ظاهر عنك عارها

و من هذا قولك: ظهر فوق السطح، و قولك: جعلته منّى بظهر، و قوله تعالى: «اِتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا »، انتهى قول المرزوقى.

و أقول: صار هذا المصراع من البيت أعنى قول أبى ذؤيب و تلك شكاه إلخ مثلا يضرب لمن ينكر فعلا ليس له ربط به و لا تعلّق له، و البيت من قصيده غرّاء تنتهى إلى ثمانيه و ثلاثين بيتا يرثى بها نشيبه بن محرث أحد بنى مومل ابن حطيط الهذلى منقوله كامله فى ديوان الهذليّين (ص ۲۱ من طبع مصر ۱۳۸۵ ه‍) مطلعها:

هل الدّهر إلّا ليله و نهارها و إلّا طلوع الشمس ثمّ غيارها

أبى القلب إلّا امّ عمرو و أصبحت تحرّق نارى بالشّكاه و نارها

و عيّرها الواشون - البيت.

و أبو ذؤيب هذا هو خويلد بن خالد بن محرز الهذلىّ شاعر مجيد مخضرم أدرك الجاهليه و الإسلام، قدم المدينه عند وفاه النّبى صلى اللّه عليه و آله فأسلم و حسن إسلامه روى عنه أنه قال: قدمت المدينه و لأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلّوا بالإحرام، فقلت: مه ؟ فقالوا: توفّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، كما فى معجم الادباء لياقوت (ص ۸۳ ج ۱۱ من طبع مصر).

(الجمل المخشوش) الّذى جعل فى أنفه الخشاش و هو عويد يجعل فى أنف البعير و نحوه يشدّ به الزمام ليكون أسرع لانقياده، مشتقّ من خشّ فى الشيء إذا دخل فيه لأنّه يدخل فى أنف البعير.

(الغضاضه): الذلّه و المنقصه، (المعوّقين) أى المانعين عن القيام بنصره الإسلام (فربّ ملوم لا ذنب له) مثل، قال الميدانى فى فصل الراء المضمومه من مجمع الأمثال: هذا من قول اكثم بن صيفى، يقول: قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه و هم لا يعرفون حجّته فهو يلام عليه و ذكروا أنّ رجلا فى مجلس الأحنف بن قيس قال: لا شيء أبغض إلىّ من التمر و الزبد فقال الأحنف: ربّ ملوم لا ذنب له - انتهى كلام الميدانى.

(الظّنّه) بالكسر: التهمه (المتنصّح) أى المتكلّف بنصح من لا يقبل النصيحه و المبالغ فيه له.

و قد يستفيد الظّنّه المتنصّح، مصراع بيت صدره: و كم سقت من آثاركم من نصيحه، (استعبار) استعبر: جرت عبرته أى بكى.

(لبّث قليلا يلحق الهيجا حمل) هذا المثل قريب من قولهم: لبّث رويدا يلحق الداريّون، و حمل بالتحريك هو ابن بدر رجل من قشير و فيه يقول قيس ابن زهير العبسى:

و لكنّ الفتى حمل بن بدر بغى و البغى مرتعه وخيم

و هذا البيت للعبسى من أبيات الحماسه (الحماسه ۱۴۷ من شرح المرزوقى) و من أبيات الأمالى للقالى ص ۲۶۱ ج ۱، و فى السيره النّبويه لابن هشام ص ۲۸۷ ج ۱.

و قول حمل يضرب به مثلا للتهديد بالحرب.

و روى الميدانى فى مجمع الأمثال فى فصل الضاد المفتوحه هكذا: ضحّ رويدا يدرك الهيجا حمل، و قال: ضحّ رويدا هذا أمر من التضحيه أى لا تعجل فى ذبحها ثمّ استعير فى النهى عن العجله فى الأمر، و يقال: ضحّ رويدا لم ترع أى لم تفزع و يقال ضحّ رويدا يدرك الهيجا حمل، يعنى حمل بن بدر، قال زيد الخيل:

فلو أنّ نصرا أصلحت ذات بينها لضحّت رويدا عن مطالبها عمرو

و لكنّ نصرا ارتعت و تخاذلت و كانت قديما من خلايقها الغفر

أى المغفره، نصر و عمروا بناقعين و هما حيّان من بنى أسد، انتهى قول الميدانى.

و فى الباب الثالث و العشرين فى ما جاء من الأمثال من أوّله لام من جمهره الأمثال لأبى هلال العسكرى: لبّث رويدا يلحق الهيجا حمل، أى انتظر حتّى يتلاقى الشّبان، و الهيجا يقصر و يمدّ، و حمل اسم رجل، انتهى كلام أبى هلال.

و كما اختلف فى ضبط هذا المثل على ما قدّمنا كذا اختلف فى حمل فذهب غير واحد إلى أنه ابن بدر كما دريت و فى الإصابه و اسد الغابه أنه حمل ابن سعدانه قال فى الأوّل: حمل بن سعدانه بن حارثه الكلبى وفد على النّبى صلى اللّه عليه و آله و عقد له لواء و هو القائل: لبّث قليلا يدرك الهيجا حمل، و شهد مع خالد مشاهده كلّها و قد تمثّل بقوله سعد بن معاذ يوم الخندق حيث قال:

لبّث قيلا يدرك الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

و فى اسد الغابه: البث قليلا - إلخ و قال: شهد صفّين مع معاويه، و اللّه تعالى أعلم.

ص:۱۰۱

ثمّ إنّ الهيجاء فى نسختنا الّتى قوبلت على نسخه الرضى ممدوده، و يجب أن تقرأ فى البيت مقصوره ليستقيم الوزن.

(مرقل) أى مسرع، و الارقال ضرب من السير السريع، (جحفل) أى جيش عظيم، (قتامهم) أى غبارهم، (ساطع) اى منتشر، (نصالها) قال فى القاموس:

النّصل و النصلان حديده السهم و الرمح و السيف ما لم يكن له مقبض جمعه أنصل و نصول و نصال، و نصل السهم فيه: ثبت، و فى بعض النسخ نضالها بالمعجمه يقال ناضل عنه إذا دفع و لكن الصحيح ههنا بالمهمله و فى صدر الكتاب بالمعجمه كما فى نسخه الرضى رضوان اللّه عليه، قال أبو العيال الهذلى فى أبيات لما حصر هو و أصحابه ببلاد الروم فى زمن معاويه كتبها إلى معاويه فقرأه معاويه على الناس كما فى ديوان الهذليين (ص ۲۵۵ من طبع مصر):

فترى النّبال تعير فى أقطارنا شمسا كأنّ نصالهنّ السنبل

و ترى الرّماح كأنّما هى بيننا أشطان بئر يوغلون و نوغل

الاعراب

(و ما أنت و الفاضل و المفضول و السائس و المسوس) الفاضل و أترابه التاليه على نسخه الرضى مشكوله بالنصب، كما أنّ فى الجمله الّتى بعدها أعنى و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء و التمييز إلخ التمييز و ترتيب و تعريف منصوبه أيضا و قد قرئت الجمله الاولى بالنصب و الرفع معا كما فى نسخه مخطوطه مشكوله مقروه عندنا، و احتمل بعضهم الرفع فى الجمله الثانيه أيضا.

أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بقوله: و ما أنت و الفاضل و المفضول الروايه المشهوره بالرفع و قد رواها قوم بالنصب فمن رفع احتجّ بقوله: و ما أنت و بيت أبيك و الفخر، و بقوله: فما القيسى بعدك و الفحار، و من نصب فعلى تأويل مالك و الفاضل و فى ذلك معنى الفعل أى ما تصنع لأنّ هذا الباب لا بدّ أن يتضمّن الكلام فيه فعلا أو معنى فعل و أنشدوا: فما أنت و السير فى متلف، و الرفع عند النحويين

ص:۱۰۲

أولی، و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء و التمییز النصب ههنا لا غیر لأجل اللّام فی الطلقاء.

(حنّ قدح لیس منها) الضمیر المجرور راجع إلی القداح کما مرّ، (فیها من علیه الحکم لها) الهاء فی الطرفین راجعه إلی الطبقات أو الجماعه أو القضیه أو نحوها غیر مخبّر منصوب علی الحالیه لضمیر أحدث، و مخبّر علی نسخه الرضی کان بتشدید الباء من التخبیر و فی غیر واحد من نسخ اخری بکسر الباء المخففه من لإخبار و کلاهما بمعنی واحد کما مرّ فی شرح اللغات، (أنّ قوما) مفعول تری (الرمیّه) فعیله بمعنی مفعوله و أنثت لأنّها جعلت اسما لا نعتا و المراد بها الدّنیا أی دع من مال إلی الدّنیا و مالت به أی أمالته إلیها، (فعل الاکفاء) منصوب علی المصدر، (و لستم هناک) الواو للحال و العامل فیه خلطناکم، (علی قومک) متعلق بقوله طولنا أی فضلنا علیهم، و جمله أن خلطناکم فاعل لقوله لم یمنعنا، و کلمتا قدیم و عادی منصوبتان علی المفعولیه، و فی نسخه الرضیّ - ره - و هی الصّواب مرفوعتان علی الفاعلیه و جمله خلطناکم علی هذا الوجه منصوبه علی المفعولیّه، أفاد الفاضل الشارح المعتزلی بقوله: فان قلت: فبما ذا یتعلّق فی قوله فی کثیر؟ قلت: بمحذوف تقدیره هذا الکلام داخل فی جمله کلام کثیر یتضمّن مالنا و علیکم.

(الفلج به) الضمیر المجرور یرجع إلی الرسول (قصدها) الضمیر یرجع إلی الحجّه و إلی غیرک خبر قدّم علی القصد أی هذه حجّتی قصدها إلی غیرک.

(یلحق الهیجا حمل) قرئ الفعل و حمل علی وجهین: علی تأنیث الفعل و نصب حمل فالهیجاء فاعل، و علی تذکیر الفعل و رفع حمل فالهیجاء مفعول (متسربلین) منصوب علی الحال.

المصدر

قد مرّ فی ذکر ماخذ الکتاب التاسع (ص ۳۲۶ ج ۱۷) نقل کتابه علیه السّلام إلی معاویه جوابا عن کتابه إلیه و قد نقلنا هما من کتاب صفّین لنصر بن مزاحم و قد نقله ابن عبد ربّه فی العقد الفرید أیضا (ص ۳۳۴ ج ۴ من طبع مصر) و أمّا کتابه

هذا فقد نقله أعثم الكوفى فى الفتوح (ص ۱۵۷ من ترجمه الهروى طبع بمبئى) و أبو العبّاس أحمد بن علىّ القلقشندى فى صبح الأعشى (ص ۲۲۹ ج ۱ من طبع مصر) و شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب النويرىّ فى نهايه الأرب (ص ۲۳۳ ج ۷) و يطلب من باب كتبه عليه السّلام إلى معاويه و احتجاجاته عليه من ثامن البحار (ص ۵۳۴ ج ۸ من الطبع الكمبانى)، و كتابه هذا يوهم أنّه قريب من التاسع و أنّهما واحد و الاختلاف فى النسخ أو الروايات حتّى أنّ الشارح البحرانى مال ههنا أنّ هذا الكتاب ملتقط من كتاب ذكر السيّد منه فصلا سابقا و هو قوله: فأراد قومنا اهلاك نبيّنا و قد ذكرنا كتاب معاويه الذى هذا الكتاب جواب له و ذكرنا الكتاب له بأسره هناك و إن كان فيه اختلاف ألفاظ يسيره بين الروايات - انتهى قوله.

أقول: قد وجدنا الكتابين فى ماخذ عديده و نرى بينهما اختلافا يمنعنا من اعتقادهما واحدا، على أنّ دأب الشريف الرضى رضوان اللّه عليه كان إذا نقل كلامه بروايه اخرى أن ينبّه بتقديمه على صوره اخرى: قال فى المختار ۲۲۷ من باب الخطب أوله: بسطتم يدى فكففتها و من كلام له عليه السّلام فى وصف بيعته بالخلافه و قد تقدّم مثله بألفاظ مختلفه.

و قال فى المختار ۲۳ من باب الكتب أوله: وصيتى لكم أن لا تشركوا باللّه شيئا: أقول: و قد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدّم من الخطب إلّا أنّ فيه زياده أوجبت تكريره.

و قال فى المختار ۶۶ من هذا الباب أوّله: أما بعد فانّ المرء ليفرح بالشىء الّذى لم يكن ليفوته: و قد تقدّم ذكره بخلاف هذه الرّوايه.

و نحوها فى عدّه مواضع اخرى فلو كان الكتابان واحدا لكان يتعرّض عليه كما تعرّض فيها، و بعد الغمض عن ذلك نقول: إنّ الروايات قائله بأنّ معاويه كتب إلى علىّ عليه السّلام كتابا أنفذه إليه مع أبى أمامه الباهلىّ فكتب إليه علىّ عليه السّلام هذا الكتاب، و كتب إليه كتابا أنفذه إليه مع أبى مسلم الخولانى فكتب عليه السّلام فى جوابه ذلك الكتاب المقدّم فى المختار التاسع و كان صدره: فإنّ أخا خولان قدم علىّ بكتاب - إلخ.

ص:۱۰۴

و قد أقبل على الفاضل الشارح المعتزلى هذا السئوال أيضا و أورده على النقيب أبى جعفر فأجابه بما لا يخلو ذكره من فائده قال: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن زيد فقلت: أرى هذا الجواب منطبقا على كتاب معاويه الذى بعثه مع أبى مسلم الخولانى إلى علىّ عليه السّلام فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الّذى ذكره أرباب السيره و أورده نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين إذا غير صحيح، و إن كان ذلك الجواب فهذا الجواب إذن غير صحيح و لا ثابت ؟.

قال: فقال لى: بل كلاهما ثابت مروى و كلاهما كلام أمير المؤمنين عليه السّلام و ألفاظه، ثمّ أمرنى أن أكتب ما يمليه علىّ فكتبته قال: كان معاويه يتسقط عليا و ينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبى بكر و عمر و أنّهما غصباه حقّه و لا يزال يكيده بالكتاب يكتبه و الرساله يبعثها يطلب غرّته لينفث بما فى صدره من حال أبى بكر و عمر إمّا مكاتبه أو مراسله فيجعل ذلك حجّه عليه عند أهل الشام و يضيفه إلى ما قرّره فى أنفسهم من ذنوبه زعم فقد كان غمصه عندهم بأنه قتل عثمان أو مالأ على قتله، و أنّه قتل طلحه و الزبير، و أسر عائشه، و أراق دماء أهل البصره و بقيت خصله واحده و هو أن يثبت عندهم أنّه يتبرأ من أبى بكر و عمر و ينسبهما إلى الظلم و مخالفه الرسول فى أمر الخلافه و أنهما وثبا عليه غلبه و غصباه إيّاها فكانت هذه الطامه الكبرى ليست مقصره على فساد أهل الشام عليه بل و أهل العراق الّذين هم جنده و بطانته و أنصاره لأنّهم كانوا يعتقدون إمامه الشيخين إلاّ القليل الشاذّ من خواصّ الشيعه.

فلمّا كتب ذلك الكتب مع أبى مسلم الخولانى قصد أن يغضب عليا و يحرجه و يحوجه إذا قرأ ذكر أبا بكر و أنه أفضل المسلمين إلى أن يرهن خطه فى الجواب بكلمه تقتضى طعنا فى أبى بكر فكان الجواب مجمجا غير بيّن فيه تصريح بالتظليم لهما و لا التصريح ببراءتهما و تاره يترّحم عليهما و تاره يقول أخذ حقّى و قد تركته لهما فأشار عمرو بن العاص على معاويه أن يكتب كتابا ثانيا مناسبا للكتاب الأوّل ليستفزا فيه عليا عليه السّلام و يستخفّاه و يحمله الغضب منه أن يكتب كلاما يتعلّقان به

فی تقبیح حاله و تهجین مذهبه، و قال له عمرو: إنّ علیا رجل نزق تیّاه و ما استطعمت منه الکلام بمثل تقریظ أبی بکر و عمر فاکتب فکتب کتابا أنفذه إلیه مع أبی امامه الباهلی و هو من الصحابه بعد أن عزم علی بعثه مع أبی الدرداء و نسخه الکتاب: من عبد اللّه معاویه بن أبی سفیان إلی علیّ بن أبی طالب أما بعد فان اللّه تعالی - جدّه - إلی آخر ما ننقله بعید هذا فی ذکر المعنی.

ثمّ قال: قال النقیب أبو جعفر: فلمّا وصل هذا الکتاب إلی علیّ علیه السّلام مع أبی امامه الباهلی کلّم أبا امامه بنحو ممّا کلّم به أبا مسلم الخولانی و کتب معه هذا الجواب.

قال: قال النقیب: و فی کتاب معاویه هذا ذکر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش لا فی الکتاب الواصل مع أبی مسلم و لیس فی ذلک هذه اللفظه و إنما فیه حسدت الخلفاء و بغیت علیهم عرفنا ذلک من نظرک الشزر و قولک الهجر و تنفسک الصعداء و إبطاؤک عن الخلفاء.

قال: قال: و إنما کثیر من الناس لا یعرفون الکتابین و المشهور عندهم کتاب أبی مسلم فیجعلون هذه اللفظه فیه و الصحیح أنّها فی کتاب أبی امامه ألا تراها عادت فی جوابه و لو کانت فی کتاب أبی مسلم لعادت فی جوابه - انتهی کلام النقیب أبی جعفر من شرح الفاضل الشارح المعتزلی.

أقول: و هذا تحقیق خبری دقیق و بحث روانی عمیق فإنّ المجامیع فی الفنون العدیده و الجوامع الروائیه یفید أنهما کتابان کما دریت، و قد مال إلیه الفاضل المورخ الفنّان محمّد تقی سپهر فی ناسخ التواریخ (ص ۱۶۴ ج ۲ من الطبع الناصری) فانّه بعد ما نقل کتاب معاویه مع أبی مسلم الخولانی و کتاب أمیر المؤمنین علیه السّلام فی جوابه علی ما مرّ نقلهما فی ذکر ماخذ الکتاب التاسع قال ما هذا هو لفظه بالفارسیه و کأنّه ترجمه ما أفاده النقیب.

معاویه مکتوب را قرائت کرد و عمرو عاص را نیز بنمود، عمرو نگریست که علی علیه السّلام در جواب معاویه آنجا که أبو بکر را بر تمامت مسلمانان تفضیل

نهاده کلمهٔ که تصریح بر تقبیح أبو بکر و تشنیع أعمال او باشد رقم نکرده إلّا آنکه نگاشته است حق مرا مأخوذ داشته اند و من تفویض کردم، با معاویه گفت بر قانون کتاب أوّل علی مکتوب کن و همچنان فصلی در فضل أبو بکر و عمر و عثمان رقم کن، چون علی ایشان را غاصب حق خویش داند و در نزد خدا و رسول عاصی و بزهکار می خواند بعید نباشد که در فضیحت عقیدت ایشان و ظلم و طغیان ایشان چیزی رقم کند آن گاه ما مکتوب او را بر فساد مذهب او حجّت کنیم و بر مردم شام و صنادید قبایل عرضه داریم و تمامت عرب را بر او بر شورانیم و بر گردن آرزو سوار شویم، معاویه را کلمات او پسنده افتاد و همی خواست تا بصحبت أبو دردا چیزی نگارد هم از این اندیشه باز نشست و این مکتوب را بدست أبو امامه باهلی که در شمار أصحاب رسول خدا است انفاذ داشت: من عبد اللّه معاویه بن أبی سفیان - إلی آخر کتابه الاتی عن قریب - إلی أن قال: بالجمله أبو امامه باهلی این نامه بگرفت و راه در نوشت و در کوفه حاضر حضرت أمیر المؤمنین علیه السّلام شده تسلیم داد أمیر المؤمنین بعد از قرائت آن مکتوب بدینگونه پاسخ نگاشت: أما بعد فقد بلغنی کتابک تذکر فیه اصطفاء اللّه تعالی - إلخ.

و بالجمله أنّ الظنّ المتاخم بالعلم من التتبع و الفحص حاصل بأنّ کلّ واحد منهما کتاب علی حیاله فلنرجع إلی تفسیر الکتاب.

المعنی

اشاره

لما کان الأمیر علیه السّلام فی هذا الکتاب یردّ الأباطیل الّتی نسجتها عنکبوت أوهام معاویه و أهواء شیطانه عمرو العاصی فلا بدّ لنا من نقل کتاب معاویه لیتّضح الجواب، کتب معاویه إلیه بعد کتابه الّذی أنفذه إلیه مع الخولانی علی ما مرّ آنفا:

من عبد اللّه معاویه بن أبی سفیان إلی علیّ بن أبی طالب: أما بعد فإنّ اللّه تعالی جدّه اصطفی محمّدا علیه الصّلاه و السّلام لرسالته، و اختصّه بوحیه و تأدیه شریعته

ص:۱۰۷

فأنقذ به من العمايه، و هدى به من الغوايه، ثمّ قبضه إليه رشيدا حميدا قد بلّغ الشرع، و محق الشرك، و أخمد نار الإفك، فأحسن اللّه جزاءه، و ضاعف عليه نعمه و آلاءه.

ثمّ إنّ اللّه سبحانه اختصّ محمّدا عليه الصّلاه و السّلام بأصحاب أيّدوه و نصروه و كانوا كما قال اللّه سبحانه لهم: «أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ » فكان أفضلهم مرتبه، و أعلاهم عند اللّه و المسلمين منزله الخليفه الأوّل الذى جمع الكلمه و لمّ الدّعوه و قاتل أهل الرّدّه، ثمّ الخليفه الثانى الّذى فتح الفتوح، و مصّر الأمصار و أذلّ رقاب المشركين، ثمّ الخليفه الثالث المظلوم الّذى نشر الملّه و طبّق الافاق بالكلمه الحنيفيّه.

فلمّا استوثق الإسلام و ضرب بجرانه عدوت عليه، فبغيته الغوائل و نصبت له المكائد و ضربت له بطن الأمر و ظهره و دسست عليه و أغريت به و قعدت حيث استنصرك عن نصره، و سألك أن تدركه قبل أن يمزّق فما أدركته، و ما يوم المسلمين منك بواحد: لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه و رمت إفساد أمره و قعدت فى بيتك، و استغويت عصابه من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته، ثمّ كرهت خلافه عمر و حسدته، و استطلت مدته و سررت بقتله، و أظهرت الشماته بمصابه حتّى أنك حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه.

ثمّ لم تكن أشدّ منك حسدا لابن عمك عثمان نشرت مقابحه، و طويت محاسنه، و طعنت فى فقهه، ثمّ فى دينه ثمّ فى سيرته، ثمّ فى عقله و أغريت به السّفهاء من أصحابك و شيعتك حتّى قتلوه بمحضر منك، لا تدفع عنه بلسان و لا يد، و ما من هؤلاء إلاّ من بغيت عليه، و تلكّأت فى بيعته حتّى حملت عليه قهرا تساق بحزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش، ثمّ نهضت الان تطلب الخلافه و قتله عثمان خلصاؤك و سجراؤك و المحدقون بك، و تلك من أمانى النفوس و ضلالات الهواء.

فدع اللجاج و العبث جانبا، و ادفع إلينا قتله عثمان، و أعد الأمر شورى

ص:۱۰۸

بين المسلمين ليتّفقوا على من هو للّه رضا، فلا بيعه لک فی أعناقنا، و لا طاعه لک علينا و لا عتبى لک عندنا، و ليس لک و لأصحابک عندی إلّا السيف و الّذی لا إله إلّا هو لأطلبنّ قتله عثمان أين كانوا و حيث كانوا حتّى أقتلهم أو تلحق روحی باللّه.

فأمّا ما لا تزل تمنّ به من سابقتک و جهادک فإنّی وجدت اللّه سبحانه يقول:

«يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ » و لو نظرت فی حال نفسک لوجدتها أشدّ الأنفس امتنانا على اللّه بعملها و إذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصّدقه فالامتنان على اللّه يبطل أجر الجهاد و يجعله «كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْ ءٍ مِمّا كَسَبُوا وَ اللّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الْكافِرِينَ » انتهى كتاب معاويه.

و معنى كلامه:فلمّا استوثق الإسلام و ضرب بجرانه،أنّ الإسلام لمّا استقام و قرّ فی قراره تشبيها بالبعير إذا برک و استراح مدّجرانه على الأرض، و جران البعير هو مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره.

و قوله: حتّى أنک حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه، يشير إلى عبيد اللّه ابن عمر و قتله أبا لؤلؤه فيروز قاتل عمر و قد تقدّم كلامنا فی شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۲۴۴ ج ۱۵) و فی شرح المختار الأوّل من باب الكتب (ص ۲۳۸ ج ۱۶).

قوله: تلكأت فی بيعته، تلكأ عن الأمر ای أبطأ و توقف، فالصّواب أن يقال تلكأت عن بيعته فكلمه فی بمعنى عن إن لم يتطّرق فيها تحريف، قوله سجراؤک هو بالسين المهمله جمع سجير ككريم أی الخليل الصفی.

فكتب أمير المؤمنين على عليه السّلام فی جوابه: أما بعد فقد أتانی كتابک تذكر اصطفاء اللّه محمّدا صلى اللّه عليه و آله - إلخ فحان لنا الان شرح كتابه عليه السّلام:

قوله عليه السّلام:(أما بعد فقد أتانی - إلى قوله: إلى النضال) هذا الكتاب يشتمل على فصول تجيب عن فصول من الأباطيل المموّهه الّتی توغّل فيها معاويه و هذا القسم من الكتاب جواب عن قوله: فانّ اللّه تعالى جدّه - إلى قوله: فكان

أفضلهم مرتبه.

و بيان الجواب على الإجمال أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السّلام كان بما أخبره معاويه أعلم من غيره لأنّه لم يكن أحد كمثله فى حمايه الدين و الذّب عن حوزته عن ابتداء دعوه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى زمان ارتحاله من الدّنيا و إخبار معاويه عليا عليه السّلام بذلك كسفيه استبضع تمرا إلى هجر، أو كغبىّ دعى من علّمه الرمايه إلى المراماه، و أما بيانه على التفصيل فقد مرّ فى شرح المختار التاسع من باب الكتب (ص ٣٣٦-٣٤٨ ج ١٧) و فى شرح المختار السابع عشر منه فراجع.

قوله: عليه السّلام:(و زعمت أنّ أفضل الناس فلان - إلى قوله: فالأنصار على دعويهم) هذا الفصل جواب عن قول معاويه: فكان أفضلهم مرتبه - إلى قوله: و طبق الافاق بالكلمه الحنيفيه، كان معاويه ذكر فى كتابه الأفضل فالأفضل من الأصحاب على زعمه، و فضّلهم على أمير المؤمنين عليه السّلام تعريضا على حقده حيث قال:

و أعلاهم الأوّل و الثانى و الثالث فأجابه بأنّ ما ذكرت فيهم إمّا أن يتمّ و يصحّ أولا فإن تمّ اعتزلك كلّه لأنّه كان من تلك الفضائل فى معزل، و على الثانى لم يلحقك عيبه و نقصه لأنّه لم يكن منهم فعلى كلا الوجهين كان معاويه خائضا فى ما لا يعنيه.

ثمّ بيّن عليه السّلام عدم لياقه معاويه لتمييز الفاضل و المفضول منهم و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم بقوله: و ما أنت و الفاضل و المفضول - إلخ، و من الطلقاء أبو سفيان و من أبنائهم معاويه كما مضى بيان ذلك تفصيلا من شرح المختار السابع عشر من باب الكتب عند حديث أهل مكّه و أنّ أهل مكّه هم الطلقاء (ص ٢٨١ ج ١٨).

و كأنّ قوله: عليه السّلام بين المهاجرين الأوّلين يشير إلى قوله تعالى:

«وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (التوبه: ١٠٠) و كان معاويه و أبوه فى زمان الهجره مشركين و لمّا رفع اللّه الكلمه العليا و كان النّاس يدخلون فى دين اللّه أفواجا استسلما و ما أسلما كما قال أمير المؤمنين على عليه السّلام: فو الّذى فلق الحبّه و برأ النسمه ما أسلموا و لكن

استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعوانا عليه أظهروه (المختار ۱۶ من باب الكتب ص ۲۲۴ ج ۱۸) و راجع أيضا إلى (ص ۳۷۰ ج ۱۵ و الى ص ۵۳ ج ۱۸).

و قال الطبرسی - ره - فی التفسیر: فی هذه الایه دلاله على فضل السابقین و مزیتهم على غیرهم لما لحقهم من أنواع المشقه فی نصره الدّین فمنها مفارقه العشائر و الأقربین، و منها مباینه المألوف من الدین، و منها نصره الإسلام و قلّه العدد و کثره العدوّ، و منها السبق إلى الإیمان و الدّعاء إلیه - إلى أن قال: و روى الحاکم أبو القاسم الحسکانی باسناده مرفوعا إلى عبد الرحمن بن عوف فی قوله سبحانه:

«وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ » قال: هم عشره من قریش أوّلهم إسلاما علی بن أبی طالب.

و بالجمله أنّ معاویه و أترابه شأنهم و قدرهم دون أن یدخلوا فی التمییز بین هؤلاء و نحوه و لیسوا بأهل لذلک و نعم ما قیل:

خلق اللّه للحروب رجالا و رجالا لقصعه و ثرید

ثمّ أتى أمیر المؤمنین علیه السّلام فی ذلک بمثلین کما أتى فی الأمر المقدّم بالمثلین فقال علیه السّلام:(هیهات لقد حنّ قدح لیس منها) و قد علمت فی تفسیر اللّغه أنه یضرب للرجل یفتخر بقبیله لیس منها أو یتمدح بما لا یوجد فیه، و قریب منه ما یقال فی الفارسیه: من آنم که رستم جوانمرد بود، و الثانی قوله علیه السّلام:(و طفق یحکم فیها من علیه الحکم لها) أی طفق یحکم فی هذه الجماعه أو القضیّه أو نحوهما من علیه الحکم لها، یعنی لیس له أن یحکم فیها و قدره دون ذلک بل یجب علیه قبول الحکم الصادر من أهله فیها.

ثمّ نبّهه على ضعفه و قصور ذرعه عن البلوغ إلى تلک المراتب السامیه و أنّى للأعراج العروج إلى قلل شامخه، فقال:(ألا تربع - إلخ)، استفهام على سبیل الاسترحام أو الاستحقار و التقریع، و قد عرفت أنّ الظلع هو العرج و الغمز، و هل للظالع أن یحمل حملا ثقیلا؟ أی أ لا ترفق بنفسک أیّها الظالع حتّى لا تحمل علیها ما لا تطیقه ؟ و أ لا تعرف قصور ذرعک و عدم قدرتک و استطاعتک عن البلوغ إلى درجه السابقین ؟ و أ لا تتأخّر حیث أخّرک قدر اللّه و تضع نفسک حیث وضعها اللّه ؟.

ثمّ قال عليه السّلام:(فما عليك غلبه المغلوب و لا لك ظفر الظافر) أتى بفاء التفريع على هذه الجمله، أى إذا كنت بمعزل عنهم و أجنبيّا عن هؤلاء المهاجرين الأوّلين و السّابقين فى الإسلام، فما عليك غلبه المغلوب أى لا تضرّك، و لا لك ظفر الظافر أى لا ينفعك فدخل معاويه فيما لا يعنيه.

ثمّ قال عليه السّلام:(و انك لذهّاب فى التّيه روّاغ من القصد) و ذلك لأنّ من خرج عن زيّه و دخل فيما لا يعنيه، و تكلّم فوق قدره يعدّ كلامه فضولا، و صدق عليه مثل: لقد حنّ قدح ليس منها، فقد ذهب فى الضلال و مال عن الاعتدال و ما ذا بعد الحقّ إلّا الضّلال.

على أنّ معاويه أنكر الحقّ و عدل عن الصّراط المستقيم حيث خرج مبارزا لمن له الحقّ و لمن هو على الصّراط المستقيم بل لمن هو الحق و الصّراط المستقيم ألا و هو إمام المتّقين و قائد الغرّ المحجلين و خليفه ربّ العالمين و من هو من خاتم النّبيّين بمنزله موسى من هارون على أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلين فمن عدل عن ذلك القسطاس المستقيم و الميزان القسط ، فهو ذهّاب فى التّيه روّاغ عن القصد.

نقل سبط ابن الجوزى فى التذكره عن أبى حامد الغزالى حيث قال فى كتاب سرّ العالمين و كشف ما فى الدّارين بعد نقل طائفه من كلامه فى غصب الغاصبين خلافه أمير المؤمنين عليه السّلام: ثمّ العجب من منازعه معاويه لعلى عليه السّلام الخلافه و قد قطع الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم طمع من طمع فيها بقوله: إذا ولّى خليفتان فاقتلوا الأخير منهما، و العجب من حقّ واحد كيف ينقسم بين اثنين و الخلافه ليس بجسم و لا عرض فيتجزّى، قال: و قال أبو حازم: أوّل خلافه [حكومه - خ ل] تجرى بين العباد فى المعاد بين على عليه السّلام و معاويه فيحكم اللّه تعالى لعلى على معاويه و الباقون تحت المشيّه، و قال صلّى اللّه عليه و سلّم لعمّار: تقتلك الفئه الباغيه، و لا ينبغى للإمام أن يكون باغيا، و لأنّ الامامه تضيق عن شخصين، كما أنّ الرّبوبيّه لا يليق بالهين اثنين - إلى أن قال: ثمّ استفاض لعن على عليه السّلام

على المنابر ألف شهر و كان ذلك بأمر معاويه أ تراهم أمرهم بذلك كتاب أو سنّه أو إجماع ؟ هذا صوره كلام الغزالى. (ص ۳۷ من التّذكره الرّحلى المطبوع على الحجر و المقابله الرابعه من سرّ العالمين ص ۲۲ من طبع النجف).

ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السّلام بتذكير معاويه و تنبيهه على أفضليّته و أفضليّه من هو من بيته و نسبه من بنى هاشم حيث قال: (ألا ترى غير مخبر لك - لكن بنعمه اللّه احدّث - أنّ قوما إلخ). يعنى بقوله غير مخبر لك أنك لست بأهل أن يخاطبك مثلى كما يستفاد من سياق الكلام، و يحتمل بعيدا أن يفسّر بأنّ معاويه لما كان واقفا على ذلك قال الأمير عليه السّلام: غير مخبر لک، و قوله عليه السّلام: لكن بنعمه اللّه احدّث يشير إلى قوله تعالى فى سوره الضّحى: «وَ أَمّا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ ».

ثمّ قال عليه السّلام:(قيل: سيّد الشّهداء) يعنى بسيّد الشّهداء عمّه حمزه بن عبد المطلب رضوان اللّه عليه استشهد فى احد و القائل هو رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حيث قال:

إنه سيّد الشّهداء و خصّه بسبعين تكبيره عند صلاته عليه و مضى الكلام فى شهاده حمزه و صلاه الرّسول صلى اللّه عليه و آله و حزنه عليه فى المختار التاسع من باب الكتب (ج ۱۷) فراجع.

ثمّ قال عليه السّلام:(إنّ قوما قطعت أيديهم فى سبيل اللّه) يعنى به أخاه جعفر بن أبى طالب رضوان اللّه عليه استشهد فى غزوه موته، و قد تقدّم الكلام فى شهادته و فضله فى شرح المختار التاسع المقدّم ذكره أيضا فلا فائده فى الإعاده.

ثمّ أخذ عليه السّلام بنقل فضائله و لكن أعرض عنه لما نهى اللّه عنه من تزكيه المرء نفسه فقال:(و لو لا ما نهى اللّه. إلخ) - و أراد من قوله:(لذكر ذاكر) نفسه الشريفه، ثمّ وصف الفضائل بأنها بلغت فى الشهره و الوضوح مبلغا تعرفها قلوب المؤمنين و لا تمجّها آذان السّامعين فلا ينكرها إلا عميان القلب و فاقد السمع و سياق الكلام يفيد أنّها لوضوحها لا يمكن لأحد إنكارها و إن كان غير مؤمن يثقل عليه سماعها حيث قال عليه السّلام:(و لا تمجّها آذان السّامعين) بعد قوله: تعرفها قلوب المؤمنين.

ثمّ قال علیه السّلام:(فدع عنک من مالت به الرمیه) و فی نهایه الأرب: الدنیه مکان الرمیه و هی الأمر الخسیس، قیل: انه مثل و أصله أنّ رجلا قصد مکانا و قد عرض علیه فی أثناء طریقه صید فجعل یتبعه لیصطاده فشغله عمّا قصده. انتهی کلامه بترجمه منّا، و لکنا لم نظفر به، و الحقّ ما قاله آخر من أنّه کالمثل.

و أمّا معناه: فقال الکیدریّ - کما نقل عنه فی البحار: (ص ۵۳۶ ج ۸) أراد علیه السّلام أنّه - یعنی معاویه - مطعون فی نسبه و حسبه و أنّه أزاله عن مقام التّفاخر و التنافر مطاعن شهرت فیه. انتهی. ثمّ قال المجلسی - ره -: و کأنّه حمل علی الرمایه علی السهام المرمیّه. انتهی.

و ذکر المولی صالح القزوینی - ره - فی شرحه علی النهج بالفارسیّه فی معناه ثلاثه أوجه: أوّلها أنّه علیه السّلام أراد بمن نفسه الشریفه أی دعنی یا معاویه و شأنی أسکت عنک، و لم یک قصدی أن افاخرک بمفاخری و لکن تعرّض لی صید فی أثناء الطریق فرمیته بسهم.

و ثالثها أنّه علیه السّلام أراد بمن معاویه أی دع ما یشغلک عن الحقّ و اترک ما لا یعنیک و دونک و شأنک و لا تکن کالّذی مالت به الرّمیه، و احتمله العالم الشارح البحرینی قدّس سرّه أیضا حیث قال: و یحتمل أن تکون الإشاره إلیه بعینه علی طریقه قولهم: إیّاک أعنی و اسمعی یا جاره.

قلت: ما ذهب إلیه الکیدری - ره - بعید عن سیاق العباره و کذا الوجهان المذکوران سیّما الأوّل منهما، و معنی العباره المستفاد من سیاقها أن أمیر المؤمنین علیه السّلام یأمره عن عدم الالتفات إلی أقوال أبناء الدّنیا کعمرو بن العاص و أضرابه أی دع قوما أمالتهم الدّنیا الدّنیه عن سوّی الصراط ، و بعد نفسک عنهم.

ثمّ قال علیه السّلام:(فإنا صنائع ربّنا و الخلق بعد صنائع لنا) إنما أتی بالفاء لأنّ کلامه هذا فی مساق العلّه لقوله علیه السّلام: فدع عنک من مالت به الرّمیه، أی یجب علیک ترک هؤلاء القوم الّذین ضلّوا عن الطریق الحق، و علیک باتباع سبیلنا لأنّا صنائع ربّنا فمن أعرض عنّا فقد حاد عن الصراط المستقیم.

ص:۱۱۴

ثمّ إنّ كلامه هذا فوق كلام البشر، و فوق ما يحوم حوله العباره عليه مسحه من العلم الإلهى و لعمرى أنّه يجرى مجرى التنزيلات السّماويّه، لما اشتمل عليه من أمر الخلافه الحقّه، و شأن الحجج الإلهيّه، و أراه كأنّه موج برز من محيط عظيم، أو نور سطع من عالم الأمر الحكيم، لا يتفوّه به إلاّ من اصطنعه الله تعالى لنفسه، و لا يقدر على الإتيان به إلاّ قائل إنّا لامراء الكلام و فينا تنشّبت عروقه و علينا تهدّلت غصونه، و لا يليق هذا الإدّعاء إلاّ لنبىّ أو وصى نبىّ ، و لا يصدر نحو هذه الكلمه العليا إلاّ من قلب هو عيبه أسرار اللّه جلّ شأنه، و بالجمله:

آن كس كه ز كوى آشنائيست داند كه متاع ما كجائيست

و قد علمت فى تفسير اللّغات أنّ فلانا صنيعى و صنيعتى أى اصطنعته و ربّيته و خرجته و فلان صنيعتك و مصطنعك، قال عزّ من قائل: «فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » (طه ۴۲) أى اصطفيتك و أخلصتك و استخلصتك لنفسى كما قال عزّ من قائل: «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسى إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً » (مريم ۵۲) و قال تعالى: «قالَ يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسالاتِي وَ بِكَلامِي » (الاعراف ۱۴۵)، قال جار اللّه الزّمخشرى فى الكشاف: هذا تمثيل لما خوّله من منزله التقريب و التكريم و التكليم، مثّل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه و خصائص أهلا لئلاّ يكون أحد أقرب منزله منه إليه و لا يأتمن على مكنون سرّه سواه. انتهى.

و قال النيسابورى فى التفسير: اصطنعت فلانا لنفسى إذا اصطفيته و خرجته و معناه أحسنت إليه حتّى أنّه يضاف إليه، و نقل نحوه عن القفّال أيضا، ففيه غايه التشريف و التكريم.

و إذا تأمّلت حقّ التأمل بما أهدينا إليك فى الصنيعه تجدها تجرى مجرى الاصطفاء و الاجتباء و الإخلاص و الاستخلاص فتدبّر فى قوله تعالى: «وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ إِنّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَهٍ ذِكْرَى الدّارِ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ » (ص: ۴۸).

و قوله تعالى: «وَ الَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا » (فاطر: ٣٢).

و قوله تعالى: «اَللّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَهِ رُسُلًا وَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » (الحج: ٧۶).

و قوله تعالى: «وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ » - إلى قوله: «وَ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلاًّ فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّيّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَيْناهُمْ وَ هَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ».

و فى قوله تعالى: «أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّهِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّهِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنا وَ اجْتَبَيْنا إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا » (مريم: ۵۹).

و فى قوله تعالى: «كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ » (يوسف: ٢۵)، و قوله تعالى: «وَ قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى » (يوسف: ۵۵).

ثمّ لا يخفى عليك لطف كلامه عليه السّلام: فانا صنائع ربّنا و الناس بعد صنائع لنا من حيث إتيانه الضمير على هيئه الجمع دون المفرد يعنى أنّ جميع حجج اللّه اصطنعهم اللّه تعالى لنفسه و اصطفيهم بين سائر عباده فهو عليه السّلام ينادى بأعلى صوته بأنّ خليفه اللّه لا بدّ من أن يكون منصوبا من عنده تبارك و تعالى، كما أفاد بكلامه هذا أعنى: فإنّا صنائع ربّنا أنهم معصومون أيضا و ذلك لأنّ اللّه لا يصطنع لنفسه من لا يكون معصوما و قد مرّ بحثنا عن ذلك مشبعا فى الإمام و صفاته فى شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب (ص ٣٣ - إلى - ١٧۶ من ج ١۶).

و قد مضى كلام ثامن الأئمه عليهم السّلام فى ذلك أيضا من أنّ العبد إذا اختاره اللّه عزّ و جلّ لامور عباده شرح صدره لذلك و أودع قلبه ينابيع الحكمه و ألهمه العلم إلهاما فلم يعى بعده بجواب و يحيّر فيه عن الصّواب و هو معصوم مؤيد موفق مسدّد قد أمن الخطايا و الزلل و العثار و خصّه اللّه بذلك ليكون حجّه على عباده و شاهده

على خلقه و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

و أفاد عليه السّلام بكلامه: و الناس صنائع لنا، أنّهم عليهم السّلام وسائط فيض اللّه تعالى بين اللّه المتعال و بين عباده، و بقوله: إنّا صنائع ربّنا أنه لا واسطه بينهم و بين اللّه تعالى.

ثمّ إنّ فى سياق العباره إيماء إلى أنّ من بلغ هذه المرتبه و المنزله إكراما من الله تعالى حتّى اصطفيه اللّه و اتّخذه صنيعته و جعل النّاس صنائع له فكيف يجعل غيره عدله فضلا عن أن يجعل أفضل منه و إن كان للغير قرب صورى و ظاهرى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و أنى هذه المنزله الاعتباريه و من هو ممّن اجتبيه اللّه تعالى و اصطنعه لنفسه.

ثمّ قال عليه السّلام:(لم يمنعنا قديم عزّنا-إلخ)معناه على نصب كلمتى قديم و عادىّ حتّى تكونا مفعولين و جمله أن خلطناكم مرفوعه على الفاعليه أنّ المخالطه بيننا و بينكم بالنكاح أى تزوّجنا فيكم و تزوّجكم فينا كفعل الأكفاء لا يمنعنا قديم عزّنا و لا عادى طولنا عليكم و الحال أنكم لستم فى مرتبه المماثله لنا و كيف يكونون الأكفاء لنا و الحال منّا النّبى و منكم المكذّب إلخ.

و أمّا معناه على رفع الكلمتين كما فى نسخه الرضى رضوان اللّه عليه و هو الصّواب فأن يقال: إنّ قديم عزّنا و فضلنا عليكم لم يمنعنا أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء و الحال أنكم لستم فى مرتبه الأكفاء لنا، كما أنّ بيوت العزّ و الشرف يتأنّفون عن مخالطه من دونهم كذلك.

أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بقوله: و ينبغى أن يحمل قوله عليه السّلام قديم و عادى على مجازه لا على حقيقته لأنّ بنى هاشم و بنى اميه لم يفترقا فى الشرف إلّا مذ نشأ هاشم بن عبد مناف و عرف بأفعاله و مكارمه و نشأ حينئذ أخوه عبد شمس و عرف بمثل ذلك و صار لهذا بنون و لهذا بنون و ادّعى كلّ من الفريقين أنه أشرف بالفعال من الاخر ثمّ لم يكن المدّه بين نشاء هاشم و اظهار محمّد صلى اللّه عليه و آله الدّعوه إلا نحو تسعين سنه و مثل هذه المدّه القصيره لا يقال فيها قديم عزّنا و عادىّ طولنا فيجب أن يحمل اللفظ على مجازه لأنّ الأفعال الجميله كما تكون عاديه تكون

ص:١١٧

بكثره المناقب و الماثر و المفاخر و إن كانت المدّه قصيره، و لفظه قديم ترد و لا يراد بها قدم الزمان بل من قولهم لفلان قدم صدق و قديم أثر أى سابقه حسنه.

أقول: و يؤيده روايه صبح الأعشى: لم يمنعنا قديم عزّنا و مديد طولنا، فان لفظه مديد قرينه على أنّ القديم ليس بمعناه المطابقى، و يمكن أن يقال: إنّ للقديم توسّعا فى المحاوراه كما يقال من قديم الدهر و من زمان قديم و ان لم يمض من الزمان إلّا نحو تسعين سنه فلا يكون تجوّز على هذا الوجه.

و قال العلاّمه المجلسى - ره - فى البحار (ص ۵۳۶ ج ۸): و قد ظهر لك ممّا سبق أنّ بنى اميّه لم يكن لهم نسب صحيح ليشاركوا فى الحسب آباءه عليه السّلام، مع أنّ قديم عزّهم لم ينحصر فى النسب بل أنوارهم عليهم السّلام أوّل المخلوقات و من بدأ خلق أنوارهم إلى خلق أجسادهم و ظهور آثارهم كانوا معروفين بالعزّ و الشرف و الكمالات فى الأرضين و السماوات يخبّر بفضلهم كلّ سلف خلفا و رفع اللّه ذكرهم فى كل امه عزّا و شرفا، انتهى كلامه - ره -.

و أقول: قد ذكرنا نبذه من خلال بنى هاشم و أنموذجه من شيم بنى اميه فى شرح المختار السابع عشر من باب الكتب (من ص ۲۵۷ - إلى - ص ۲۷۰ ج ۱۸)، فراجع.

ثمّ أخذ عليه السّلام فى بيان عدم كون بنى اميه فى مرتبه المماثله لبنى هاشم و نفى كونهم أهلا للمخالطه بقوله:(و أنّى يكون ذلك كذلك و منا النبى و منكم المكذّب) و المكذّب هو أبو سفيان صخر بن حرب كان عدوّ رسول اللّه و المكذّب له و ما أسلم آخر الأمر بل استسلم كما مضى الكلام فى استسلام القوم فى شرح كلام أمير المؤمنين عليه السّلام: و الذى فلق الحبّه و برأ النسمه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعوانا عليه أظهروه. (المختار ۱۶ من باب الكتب ص ۱۹۰ ج ۱۸).

و كان أبو سفيان أصل الشجره الملعونه و ما من فتنه ظهرت من قريش على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و المسلمين إلّا كان له قدم راسخ و سعى بالغ فيها ثمّ استسلم عام الفتح

إمّا رغبه و إمّا رهبه كما قال أمير المؤمنين على عليه السّلام فى المختار السابع عشر من هذا الباب (ص ۲۲۸ ج ۱۸): و لمّا أدخل اللّه العرب فى دينه أفواجا و أسلمت له هذه الامه طوعا و كرها كنتم ممّن دخل فى الدين إمّا رغبه و إمّا رهبه و راجع فى ذلك إلى ص ۲۲۴ من ج ۱۸ أيضا، و مات أبو سفيان فى سنه ۳۱ ه منافقا أعمى القلب و العينين، و تقدم طائفه من رذائل شيمه فى تفسير المختار السابع عشر من باب الكتب (ص ۲۶۵ ج ۱۸ فراجع).

قال الواقدى فى المغازى (ص ۹۰ طبع مصر): و لما رجعت قريش إلى مكّه - يعنى من غزوه بدر منهزمين - قام فيهم أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم و لا تنوح عليهم نائحه و لا يبكيهم شاعر و أظهروا الجلد و العزاء فإنكم إذا نحتم عليهم و بكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم، فأكلكم ذلك عن عداوه محمّد و أصحابه، مع أنّه إن بلغ محمّدا و أصحابه شمتوا بكم فيكون أعظم المصيبتين شماتتهم، و لعلّكم تدركون ثاركم فالدّهن و النساء علىّ حرام حتّى أغزو محمّدا، فمكثت قريش شهرا لا يبكيهم شاعر و لا تنوح عليهم نائحه.

و قال غير واحد من شرّاح النهج: المكذّب هو أبو جهل، كان أشدّ الناس عداوه للنّبى صلى اللّه عليه و آله، قتل يوم بدر كافرا و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى حقّه لمّا قتل:

إنّ هذا أعتى على اللّه من فرعون إنّ فرعون لمّا أيقن بالهلاك وحّد اللّه و إنّ هذا لمّا أيقن بالهلاك دعا باللّات و العزّى.

و قال الشارح البحرانى قدّس سرّه: المكذّب هو أبو جهل بن هشام و إليه الاشاره بقوله: «وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ » الايه (المزمل: ۱۱) قيل نزلت فى المطيبين ببدر و كانوا عشره و هم: أبو جهل و عتبه و شيبه ابنا ربيعه بن عبد شمس و نبيه و منبّه ابنا الحجّاج و أبو البخترى بن هشام و النّضر بن الحارث و الحارث بن عامر و أبىّ بن خلف و زمعه بن الأسود فذكر عليه السّلام النّبى صلى اللّه عليه و آله بفضيلته و هى النّبوه و ذكر أبا جهل برذيلته و هى تكذيبه، انتهى كلامه - ره -.

قلت: و سيأتى البيان فى المطيّبين و حلفهم و حلف الفضول بعيد هذا.

ص:۱۱۹

قال ابن هشام فی السیره النّبویه (ص ۳۶۲ ج ۱) فی أبی جهل و ما أنزل اللّه تعالی فیه: و أبو جهل بن هشام لمّا ذکر اللّه عزّ و جل شجره الزّقوم تخویفا بها لهم قال: یا معشر قریش، هل تدرون ما شجره الزّقوم الّتی یخوّفکم بها محمّد؟ قالوا: لا، قال: عجوه یثرب بالزّبد، و اللّه لئن استمکنا منها لنتزقمنّها تزّقما فأنزل اللّه تعالی فیه: «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِیمِ کَالْمُهْلِ یَغْلِی فِی الْبُطُونِ کَغَلْیِ الْحَمِیمِ »، أی لیس کما یقول انتهی.

أقول: المراد من التقابل بین منّا و منکم فی کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام هو التقابل بین بنی هاشم و بنی امیّه کما لا یخفی، و أبو جهل لعنه اللّه تعالی و إن کان أعدا عدوّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و ألدّ خصامه و المکذّبین له لکنّه هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغیره المخزومی من بنی مخزوم بن مرّه من قریش فهو لیس من بنی امیّه فلا یصحّ أن یفسّر قول أمیر المؤمنین علیه السّلام و منکم المکذّب بأبی جهل لعنه اللّه تعالی و أیّ عار یلزم معاویه من هذا التفسیر؟.

ثمّ قال علیه السّلام:(و منّا أسد اللّه و منکم أسد الأحلاف) عنی بأسد اللّه حمزه بن عبد المطلب بن هاشم عمّ النّبی صلی اللّه علیه و آله سمّاه رسول اللّه بذلک لشجاعته و ذّبه عن دین اللّه.

و فی الاصابه لابن حجر: أسلم حمزه علیه السّلام فی السنه الثانیه من البعثه و لازم نصر رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و هاجر معه، شهد بدرا و أبلی فی ذلک و قتل شیبه بن ربیعه و شارک فی قتل عتبه بن ربیعه أو بالعکس، و قتل طعیمه بن عدی و عقد له رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لواء و أرسله فی سرّیه فکان ذلک أوّل لواء عقد فی الإسلام فی قول المدائنی و استشهد باحد و کان ذلک فی النصف من شوّال سنه ثلاث من الهجره فعاش دون ستین، و یقال إنه قتل باحد قبل أن یقتل أکثر من ثلاثین نفسا، و لقبه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله أسد اللّه و سمّاه سیّد الشهداء - انتهی ما أردنا نقله منها.

و فی اسد الغابه: لمّا أسلم حمزه عرفت قریش أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قد عزّ و امتنع و أنّ حمزه سیمنعه فکفّوا عن بعض ما کانوا یتناولون منه ثمّ هاجر إلی

المدينه و شهد بدرا و أبلى فيها بلاء عظيما مشهورا - إلى أن قال: و كان حمزه يعلم فى الحرب بريشه نعامه، و قاتل يوم بدر بين يدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بسيفين و قال بعض اسارى الكفّار: من الرجل المعلم بريشه نعامه ؟ قالوا: حمزه، قال: ذاك فعل بنا الأفاعيل، و شهد احدا فقتل بها يوم السبت النصف من شوّال و كان قتل من المشركين قبل أن يقتل أحدا و ثلاثين نفسا منهم سباع الخزاعى قال له حمزه: هلم إلىّ يا ابن مقطعه البظور و كانت امّه ختّانه فقتله.

قال: قال ابن إسحاق: كان حمزه يقاتل يومئذ بسيفين فقال قائل أىّ أسد هو حمزه فبينما هو كذلك إذ عثر عثره وقع منها على ظهره فانكشف الدرع عن بطنه فزرقه وحشى الحبشى مولى جبير بن مطعم بحربه فقتله و مثّل به المشركون إلى أن قال:

و روى جابر قال: لمّا رأى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حمزه قتيلا بكى فلمّا رأى ما مثّل به شهق و قال: لو لا أن تجد صفيّه لتركته حتّى يحشر من بطون الطير و السباع، وصفيه هى امّ الزّبير و هى اخته، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

و أمّا اسد الأحلاف، فقال بعض الشراح: هو أبو سفيان و قيل لأبى سفيان أسد الأحلاف لأنّه حالف الأحزاب على قتال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حول المدينه و زلزل المؤمنون بمكانهم زلزالا شديدا إلى أن فرّق اللّه تعالى جمعهم كما حكاه فى قوله: فأرسلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها.

و تبعه الفاضل الشّيخ محمّد عبده قال: أسد اللّه حمزه، و أسد الأحلاف أبو سفيان لأنّه حزب الأحزاب و حالفهم على قتال النبى فى غزوه الخندق، انتهى كلامه.

قلت: هذا تفسير وجيه ملائم غير أنّ اسلوب الكلام يوجب أن يكون أسد الأحلاف ههنا غيره لما دريت أنّ أبا سفيان كان المكذّب فأسد الأحلاف غيره.

و قال العالم الشارح البحرانى: هو أسد بن عبد العزّى و الأحلاف هم عبد مناف و زهره و أسد و تيم و الحارث بن فهر و سمّوا الأحلاف لأنّ بنى قصى أرادوا أن ينتزعوا بعض ما كان بأيدى بنى عبد الدار من اللواء و الندوه و الحجابه و الرفاده

و هى كلّ شىء كان فرضه قصى على قريش لطعام الحاج فى كلّ سنه و لم يكن لهم إلّا السقاته فتحالفوا على حربهم و أعدوا للقتال ثمّ رجعوا عن ذلك ناكصين و أقرّوا ما كان بأيديهم، انتهى كلامه.

قلت: أسد بن عبد العزّى هو جدّ خديجه زوجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لأنّها خديجه بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصىّ بن كلاب بن مرّه بن كعب ابن لؤىّ بن غالب بن فهر، كما فى السيره النّبويه لابن هشام (ص ١٨٩ ج ١ من طبع مصر ١٣٧۵ ه).

و الرفاده على التفصيل مذكوره فى السيره النّبويه لابن هشام أيضا (ص ١٣٠ ج ١) و قد نقلنا نبذه من الكلام فى السقايه و الرفاده فى شرح المختار السابع عشر من باب الكتب (ص ٢۶۴ ج ١٨).

ثمّ ذكر ابن هشام بعد الكلام فى الرفاده حلف المطيّبين ثمّ حلف الفضول قال: قال ابن إسحاق ثمّ إنّ قصىّ بن كلاب هلك فأقام أمره فى قومه و فى غيرهم بنوه من بعده فاختطّوا مكّه رباعا، بعد الذى كان قطع لقومه بها، فكانوا يقطعونها فى قومهم و فى غيرهم من حلفائهم و يبيعونها فأقامت على ذلك قريش معهم ليس اختلاف و لا تنازع.

ثمّ إنّ بنى عبد مناف ابن قصىّ : عبد شمس و هاشما و المطلب و نوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصىّ ممّا كان قصى جعل إلى عبد الدار من الحجابه و اللواء و السقايه و الرفاده و رأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم، و فضلهم فى قومهم فتفرّقت عند ذلك قريش، فكانت طائفه مع بنى عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحقّ به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم، و كانت طائفه مع بنى عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصىّ جعل إليهم.

فكان صاحب أمر بنى عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف و ذلك أنّه كان أسنّ بنى عبد مناف و كان صاحب أمر بنى عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، فكان بنو أسد بن عبد العزّى بن قصىّ ، و بنو زهره بن كلاب

و بنو تیم بن مرّه بن کعب، و بنو الحارث بن فهر بن النّضر، مع بنی عبد مناف.

و کان بنو مخزوم بن یقظه بن مرّه، و بنو سهم بن عمرو بن هصیص بن کعب و بنو جمح بن عمرو بن هصیص بن کعب، و بنو عدیّ بن کعب مع بنی عبد الدار و خرجت عامر بن لؤیّ و محارب بن فهر فلم یکونوا مع واحد من القریقین.

فعقد کلّ قوم علی أمرهم حلفا مؤکّدا، علی أن لا یتخاذلوا و لا یسلم بعضهم بعضا ما بلّ بحرصوفه - یرید إلی الأبد، و صوف البحر: شیء علی شکل الصوف الحیوانی، واحدته: صوفه، یقال: لا آتیک ما بلّ بحرصوفه، أو ما بلّ البحرصوفه یرید لا آتیک أبدا -.

فأخرج بنو عبد مناف جفنه مملوءه طیبا فیزعمون أنّ بعض نساء بنی عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لأحلافهم فی المسجد عند الکعبه، ثمّ غمس القوم أیدیهم فیها فتعاقدوا و تعاهدوا هم و حلفاؤهم، ثمّ مسحوا الکعبه بأیدیهم توکیدا علی أنفسهم فسمّو المطیّبین.

و تعاقد بنو عبد الدار و تعاهدوا هم و حلفاؤهم عند الکعبه حلفا مؤکّدا علی أن لا یتخاذلوا، و لا یسلم بعضهم بعضا فسمّوا الأحلاف.

ثمّ سوند بین القبائل و لزّ بعضها ببعض فعبیت بنو عبد مناف لبنی سهم، و عبیت بنو أسد لبنی عبد الدّار، و عبیت زهره لبنی جمح، و عبیت بنو تمیم لبنی مخزوم و عبیت بنو الحارث بن فهر لبنی عدی بن کعب. ثمّ قالوا: لتفن کلّ قبیله من اسند إلیها.

فبینا النّاس علی ذلک قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلی الصلح علی أن یعطوا بنی عبد مناف السقایه و الرفاده، و أن تکون الحجابه و اللّواء و الندوه لبنی عبد الدّار کما کانت، ففعلوا و رضی کلّ واحد من الفریقین بذلک و تحاجز النّاس عن الحرب، و ثبت کلّ قوم مع من حالفوا، فلم یزالوا علی ذلک حتّی جاء اللّه تعالی بالإسلام، فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: ما کان من حلف فی الجاهلیه فإنّ الإسلام لم یزده إلاّ شدّه.

ص:۱۲۳

حلف الفضول و سبب تسمیته کذلک

قال ابن هشام: و أمّا حلف الفضول: فحدّثنی زیاد بن عبد اللّه البکائی، عن محمّد بن إسحاق قال: تداعت قبائل من قریش إلی حلف فاجتمعوا له فی دار عبد اللّه بن جدعان بن عمرو بن کعب بن سعد بن تیم بن مرّه بن کعب بن لؤی، لشرفه و سنّه فکان حلفهم عنده، بنو هاشم، و بنوا المطّلب، و أسد بن عبد العزّی، و زهره بن کلاب، و تیم بن مرّه فتعاقدوا و تعاهدوا علی أن لا یجدوا بمکّه مظلوما من أهلها و غیرهم ممّن دخلها من سائر النّاس إلاّ قاموا معه، و کانوا علی من ظلمه حتّی تردّ علیه مظلمه فسمّت قریش ذلک الحلف حلف الفضول.

قال: قال ابن إسحاق: و حدّثنی محمّد بن زید بن المهاجر بن قنفذ التیمیّ أنه سمع طلحه بن عبد اللّه بن عوف الزّهری یقول: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: لقد شهدت فی دار عبد اللّه بن جدعان حلفا ما احبّ أنّ لی به حمر النّعم و لو ادعی به فی الإسلام لأجبت.

قال: قال ابن إسحاق: و حدّثنی یزید بن عبد اللّه بن اسامه بن الهادی اللّیثیّ : أنّ محمّد بن إبراهیم بن الحارث التیمیّ حدّثه: أنّه کان بین الحسین ابن علیّ بن أبی طالب علیهم السّلام، و بین الولید بن عتبه بن أبی سفیان، و الولید یومئذ أمیر علی المدینه أمّره علیها عمّه معاویه بن سفیان منازعه فی مال کان بینهما بذی المروه، فکان الولید تحامل علی الحسین علیه السّلام فی حقّه لسلطانه، فقال له الحسین:

احلف باللّه لتنصفنّی من حقّی أو لاخذنّ سیفی، ثمّ لأقومنّ فی مسجد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله ثمّ لأدعونّ بحلف الفضول.

قال: فقال عبد اللّه بن الزبیر و هو عند الولید حین قال الحسین علیه السّلام ما قال:

و أنا أحلف باللّه لئن دعا به لاخذنّ سیفی ثمّ لأقومنّ معه حتّی ینصف من حقّه أو نموت جمیعا، قال: فبلغت المسور بن مخرمه بن نوفل الزهریّ فقال مثل ذلک و بلغت عبد الرّحمن بن عثمان بن عبید اللّه التّیمی فقال مثل ذلک فلمّا بلغ ذلک

الوليد بن عتبه أنصف الحسين عليه السّلام من حقّه حتّى رضى.

قال: قال ابن إسحاق: و حدّثنى يزيد بن عبد الله بن اسامه بن الهادى اللّيثى عن محمّد بن إبراهيم بن الحارث التّيمى، قال: قدم محمّد بن جبير بن مطعم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف - و كان محمّد بن جبير أعلم قريش - على عبد الملك ابن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير و اجتمع النّاس على عبد الملك، فلمّا دخل عليه قال له: يا أبا سعيد أ لم نكن نحن و أنتم، يعنى بنى عبد شمس ابن عبد مناف، و بنى نوفل بن عبد مناف، فى حلف الفضول ؟ قال: أنت أعلم، قال عبد الملك: لتخبرنى يا أبا سعيد بالحقّ من ذلك فقال: لا و اللّه، لقد خرجنا نحن و أنتم منه! قال: صدقت، تمّ خبر حلف الفضول.

و المنقول عن الروض الأنف فى سبب تسميه هذا الحلف بهذا الاسم أنّ جرهما فى الزمن الأوّل، قد سبقت قريشا إلى مثل هذا الحلف فتحالف منهم ثلاثه هم و من تبعهم أحدهم: الفضل بن فضاله، و الثانى: الفضل بن وداعه، و الثالث: فضيل بن الحارث و قيل: بل هم: الفضيل بن شراعه، و الفضل بن وداعه، و الفضل بن قضاعه، فلمّا أشبه حلف قريش هذا حلف هولاء الجرهميين سمّى حلف الفضول.

و قيل: بل سمّى كذلك لأنهم تحالفوا أن تردّ الفضول على أهلها، و ألا يغزو ظالم مظلوما.

و كان حلف الفضول هذا قبل البعث بعشرين سنه، و كان أكرم حلف و أشرفه و أوّل من تكلّم به و دعا إليه الزبير بن عبد المطّلب، و كان سببه أنّ رجلا من زبيد قدم مكّه ببضاعه، فاشتراها منه العاصى بن وائل، و كان ذا قدر بمكّه و شرف فحبس عنه حقّه، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف: عبد الدار، و مخزوما، و جمح و سهما، و عدىّ بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصى، و زبروه، فلمّا رأى الزبيدى الشرّ، أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس، و قريش فى أنديتهم حول الكعبه فصاح بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكّه نائى الدار و النفر

و محرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال و بين الحجر و الحجر

إنّ الحرام لمن تمت كرامته و لا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطّلب، و قال: ما لهذا مترك، فاجتمعت هاشم و زهره، و تيم بن مرّه، فى دار ابن جدعان، فصنع لهم طعاما و تعاقدوا، و كان حلف الفضول، و كان بعدها أن أنصفوا الزبيدى من العاصى، انتهى ما عن الروض الأنف.

و الغرض من نقل حلف المطيّبين و حلف الفضول من السيره أن يعلم أنّ تفسير أسد الأحلاف بأسد بن عبد العزّى ليس بصواب و كأنّ الشارح البحرانى تبع فى هذا التفسير قطب الدّين الراوندى رضوان اللّه عليه، و قد نقل كلامه ابن أبى الحديد فى شرحه على النهج ثمّ خطّاه و الحقّ مع ابن أبى الحديد فى المقام، قال:

قال الراوندى: المكذّب من كان يكذّب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عنادا من قريش و أسد الأحلاف أسد بن عبد العزّى قال: لأنّ بنى أسد بن عبد العزّى كانوا أحد البطون الّذين اجتمعوا فى حلف المطيّبين و هم بنو أسد بن عبد العزّى، و بنو عبد مناف، و بنو تميم بن مره، و بنو زهره، و بنو الحارث بن فهر.

ثمّ قال ابن أبى الحديد: هذا كلام طريف جدّا لأنّه لم يلحظ أنه يجب أن يجعل بازاء النّبى صلى اللّه عليه و آله مكذّب من بنى عبد شمس فقال: المكذّب من كذّب النّبى صلى اللّه عليه و آله من قريش عنادا و ليس كلّ من كذّبه صلى اللّه عليه و آله من قريش أن يعيّر معاويه به، ثمّ قال: أسد الأحلاف أسد بن عبد العزّى و أىّ عار يلزم معاويه من ذلك ؟ ثمّ إنّ بنى عبد مناف كانوا فى هذا الحلف و على و معاويه من بنى عبد مناف و لكنّ الراوندى يظلم نفسه بتعرّضه لما لا يعلمه، انتهى كلام ابن أبى الحديد.

و الصواب أنّ أسد الأحلاف هو عتبه بن ربيعه، قال الواقدى فى الجزء الثالث من غزوه بدر من كتابه فى مغازى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله (ص ۴۹ من طبع مصر ه ۱۳۶۷):

و المشـركون ينظرون على صـفوفهم و هم يرون أنهم ظـاهرون، فـدنا النّاس بعضـهم من بعض فخرج عتبه و شـيبه و الوليـد حتّى فصـلوا من الصف ثمّ دعوا إلى المبـارزه، خرج إليهم فتيان ثلاثه من الأنصار و هم بنو عفراء معاذ و معوذ و عوف بنو الحارث، و يقـال ثـالثهم عبـد اللّه بن رواحه، و الثبت عنـدنا أنهم بنـو عفراء فاسـتحيى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله من ذلـك، و كره أن يكـون أوّل قتـال لقى المسـلمون فيه المشـركين فى الأنصـار و أحبّ أن تكـون الشـوكه لبنى عمّه و قـومه، فـأمرهم فرجعـوا إلى مصافّهم و قال لهم خيرا.

ثمّ نـادى منـادى المشـركين: يـا محمـد أخرج لنا الأكفاء من قومنا، فقال لهم رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله: يا بنى هاشم قوموا فقاتلوا بحقّكم الّذى بعث اللّه به نبيّكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور اللّه.

فقام حمزه بن عبد المطّلب، و على بن أبى طالب، و عبيده بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف فمشوا إليهم.

فقال عتبه: تكلموا نعرفكم - و كان عليهم البيض فأنكروهم - فإن كنتم أكفاء قاتلناكم.

فقال حمزه بن عبد المطّلب: أسد اللّه و أسد رسوله. قال عتبه: كفؤ كريم.

ثمّ قال عتبه: و أنا أسد الحلفاء، و من هذان معك ؟ قال: علىّ بن أبى طالب، و عبيده بن الحارث، قال: كفؤان كريمان.

ثمّ قـال الواقـدىّ : قـال ابن أبى الزنـاد، عن أبيه قـال: لم أسـمع لعتبه كلمه قـطّ أوهن من قوله: - أنـا أسـد الحلفـاء - يعنى حلفاء الأجمه.

ثمّ قال عتبه لابنه: قم يا وليد، فقام الوليد، و قام إليه علىّ عليه السّلام و كان أصغر النفر فقتله على عليه السّلام، ثمّ قام عتبه، و قام إليه حمزه فاختلفا ضـربتين فقتله حمزه رضـى اللّه عنه، ثمّ قام شـيبه و قام إليه عبيده بن الحارث و هو يومئذ أسنّ أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فضرب شيبه رجل عبيده بذباب السيف فأصاب عضله ساقه فقطعها، و كرّ حمزه و علىّ على شيبه فقتلاه، و احتملا عبيده فحازاه إلى الصفّ و مخّ ساقه

يسيل فقال عبيده: يا رسول اللّه أ لست شهيدا؟ قال: بلى، قال: أما و اللّه لو كان أبو طالب حيّا لعلم أنا أحقّ بما قال منه حين يقول:

كذبتم و بيت اللّه نخلى محمّدا و لمّا نطاعن دونه و نناضل

و نسلمه حتّى نصرع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

إلى آخر ما ذكره الواقدى فى المغازى.

و عتبه هذا هو جدّ معاويه من قبل امّه فانّ هندا امّ معاويه هى بنت عتبه ابن ربيعه بن عبد شمس، ففى المقابله فى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام: منّا أسد اللّه و منكم أسد الأحلاف بحمزه من بنى هاشم و عتبه من بنى اميّه جدّ معاويه ممّا لا ينبغى أن يرتاب فيه و هذا هو التفسير الصّحيح بلا مدافع.

و الحلفاء فى قول عتبه هل هو مفرد أو جمع، فذهب أبو الزناد إلى أنّه مفرد فهى بفتح الحاء و سكون اللّام ففى أقرب الموارد: الحلفاء نبت أطرافه محدّده كأنّها أطراف سعف النخل و الخوص ينبت فى مغايض الماء و النزوز الواحده حلفه مثل قصبه و قصباء، و طرفه و طرفاء، و قيل: واحدته حلفاء، قال سيبويه: الحلفاء واحد و جميع و كذلك طرفاء و بهمى و شكاعى واحده و جميع، و من ذلك أنا الّذى فى الحلفاء، أراد أنا الأسد لأنّ مأوى الأسد الاجام و منابت الحلفاء. انتهى.

و فى منتهى الأرب، حلفاء كحمراء و حلف محرّكه: گياه دوخ، و هذا هو المراد من قوله: يعنى حلفاء الأجمه. و أمّا على الجمع فهى جمع الحليف أى المحالف قال أبو ذؤيب:

فسوف تقول إن هى لم تجدنى أخان العهد أم أثم الحليف

قال ابن أبى الحديد بعد نقل ما نقلناه عن الواقدى: قلت: قد روى هذه الكلمه على صيغه اخرى: و أنا أسد الحلفاء، و روى أنا أسد الأحلاف.

ثمّ قال: قالوا فى تفسيرهما: أراد أنا سيّد أهل الحلف المطيّبين، و كان الّذين حضروه بنى عبد مناف و بنى أسد بن عبد العزّى و بنى تيم و بنى زهره و بنى الحارث

ص:١٢٨

ابن فهر خمس قبائل.

قال: و ردّ قوم هذا التأويل فقالوا: إنّ المطيّبين لم يكن يقال لهم الحلفاء و لا الأحلاف و إنّما ذلك لقب خصومهم و أعدائهم الّذين وقع التحالف لأجلهم و هم بنو عبد الدار و بنو مخزوم و بنو سهم و بنو جمح و بنو عدىّ بن كعب خمس قبائل.

قال: و قال قوم فى تفسيرهما: إنّما عنى حلف الفضول و كان بعد حلف المطيّبين بزمان و شهد حلف الفضول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و هو صغير فى دار ابن جدعان - ثمّ نقل قصّه حلف الفضول فقال: و هذا التفسير أيضا غير صحيح لأنّ بنى عبد الشمس لم يكونوا فى حلف الفضول فقد بان أنّ ما ذكره الواقدى أصحّ و أثبت انتهى كلامه.

و قد نقلنا كلام ابن أبى الحديد من الجزء الرابع عشر من شرحه على الكتاب التاسع من النهج أوّله: و من كتاب له عليه السّلام إلى معاويه: فأراد قومنا قتل نبيّنا و اجتياح أصلنا - إلخ (ص ۱۷۸ ج ۲ من الطبع على الحجر).

قلت: ما قال ابن الحديد من أنه روى هذه الكلمه على صيغه اخرى فالاولى منهما أعنى و أنا أسد الحلفاء على صيغه الجمع و مفرده حليف، و الثانيه منهما أعنى أنا أسد الأحلاف مطابق لما فى نهج البلاغه و لا بعد أن يقال: إذا دار الأمر بين ما اختاره الرّضى و بين ما فى النسخ الاخرى فما اختاره الرّضى فهو الأقوى لأنّه رضوان اللّه عليه متضلّع فى البلاغه و خرّيت هذه الصناعه فينبغى أن يختار صيغه أسد الأحلاف كما اختارها.

و يبقى الكلام حينئذ فى تفسير أسد الأحلاف أعنى بيان المراد منه فى المقام فانّ تفسيره بالوجهين السّابقين أعنى بحلف المطيّبين و حلف الفضول كما نقلهما ابن أبى الحديد عن القوم ليس على ما ينبغى، و أرى أنّ الصواب فى تفسيره المناسب للمقام هو ما أفاده الفاضل أحمد زكى صفوت فى جمهره رسائل العرب (ص ۴۵۰ ج ۱) حيث قال بعد نقل كلام ابن أبى الحديد المذكور آنفا:

غير أنّ ابن أبى الحديد مع ما ذكره من تفنيد هذين التفسيرين، لم يبيّن

المراد بالأحلاف أو الحلفاء فى روايه من روى «أنا أسد الأحلاف» و «أنا أسد الحلفاء جمعا» و أقول: إنّنا إذا بحثنا عمّن قتلوا من مشركى قريش يوم بدر وجدناهم: من بنى عبد شمس بن عبد مناف، و من بنى نوفل بن عبد مناف، و من بنى أسد بن عبد العزّى ابن قصىّ ، و من بنى عبد الدار بن قصىّ ، و من بنى تيم بن مرّه بن كعب بن لؤى و من بنى مخزوم بن يقظه بن مرّه، و من بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب ابن لؤى، و من بنى سهم بن عمرو بن هصيص، و من بنى عامر بن لؤى، (راجع كتب السيره) أى انّ هذه البطون من قريش كانت قد تازرت و اتّفقت كلمتها على حرب محمّد صلى اللّه عليه و آله و إن شئت فقل إنّهم قد تحالفوا على قتاله - و إن لم ينقل إلينا التاريخ أنّهم قد عقدوا بينهم على ذلك حلفا بمعناه الأخصّ - ثمّ و لوا أمرهم عتبه ابن ربيعه فكان قائدهم و صاحب حربهم، فهو إذ يقول: «أنا أسد الأحلاف» يبغى أن يقول أنّه أسد هذه البطون القرشيه المتناصره على قتال المسلمين انتهى كلامه.

قلت: و يؤيده ما نقله الواقدى فى المغازى (ص ۴۵) بعد نقل واقعه: أنّ حكيم بن حزام أتى عتبه بن ربيعه فقال: يا أبا الوليد أنت كبير قريش و سيّدها و المطاع فيها فهل لك أن لا تزال منها بخير آخر الدّهر مع ما فعلت يوم عكاظ و عتبه يومئذ رئيس الناس - إلى أن قال: ثمّ جلس عتبه على جمله فسار فى المشركين من قريش يقول: يا قوم أطيعونى، - إلخ.

و روى البخارى فى صحيحه بعدّه طرق عن أبى مجلز، عن قيس بن عباد عن أبى ذرّ رضوان اللّه عليه قال: نزلت «هذان خصمان اختصموا فى ربّهم» فى ستّه من قريش برزوا يوم بدر: علىّ عليه السّلام و حمزه و عبيده بن الحارث، و شيبه و عتبه ابنى ربيعه و الوليد بن عتبه، فراجع إلى (ص ۹۵) من الجزء الخامس منه.

ثمّ قال عليه السّلام:(و منّا سيّدا شباب أهل الجنّه و منكم صبيه أهل النار) سيّدا شباب أهل الجنّه هما الحسن و الحسين عليهما السّلام كما نصّ جدهما رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بذلك و قد أغنانا شهرته و استفاضته بين الفريقين إن لم نقل ببلوغه إلى حدّ التواتر عن نقل

الروایات الوارده فی ذلک و إن أبیت إلّا نقلها فنقول: کفی کلام أبیهما أمیر المؤمنین علی علیه السّلام فی ذلک حجّه أوّلا.

و ثانیا قد روی أحمد فی المسند قال: حدّثنا أبو نعیم، قال: حدّثنا أبو نعیم قال: حدّثنا سفیان عن یزید بن أبی زیاد، عن أبی نعیم، عن أبی سعید الخدری قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه، و قد أخرجه الترمذی أیضا، و قال: هذا حدیث حسن صحیح. (نقله سبط ابن الجوزی فی التذکره، ص ۱۳۳ من الطبع الرحلی).

و فی مطالب السؤل فی مناقب آل الرسول لابن طلحه الشافعی: و منها ما رواه الترمذی بسنده عن أبی سعید قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه. (ص ۶۵ من الطبع الرحلی).

و فیه أیضا (ص ۷۱) و منه حدیث حذیفه بن الیمان - رض - أخرجه الترمذی فی صحیحه یرویه عنه بسنده، و قد تقدّم طرف منه فی فضائل فاطمه علیها السّلام أنّ حذیفه قال لامّه: دعینی آت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فاصلّی معه و أسئله أن یستغفر لی ذلک، فأتیته فصلّیت معه المغرب، ثمّ قام فصلّی حتّی صلّی العشاء، ثمّ انفتل فأتبعته فسمع صوتی فقال: من هذا حذیفه ؟ قلت: نعم، قال: ما حاجتک غفر اللّه لک و لامّک ؟ إنّ هذا ملک لم ینزل إلی الأرض قطّ قبل هذه اللّیله استأذن ربّه أن یسلّم علیّ و یبشرنی أنّ فاطمه سیّده نساء أهل الجنّه، و أنّ الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه.

إلی أن قال: و منه ما نقله الامام محمّد بن إسماعیل البخاری و الترمذی رضی اللّه عنهما بسندهما کلّ منهما فی صحیحه عن ابن عمر و سئله رجل عن دم البعوض، فقال: ممّن أنت ؟ فقال: من أهل العراق، فقال: انظروا إلی هذا یسألنی عن دم البعوض و قد قتلوا ابنی النّبیّ صلی اللّه علیه و آله و سمعت النّبیّ صلی اللّه علیه و آله یقول: هما ریحانتای من الدّنیا.

و روی أنّه سئله عن المحرم یقتل الذّباب، فقال: یا أهل العراق تسألونا

عن قتل الذّباب و قد قتلتم ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و ذكر الحديث و فى آخره: و هما سيّدا شباب أهل الجنّه.

و فى الصواعق المحرقه لابن حجر الهيتمى: أخرج الترمذى و الحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّه (ص ۸۲ من طبع مصر).

قال ابن الأثير فى اسد الغابه (ص ۱۱ ج ۲) فى معرفه الإمام المجتبى الحسن بن علىّ عليهما السّلام: أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن على بن أحمد الأنماطى أخبرنا أبو طاهر محمّد بن عبد الرّحمن المخلص، أخبرنا عبد اللّه بن محمّد البغوى، أخبرنا داود بن رشيد، أخبرنا مروان، أخبرنا الحكم بن عبد الرّحمن بن أبى نعيم البجلى عن أبيه، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّه - الخبر.

و قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ (ص ۳۲۸ ج ۷ من طبع ليدن): قال أبو مخنف: حدّثنى عبد اللّه بن عاصم قال: حدّثنى الضحّاك المشرقى، لمّا دنا منه - يعنى من أبى عبد اللّه أحد سيّدى شباب أهل الجنّه الحسين بن علىّ عليه السّلام فى واقعه الطف - القوم دعا براحلته فركبها ثمّ نادى بأعلى صوته بصوت عال دعاء يسمع جلّ النّاس:

أيّها النّاس اسمعوا قولى و لا تعجلونى حتّى أعظكم بما لحقّ لكم على و حتّى أعتذر إليكم من مقدمى عليكم فإن قبلتم عذرى و صدّقتم قولى و أعطيتمونى النصف كنتم بذلك أسعد، و لم يكن لكم علىّ سبيل، و إن لم تقبلوا منّى العذر و لم تعطوا النصف من أنفسكم «فأجمعوا أمركم و شركاء كم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّه ثمّ اقضوا إلىّ و لا تنظرون إنّ ولى اللّه الّذى نزّل الكتاب و هو يتولّى الصّالحين».

قال: فلمّا سمع أخواته كلامه هذا صحن و بكين و بكى بناته فارتفعت أصواتهنّ فأرسل إليهنّ أخاه العبّاس بن على و عليّا ابنه، و قال لهما: اسكتاهنّ

فلعمری لیکثرنّ بکاؤهنّ .

قال: فلمّا ذهبا لیسکتاهنّ قال: لا یبعد ابن عبّاس، قال: فظننا انّه إنما قالها حین سمع بکاؤهنّ لأنه قد کان نهاه أن یخرج بهنّ ، فلمّا سکتن حمـد اللّه و أثنی علیه و ذکر اللّه بما هو أهله و صلّی علی محمّد صـلی اللّه علیه و آله و علی ملائکته و أنبیائه و ذکر من ذلک ما اللّه أعلم و ما لا یحصی ذکره، قال: فو اللّه ما سمعت متکلّما قطّ قبله و لا بعده أبلغ فی منطق منه، ثمّ قال:

أمّـا بعـد فانسـبونی فـانظروا من أنـا ثمّ ارجعوا إلی أنفسـکم و عاتبوها فانظروا هل یحلّ لکم قتلی و انتهاک حرمتی ؟ أ لست ابن بنت نبیکم صـلی اللّه علیه و آله و ابن وصیّه و ابن عمّه و أوّل المؤمنین باللّه و المصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه ؟ أو لیس حمزه سیّد الشّـهداء عمّ أبی ؟ أو لیس جعفر الشّهید الطیار ذو الجناحین عمّی ؟ أو لم یبلغکم قول مستفیض فیکم أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قال لی و لأخی:

هذان سیّدا شباب أهل الجنّه فان صدّقتمونی بما أقول و هو الحقّ ، و اللّه ما تعمّدت کذبا مذ علمت أنّ اللّه یمقت علیه و یضرّ به من اختلقه، فإن کذّبتمونی فإنّ فیکم من إن سألتموه عن ذلک أخبرکم سلوا جابر بن عبد اللّه الأنصاری، أو أبا سـعید الخدری، أو سـهل بن سـعد الساعدی، أو زید بن أرقم، أو أنس بن مالک یخبروکم أنّهم سمعوا هذه المقاله من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لی و لأخی، أ فما فی هذا حاجز لکم عن سفک دمی - الخبر.

قلت: قوله علیه السّـلام: ابن وصیّه ینادی بأعلی صوته بأنّ أباه أمیر المؤمنین علیّا علیه السّلام یعرف بالوصی، و قد مضی کلامنا و نقل الأشعار من سنام الصحابه و المسلمین فی شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۱۹ ج ۱۷) فراجع.

قوله علیه السّـلام: و أوّل المؤمنین به و المصـدّق لرسوله بما جاء به من عنـد ربّه - و قـد مضـی کلامنا أنه علیه السّـلام کان أوّل النّاس إسلاما فی شرح المختار التاسع من باب الکتب (ص ۳۴۵ ج ۱۷).

ثمّ إنّه صلی اللّه علیه و آله قال: إنهما سیّدا شباب أهل الجنّه لأنّ أهل الجنّه کلّهم شبّان

ص:۱۳۳

و ذلـک لأنّهـا من عـالم الأـمر و لا يتطرق إليها أحكام عالم الخلق من الهرم و الوهن و نحوهما ألا ترى أنّ اللّه تعالى قال: «وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلا يَعْقِلُونَ » (يس:

۶۹)، و كـأنّ التعبير بالشـباب من حيث أن «اَلـدّارَ الْـآخِرَهَ لَهِيَ الْحَيَوانُ »، و أنّها أقوى وجودا من الـدار الاولى و آثار الوجود فيها أشـدّ و أكثر، نظير ما رواه ثقه الإسـلام الكلينى قـدس سـرّه فى الكافى عن أبى عبـد اللّه الصادق عليه السّـلام قال لرجل ما الفتى عندكم ؟ فقال له: الشابّ ، فقال: لا، الفتى المؤمن إنّ أصـحاب الكهف كانوا شيوخا فسمّاهم اللّه عزّ و جل فتيه بايمانهم (الوافى ص ۳۹ ج ۳).

و قد روى عن النّبى صلى اللّه عليه و آله: أهل الجنه جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم و لا تبلى ثيابهم، أتى به السيوطى فى الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير.

و جـاء فى الأـثر أنّ عجوزا من الأنصـار قـالت: يـا رسول اللّه ادع اللّه بـالمغفره فقـال لهـا: أمـا علمت أنّ الجنه لا تـدخلها العجائز فصـرخت فتبسّم رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و قـال لهـا: أمـا قرأت قول اللّه تعـالى: «إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً عُرُباً أَتْراباً ».

و يناسب المقام نقل احتجاج مروىّ فى كتاب الاحتجاج للطبرسـى - ره - رواه فى باب احتجاج أبى جعفر محمّـد بن على الثانى عليهما السّلام قال:

و روى أنّ المـأمون بعـد ما زوّج ابنته امّ الفضل أبا جعفر عليه السّـلام كان فى مجلس و عنـده أبو جعفر عليه السّـلام و يحيى بن أكثم و جمـاعه كثيره فقـال له يحيى بن أكثم: مـا تقول يـا ابن رسول اللّه فى الخبر الـذى روى أنّه نزل جبرئيل عليه السّـلام على رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و قـال: يـا محمّـد إنّ اللّه عزّ و جـلّ يقرئك السـلام و يقول لك: سل أبا بكر هل هو عنّى راض فإنّى عنه راض.

فقال أبو جعفر عليه السّلام: لست بمنكر فضل أبى بكر و لكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الّذى قاله رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله فى حجّه الوداع: قـد كثرت علىّ الكـذّابه و سـتكثر فمن كـذب علىّ متعمـدا فليتبوأ مقعده من النّار فاذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله عزّ و جلّ و سنّتى فما وافق كتاب اللّه

و سنّتی فخذوا به و ما خالف کتاب اللّه و سنّتی فلا تأخذوا به، و لیس یوافق هذا الخبر کتاب اللّه تعالی قال اللّه تعالی: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » فاللّه عزّ و جل خفی علیه رضا أبی بکر من سخطه حتّی سأل عن مکنون سرّه هذا مستحیل فی العقول.

ثمّ قال یحیی بن أکثم: و قد روی أنّ مثل أبی بکر و عمر فی الأرض کمثل جبرئیل و میکائیل فی السماء.

فقال علیه السّلام: و هذا أیضا یجب أن ینظر فیه لأنّ جبرئیل و میکائیل ملکان للّه مقرّبان لم یعصیا اللّه قط و لم یفارقا طاعته لحظه واحده، و هما قد أشرکا باللّه عزّ و جل و إن أسلما بعد الشرک فکان أکثر أیّامهما الشرک باللّه فمحال أن یشبها بهما.

قال یحیی: و قد روی أیضا أنهما سیّدا کهول أهل الجنّه فما تقول فیه ؟.

فقال علیه السّلام: و هذا الخبر محال أیضا لأنّ أهل الجنّه کلهم یکونون شابا و لا یکون فیهم کهل، و هذا الخبر وضعه بنو امیّه لمضادّه الخبر الّذی قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی الحسن و الحسین: بأنّهما سیّدا شباب أهل الجنّه.

فقال یحیی بن أکثم: و روی أنّ عمر بن الخطّاب سراج أهل الجنّه.

فقال علیه السّلام: و هذا أیضا محال لأنّ فی الجنّه ملائکه اللّه المقرّبین و آدم و محمّد و جمیع الأنبیاء و المرسلین لا تضیء بأنوارهم حتّی تضیء بنور عمر.

فقال یحیی: و قد روی أنّ السکینه تنطق علی لسان عمر.

فقال علیه السّلام: لست بمنکر فضل عمر و لکن أبا بکر أفضل من عمر، فقال علی رأس المنبر: إنّ لی شیطانا یعترینی فاذا ملت فسدّونی.

فقال یحیی: قد روی أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: لو لم ابعث لبعث عمر.

فقال علیه السّلام: کتاب اللّه أصدق من هذا الحدیث یقول اللّه فی کتابه: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ » قد أخذ اللّه میثاق النبیّین فکیف یمکن أن یبدّل میثاقه و کلّ الأنبیاء علیهم السّلام لم یشرکوا طرفه عین فکیف یبعث بالنّبوه من أشرک و کان أکثر أیّامه مع الشرک باللّه، و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: نبّئت و آدم

ص:۱۳۵

بین الروح و الجسد.

فقال یحیی بن أکثم: و قد روی أیضا أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: ما احتبس عنی الوحی قط إلّا ظننته قد نزل علی آل الخطّاب.

فقال علیه السّلام: و هذا محال أیضا لأنّه لا یجوز أن یشکّ النّبی فی نبوّته قال اللّه تعالی: «اَللّهُ یَصْطَفِی مِنَ الْمَلائِکَهِ رُسُلاً وَ مِنَ النّاسِ » فکیف یمکن أن ینتقل النبوّه ممّن اصطفاه الله تعالی إلی من أشرک به.

قال یحیی: روی أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: لو نزل العذاب لما نجا منه إلّا عمر فقال علیه السّلام: و هذا محال أیضا لأنّ اللّه تعالی یقول: «وَ ما کانَ اللّهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِیهِمْ وَ ما کانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ » فأخبر سبحانه أنّه لا یعذّب أحدا ما دام فیهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله، و ما داموا یستغفرون اللّه، انتهی.

قلت: و قد وضع بنو امیّه فی عمرو بن العاص ما تضحک به الثکلی فإنّ محمّد ابن سعد روی فی الطبقات الکبری عن عبد اللّه بن عمرو أنّه حدّثه أنّ أباه أوصاه قال: یا بنی إذا متّ فاغسلنی غسله بالماء ثمّ جفّفنی فی ثوب، ثمّ اغسلنی الثانیه بماء قراح ثمّ جفّفنی فی ثوب، ثمّ اغسلنی الثالثه بماء فیه شیء من کافور ثمّ جفّفنی فی ثوب، ثمّ إذا ألبستنی الثیاب فأزرّ علیّ فانّی مخاصم، ثمّ إذا أنت حملتنی علی السریر فامش بی مشیا بین المشیتین و کن خلف جنازه فإنّ مقدّمها للملائکه خلفها لبنی آدم، فاذا أنت وضعتنی فی القبر فسنّ علیّ التراب سنّا، (ص ۲۶۰ ج ۴ من طبع بیروت).

و هذا الخبر کما تراه کذب محض وضعه بنو امیّه و أتباعهم من أشباه الرّجال اقتراف الدّنیا و زخارفها و أنّی لعمرو بن العاص العاصی المتوغّل فی قاذورات الشهوات النفسانیّه أن ینال تلک المنزله العظمی و الرتبه العلیا، و هل هذا إلّا اختلاق.

و کیف له أن یتفوّه بذلک و قد نقل غیر واحد من نقله الأخبار و حمله الاثار أنّ عمرو بن العاص لمّا حضرته الوفاه قال لابنه لودّ أبوک أنّه کان فی غزاه ذات السلاسل إنّی قد دخلت فی امور لا أدری ما حجّتی عند اللّه فیها، ثمّ نظر إلی

ماله فرأی کثرته فقال: یا لیته کان بعرا یا لیتنی متّ قبل هذا الیوم بثلاثین سنه أصلحت لمعاویه دنیاه و أفسدت دینی آثرت دنیای و ترکت آخرتی، عمی علی رشدی حتّی حضرنی أجلی، کأنّی بمعاویه قد حوی مالی و أساء فیکم خلافتی فراجع إلی تاریخ الیعقوبی، و حیوه الحیوان للدمیری.

و أنّی لعمرو أن یدّعی نزول الملائکه علیه و حملهم سریره و قد قال فیه وصیّ خاتم النبیّین علیه السّلام:

إنّه لیقول فیکذب، یعد فیخلف، و یسأل فیحلف، و یسأل فیبخل، و یخون العهد، و یقطع الإلّ ، فراجع إلی المختار ۸۲ من باب الخطب من النهج.

نعم إنّ تلک الفضیله لمن کانت الملائکه أعوانه فی الامور ألا و هو علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام فقد قال علیه السّلام: و لقد ولیت غسله صلی اللّه علیه و آله و الملائکه أعوانی فراجع إلی المختار ۱۹۵ من باب الخطب من النهج أیضا.

و لمّا مات علیه السّلام قام ابنه ریحانه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و أحد سیّدی شباب أهل الجنّه الإمام الحسن المجتبی علیه السّلام خطیبا فحمد اللّه و أثنی علیه و صلّی علی النبی صلی اللّه علیه و آله: ثمّ قال: ألا إنّه قد مضی فی هذه اللّیله رجل لم یدرکه الأوّلون و لن یری مثله الاخرون من کان یقاتل و جبریل عن یمینه و میکائیل عن شماله فراجع إلی الکافی للکلینی قدّس سرّه و تاریخ الیعقوبی (ص ۱۹۰ ج ۲).

و قد جاء فی الأثر أنّ أمیر المؤمنین علیّا علیه السّلام أوصی بذلک ابنه أبا محمّد الحسن المجتبی علیه السّلام حیث قال: فاذا أنا متّ یا أبا محمّد فغسّلنی و کفّنی و حنّطنی ببقیّه حنوط جدّک رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فإنّه من کافور الجنّه جاء به جبرئیل علیه السّلام إلیه ثمّ ضعنی علی سریری و لا یتقدّم أحد منکم مقدّم السریر و احملوا مؤخّره و اتّبعوا مقدّمه فأیّ موضع وضع المقدّم فضعوا المؤخّر فحیث قام سریری فهو موضع قبری - إلخ، فراجع إلی باب کیفیه شهادته علیه السّلام و وصیّته و غسله و الصّلاه علیه و دفنه من المجلّد التاسع من البحار (ص ۶۷۴ من طبع الکمبانی).

فانظر إلی تصرّف بنی امیّه فی الأخبار کیف سرقوها من محلّها

و أسندوها إلى غير أهلها، و كم لما نقلناها من نظير و لو لا خوف الإطناب لأتينا بطائفه منها فى الكتاب.

ثمّ إنّ بنى اميّه ما تصرّفوا فى الأخبار فقط بل تجاوزوا إلى القرآن و حرّفوا كلام اللّه عن مواضعه. قال الشارح الفاضل المعتزلى فى الجزء الرابع من شرحه على النهج (ص ٢٣ من الطبع الرّحلى): قال أبو جعفر: و قد روى أنّ معاويه بذل لسمره بن جندب مائه ألف درهم حتّى يروى أنّ هذه الايه انزلت فى علىّ عليه السّلام: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما فِى قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ » و أنّ الايه الثانيه نزل فى ابن ملجم و هى قوله تعالى: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ » فلم يقبل فبذل له مائتى ألف درهم فلم يقبل فبذل له أربع مائه ألف فقبل و روى ذلك. انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

و صبيه أهل النار:

هم صبيه عقبه بن أبى معيط ، لما قد روى الواقدى فى غزوه بدر من كتابه فى مغازى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله (ص ٨۴ من طبع مصر) من أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أقبل بالأسرى حتّى إذا كان بعرق الظبيه أمر عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أن يضرب عنق عقبه بن أبى معيط و كان أسره عبد اللّه بن سلمه العجلانى فجعل عقبه يقول: يا ويلى علام أقتل يا معشر قريش من بين من ههنا؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لعداوتك للّه و رسوله.

قال: يا محمّد منّك أفضل فاجعلنى كرجل من قومى إن قتلتهم قتلتنى و إن مننت عليهم مننت على، و إن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم يا محمّد من للصبيه ؟ قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: النار قدّمه يا عاصم فاضرب عنقه، فقدّمه عاصم فضرب عنقه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: بئس الرجل كنت و اللّه ما علمت كافرا باللّه و برسوله و بكتابه مؤذيا لنبيّه [منك] فأحمد اللّه الّذى هو قتلك و أقرّ عينى منك.

ثمّ قال عليه السّلام:(و منّا خير نساء العالمين و منكم حمّاله الحطب) يعنى بخير

ص:١٣٨

نساء العالمین فاطمه بنت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله المعصومه الّتی أذهب اللّه عنها الرّجس و طهّرها تطهیرا، فقد روی أبو الحسین مسلم بن الحجّاج فی جامعه المعروف بصحیح مسلم (الباب التاسع من کتاب الفضائل فی فضائل أهل بیت النّبی صلی اللّه علیه و آله ص ۱۸۸۳ ج ۴ من طبع مصر) بإسناده عن أبی بکر بن أبی شیبه و محمّد بن عبد اللّه بن نمیر، عن محمّد بن بشیر، عن زکریّا، عن مصعب بن شیبه، عن صفیّه بنت شیبه قالت: قالت عائشه:

خرج النّبیّ صلی اللّه علیه و آله غداه و علیه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علی فأدخله، ثمّ جاء الحسین فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمه فأدخلها، ثمّ جاء علی فأدخله، ثمّ قال: إنّما یرید اللّه لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهّرکم تطهیرا.

و فی الباب الخامس و الخمسین من ینابیع المودّه للفاضل الشّیخ سلیمان النقشبندیّ الحنفی (ص ۱۴۸ من الطبع الناصری): و فی جمع الفوائد، عائشه:

کنّ أزواج النّبیّ صلی اللّه علیه و آله عنده لا یغادر منهنّ واحده فأقبلت فاطمه تمشی ما تخطی مشیتها من مشیه النّبیّ صلی اللّه علیه و آله شیئا فلمّا رآها رحب بها، و قال: مرحبا یا بنتی ثمّ أجلسها عن یمینه أو عن شماله، ثمّ سارّها فبکت بکاء شدیدا، فلمّا رأی جزعها سارّ الثانیه فضحکت فلمّا قام سألتها ما قال لک أبوک ؟ قالت: ما کنت لأفشی علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله سرّه فلمّا توفّی، قلت: عزمت علیک بما لی علیک من الحقّ حدّثنی ما قال لک أبوک صلی اللّه علیه و آله ؟ قالت: أمّا الان فنعم. أمّا حین سارّنی فی المرّه الاولی فأخبرنی أنّ جبرائیل کان یعارضنی القرآن فی کلّ سنه مرّه و عارضه الان مرّتین و إنّی لا أری الأجل إلّا قد اقترب فاتّقی اللّه و [اصبر [ی]] فإنّه نعم السلف أنا لک، فبکیت بکائی الّذی رأیت، فلمّا رأی جزعی سارّنی فی الثانیه فقال:

یا فاطمه أما ترضین أن تکون سیّده نساء المؤمنین أو سیّده نساء هذه الامّه فضحکت ضحکک الّذی رأیت. و فی روایه: ثمّ سارّنی أنّی أوّل أهله یتبعه فضحکت و فی اخری قال: أما ترضین أن تکونی سیّده نساء أهل الجنّه و أنّک أوّل أهلی لحوقا بی فضحکت، للشّیخین و الترمذی.

و قال: و فی صحیح البخاری: قال النّبی صلی اللّه علیه و آله: فاطمه سیّده نساء أهل الجنّه.

و قال أیضا: و فی جمع الفوائد: أنس رفعه حسبک من نساء العالمین مریم بنت عمران، و خدیجه بنت خویلد، و فاطمه بنت محمّد، و آسیه امرأه فرعون - للترمذی. انتهی.

قلت: روایه البخاری مذکوره فی باب مناقب فاطمه علیها السّلام (ص ۳۶ من الجزء الخامس من صحیح البخاری المشکول).

و فی الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور فی قوله تعالی: «إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَهُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاکِ وَ طَهَّرَکِ وَ اصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ » (آل عمران: ۴۳):

أخرج الحاکم و صحّحه عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أفضل نساء العالمین خدیجه، و فاطمه، و مریم، و آسیه امرأه فرعون.

و أخرج ابن مردویه عن أنس قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إنّ اللّه اصطفی علی نساء العالمین أربعه: آسیه بنت مزاحم، و مریم بنت عمران، و خدیجه بنت خویلد و فاطمه بنت محمّد صلی اللّه علیه و آله.

و أخرج أحمد و الترمذی و صحّحه و ابن المنذر و ابن حبّان و الحاکم عن أنس: أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قال: حسبک من نساء العالمین، مریم بنت عمران و خدیجه بنت خویلد، و فاطمه بنت محمّد صلی اللّه علیه و آله، و آسیه امرأه فرعون، و أخرجه ابن أبی شیبه عن الحسن مرسلا.

و أخرج ابن أبی شیبه و ابن جریر عن فاطمه علیها السّلام: قالت: قال لی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أنت سیّده نساء أهل الجنّه لا مریم البتول.

و أخرج ابن عساکر من طریق مقاتل عن الضحّاک، عن ابن عبّاس، عن النّبیّ صلی اللّه علیه و آله قال: أربع نسوه سادات عالمهنّ : مریم بنت عمران، و آسیه بنت مزاحم، و خدیجه بنت خویلد، و فاطمه بنت محمّد صلی اللّه علیه و آله، و أفضلهنّ عالما فاطمه.

انتهی ما أردنا من نقل ما فی الدّر المنثور.

ص:۱۴۰

أقول: و نزل فی آسیه امرأه فرعون و فی مریم قوله تعالی: «وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّهِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ ».

ثمّ لمّا کانت فاطمه علیها السّلام بضعه من أبیها خاتم النبیّین سیّد ولد آدم کما رواها الفریقان فی جوامعهم الروائیه فهی علیها السّلام سیّده نساء العالمین مطلقا فقوله تعالی فی مریم علیها السّلام «وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ » محمول علی أنها مصطفاه علیهنّ لا مطلقا بل علی بعض الوجوه، فلیتأمّل فی قول الإمام أبی جعفر علیه السّلام فی معنی الایه: اصطفاک لذریه الأنبیاء و طهّرک من السفاح و اصطفیک لولاده عیسی من غیر فحل.

و فی قوله تعالی: «إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (آل عمران: ۳۴).

و فی قوله تعالی: «وَ لَقَدْ نَجَّيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ » (الدخان: ۳۳).

و فی قوله تعالی: «وَ لَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّهَ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعالَمِينَ » (الجاثیه: ۱۷).

و فی قوله تعالی: «إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَهُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ » (آل عمران: ۴۶).

و فی قوله تعالی: «وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا وَ جَعَلْناها وَ ابْنَها آيَهً لِلْعالَمِينَ » (الأنبیاء: ۹۲).

و فی قوله تعالی: «وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ » (آخر التحریم).

فإمّا أن یکون المراد من العالمین فی قوله تعالی: «وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ »

نساء عالمی زمانها کما مال إلیه غیر واحد من المفسّرین، و أمکن أن یؤیّد هذا المعنی بایتی الدّخان و الجاثیه، و لکنّ الإعراض عن اطلاق سیاق الایه لا یخلو من دغدغه.

و إمّا أنّ المراد من اصطفائها علی نساء العالمین اصطفائها علیهنّ من حیث إنّها آیه عجیبه إلهیّه کما بیّنه أبو جعفر علیه السّلام فی الخبر المذکور بقوله: و اصطفیک لولاده عیسی من غیر فحل، و یستفاد هذا المعنی من آیتی الأنبیاء و التحریم و یؤیّد بهما فلا تختصّ من هذه الجهه بنساء عالمی زمانها، و هذا الوجه الأخیر کأنّه الصّواب أو هو متعیّن.

قال الشارح الفاضل المعتزلی فی شرح قوله علیه السّلام: و منّا خیر نساء العالمین:

یعنی فاطمه علیها السّلام نصّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله علی ذلک لا خلاف فیه. انتهی.

حماله الحطب

.

هی العوراء امّ جمیل امرأه عبد العزّی المکنّی بأبی لهب بنت حرب اخت أبی سفیان عمّه معاویه الّتی ورد فیها و فی زوجها قوله تعالی: «تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ ما أَغْنی عَنْهُ مالُهُ وَ ما کَسَبَ سَیَصْلی ناراً ذاتَ لَهَبٍ وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ فِی جِیدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ».

و فی تفسیر الدّر المنثور و أخرج ابن جریر عن ابن زید أنّ امرأه أبی لهب کانت تلقی فی طریق النّبیّ صلی اللّه علیه و آله الشوک فنزلت «تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ »... «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ ».

و أخرج ابن جریر و ابن أبی حاتم عن ابن زید «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ » قال:

کانت تأتی بأغصان الشوک تطرحها باللیل فی طریق رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله.

و أخرج ابن أبی الدّنیا فی ذمّ الغیبه و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم عن مجاهد «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ » قال: کانت تمشی بالنمیمه «فِی جِیدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » من نار.

و أخرج ابن أبی جریر و ابن أبی حاتم عن قتاده «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ » قال:

كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض «فى جيدها حبل» قال: عنقها.

و أخرج ابن أبى حاتم عن الحسن «حمّاله الحطب» قال: كانت تحمل النميمه فتأتى بها بطون قريش.

و أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم و ابن الأنبارى فى المصاحف عن عروه بن الزبير «فى جيدها حبل من مسد» قال: سلسله من حديد من نار ذرعها سبعون ذراعا.

و فى التفسير الصّافى نقلا من قرب الأسناد عن الكاظم عليه السّلام فى حديث آيات النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: و من ذلك أنّ امّ جميل امرأه أبى لهب أتته حين نزلت سوره تبّت و مع النّبى أبو بكر بن أبى قحافه فقال: يا رسول اللّه هذا ام جميل محفظه أم مغضبه تريدك و معها حجر تريد أن ترميك به فقال صلى اللّه عليه و آله: إنّها لا ترانى، فقالت لأبى بكر: أين صاحبك ؟ قال: حيث شاء اللّه، قالت: لقد جئته و لو أراه لرميته فإنّه هجانى و اللّات و العزّى إنّى لشاعره، فقال أبو بكر: يا رسول اللّه لم تركـ ؟ قال: لا، ضرب اللّه بينى و بينها حجابا.

و قال معاويه يوما و عنده عمرو بن العاص و قد أقبل عقيل: لأضحكنّك من عقيل فلمّا سلم قال معاويه: مرحبا برجل عمّه أبو لهب، فقال عقيل: و أهلا برجل عمّته حمّاله الحطب فى جيدها حبل من مسد، قال معاويه: يا أبا يزيد ما ظنّك بعمّك أبى لهب ؟ قال: إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجده مفترشا عمّتك حمّاله الحطب أ فناكح فى النار خير أم منكوح ؟ قال: كلا شرّ و اللّه، نقله الشارح المعتزلى فى الجزء الرّابع من شرحه على النهج (٢٧ من الطبع الرحلى).

و نقل الشّيخ الأجل المفيد قدس سرّه فى الإرشاد (ص ١٧٣ طبع طهران ١٣٧٧ ه): بعد السبب فى قبول الإمام الحسن المجتبى عليه السّلام الهدنه و الصلح من معاويه ما هذا لفظه: فتوثق عليه السّلام لنفسه من معاويه بتوكيد الحجّه عليه و الإعذار فيما بينه و بينه عند اللّه تعالى و عند كافه المسلمين و اشترط عليه ترك سبّ أمير المؤمنين عليه السّلام و العدول عن القنوت عليه فى الصّلاه، و أن يؤمّن شيعته رضى اللّه عنهم و لا يتعرّض لأحد منهم بسوء و يوصل إلى كلّ ذى حقّ منهم حقّه.

فأجابه معاويه إلى ذلک کلّه و عاهده عليه و حلف له بالوفاء به فلمّا استتمّت الهدنه على ذلک سار معاويه حتّى نزل بالنخيله و کان ذلک يوم الجمعه فصلى بالناس ضحى النهار فخطبهم و قال فى خطبته: و اللّه ما قاتلتکم لتصلّوا و لا لتصوموا و لا لتحجوا و لا لتزکّوا انکم لتفعلون ذلک و لکنّى قاتلتکم لأتامّر عليکم و قد أعطانى اللّه ذلک و أنتم له کارهون، ألا و إنّى کنت منّيت الحسن عليه السّلام أشياء و أعطيته أشياء و جميعها تحت قدمى لا أفى بشىء منها له.

ثمّ سار حتّى دخل الکوفه فأقام بها أيّاما فلمّا استتمّت البيعه له من أهلها صعد المنبر فخطب الناس و ذکر أمير المؤمنين عليه السّلام و نال منه و نال من الحسن عليه السّلام ما نال و کان الحسن و الحسين عليهما السّلام حاضرين فقام الحسين عليه السّلام ليردّ عليه فأخذ بيده الحسن عليه السّلام و أجلسه، ثمّ قام فقال: أيّها الذاکر عليّا أنا الحسن و أبى علىّ و أنت معاويه و أبوک صخر و امّى فاطمه و امّک هند و جدّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و جدّک حرب و جدّتى خديجه و جدّتک فتيله، فلعن اللّه أخملنا ذکرا و ألأمنا حسبا و شرّنا قدما و أقدمنا کفرا و نفاقا، فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين، انتهى قوله قدّس سره.

و روى قريبا منه المحدّث القمّى رضوان اللّه عليه فى مادّه حسن من سفينه البحار عن الشعبى، و قال الفاضل الشارح المعتزلى: إنّ هذا الحديث نقله الفضل بن الحسن المصرى عن يحيى بن معين قال و قال الفضل: قال يحيى: آمين، و قال الفضل: أنا أقول آمين، و قال علىّ بن الحسين الاصفهانى آمين، و قال الشارح المذکور أنا أقول آمين، و کذلک کاتب هذه الأحرف الحسن بن عبد اللّه الطبرى الاملى يقول آمين آمين و يرحم اللّه تعالى عبدا قال آمين.

ثمّ قال عليه السّلام:(فى کثير ممّا لنا و عليکم) أى ما ذکرناه من فضائلنا و رذائلکم قليل فى کثير ممّا لنا من الفضائل و عليکم من الرذائل و قد تقدّم الکلام فى رؤيه النّبى صلى اللّه عليه و آله بنى اميّه فى المنام على صور قرود تصعد منبره و تردّ الناس عن الإسلام القهقرى، فراجع إلى شرح المختار العاشر من هذا الباب (ص ۴۷ ج ۱۸).

و قد سئل علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام عن بنی هاشم و بنی امیّه فقال علیه السّلام:

نحن أمجد و أنجد و أجود، و هم أغدر و أمکر و أنکر (المحجه البیضاء فی تهذیب الأحیاء ص ۲۲۴ ج ۴).

ثمّ قال علیه السّلام:(فاسلامنا ما قد سمعتم، و جاهلیّتنا لا تدفع) یرید أنّ فضائل بنی هاشم لا تختصّ بهم فی الإسلام فقط بل لهم تلک الفضائل فی زمن الجاهلیه أیضا لا مدافع لهم فی ذلک، أی أنّهم کانوا من بیت شرف و مجد حیث کان الناس فی الجاهلیّه الجهلاء، و قد مضی نقل طائفه منها فی شرح المختار التاسع من باب الکتب (ج ۱۷) و فی شرح المختار السابع عشر من ذلک الباب أیضا (ج ۱۸) فراجع.

و ینبغی أن نذکر فی هذا الموضع احتجاجات أتی بها نقله الاثار فی أسفارهم:

قال الشّیخ إبراهیم بن محمّد البیهقی فی کتاب المحاسن و المساوی: قیل و أتی الحسن بن علیّ علیهما السّلام معاویه بن أبی سفیان و قد سبقه ابن عباس فأمر معاویه فأنزل فبینا معاویه مع عمرو بن العاص و مروان بن الحکم و زیاد بن أبی سفیان یتحاورون فی قدیمهم و حدیثهم و مجدهم فقال معاویه: أکثرتم الفخر فلو حضرکم الحسن بن علیّ و عبد اللّه بن العبّاس لقصرا من أعنّتکما ما طال، فقال زیاد: و کیف ذلک یا أمیر المؤمنین ما یقومان لمروان بن الحکم فی غرب منطقه و لا لنا فی بواذخنا؟ فابعث إلیهما فی غد حتّی نسمع کلامهما.

فقال معاویه لعمرو: ما تقول ؟ قال هذا، فابعث إلیهما فی غد بعث إلیهما معاویه ابنه یزید، فأتیاه و دخلا علیه و بدأ معاویه فقال: إنّی اجلّکما و أرفع قدر کما عن المسامره باللیل و لا سیّما أنت یا أبا محمّد فانّک ابن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سیّد شباب أهل الجنّه فشکّرا له، فلمّا استویا فی مجلسهما و علم عمرو أنّ الحدّه ستقع به قال: و اللّه لا بدّ أن أقول فإن قهرت فسبیل ذلک و إن قهرت أکون قد ابتدأت.

فقال: یا حسن إنّا تفاوضنا فقلنا: إنّ رجال بنی امیّه أصبر عند اللقاء و أمضی فی الوغی، و أوفی عهدا، و أکرم خیما، و أمنع لما وراء ظهورهم من بنی عبد المطّلب.

ثمّ تكلّم مروان فقال: و كيف لا تكون كذلك و قد قارعناكم فغلبناكم و حاربناكم فملكناكم، فإن شئنا عفونا و إن شئنا بطشنا.

ثمّ تكلّم زياد فقال: ما ينبغى لهم أن ينكروا الفضل لأهله و يجحدوا الخير فى مظانّه، نحن أهل الحمله فى الحروب و لنا الفضل على سائر الناس قديما و حديثا.

فتكلّم الحسن عليه السّلام فقال: ليس من العجز أن يصمت الرجل عند ايراد الحجّه، و لكن من الإفكـ أن ينطق الرجل بالخنا و يصوّر الباطل بصوره الحقّ يا عمرو افتخارا بالكذب و جرأه على الإفك! ما زلت أعرف مثالبكـ الخبيثه أبديها مرّه و أمسكـ عنها اخرى فتأبى إلّا انهما كا فى الضلاله، أتذكر مصابيح الدّجى و أعلام الهدى و فرسان الطراد و حتوف الأقران و أبناء الطعان و ربيع الضيفان و معدن النبوّه و مهبط العلم و زعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم و قد تبيّن ذلكـ يوم بدر حين نكصت الأبطال و تساورت الأقران و اقتحمت الليوث و اعتركت المنيّه و قامت رحاؤها على قطبها و فرّت عن نابها و طار شرار الحرب فقتلنا رجالكم و منّ النبى صلى اللّه عليه و آله على ذراريكم فكنتم لعمرى فى هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بنى عبد المطّلب! ثمّ قال: و أمّا أنت يا مروان فما أنت و الإكثار فى قريش و أنت طليق و أبوك طريد يتقلّب من خزايه إلى سوءه و لقد جىء بك إلى أمير المؤمنين فلمّا رأيت الضرغام قد دميت براثنه و اشتبكت أنيابه كنت كما قال:

ليث إذا سمع اللّيوث زئيره بصبصن ثمّ قذفن بالأبعار

و يروى رمين بالأبعار.

فلمّا منّ عليك بالعفو و أرخى خناقك بعد ما ضاق عليك و غصصت بريقك لا تقعد معنا مقعد أهل الشكر و لكن تساوينا و تجارينا و نحن ممّن لا يدركنا عار و لا يلحقنا خزايه!.

ثمّ التفت إلى زياد فقال: و ما أنت يا زياد و قريشا لا أعرف لك فيها أديما صحيحا و لا فرعا نابتا و لا قديما ثابتا و لا منبتا كريما بل كانت امّك بغيّا تداولها رجال

ص:۱۴۶

قریش و فجّار العرب فلمّا ولدت لم تعرف لک العرب والدا فادّعاک هذا - یعنی معاویه - بعد ممات أبیه، مالک افتخار تکفیک سمیّه و یکفینا رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله، و أبی علیّ بن أبی طالب سیّد المؤمنین الّذی لم یرتدّ علی عقبیه، و عمّی حمزه سیّد الشهداء و جعفر الطیار و أنا و أخی سیّدا شباب أهل الجنّه! ثمّ التفت إلی ابن عبّاس فقال: یا ابن العمّ إنّما هی بغاث الطیر انقضّ علیها أجدل، فأراد ابن عبّاس أن یتکلّم فأقسم علیه معاویه أن یکفّ فکفّ ثمّ خرجا.

فقال معاویه: أجاد عمرو الکلام لو لا أنّ حجّته دحضت و تکلّم مروان لو لا أنّه نکص.

ثمّ التفت إلی زیاد و قال: ما دعاک إلی محاورته ؟ ما کنت إلّا کالحجل فی کفّ البازی، فقال أفاخر رجلا رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله جدّه و هو سیّد من مضی و من بقی و امّه فاطمه الزّهراء السّواء، فقال عمرو: لقد أبقی علیک و لکنه طحن مروان طحن الرّحی بثفالها یأبی إلّا الإغراء بیننا و بینهم، لا جرم و اللّه لا شهدت مجلسا یکونان فیه إلّا کنت معهما علی من فاخرهما.

فخلا ابن عبّاس بالحسن فقبّل بین عینیه و قال: افدیک یا ابن عم، و اللّه ما زال بحرک یزخر و أنت تصول حتّی شفیتنی من أولاد البغایا.

ثم ان الحسن علیه السّلام غاب أیّاما ثمّ رجع حتی دخل علی معاویه و عنده عبد اللّه بن الزبیر، فقال معاویه: یا أبا محمّد انّی أظنک تعبا نصبا فأت المنزل فأرح نفسک فیه، فقام الحسن علیه السّلام فلمّا خرج قال معاویه لعبد اللّه بن الزبیر: لو افتخرت علی الحسن فانک ابن حواریّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و ابن عمّته، و لأبیک فی الإسلام نصیب وافر، فقال ابن الزبیر: أناله! فرجع و هو یطلب لیلته الحجج فلمّا أصبح دخل علی معاویه و جاء الحسن علیه السّلام فحیّاه معاویه و سأله عن مبیته، فقال: خیر مبیت و أکرم مستفاض، فلمّا استوی فی مجلسه قال ابن الزبیر:

لولا أنّک خوّار فی الحرب غیر مقدام ما سلّمت لمعاویه الأمر و کنت لا تحتاج إلی اختراق السهوب و قطع المفاوز تطلب معروفه و تقوم ببابه، و کنت

حريّا أن لا تفعل ذلک و أنت ابن علیّ فی بأسه و نجدته، فما أدری ما الّذی حملک علی ذلک أضعف رأی أم وهن نحیزه، فما أظنّ لک مخرجا من هاتین الخلّتین، أما و اللّه لو استجمع لی ما استجمع لک لعلمت أنّی ابن الزبیر و أنّی لا أنکص عن الأبطال و کیف لا أکون کذلک و جدّتی صفیّه بنت عبد المطّلب، و أبی الزبیر حواریّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و أشدّ النّاس بأسا و أکرمهم حسبا فی الجاهلیّه و أطوعهم لرسول اللّه صلی اللّه علیه و آله.

فالتفت إلیه الحسن علیه السّلام و قال: أما و اللّه لو لا أنّ بنی امیّه تنسبنی إلی العجز عن المقال لکففت عنک تهاونا، و لکن سابیّن ذلک لک لتعلم أنّی لست بالعیّ و لا کلیل اللّسان، إیّای تعیّر و علیّ تفتخر و لم یکن لجدّک بیت فی الجاهلیّه و لا مکرمه فزوّجته جدّتی صفیّه بنت عبد المطلب، فبذخ علی جمیع العرب بها و شرف بمکانها، فکیف تفاخر من هو من القلاده و اسطتها و من الأشراف سادتها نحن أکرم أهل الأرض زندا، لنا الشرف الثاقب و الکرم الغالب.

ثمّ تزعم أنّی سلمت الأمر لمعاویه فکیف یکون ذلک ویحک کذلک و أنا ابن أشجع العرب، و قد ولدتنی فاطمه سیّده نساء العالمین و خیر الإماء؟ لم أفعل ذلک ویحک جبنا و لا ضعفا و لکنّه بایعنی مثلک و هو یطلبنی ببرّه و یداجینی المودّه و لم أثق بنصرته لأنکم أهل بیت غدر، و کیف لا یکون کما أقول، و قد بایع أبوک أمیر المؤمنین ثمّ نکث بیعته و نکص علی عقبیه و اختدع حشیّه من حشایا رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لیضلّ بها النّاس، فلمّا دلف نحو الأعنّه و رأی بریق الأسنّه قتل مضیعه لا ناصر له و اتی بک أسیرا قد وطئتک الکماه بأظلافها و الخیل بسنابکها و اعتلاک الأشتر فغصصت بریقک و أقعیت علی عقبیک کالکلب إذا احتوشته اللّیوث، فنحن ویحک نور البلاد و أملاکها و بنا تفخر الامّه و إلینا تلقی مقالید الأزمه، أنصول و أنت تختدع النّساء ثمّ تفتخر علی بنی الأنبیاء؟ لم تزل الأقاویل منا مقبوله و علیک و علی أبیک مردوده، دخل النّاس فی دین جدّی طائعین و کارهین، ثمّ بایعوا أمیر المؤمنین علیه السّلام فسار إلی أبیک و طلحه حین نکثا البیعه و خدعا عرس

رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقتل أبوک و طلحه و اتى بک أسيرا، فبصبصت بذنبک و ناشدته الرحم أن لا يقتلک فعفا عنک، فأنت عتاقه أبى و أنا سيّدک و سيّد أبيک، فذق و بال أمرک.

فقال ابن الزبير: اعذر يا أبا محمّد فانّما حملنى على محاورتک هذا و أحبّ الإغراء بيننا فهلّا إذا جهلت أمسكت عنّى فإنّكم أهل بيت سجيّتكم الحلم و العفو.

فقال الحسن عليه السّلام: يا معاويه انظر هل أكيع عن محاوره أحد؟ ويحک أ تدرى من أىّ شجره أنا و إلى من أنتمى ؟ انته قبل أن أسمك بميسم تتحدّث به الركبان فى الافاق و البلدان.

فقال ابن الزبير: هو لذلک أهل، فقال معاويه: أما انّه قد شفى بلا بل صدرى منک و رمى مقتلک فصرت كالحجل فى كفّ البازى يتلاعب بک كيف أراد فلا أراک تفتخر على أحد بعدها.

و ذكروا أنّ الحسن بن علىّ عليه السّلام دخل على معاويه فقال متمثلا:

فيم الكلام و قد سبقت مبرّزا سبق الجواد من المدى و المقيس

فقال معاويه: إيّاى تعنى ؟ أما و اللّه لانبئنّک بما يعرفه قلبک و لا ينكره جلساؤک: أنا ابن بطحاء مكه، انا ابن أجودها جودا و أكرمها جدودا و أوفاها عهودا، أنا ابن من ساد قريشا ناشئا و كهلا.

فقال الحسن عليه السّلام: أجل إيّاک أعنى أفعلىّ تفتخر يا معاويه ؟ أنا ابن ماء السماء و عروق الثّرى و ابن من ساد أهل الدّنيا بالحسب الثابت و الشرف الفائق و القديم السابق، أنا ابن من رضاه رضى الرّحمن و سخطه سخط الرّحمن، فهل لک أب كأبى و قديم كقديمى ؟ فان قلت: لا تغلب، و إن قلت: نعم تكذب.

فقال معاويه: أقول لا تصديقا لقولک، فقال الحسن:

الحقّ أبلج ما تخون سبيله و الصدق يعرفه ذوو الألباب

و قال معاويه ذات يوم و عنده أشراف الناس من قريش و غيرهم: أخبرونى بخير الناس أبا و امّا و عمّا و عمّه و خالا و خاله و جدّا و جدّه، فقام مالک بن

العجلان فأومأ إلى الحسن فقال: هاهوذا أبوه عليّ بن أبى طالب رضوان اللّه عليهم و امه فاطمه بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و عمّه جعفر الطيار فى الجنان، و عمّته امّ هانىء بنت أبى طالب، و خاله القاسم ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و خالته بنت رسول اللّه زينب و جدّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و جدّته خديجه بنت خويلد.

فسكت القوم و نهض الحسن، فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال: أحبّ بنى هاشم حملك على أن تكلّمت بالباطل ؟ فقال ابن العجلان: ما قلت إلاّ حقّا و ما أحد من الناس يطلب مرضاه مخلوق بمعصيه الخالق إلاّ لم يعط أمنيّته فى دنياه و ختم له بالشقاء فى آخرته، بنو هاشم أنضرهم عودا و أوراهم زندا، كذلك يا معاويه ؟ قال: اللهمّ نعم.

قيل: و استاذن الحسن بن عليّ عليه السّلام على معاويه و عنده عبد اللّه بن جعفر و عمرو ابن العاص، فأذن له، فلمّا أقبل قال عمرو: قد جاءكم الأفّه العيّى الّذى كان بين لحييه عبله، فقال عبد اللّه بن جعفر: مه فو اللّه لقد رمت صخره ململمه تنحطّ عنها السيول و تقصر دونها الوعول و لا تبلغها السهام، فإياك و الحسن إيّاك، فانّك لا تزال راتعا فى لحم رجل من قريش و لقد رميت فما برح سهمك و قدحت فما أورى زندك.

فسمع الحسن الكلام فلمّا أخذ الناس مجالسهم قال: يا معاويه لا يزال عندك عبد راتعا فى لحوم الناس، أما و اللّه لو شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الامور و تحرّج منه الصدور ثمّ أنشأ يقول:

أتأمر يا معاوى عبد سهم بشتمى و الملا منّا شهود

إذا أخذت مجالسها قريش فقد علمت قريش ما تريد

قصدت إلىّ تشتمنى سفاها لضغن ما يزول و ما يبيد

فما لك من أب كأبى تسامى به من قد تسامى أو تكيد

و لا جدّ كجدّى يا ابن هند رسول اللّه إن ذكر الجدود

و لا امّ كامّى من قريش إذا ما يحصل الحسب التليد

فما مثلی تهکّم یا ابن هند و لا مثلی تجاریه العبید

فمهلا لا تهج منّا امورا یشیب لها معاویه الولید

و ذکروا أنّ عمرو بن العاص قال لمعاویه ذات یوم:

ابعث إلی الحسن بن علی فمره أن یخطب علی المنبر فلعلّه یحصر فیکون ذلک ممّا نعیّره به، فبعث إلیه معاویه فأصعده المنبر و قد جمع له الناس فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

یا أیّها الناس من عرفنی فأنا الّذی یعرف و من لم یعرفنی فانا الحسن بن علیّ بن أبی طالب ابن عمّ النّبی صلی اللّه علیه و آله، أنا ابن البشیر النذیر السراج المنیر أنا ابن من بعث رحمه للعالمین و سخطا للکافرین، أنا ابن من بعث إلی الجنّ و الإنس، أنا المستجاب الدّعوه، أنا ابن الشفیع المطاع، أنا ابن أوّل من ینفض رأسه من التراب، أنا ابن أوّل من یقرع باب الجنّه، أنا ابن من قاتلت معه الملائکه و نصر بالرّعب من مسیره شهر، فافتنّ فی هذا الکلام و لم یزل حتّی أظلمت الدّنیا علی معاویه فقال: یا حسن قد کنت ترجو أن تکون خلیفه و لست هناک.

فقال الحسن: انما الخلیفه من سار بسیره رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و عمل بطاعه اللّه و لیس الخلیفه من دان بالجور و عطّل السنن و اتّخذ الدّنیا أبا و امّا، و لکنّ ذاک ملک أصاب ملکا یمتّع به قلیلا و کان قد انقطع عنه و استعجل لذّته و بقیت علیه تبعته فکان کما قال اللّه عزّ و جل: و إن أدری لعلّه فتنه لکم و متاع إلی حین ثمّ انصرف.

فقال معاویه لعمرو: و اللّه ما أردت إلّا هتکی، ما کان أهل الشام یرون أنّ أحدا مثلی حتّی سمعوا من الحسن ما سمعوا.

قیل: و قدم الحسن بن علیّ رضوان اللّه علیه علی معاویه فلمّا دخل علیه وجد عنده عمرو بن العاص و مروان بن الحکم و المغیره بن شعبه و صنادید قومه و وجوه الیمن و أهل الشام: فلمّا نظر إلیه معاویه أقعده علی سریره و أقبل علیه بوجهه یریه السرور بمقدمه، فلمّا نظر مروان إلی ذلک حسده و کان معاویه قال

لهم: لا تحاوروا هذين الرجلين فلقد قلّداكم العار و فضحاكم عند أهل الشام - يعنى الحسين بن على عليهما السّلام، و عبد اللّه بن العبّاس.

فقال مروان: يا حسن لو لا حلم أمير المؤمنين و ما قد بنى له آباؤه الكرام من المجد و العلاء ما أقعدك هذا المقعد و لقتلك و أنت له مستوجب بقودك الجماهير فلمّا أحسست بنا و علمت أن لا طاقه لك بفرسان أهل الشام و صناديد بنى اميّه أذعنت بالطاعه و احتجرت بالبيعه و بعثت تطلب الأمان، أما و اللّه لو لا ذلك لاريق دمك، و علمت أنّا نعطى السيوف حقّها عند الوغى، فاحمد اللّه إذا بتلاك بمعاويه فعفا عنك بحلمه ثمّ صنع بك ما ترى.

فنظر إليه الحسن فقال: ويحك يا مروان لقد تقلّدت مقاليد العارفى الحروب عند مشاهدتها و المخاذله عند مخالطتها، نحن - هبلتك الهوابل - لنا الحجج البوالغ و لنا إن شكرتم عليكم النعم السوابغ، ندعوكم إلى النجاه و تدعوننا إلى النّار فشتّان ما بين المنزلتين، تفخر ببنى اميّه و تزعم أنّهم صبّر فى الحروب أسد عند اللقاء - ثكلتك امّك - اولئك البهاليل الساده و الحماه الذاده و الكرام القاده بنو عبد المطلب، أما و الله لقد رأيتهم و جميع من فى هذا البيت ما هالتهم الأهوال و لم يحيدوا عن الأبطال كاللّيوث الضاريه الباسله الحنقه، فعندها ولّيت هاربا و اخذت أسيرا فقلدت قومك العار لأنّك فى الحروب خوّار، أيراق دمى زعمت ؟ أفلا أرقت دم من وثب على عثمان فى الدار فذبحه كما يذبح الجمل و أنت تثغو ثغاء النعجه و تنادى بالويل و الثبور كالأمه اللّكعاء، ألا دفعت عنه بيد أو ناضلت عنه بسهم ؟ لقد ارتعدت فرائصك و غشى بصرك فاستغثت بى كما يستغيث العبد بربّه، فانجيتك من القتل و منعتك منه ثمّ تحثّ معاويه على قتلى و لو رام ذلك معك لذبح كما ذبح ابن عفّان، أنت معه أقصر يدا و أضيق باعا أجبن قلبا من أن تجسر على ذلك، ثمّ تزعم أنّى ابتليت بحلم معاويه أما و اللّه لهو أعرف بشأنه و أشكر لما ولّيناه هذا الأمر فمتى بدا له فلا يغضينّ جفنه على القذى معك، فو اللّه لأثخننّ أهل الشام بجيش يضيق عنها فضاؤها، و يستأصل

فرسانها ثمّ لا ينفعك عند ذلك الهرب و الرّوغان و لا يردّ عنك الطلب تدريجك الكلام فنحن ممّن لا يجهل آباؤنا القدماء الأكابر و فروعنا الساده الأخيار، انطق إن كنت صادقا.

فقال عمرو: ينطق بالخنى و تنطق بالصدق ثمّ أنشأ يقول:

قد يضرط العير و المكواه تأخذه لا يضرط العير و المكواه فى النار

ذق و بال أمرك يا مروان، و أقبل عليه معاويه فقال: قد نهيتك عن هذا الرجل و أنت تأبى إلّا انهماكا فيما لا يعنيك، اربع على نفسك فليس أبوك كأبيه و لا أنت مثله، أنت ابن الطريد الشريد و هو ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله الكريم و لكن ربّ باحث عن حتفه و حافر عن مديته، فقال مروان: ارم من دون بيضتك و قم بحجّه عشيرتك، ثمّ قال لعمرو: طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصييك فلذلك تحذّره و قام مغضبا فقال معاويه: لا تجار البحور فتغمرك، و لا الجبال فتبهرك و استرح من الاعتذار.

قيل: و لقى عمرو بن العاص الحسن بن على عليه السّلام فى الطّواف فقال: يا حسن أزعمت أنّ الدّين لا يقوم إلّا بك و بأبيك ؟ فقد رأيت اللّه جلّ و عزّ أقامه بمعاويه فجعله راسيا بعد ميله و بيّنا بعد خفائه، أفرضى اللّه قتل عثمان أم من الحقّ أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطّحين ؟ عليك ثياب كغرقىء البيض و أنت قاتل عثمان، و اللّه إنّه لألمّ للشعث و أسهل للوعث أن يوردك معاويه حياض أبيك.

فقال الحسن عليه السّلام: إنّ لأهل النّار علامات يعرفون بها و هى الإلحاد لأولياء اللّه و الموالاه لأعداء اللّه، و اللّه إنّك لتعلم أنّ عليّا عليه السّلام لم يترتب فى الأمر و لم يشكّ فى اللّه طرفه عين، و أيم اللّه لتنتهينّ يا ابن امّ عمرو أو لأقرعنّ جبينك بكلام تبقى سمته عليك ما حييت، فإيّاك و الإبراز على فإنّى من قد عرفت لست بضعيف الغمزه، و لا بهشّ المشاشه، و لا بمرىء المأكله، و إنّى من قريش كأوسط القلاده، يعرف حسبى و لا ادعى لغير أبى، و قد تحاكمت فيك رجال قريش فغلب عليك ألأمهم نسبا و أظهرهم لعنه، فإياك عنّى فانك رجس، و إنما

نحن بيت الطّهاره، أذهب اللّه عنّا الرجس و طهّرنا تطهيرا.

قيل: و اجتمع الحسن بن علىّ عليه السّلام و عمرو بن العاص، فقال الحسن عليه السّلام:

قد علمت قريش بأسرها أنّى منها فى عزّ أرومتها لم اطبع على ضعف و لم اعكس على خسف، اعرف بشبهى و ادعى لأبى.

فقال عمرو: قد علمت قريش أنّك من أقلّها عقلا و أكثرها جهلا، و انّ فيك خصالا لو لم يكن فيك إلّا واحده منهنّ لشملك خزيها كما شمل البياض الحالك، لعمر اللّه لتنتهينّ عمّا أراك تصنع أو لأكبسنّ لك حافه كجلد العائط أرميك من خللها بأحرّ من وقع الأثافى أعرك منها أديمك عرك السلعه، فانّك طالما ركبت صعب المنحدر و نزلت فى اعراض الوعر التماسا للفرقه و إرصادا للفتنه و لن يزيدك اللّه فيها إلّا فظاعه.

فقال الحسن عليه السّلام: أما و اللّه لو كنت تسمو بحسبك و تعمل برأيك ما سلكت فجّ قصد و لا حللت رابيه مجد، و أيم اللّه لو أطاعنى معاويه لجعلك بمنزله العدوّ الكاشح فانّه طالما طويت على هذا كشحك و أخفيته فى صدرك و طمح بك الرجاء إلى الغايه القصوى الّتى لا يورق بها غصنك و لا يخضرّ لها مرعاك، أما و اللّه ليوشكنّ يا ابن العاص أن تقع بين لحيى ضرغام من قريش قوىّ متمنّع فروس ذى لبد يضغطك ضغط الرحى للحبّ لا ينجيك منه الروغان إذا التقت حلقتا البطان.

انتهى ما أتى به البيهقى فى المحاسن و المساوى فى المقام.

و فى محاسن البرقى: قال عمرو بن العاص للحسين عليه السّلام: ما بال أولادنا أكثر من أولادكم ؟ فقال عليه السّلام:

بغاث الطير أكثرها فراخا و امّ الصقر مقلاه نزور

فقال: ما بال الشيب إلى شواربنا أسرع منه إلى شواربكم ؟ فقال عليه السّلام:

إنّ نساءكم نساء بخره فاذا دنا أحدكم من امرأته نهكته فى وجهه فشاب منه شاربه فقال: ما بال لحاكم أوفر من لحائنا؟ فقال عليه السّلام: و البلد الطيّب يخرج نباته باذن ربّه و الذى خبث لا يخرج إلا نكدا، فقال معاويه: بحقّى عليك إلّا سكتّ

فانّه ابن علیّ بن أبی طالب علیه السّلام، فقال علیه السّلام:

إن عادت العقرب عدنا له و کانت النعل لها حاضره

قد علم العقرب و استیقنت أن لا لها دنیا و لا آخره

و روی ابن شهرآشوب و غیره عن أبان الأحمر أنّ شریک بن الأعور دخل علی معاویه، فقال له معاویه: و اللّه إنک لشریک و لیس للّه لشریک و أنک لابن الأعور و البصیر خیر من الأعور، و أنک لدمیم، و الجید خیر من الدمیم فکیف سدت قومک ؟ فقال له شریک: إنّک لمعاویه و ما معاویه إلاّ کلبه عوت و استعوت الکلاب، و انّک لابن صخر و السهل خیر من الصخر، و انّک لابن حرب و السلم خیر من الحرب و انّک لابن امیّه و ما امیّه إلاّ أمه صغرت فاستصغرت فکیف صرت أمیر المؤمنین ؟ فغضب معاویه و خرج شریک و هو یقول:

أ یشتمنی معاویه بن صخر و سیفی صارم و معی لسانی

فلا تبسط علینا یا ابن هند لسانک إن بلغت ذری الأمانی

و إن تک للشقاء لنا أمیرا فإنّا لا نقرّ علی الهوان

و إن تک فی امیّه من ذراها فانا فی ذری عبد المدان

و روی أنّ معاویه أرسل إلیه هدیه منها حلواء، یرید بذلک استمالته و صرفه عن حبّ علی بن أبی طالب علیه السّلام، فدخلت ابنه صغیره له خماسی أو سداسی علیه فأخذت لقمه من تلک الحلواء و جعلتها فی فمها، فقال لها أبو الأسود یا بنتی ألقیه فإنّه سمّ هذه حلواء أرسلها إلینا معاویه لیخدعنا عن أمیر المؤمنین علیه السّلام و یردّنا عن محبّه أهل البیت، فقالت الصبیّه: قبّحه اللّه یخدعنا عن السیّد المطهّر بالشّهد المزعفر تبّا لمرسله و آکله فعالجت نفسها حتّی قاءت ما أکلتها ثمّ قالت:

أبا لشهد المزعفر یا ابن هند نبیع علیک أحسابا و دینا

معاذ اللّه کیف یکون هذا و مولانا أمیر المؤمنینا

و یشبه هذا ما روی أنه دخل أبو أمامه الباهلی علی معاویه فقرّبه و أدناه ثمّ دعی بالطعام فجعل یطعم أبا أمامه بیده، ثمّ أوسع رأسه و لحیته طیبا بیده و أمر له

ببدره من دنانیر فدفعها إلیه، ثمّ قال: یا أبا أمامه باللّه أنا خیر أم علیّ بن أبی طالب ؟ فقال أبو أمامه: نعم و لا کذب و لو بغیر اللّه سألتنی لصدقت علیّ و اللّه خیر منک و أکرم و أقدم إسلاما و أقرب إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قرابه و أشدّ فی المشرکین نکایه و أعظم عند الامّه عناء، أ تدری من علیّ یا معاویه ؟ ابن عمّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله، و زوج ابنته سیّده نساء العالمین، و أبو الحسن و الحسین سیّدی شباب أهل الجنّه، و ابن أخی حمزه سیّد الشهداء، و أخو جعفر ذی الجناحین، فأین تقع أنت من هذا یا معاویه ؟ أظننت أنّی سأختیرک علی علیّ علیه السّلام بألطافک و طعامک و عطائک فأدخل إلیک مؤمنا، و أخرج منک کافرا بئسما سوّلت لک نفسک یا معاویه ثمّ نهض و خرج من عنده فأتبعه بالمال، فقال: لا و اللّه لا أقبل منک دینارا واحدا.

قال تقی الدّین أبو بکر بن علی الحموی فی ثمرات الأوراق فی المحاضرات: قلت:

و أما الأجوبه الهاشمیّه و بلاغتها فهی فی المحل الأرفع، فمن ذلک أنه اجتمع عند معاویه عمرو بن العاص و الولید بن عقبه و عتبه بن أبی سفیان و المغیره بن شعبه فقالوا: یا أمیر المؤمنین ابعث لنا إلی الحسن بن علی فقال لهم: فیم ؟ فقالوا: کی نوبّخه و تعرفه أنّ أباه قتل عثمان فقال لهم: إنّکم لا تنتصفون منه و لا تقولون شیئا إلاّ کذبکم الناس، و لا یقول لکم شیئا ببلاغته إلاّ صدّقه الناس فقالوا: أرسل إلیه فإنا سنکفیک أمره فأرسل إلیه معاویه فلمّا حضر قال: یا حسن إنّی لم ارسل إلیک و لکن هؤلاء أرسلوا إلیک فاسمع مقالتهم و أجب و لا تحرمنی.

فقال الحسن علیه السّلام فلیتکلّموا و نسمع، فقام عمرو بن العاص فحمد اللّه و أثنی علیه قال: هل تعلم یا حسن أنّ أباک أوّل من أثار الفتنه و طلب الملک فکیف رأیت صنع اللّه به ؟.

ثمّ قام الولید بن عقبه بن أبی معیط فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال: یا بنی هاشم کنتم أصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر کان یفضّلکم و یقرّبکم ثمّ بغیتم علیه فقتلتموه و لقد أردنا یا حسن قتل أبیک فأنقذنا اللّه منه و لو قتلناه بعثمان ما کان علینا من اللّه ذنب.

ثمّ قام عتبه فقال: تعلم يا حسن أنّ أباك بغى على عثمان فقتله حسدا على الملك و الدّنيا فسلبها، و لقد أردنا قتل أبيك حتّى قتله اللّه تعالى.

ثمّ قام المغيره بن شعبه فكان كلامه كلّه سبّا لعلى و تعظيما لعثمان.

فقام الحسن عليه السّلام فحمد اللّه تعالى و أثنى عليه و قال: بك أبدأ يا معاويه لم يشتمنى هؤلاء، و لكن أنت تشتمنى بغضا و عداوه و خلافا لجدّى صلى اللّه عليه و آله، ثمّ التفت إلى الناس و قال: انشدكم الله أ تعلمون أنّ الرجل الّذى شتمه هؤلاء كان أوّل من آمن باللّه و صلّى القبلتين، و أنت يا معاويه يومئذ كافر تشرك باللّه، و كان معه لواء النّبىّ صلى اللّه عليه و آله يوم بدر، و مع معاويه و أبيه لواء المشركين.

ثمّ قال: أنشدكم اللّه و الإسلام، أ تعلمون أنّ معاويه كان يكتب الرسائل لجدّى صلى اللّه عليه و آله فأرسل إليه يوما فرجع الرسول و قال: هو يأكل، فردّ الرسول إليه ثلاث مرّات كلّ ذلك و هو يقول: هو يأكل، فقال النّبى صلى اللّه عليه و آله: لا أشبع اللّه بطنه، أما تعرف ذلك فى بطنك أما تعرف ذلك فى بطنك يا معاويه ؟ ثمّ قال: و أنشدكم اللّه، أ تعلمون أنّ معاويه كان يقود بأبيه على جمل و أخوه هذا يسوقه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لعن اللّه الجمل و قائده و راكبه و سائقه هذا كلّه لك يا معاويه.

و أمّا أنت يا عمرو فتنازع فيك خمسه من قريش فغلب عليك شبه ألأمهم حسبا و شرّهم منصبا ثمّ قمت وسط قريش فقلت: أتى شانئ محمّد فأنزل اللّه على نبيّه صلى اللّه عليه و آله: إنّ شانئك هو الأبتر، ثمّ هجوت محمّدا صلى اللّه عليه و آله بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبىّ صلى اللّه عليه و آله: اللهمّ إنّى لا أحسن الشعر و لكن العن عمرو بن العاص بكلّ بيت لعنه ثمّ انطلقت إلى النجاشى بما عملت و عملت فأكذبك اللّه و ردّك خائبا فأنت عدوّ بنى هاشم فى الجاهليّه و الإسلام فلم نلمك على بغضك.

و أمّا أنت يا ابن أبى معيط ، فكيف ألومك على سبّك لعلى و قد جلد ظهرك فى الخمر ثمانين سوطا، و قتل أباك صبرا بأمر جدّى، و قتله جدّى بأمر ربّى، و لمّا قدمه للقتل قال: من للصبيه يا محمّد، فقال: لهم النار فلم يكن لكم عن النبىّ صلى اللّه عليه و آله

إلّا النّار، و لم يكن لكم عند علىّ غير السيف و السوط .

و أمّا أنت يا عتبه فكيف تعد أحدا بالقتل لم لا قتلت الّذى وجدته فى فراشك مضاجعا لزوجتك ثمّ أمسكتها بعد أن بغت.

و أمّا أنت يا أعور ثقيف ففى أىّ ثلاث تسبّ عليّا؟ أفى بعده من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ؟ أم فى حكم جائر؟ أم فى رغبه فى الدّنيا؟ فإن قلت شيئا من ذلك فقد كذبت أكذبك الناس، و إن زعمت أنّ عليّا قتل عثمان فقد كذبت و أكذبك الناس، و أمّا وعيدك فانما مثلك كمثل بعوضه وقفت على نخله، فقالت لها: استمسكى فانى اريد أن أطير، فقالت لها النخله: ما عملت بوقوفك فكيف يشقّ علىّ طيرانك و أنت فما شعرنا بعداوتك فكيف يشق علينا سبّك، ثمّ نفض ثيابه و قام، فقال لهم معاويه:

ألم أقل لكم إنكم لا تنتصفون منه، فو اللّه لقد أظلم على البيت حتّى قام فليس فيكم بعد اليوم خير. انتهى.

قال سبط ابن الجوزى فى التذكره: قال أهل السير: و لمّا سلم الحسن الأمر إلى معاويه أقام يتجهّز إلى المدينه فاجتمع إلى معاويه رهط من شيعته منهم عمرو ابن العاص و الوليد بن عقبه و هو أخو عثمان بن عفّان لامّه و كان علىّ عليه السّلام قد جلّده فى الخمر، و عتبه و قالوا: نريد أن تحضر الحسن على سبيل الزياره لنخجّله قبل مسيره إلى المدينه فنهاهم معاويه و قال: إنّه ألسن بنى هاشم فألحّوا عليه فارسل [إلى] الحسن فاستزاره فلمّا حضر شرعوا فتناولوا عليّا عليه السّلام و الحسن ساكت فلمّا فرغوا حمد الحسن اللّه و أثنى عليه و صلّى على رسوله محمد صلى اللّه عليه و آله قال:

إنّ الّذى أشرتم إليه قد صلّى إلى القبلتين و بايع البيعتين و أنتم بالجميع مشركون و بما أنزل اللّه على نبيّه كافرون، و أنّه حرّم على نفسه الشهوات و امتنع على اللّذات حتى أنزل اللّه فيه «يا أيها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ اللّه لكم» و أنت يا معاويه ممّن قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى حقّه: اللهمّ لا تشبعه أو لا أشبع اللّه بطنك، أخرجه مسلم عن ابن عبّاس.

و بات أمير المؤمنين يحرس رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من المشركين، و فداه بنفسه

ص:١٥٨

لیله الهجره حتّی أنزل اللّه فیه «و من النّاس من یشری نفسه ابتغاء مرضات اللّه» و وصفه بالإیمان فقال «إنما ولیّکم اللّه و رسوله و الّذین آمنوا» و المراد به أمیر المؤمنین و قال له رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أنت منّی بمنزله هارون من موسی و أنت أخی فی الدّنیا و الاخره، و أنت یا معاویه نظر النّبی صلی اللّه علیه و آله إلیک یوم الأحزاب فرأی أباک علی جمل یحرّض النّاس علی قتاله و أخوک یقود الجمل و أنت تسوقه فقال: لعن اللّه الراکب و القائد و السائق، و ما قابله أبوک فی موطن إلّا و لعنه و کنت معه، ولّاک عمر الشام فخنته، ثمّ ولّاک عثمان فتربّصت علیه و أنت الّذی کنت تنهی أباک عن الإسلام حتّی قلت مخاطبا له:

یا صخر لا تسلمن طوعا فتفضحنا بعد الّذین ببدر أصبحوا مزقا

لا ترکننّ إلی أمر تقلّدنا و الرّاقصات بنعمان به الحرقا

و کنت یوم بدر و احد و الخندق و المشاهد کلّها تقاتل رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و قد علمت الفراش الّذی ولدت علیه.

ثمّ التفت إلی عمرو بن العاص و قال: أما أنت یا ابن النابغه فادّعاک خمسه من قریش غلب علیک ألأمهم و هو العاص و ولدت علی فراش مشترک و فیک نزل «إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ » و کنت عدوّ اللّه و عدوّ رسوله و عدوّ المسلمین و کنت أضرّ علیهم من کلّ مشرک و أنت القائل:

و لا أنثنی عن بنی هاشم بما اسطعت فی الغیب و المحضر

و عن عائب اللّات لا أنثنی و لو لا رضی اللّات لم تمطر

و أمّا أنت یا ولید فلا ألومک علی بغض أمیر المؤمنین فإنّه قتل أباک صبرا و جلّدک فی الخمر لمّا صلّیت بالمسلمین الفجر سکرانا و قلت أزیدکم و فیک یقول الحطیئه:

شهد الحطیئه حین یلقی ربّه أنّ الولید أحقّ بالعذر

نادی و قد تمّت صلاتهم أ أزیدکم سکرا و ما یدری

لیزیدهم اخری و لو قبلوا لأتت صلاتهم علی العشر

فأتوا أبا وهب و لو قبلوا لقرنت بين الشفع و الوتر

حبسوا عنانك اذجريت و لو تركوا عنانك لم تزل تجرى

و سمّاك الله فى كتابه فاسقا، و سمّى أمير المؤمنين مؤمنا فى قوله: «أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ » و فيك يقول حسان بن ثابت و فى أمير المؤمنين:

أنزل اللّه ذو الجلال علينا فى علىّ و فى الوليد قرانا

ليس من كان مؤمنا عمرك اللّه كمن كان فاسقا خوّانا

سوف يدعى الوليد بعد قليل و علىّ إلى الجزاء عيانا

فعلىّ يجزى هناك جنانا و وليد يجزى هناك هوانا

و أمّا أنت يا عتبه فلا ألومك فى أمير المؤمنين فإنّه قتل أباك يوم بدر و اشترك فى دم ابن عمّك شيبه، و هلّا أنكرت على من غلب على فراشك و وجدته نائما مع عرسك حتّى قال فيك نصر بن حجّاج:

نبّئت عتبه هيّأته عرسه لصداقه الهذلى من الحيّان

ألقاه معها فى الفراش فلم يكن فحلا و أمسك خشيه النسوان

لا تعتبن يا عتب نفسك حبّها إنّ النساء حبائل الشيطان

ثمّ نفض الحسن ثوبه و قام فقال معاويه:

أمرتكم أمرا فلم تسمعوا له و قلت لكم لا تبعثنّ إلى الحسن

فجاء و ربّ الرّاقصات عشيّه بركبانها يهوين من سرّه اليمن

أخاف عليكم منه طول لسانه و بعد مداه حين اجراره الرسن

فلمّا أبيتم كنت فيكم كبعضكم و كان خطابى فيه غبنا من الغبن

فحسبكم ما قال ممّا علمتم و حسبى بما ألقاه فى القبر و الكفن

ثمّ قال سبط ابن الجوزىّ : تفسير غريب هذه الواقعه: قال الأصمعى و هشام ابن محمّد الكلبى فى كتابه المسمّى بالمثالب: و قد وقفت عليه معنى قول الحسن لمعاويه: قد علمت الفراش الّذى ولدت عليه أنّ معاويه كان يقال إنه من أربعه من قريش: عماره

بن الولید بن المغیره المخزومی، و مسافر بن أبی عمرو و أبی سفیان

ص:۱۶۰

و العبّاس بن عبد المطّلب و هؤلاء كانوا ندماء أبى سفيان و كان كلّ منهم يتّهم بهند.

فأمّا عماره بن الوليد كان من أجمل رجالات قريش و هو الّذى وشى به عمرو بن العاص إلى النّجاشى فدعى الساحر فنفث فى احليله فهام مع الوحش و كانت امرأه النّجاشى قد عشقته.

و أمّا مسافر بن أبى عمرو فقال الكلبى: عامه الناس على أنّ معاويه منه لأنّه كان أشدّ الناس حبّا لهند فلمّا حملت هند بمعاويه خاف مسافر أن يظهر أنّه منه فهرب إلى ملك الحيره و هو هند بن عمرو فأقام عنده، ثمّ إنّ أبا سفيان قدم الحيره فلقيه مسافر و هو مريض من عشقه لهند و قد سقى بطنه فسأله عن أهل مكّه فأخبره و قيل: إنّ أبا سفيان تزوّج هندا بعد انفصال مسافر عن مكّه فقال أبو سفيان انّى تزوجت هندا بعدك فازداد مرضه و جعل يذوب فوصف الكىّ فاحضروا المكاوىّ و الحجّام فبينا الحجّام يكويه إذ حبق الحجّام فقال مسافر: قد يحبق (قد يضرط - خ ل) العير و المكواه فى النّار فسارت مثلا ثمّ مات مسافر من عشقه لهند.

و ذكر هشام بن محمّد الكلبى أيضا فى كتاب المثالب و قال: كانت هند من المغيلمات و كانت تميل إلى السودان من الرجال فكانت إذا ولدت ولدا أسود قتلته قال: و جرى بين يزيد بن معاويه و بين إسحاق بن طابه بن عبيد كلام بين يدى معاويه و هو خليفه فقال يزيد لاسحاق إن خيرا لك أن يدخل بنو حرب كلّهم الجنّه أشار يزيد إلى انّ امّ إسحاق كانت تتّهم ببعض بنى حرب فقال له إسحاق انّ خيرا لك ان يدخل بنو العبّاس كلهم الجنّه فلم يفهم يزيد قوله و فهم معاويه فلمّا قام إسحاق قال معاويه ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك قال: قصدت شين إسحاق قال: و هو كذلك أيضا قال: و كيف ؟ قال: أما علمت أنّ بعض قريش فى الجاهليه يزعمون أنّى للعبّاس فسقط فى يدى يزيد.

و قال الشعبى: و قد أشار رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى هند يوم فتح مكّه بشىء من هذا فانّها لما جاءت تبايعه و كان قد أهدر دمها فقالت: على ما ابايعك ؟ فقال:

على أن لا تزنين، فقالت: و هل تزنى الحرّه ؟ فعرفها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فنظر إلى

عمر فتبسم.

و أمّا قول الحسن عليه السّلام لعمرو بن العاص: ولدت على فراش مشترك فذكر الكلبى أيضا فى المثالب قال: كانت النابغه ام عمرو بن العاص من البغايا أصحاب الرايات بمكّه فوقع عليها العاص بن الوائل فى عدّه من قريش منهم أبو لهب و اميّه بن خلف و هشام بن المغيره و أبو سفيان بن حرب فى طهر واحد.

قال ابن الكلبى: و كان الزّناه الّذين اشتهروا بمكّه جماعه منهم هؤلاء المذكورون، و اميّه بن عبد الشمس، و عبد الرّحمن بن الحكم بن أبى العاص أخو مروان بن الحكم، و عتبه بن أبى سفيان أخو معاويه، و عقبه بن أبى معيط فلمّا حملت النابغه بعمرو تكلّموا فيه فلمّا وضعته اختصم فيه الخمسه الّذين ذكرناهم كلّ واحد يزعم أنّه ولده و ألّب عليه العاص بن وائل و أبو سفيان بن حرب كلّ واحد يقول: و اللّه إنّه منّى فحكّما النابغه فاختارت العاص فقالت: هو منه، فقيل لها ما حملك على هذا و أبو سفيان أشرف من العاص ؟ فقالت: هو كما قلتم إلا انّه رجل شحيح، و العاص جواد ينفق على بناتى، و أبو سفيان لا ينفق عليهنّ و كان لها بنات.

و أمّا قول الحسن عليه السّلام للوليد بن عقبه: و جلدك علىّ فى الخمر، فذكر أرباب السّير قاطبه: أنّ عثمان بن عفّان ولّى الوليد بن عقبه الكوفه سنه ستّ و عشرين و كان الوليد مدمنا على شرب الخمر و كان يجلس على الشراب و عنده ندماؤه و مغنّوه طول الليل إلى الفجر فإذا أذنه المؤذّن بصلاه الفجر خرج سكرانا فصلّى بهم فخرج يوما فى غلاله لا يدرى أين هو فتقدّم إلى المحراب فصلّى بهم الفجر أربعا و قال: أزيدكم ؟ فقال له عبد اللّه بن مسعود: ما زلنا معك فى زياده منذ اليوم، و لما سجد قال فى سجوده: اشرب و اسقنى، فناداه عتاب بن غيلان الثقفى: سقاك اللّه المهل و من بعثك أميرا علينا، ثمّ حصبه و حصبه أهل المسجد، فدخل الوليد القصر و هو يترنّح فنام فى سريره، فهجم عليه جماعه منهم أبو جندب بن زهير الأسدىّ و ابن عوف الأزدىّ و غيرهما و هو سكران لا يعى فأيقظوه فلم يتنبه، ثمّ قاء عليهم

ص:۱۶۲

الخمر فنزعوا خاتمه من يده و خرجوا من فورهم إلى المدينه، فدخلوا على عثمان فشهدوا على الوليد أنّه شرب الخمر، فقال: و ما يدريكم أنّه شرب خمرا؟ قالوا:

شرب الخمر الّذى كنّا نشرب به فى الجاهليّه فزبرهما و نال منهما فخرجا من عنده فدخلا على علىّ عليه السّلام و أخبراه بالقصّه، فدخل على عثمان فقال له: دفعت الشهود و أبطلت الحدود، قال له: فما ترى ؟ فقال: تبعث إلى الفاسق فتحضره فان قامت عليه البيّنه حددته فأرسل إلى الوليد فأحضره فشهدوا عليه و لم يكن له حجّه فرمى عثمان السّوط إلى علىّ عليه السّلام و قال له: حدّه، فقال علىّ لولده الحسن: قم فحدّه، فامتنع الحسن عليه السّلام و قال: يتولّى حارّها من تولّى قارّها و القرّ البرد و معناه يتولّاه و الى الأمر، فقال لعبد اللّه بن جعفر: قم فاجلده فامتنع فلمّا رآهم لا يفعلون توقّيا لعثمان أخذ السوط و دنى من الوليد فسبّه الوليد فقال له عقيل بن أبى طالب: يا فاسق ما تعلم من أنت أ لست علجا من أهل صفوريّه قريه بين عكّا و اللّجون من أعمال الاردن كان أبوك يهوديّا منها فجعل الوليد يحيد عن علىّ فأخذه فضرب به الأرض فقال له عثمان: ليس لك ذلك فقال: بلى و شرّ من ذلك إذ فسق ثمّ يمتنع أن يؤخذ منه حقّ اللّه تعالى ثمّ جلده أربعين.

و قد أخرج أحمد فى المسند معنى هذا فقال: حدّثنا يزيد بن هارون، ثنا سعيد بن أبى عرونه، عن عبد اللّه بن الدّاناج، عن حصين بن المنذر بن الحرث بن و عله قال: لمّا قال علىّ عليه السّلام للحسن: قم فاجلده، قال: و فيم أنت و ذاك فقال علىّ عليه السّلام: بل عجزت و وهنت قم يا عبد اللّه بن جعفر فاجلده، فقام فجلده و علىّ عليه السّلام يعدّ حتّى بلغ أربعين، قال: أمسك، ثمّ قال: جلد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى الخمر أربعين، و ضرب أبو بكر أربعين، و ضربها عمر صدرا من خلافته، ثمّ أتمّ ثمانين و كلّ سنّه.

فان قيل: فقد روى أحمد فى المسند أيضا عن علىّ عليه السّلام انه قال: ما من رجل أقمت عليه حدّا فمات فأجد فى نفسى منه إلّا صاحب الخمر فانّه لو مات لوديته لأنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يسنّه و أخرجاه فى الصحيحين فكيف تقول: و كلّ سنّه ؟

قلنا: لا خلاف أنّ النّبىّ صلى اللّه عليه و آله ضرب فى الخمر فالضرب فى الجمله سنّه و العدد ثبت باجماع الصحابه.

قال السبط : و قيل: هذه القصّه إنّما جرت للحسن عليه السّلام مع معاويه و الوليد و من سميناهم بالشام لأنّ الحسن كان يعد على معاويه كلّ حين و معه الحسين، قلت:

و قد دعى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على الوليد بن عقبه لمّا ردّ أمانه، فقال أحمد فى المسند حدّثنا عبيد اللّه بن عمر، ثنا عبد اللّه بن داود، ثنا نعيم بن حكيم، عن ابن أبى مريم عن علىّ عليه السّلام قال: جاءت امرأه الوليد بن عقبه تشكوه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و قالت:

يا رسول اللّه إنّ الوليد يضربنى فقال: اذهبى إليه و قولى له: قد أجارنى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلم تلبث إلّا يسيرا، حتّى جاءت فقالت: ما زادنى إلّا ضربا، فأخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله هدبه من ثوبه فدفعها إليها و قال لها: قولى هذا أمانى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلم تلبث إلّا يسيرا حتّى جاءت فقالت: يا رسول اللّه ما زادنى إلّا ضربا، فرفع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يديه و قال: اللهمّ عليك بالوليد، و فى روايه عليك بالفاسق.

و اختلفوا فى معنى تسميته بالفاسق على قولين: أحدهما أنّ الوليد قال يوما لعلى عليه السّلام: أ لست أبسط منك لسانا و أحدّ سنانا، فنزلت: «أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ » ذكره ابن عبّاس.

و الثانى أنّ النّبىّ صلى اللّه عليه و آله بعثه سنه ثمان من الهجره إلى بنى المصطلق يصدقهم و كانوا قد أسلموا و بنوا المساجد، فلما بلغهم قدوم الوليد خرجوا يتلقّونه بالهدايا و السلاح فرحا به، فلمّا رآهم ولّى راجعا إلى المدينه، فقال: يا رسول اللّه قد منعوا الزكاه و قاموا إلىّ بالسّلاح فابعث إليهم البعوث، فقدم الحارث بن عباد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقال له: يا حارث أردت قتل رسولى و منعت الزكاه ؟! فقال: و الّذى بعثك بالحق ما وصل إلينا و إنّما رجع من الطريق، و لقد كذب فأنزل اللّه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا » - الايه.

و ذكر هشام بن محمّد الكلبى عن محمّد بن إسحاق قال: بعث مروان بن الحكم و كان واليا على المدينه رسولا إلى الحسن عليه السّلام فقال له: يقول لك مروان: أبوك الّذى فرّق الجماعه و قتل أمير المؤمنين عثمان و أباد العلماء و الزّهاد - يعنى الخوارج

و أنت تفخر بغيرك، فاذا قيل لك من أبوك تقول: خالى الفرس.

فجاء الرسول إلى الحسن فقال له: يا أبا محمّد إنّى أتيتك برساله ممن يخاف سطوته و يحذر سيفه فإن كرهت لم أبلغك إيّاها و وقيتك بنفسى، فقال الحسن:

لا ـ بل تؤدّيها و نستعين عليه باللّه فأدّاها فقال له: تقول لمروان: إن كنت صادقا فاللّه يجزيك بصدقك، و إن كنت كاذبا فاللّه أشدّ نقمه، فخرج الرسول من عنده فلقيه الحسين فقال: من أين أقبلت ؟ فقال: من عند أخيك الحسن، فقال: و ما كنت تصنع ؟ قال: أتيت برساله من عند مروان، فقال: و ما هى ؟ فامتنع الرسول من أدائها، فقال: لتخبرنى أو لأقتلنّك فسمع الحسن فخرج و قال لأخيه: خلّ عن الرجل، فقال: لا و اللّه حتى أسمعها فأعادها الرسول عليه فقال له: قل له: يقول لك الحسين بن علىّ و فاطمه: يا ابن الزرقاء الداعيه إلى نفسها بسوق ذى المجاز، صاحبه الرايه بسوق عكاظ ، و يا ابن طريد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و لعينه، اعرف من أنت و من امّك و من أبوك.

فجاء الرسول إلى مروان فأعاد عليه ما قالا. فقال له: ارجع إلى الحسن و قل له: أشهد انك ابن رسول اللّه و قل للحسين: أشهد أنك ابن علىّ بن أبى طالب فقال للرسول قل له كلاهما لى و رغما.

قال قال الأصمعى: أما قول الحسين: يا ابن الداعيه إلى نفسها فذكر ابن إسحاق أنّ امّ مروان اسمها اميّه و كانت من البغايا فى الجاهليّه و كان لها رايه مثل رايه البيطار تعرف بها و كانت تسمى ام حتبل الزرقاء و كان مروان لا يعرف له أب و إنما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص.

و أما قوله: يا ابن طريد رسول اللّه يشير إلى الحكم بن أبى العاص بن اميّه ابن عبد شمس، أسلم الحكم يوم الفتح و سكن المدينه و كان ينقل أخبار رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى الكفّار من الأعراب و غيرهم و يتجسّس عليه، قال الشعبى:

و ما أسلم إلاّ لهذا و لم يحسن إسلامه و رآه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يوما و هو يمشى و يتخلّج فى مشيته يحاكى رسول اللّه فقال له: كن كذلك فما زال يمشى كأنه يقع على وجهه و نفاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى الطائف و لعنه فلمّا توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كلّم عثمان أبا بكر

أن يردّه لأنه كان عمّ عثمان فقال أبو بكر: هيهات شيء فعله رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و اللّه لا اخالفه أبدا فلمّا مات أبو بكر و ولى عمر كلمه فيه فقال: يا عثمان أما تستحى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و من أبى بكر تردّ عدوّ اللّه و عدوّ رسوله إلى المدينه ؟ و اللّه لا كان هذا أبدا فلمّا مات عمرو ولّى عثمان ردّه فى اليوم الّذى ولّى فيه و قرّبه و أدناه و دفع له مالا عظيما و رفع منزلته فقام المسلمون على عثمان و أنكروا عليه و هو أوّل ما أنكروا عليه و قالوا: رددت عدوّ اللّه و رسوله و خالفت اللّه و رسوله فقال:

إنّ رسول اللّه وعدنى بردّه فامتنع جماعه من الصحابه عن الصّلاه خلف عثمان لذلك.

ثمّ توفى الحكم فى خلافته فصلّى عليه و مشى خلفه فشقّ ذلك على المسلمين و قالوا: ما كفاك ما فعلت حتّى تصلّى على منافق ملعون لعنه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و نفاه فخلعوه و قتلوه و اعطى ابنه مروان خمس غنائم افريقيّه خمسمائه ألف دينار، و لمّا بلغ عايشه أرسلت إلى عثمان أما كفاك أنك رددت المنافق حتّى تعطيه أموال المسلمين و تصلّى عليه و تشيّعه بهذا السبب ؟ قالت: اقتلوا نعثلا قتله اللّه فقد كفر، و لمّا بلغ مروان انكارها جاء إليها يعاتبها فقالت: اخرج يا ابن الزرقاء انّى أشهد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أنه لعن أباك و أنت فى صلبه.

قال الشعبى: إنّ مروان ولد سنه اثنتين من الهجره و أبوه إنّما أسلم يوم الفتح و نفاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بعد ذلك، قلت: و قد ذكر ابن سعد فى الطبقات معنى الحكايه الّتى حكيناها عن ابن إسحاق و رساله مروان إلى الحسن. انتهى ما أردنا من نقل كلام سبط ابن الجوزى فى التذكره.

و أقول: سيأتى توضيح كلام الإمام المجتبى عليه السّلام فى عمرو بن العاص العاصى:

فادّعاك خمسه من قريش فى تفسير كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى عمرو بن العاص.

و أمّا قول الكلبى و الأصمعى أنّ معاويه كان من أربعه من قريش فقد روى الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار أيضا أنّ معاويه كان يعزى إلى أربعه:

إلى عمرو بن مسافر، و إلى عماره بن الوليد، و إلى العبّاس بن عبد المطّلب

ص:١۶۶

و إلى الصباح مغنّ أسود كان لعماره، قال قالوا: كان أبو سفيان و سيما قصيرا، و كان الصباح عسيفا لأبى سفيان شابّا و سيما فدعته هند إلى نفسها، و قالوا: إنّ عتبه بن أبى سفيان من الصباح أيضا و انّها كرهت أن تضعه فى منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك و فى ذلک قال حسان بن ثابت:

لمن الصبى بجانب البطحاء فى الأرض ملقى غير ذى مهد

بخلت به بيضاء آنسه من عبد شمس صلته الخدّ

و أقول: هذان البيتان من أبيات توجد فى آخر ديوان حسّان على ما فى نسخه مخطوطه من ديوانه فى مكتبتنا، و الأبيات معنونه بهذا العنوان: و قال حسّان لهند بنت عتبه بن أبى ربيعه، و بعد البيتين:

تسعى الصباح معوله يا هند انک صلبه الحرد

فإذا تشادعت بمقطره تذکی لها بالودّه الهند

غلبت على شبه الغلام و قد بان السواد لحالک جعد

أشرت لکاع و کان عادتها دقّ المشاش بناجذ جلد

فحرّى لمعاويه أن يباهى و يفتخر قائلا: اولئک آبائى فجئنى بمثلهم.

و أمّا قوله: إذ حبق الحجّام فقال مسافر: قد يحبق (يضرط - خ ل) العير و المکواه فى النار فقال الميدانى فى مجمع الأمثال: و يقال: إنّ أوّل من قاله مسافر ابن أبى عمرو بن اميّه و ذلک أنّه کان يهوى بنت عتبه و کانت تهواه فقالت: إنّ أهلى لا يزوّجوننى منک انک معسر، فلو قد وفدت إلى بعض الملوک لعلک تصيب مالا فتتزوّجنى، فرحل إلى الحيره وافدا إلى النعمان فبيناهم مقيم عنده إذ قدم عليه قادم من مکّه فسأله عن خبر أهل مکّه بعده فأخبره بأشياء و کان منها أنّ أبا سفيان تزوّج هندا فطعن مسافر من الغمّ فأمر النعمان أن يکوى فأتاه الطبيب بمکاويه فجعلها فى النار ثمّ وضع مکواه منها عليه و علج من علوج النعمان واقف فلمّا رآه يکوى ضرط فقال مسافر: قد يضرط العير و يقال: إنّ الطبيب ضرط .

و أمّا ما نقل السبط من قول أمير المؤمنين على عليه السّلام لولده الحسن عليه السّلام: قم فحدّه فامتنع الحسن، و ما روى أحمد فى المسند من أنّ عليّا عليه السّلام لما قال للحسن عليه السّلام قم فاجلده قال الحسن عليه السّلام و فيم أنت و ذاك، ففيهما كلام لأنّ امتناع الإمام المجتبى عليه السّلام عمّا أمره به أبوه أمير المؤمنين عليه السّلام فدونه خرط القتاد.

و أمّا ما نقله من حدّ شارب الخمر و من أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام جلد الوليد أربعين فالبحث عنه يوجب الإسهاب فانّه يؤدّى إلى شعب كثيره من مسائل فقهيه و غيرها و لذلک نکتفى على نقل ما أتى به صاحب الجواهر فى شرح کتاب الحدود من کتاب الشرائع قال - ره -:

حدّ المسکر ثمانون جلده بلا خلاف أجده فيه بل الاجماع بقسميه عليه بل المحکى منهما مستفيض أو متواتر کالنصوص، لکن فى حسن الحلبى سئل الصّادق عليه السّلام أرأيت النبىّ صلى اللّه عليه و آله کيف يضرب بالخمر؟ قال: کان يضرب بالنعال و يزيد إذا أتى بالشارب ثمّ لم يزل الناس يزيدون حتّى وقف ذلک على ثمانين أشار بذلک علىّ عليه السّلام على عمر.

و نحوه خبر أبى بصير عنه عن أمير المؤمنين عليه السّلام معلّلا بأنه إذا شرب سکر و إذا سکر هذى و إذا هذى افترى فاذا فعل ذلک فاجلدوه حدّى المفترى ثمانين.

بل فى المسالک روى العامه و الخاصّه أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله کان يضرب الشارب بالأيدى و النعال و لم يقدّره بعدد فلمّا کان فى زمن عمر استشار أمير المؤمنين عليه السّلام فى حدّه فأشار عليه أن يضربه ثمانين معلّلا له بأنه إذا شرب سکر و إذا سکر هذى و إذا هذى افترى فجلده عمر ثمانين و عمل بمضمونه أکثر العامّه.

و ذهب بعضهم إلى أربعين مطلقا لما روى أنّ صحابه قد رووا ما فعل فى زمانه صلّى اللّه عليه و آله بأربعين و کان التقدير المزبور عن أمير المؤمنين عليه السّلام من التفويض الجائز لهم.

و من الغريب ما فى کتاب الإستغاثه فى بدع الثلاثه من أنّ حدّ الشارب

الثمانين من بدع الثانی، و أنّ الرسول صلی اللّه علیه و آله جعل حدّه أربعین بالنعال العرین و جرائد النخل باجماع أهل الروایه، و انّ الثانی قال: إذا سکر افتری و انه افتری حدّ حدّ المفتری، و فی کشف اللثام و لعلّه أراد إلزامهم باعترافهم کما فی الطرائف من قوله و من طریف ما شهدوا به أیضا علی خلیفتهم عمر من تغییره لشریعه نبیّهم صلی اللّه علیه و آله و قلّه معرفته بمقام الأنبیاء و خلفائهم ما ذکره الحمیدی فی الجمع بین الصحیحین من مسند أنس بن مالک فی الحدیث الحادی و التسعین من المتفق علیه انّ النّبی ضرب فی الخمر بالجرائد و النعال و جلد أبو بکر أربعین فلمّا کان عمر استشار الناس فقال عبد الرّحمن أخفّ الحدود ثمانون فأمر به عمر.

و ذکر الحمیدی أیضا فی کتاب الجمع بین الصحیحین فی مسند السائب بن یزید فی الحدیث الرابع من أفراد البخاری قال: کنّا نؤتی بالشارب علی عهد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و إمره أبی بکر و شطر من خلافه عمر فنتقدّم إلیه بأیدینا و نعالنا و اردیتنا حتّی کان آخر امره عمر فجلد أربعین حتّی إذا عتوا و فسقوا جلد ثمانین.

ثمّ إنّ ظاهر النصّ و الفتوی اعتبار الثمانین مترتبه لکن فی خبر زراره سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: إنّ الولید بن عقبه حین شهد علیه بشرب الخمر قال عثمان لعلیّ علیه السّلام: اقض بینه و بین هؤلاء الّذین زعموا أنه شرب الخمر، قال: فأمر علیّ علیه السّلام فجلد بسوط له شعبتان أربعین جلده فصارت ثمانین.

و فی خبره الاخر سمعته أیضا یقول: اقیم عبید بن عمر و قد شرب الخمر فأمر عمر أن یضرب فلم یتقدّم علیه أحد یضربه حتّی قام علیّ علیه السّلام بنسعه مثنیه لها طرفان فضربه أربعین، و یمکن حملهما علی جواز ذلک لمصلحه و اللّه العالم، و کیف کان فالمشهور بین الأصحاب شهره عظیمه کادت تکون اجماعا أنه لا فرق فی الثمانین رجلا کان الشارب أو امرأه حرّا کان أو عبدا بل عن صریح الغنیه و ظاهر غیرها الإجماع علیه، انتهی ما أردنا من نقل کلامه طیّب اللّه رمسه.

ثمّ قال علیه السّلام:(و کتاب اللّه یجمع لنا - إلی قوله: أولی بالطاعه) احتجّ علیه السّلام بایتین من القرآن الکریم علی أولویّته من غیره فی أمر الخلافه و استنتج من

الاولی أولویّته بالخلافه بقرابته إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله، و من الثانیه أولویّته بالخلافه بطاعه الرسول و لا یخفی علی اولی الألباب حسن استنباطه علیه السّلام هذا المعنی من القرآن الکریم.

کما لا یخفی علیهم أنّه علیه السّلام کان من أخصّ اولی الأرحام بالرسول صلی اللّه علیه و آله، و کان أقرب الخلق إلی اتباعه و ناهیک فی المقام قوله علیه السّلام: و لقد قبض رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و انّ رأسه لعلی صدری و لقد سالت نفسه فی کفّی فأمر رتها علی وجهی و لقد ولیت غسله صلی اللّه علیه و آله و الملائکه أعوانی فضجّت الدار و الأفنیه ملأ یهبط و ملأ یعرج و ما فارقت سمعی هنیمه منهم یصلّون حتّی و اریناه فی ضریحه فمن ذا أحقّ به منّی حیّا و میّتا؟، کما مضی فی المختار ۱۹۵ من باب الخطب، و قد مضت طائفه من کلامنا فی الإمام و صفاته فی شرح المختار ۲۳۷ من باب الخطب فراجع (ص ۳۵ - ۱۷۶ ج ۱۶).

ثمّ إنّه علیه السّلام أتی بعد آیه اولی الأرحام بالایه الثانیه لأنّ الأمر الأهمّ هو الإتباع و لولاه لا ینفع القرابه ألا تری قوله عزّ و جلّ خطابا لنوح علیه السّلام فی أمر ولده: «انه لیس من أهلک انه عمل غیر صالح».

ثمّ قال علیه السّلام:(و لمّا احتجّ المهاجرون علی الأنصار یوم السقیفه - إلی قوله:

علی دعویهم) ثمّ احتجّ علیه السّلام علی معاویه بما ظفر المهاجرون یوم السقیفه علی الأنصار و ذلک أنّه قالت الأنصار یوم السقیفه للمهاجرین: منّا أمیر و من قریش أمیر و قال المهاجرون: نحن شجره الرسول و عشیرته و رووا عنه صلی اللّه علیه و آله الأئمه من قریش فغلبوا بذلک علی الأنصار (ص ۱۸۳۸ من تاریخ الطبری) فاحتجّ أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام علی معاویه بأنّ ظفرهم علی الأنصار إن کان لقربهم منه صلی اللّه علیه و آله فالحقّ لنا، أی فالحقّ لأهل بیته، و من کان من أخصّ اولی الأرحام بالرسول و أقربهم إلیه أولی بذلک الحقّ ، و إن کان بغیره فالأنصار علی دعویهم أی لم یتمّ حجّه المهاجرین علیهم فلم یتحقّق إجماع الصحابه علی خلافه من جعل خلیفه المسلمین منذ قبض رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سیأتی عن قریب فی شرح هذا

الکتاب نحو احتجاجه هذا لمّا أتى به إلى أبى بکر للبیعه المنقول من کتاب الامامه و السیاسه للدینوری.

و بالجمله أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام احتجّ على معاویه بالکتاب العزیز أوّلا بأنّه مرّه أولى بالخلافه بقرابه الرسول صلى اللّه علیه و آله و تاره أولى بها بالطاعه، ثمّ احتجّ علیه بما غلب المهاجرون على الأنصار یوم السقیفه بأنّ ظفر المهاجرین علیهم إن کان لقربهم من الرّسول صلى اللّه علیه و آله فهو علیه السّلام أولى بالخلافه من غیره لقربه من الرسول بمادریت، و إن کان لغیر القرابه فلم یتمّ أمر الخلافه فى الخلفاء الثلاث فما کتب معاویه فى کتابه المنقول آنفا لیس بصحیح لأنّه قال فى ذلک الکتاب: فکان أفضلهم مرتبه و أعلاهم عند اللّه و المسلمین منزله الخلیفه الأوّل الّذى جمع الکلمه - ثمّ الخلیفه الثانى الّذى فتح الفتوح - ثمّ الخلیفه الثالث المظلوم الّذى نشر الملّه - إلخ - فاذا کان الأنصار على دعویهم لم یتحقّق إجماع على خلافه هؤلاء.

على أنّ معاویه کان أجنبیّا من النّبى صلى اللّه علیه و آله و الأنصار کلیهما بلا کلام فلا یجوز له دعوى الخلافه فلیس لمثله حقّ فیها.

و قد مضى نحو کلامه علیه السّلام هذا فى المختار التاسع (ص ۳۳۰ ج ۱۷) حیث قال علیه السّلام: لأنّ اللّه جلّ ذکره لمّا قبض نبیّه صلى اللّه علیه و آله قالت قریش: منّا أمیر و قالت الأنصار: منّا أمیر فقالت قریش: منّا محمّد رسول اللّه صلى اللّه علیه و آله فنحن أحقّ بذلک الأمر فعرفت ذلک الأنصار فسلمت لهم الولایه السلطان فاذا استحقّوها بمحمّد صلى اللّه علیه و آله دون الأنصار فانّ أولى النّاس بمحمّد صلى اللّه علیه و آله أحقّ بها منهم و إلاّ فانّ الأنصار أعظم العرب فیها نصیبا فلا أدرى أصحابى سلموا من أن یکونوا حقّى أخذوا أو الأنصار ظلموا عرفت أنّ حقّى هو المأخوذ - إلخ.

قلت: و من کلامه هذا یستفاد حمل قوله: و إن یکن بغیره فالأنصار على دعویهم، على أنّ دعویهم منّا أمیر و منکم أمیر بحالها، فانّهم أعظم العرب فیها نصیبا فهم منعوا عن حقّهم ظلما، و هذا وجه آخر فهم من کلامه هذا بقرینه کلامه ذلک، و إن کان یستلزم هذا الوجه المعنى الأوّل أیضا.

ص:۱۷۱

قال المسعودی فی مروج الذّهب: بایع النّاس أبا بکر فی سقیفه بنی ساعده ابن کعب بن الخزرج الأنصاری فی یوم الاثنین الّذی توفّی فیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و لمّا بویع أبو بکر فی یوم السقیفه و جددت البیعه له یوم الثلاثاء، خرج علیّ علیه السّلام فقال: أفسدت علینا امورنا و لم تستشر و لم ترع لنا حقّا، فقال أبو بکر: بلی، و لکن خشیت الفتنه، و کان للمهاجرین و الأنصار یوم السقیفه خطب طویل و محادثه فی الإمامه، و خرج سعد بن عباده و لم یبایع، و لم یبایع أبا بکر أحد من بنی هاشم حتّی ماتت فاطمه علیها السّلام.

قال: و لما احتضر أبو بکر قال: ما أنا إلّا علی ثلاث فعلتها وددت أنّی ترکتها، و ثلاث ترکتها وددت أنّی فعلتها، و ثلاث وددت أنّی سألت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فأمّا الثلاث الّتی فعلتها و وددت أنّی ترکتها فوددت أنّی لم أکن فتشت بیت فاطمه و ذکر فی ذلک کلاما کثیرا، و وددت أنّی أکن حرقت الفجاءه و أطلقته نجیحا أو قتلته صریحا، و وددت أنّی یوم سقیفه بنی ساعده قد رمیت الأمر فی عنق أحد الرجلین فکان أمیرا و کنت وزیرا، إلخ.

قلت: قد ذکر نحو کلام المسعودی فی مروج الذهب ابن عبد البرّ فی کتاب الاستیعاب حیث قال فی ترجمه أبی بکر: أنه بویع له بالخلاقه الیوم الّذی قبض فیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی سقیفه بنی ساعده، ثمّ بویع البیعه العامّه یوم الثلثاء من غد ذلک الیوم و تخلّف عن بیعته سعد بن عباده، و طائفه من الخزرج، و فرقه من قریش. انتهی.

و نقل نحوهما غیر واحد من حمله الأخبار غیرهما و فیه دلیل بیّن علی اختلاف القوم فی بیعته و عدم توافقهم فی خلافته.

و قال الیعقوبی فی تاریخه: اجتمعت الأنصار فی سقیفه بنی ساعده یوم توفّی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و هو بعد لم یغسل - إلی أن قال: و قام المنذر بن الأرقم فقال:

إنّ فیهم رجلا لو طلب هذا الأمر لم ینازعه فیه أحد - قال: یعنی علیّ بن أبی طالب - و جاء البراء بن عازب فضرب الباب علی بنی هاشم و قال: یا معشر بنی هاشم بویع أبو بکر، فقال بعضهم: ما کان المسلمون یحدّثون حدثا نغیب عنه و نحن أولی

بمحمّد صلى اللّه عليه و آله، فقال العبّاس: فعلوها و ربّ الكعبه.

قال: و كان المهاجرون و الأنصار لا يشكّون فى علىّ عليه السّلام فلما خرجوا من الدار، قام الفضل بن العبّاس و كان لسان قريش فقال: يا معشر قريش إنّه ما حقت لكم الخلافه بالتمويه و نحن أهلها دونكم و صاحبنا أولى بها منكم، و قام عتبه ابن أبى لهب فقال:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبى الحسن

عن أوّل النّاس إيمانا و سابقه و أعلم النّاس بالقرآن و السنن

و آخر النّاس عهدا بالنبىّ و من جبريل عون له بالغسل و الكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به و ليس فى القوم ما فيه من الحسن

فبعث إليه علىّ عليه السّلام فنهاه، و تخلّف عن بيعه أبى بكر قوم من المهاجرين و الأنصار و مالوا مع علىّ بن أبى طالب منهم العبّاس بن عبد المطّلب، و الفضل بن العبّاس، و الزبير بن العوام بن العاص، و خالد بن سعيد، و المقداد بن عمرو، و سلمان الفارسىّ ، و أبو ذرّ الغفارىّ ، و عمّار بن ياسر، و البراء بن عازب، و ابىّ ابن كعب. انتهى كلامه.

قلت: و من هنا سمّيت الطّائفه الحقّه الاثنا عشريّه بالرافضه كما قال شيخ الطائفه أبو جعفر الطوسى قدّس سرّه: من أنّ سبعه عشر رجلا من الصّحابه و مع علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام ثمانيه عشر أبوا عن بيعه أبى بكر، فقال غيرهم ممّن بايعوا أبا بكر فى هؤلاء: رفضونا أى تركونا و لم يوافقونا فى البيعه.

و كان فيمن تخلّف عن بيعه أبى بكر أبو سفيان بن حرب، و قال: أرضيتم يا بنى عبد مناف أن يلى هذا الأمر عليكم غيركم، و قال لعلىّ عليه السّلام: امدد يدك ابايعك، و مضى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام لمعاويه: و قد كان أبوك أتانى حين ولى النّاس أبا بكر فقال: أنت أحقّ بعد محمّد صلى اللّه عليه و آله بهذا الأمر و أنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك ابسط يدك ابايعك فلم أفعل، فراجع إلى شرح المختار التاسع (ص ۳۳۱ ج ۱۷ و ص ۷ ج ۱۸).

ص:۱۷۳

قوله عليه السّلام:(و زعمت أنّى لكلّ الخلفاء حسدت و على كلّهم بغيت - إلى قوله: ظاهر عنك عارها) هذا الفصل جواب عن قول معاويه: لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه، إلى قوله: ثمّ كرهت خلافه عمر و حسدته، إلى قوله: لم تكن أشدّ منك حسدا لابن عمّك عثمان إلى قوله: و ما من هؤلاء إلّا من بغيت عليه و قال عليه السّلام فإن يكن ذلك كذلك أى لا نسلّم أوّلا على أنّى حسدت هؤلاء و أنت كاذب فى دعواك هذه.

أقول: قد مرّ تحقيق ذلك فى المختار ۲۳۷ من باب الخطب فى البحث عن الامامه من أنّ جميع الذّنوب أربعه أوجه لا خامس لها: الحرص و الحسد و الغضب و الشهوه فهذه منفيه عن الامام (فراجع إلى ص ۴۴ ج ۱۶).

و ثانيا على فرض التسليم و المماشاه معكم فى تلك الدعوى بأن تكون صادقا فيها فليس الجنايه عليك حتّى أعتذر إليك و ذلك لما مرّ غير مرّه من أنّ معاويه لم يكن ولىّ دم عثمان كى يطلب دمه بل كلامه فى ذلك من الفضول و خوض فيما لا يعنيه، على أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام كان يذبّ عنه حتّى قال عليه السّلام:

ما زلت أذبّ عن عثمان حتّى أنّى لأستحى، و قد دريت أنّ عثمان قتل نفسه بأحداثه الّتى أحدثها ممّا نقمها الناس منه و طعنوا بها عليه فراجع إلى شرحنا على المختار التاسع من باب الكتب (ص ۳۹۵ ج ۱۷)، و قد تمثّل عليه السّلام تأكيدا لكلامه ليس الجنايه عليك فيكون العذر إليك بقول أبى ذؤيب الهذلى و قد تقدّم بيانه فى شرح اللغات على التفصيل.

ثمّ قد مضى نحو كلامه هذا فى المختار التّاسع من باب الكتب حيث قال عليه السّلام: و ذكرت حسدى الخلفاء و إبطائى عنهم و بغيى عليهم فأما البغى فمعاذ اللّه أن يكون، و أمّا الإبطاء عنهم و الكراهه لأمرهم فلست أعتذر منه إلى الناس - إلخ (ص ۳۳۰ ج ۱۷).

قوله عليه السّلام:(و قلت: إنّى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى ابايع - إلى قوله: بقدر ما سنح من ذكرها) هذا الفصل جواب عن قول معاويه: و تلكّأت

فی بیعته حتّی حملت علیه قهرا تساق بحزائم الاقتسار کما یساق الفحل المخشوش.

و کان کلام معاویه فی کتابه المنقول فی شرح المختار التاسع (ص ۳۲۷ ج ۱۷) إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام: فکان أفضلهم فی إسلامه و أنصحهم للّه و لرسوله الخلیفه من بعده و خلیفه خلیفته، و الثالث الخلیفه المظلوم عثمان فکلّهم حسدت و علی کلّهم بغیت، عرفنا ذلک فی نظرک الشزر و فی قولک الهجر و فی تنفّسک الصعداء و إبطائک عن الخلفاء تقاد إلی کلّ منهم کما یقاد الفحل المخشوش حتّی تبایع و أنت کاره.

و إنّما قال علیه السّلام: لقد أردت أن تذمّ فمدحت و أن تفضح فافتضحت، لأنّ قول معاویه: و تلکأت فی بیعته حتّی حملت علیه قهرا تساق بحزائم الاقتسار، کما یساق الفحل المخشوش، و کذا قوله: و فی إبطائک عن الخلفاء تقاد إلی کلّ منهم کما یقاد الفحل المخشوش حتّی تبایع و أنت کاره، اعتراف صریح بأنّ أمیر المؤمنین علیّا علیه السّلام بایعهم علی إجبارهم إیّاه، فلم یکن إجماع الامّه علی خلافه الثلاث فلم یتمّ خلافتهم فاعترف معاویه بظلمهم علیّا علیه السّلام و أنّه علیه السّلام کان مظلوما، و کان معاویه جعل خلافتهم عرضه لأغراضه الفاسده سیما الثالث منهم کما لا یخفی فأراد معاویه أن یذمّ أمیر المؤمنین علیه السّلام فمدحه، و أن یفضحه فافتضح هو نفسه بکلامه قال اللّه تبارک و تعالی: «وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلّا بِأَهْلِهِ » (فاطر ۴۴).

ثمّ إنّ نحو هذا الإحتجاج وقع بین الأمیر علیه السّلام و بین أبی بکر و قد أتی به الطبرسی فی کتاب الاحتجاج قال: احتجاج أمیر المؤمنین علیه السّلام علی أبی بکر لمّا کان یعتذر إلیه من بیعه الناس له و یظهر الانبساط له، عن جعفر بن محمّد عن أبیه عن جدّه علیهم السّلام قال:

لمّا کان من أمر أبی بکر و بیعه الناس له و فعلهم بعلیّ لم یزل أبو بکر یظهر له الانبساط و یری منه الانقباض فکبر ذلک علی أبی بکر و أحبّ لقاءه و استخرج ما عنده و المعذره إلیه ممّا اجتمع الناس علیه و تقلیدهم إیّاه أمر الامّه و قله رغبته فی ذلک و زهده فیه، أتاه فی وقت غفله و طلب منه الخلوه فقال: یا أبا

الحسن و اللّه ما کان هذا الأمر عن مواطاه منّی و لا رغبه فیما وقعت علیه و لا حرص علیه و لا ثقه بنفسی فیما تحتاج إلیه الامّه و لا قوّه لی بمال و کثره العشیره و لا استیشار به دون غیری فما لک تضمّر علیّ ما لم أستحقّه منک، و تظهر لی الکراهه لما صرت فیه و تنظر إلیّ بعین الشناءه لی ؟.

قال: فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: فما حملک علیه إذ لم ترغب فیه و لا حرصت علیه و لا ثقت بنفسک فی القیام به ؟.

قال: فقال أبو بکر: حدیث سمعته من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إنّ اللّه لا یجمع امّتی علی ضلال و لمّا رأیت إجماعهم اتّبعت قول النّبیّ صلی اللّه علیه و آله و أحلت أن یکون إجماعهم علی خلاف الهدی من الضلال فأعطیتهم قود الإجابه و لو علمت أنّ أحدا یتخلّف لامتنعت.

فقال علیّ علیه السّلام: أمّا ما ذکرت من قول النّبی صلی اللّه علیه و آله: إنّ اللّه لا یجمع امّتی علی ضلال أ فکنت من الامّه أم لم أکن ؟ قال: بلی، قال: و کذلک العصابه الممتنعه عنک من سلمان و عمّار و أبی ذرّ و المقداد و ابن عباده و من معه من الأنصار؟ قال: کلّ من الامّه، قال علیّ علیه السّلام: فکیف تحتجّ بحدیث النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أمثال هؤلاء قد تخلّفوا و لیس للامّه فیهم طعن و لا فی صحبه الرسول و لصحبته منهم تقصیر - إلی آخر الاحتجاج.

قال القاضی قدّس سرّه فی إحقاق الحقّ : إنّ إجماع الامّه بأجمعهم علی امامه أبی بکر لم یتحقّق فی قت واحد و هذا واضح جدّا مع قطع النظر عن عدم حضور أهل البیت علیهم السّلام و سعد بن عباده سیّد الأنصار و أولاده و أصحابه و لهذا طوی صاحب المواقف دعوی ثبوت خلافه أبی بکر بالإجماع و اکتفی فی إثباته بالبیعه - إلی أن قال:

فإنّ بنی هاشم لم یبایعوا أوّلا ثمّ قهروا فبایعوا بعد ستّه أشهر و امتنع علیّ علیه السّلام و لزم بیته و لم یخرج إلیهم فی جمعه و لا جماعه إلّا [إلی] أن وقع ما نقله أهل

الأحاديث و الأخبار و اشتهر كالشمس فی رابعه النهار حتّی أنّ معاویه بعث إلی علیّ علیه السّلام فی کتاب کتبه إلیه یقول فیه: انک کنت تقاد کما یقاد الجمل المخشوش حتّی تبایع، یعیّره و یؤنّبه بأنّه لم یبایع طوعا و لم یرض ببیعه أبی بکر حتّی استکره علیها خاضعا ذلیلا کالجمل إذا لم یعبر علی قنطره و شبهها فانه یکره و یخشّ بالرماح و غیرها لیعبر کرها.

فکتب إلیه بالجواب عنه ما ذکر فی نهج البلاغه المتواتر نقله عنه علیه السّلام و هذا لفظه: و قلت: انّی کنت اقاد کما یقاد الجمل المخشوش حتّی ابایع، و لعمر اللّه لقد أردت أن تذمّ فمدحت و أن تفضح فافتضحت و ما علی المسلم من غضاضه فی أن یکون مظلوما ما لم یکن شاکّا فی دینه أو مرتابا فی یقینه و هذه حجّتی إلی غیرک.

انتهی ما أردنا من نقل کلامه فی المقام.

ثمّ قال أمیر المؤمنین علیه السّلام:(و ما علی المسلم من غضاضه) أی ذله و منقصه (فی أن یکون مظلوما) أی مغصوبا حقّه و هو الخلافه و الغاصب ظالم (ما لم یکن) المسلم المظلوم (شاکّا فی دینه و لا مرتابا بیقینه) فهو علیه السّلام یشیر إلی أنّه کان علی یقین و بصیره فی دینه و لا یضرّه و لا یضلّه عدول الناس عن العدل و میلهم إلی الجور و سیأتی کلامه علیه السّلام فی المختار ۶۲ من هذا الباب: انّی و اللّه لو لقیتهم واحدا و هم طلاع الأرض کلّها ما بالیت و لا استوحشت و إنّی من ضلالهم الّذی هم فیه و الهدی الّذی أنا علیه لعلی بصیره من نفسی و یقین من ربّی و إنّی إلی لقاء اللّه و لحسن ثوابه لمنتظر راج - إلخ.

کما مضی نحو کلامه هذا فی المختار العاشر من باب الخطب: ألا و إنّ الشیطان قد جمع حزبه و استجلب خیله و رجله و إنّ معی لبصیرتی ما لبّست علی بصیرتی نفسی و لا لبّس علیّ - إلخ، و کذا فی المختار ۱۳۵ من باب الخطب: و إنّ معی لبصیرتی ما لبّست و لا لبّس علیّ - إلخ.

و فی الحدیث الثانی عشر من کتاب العقل و الجهل من اصول الکافی للکلینی قدّس سرّه روی بإسناد عن هشام بن الحکم قال: قال لی أبو الحسن موسی بن

جعفر علیه السّلام: یـا هشـام إنّ اللّه تبارک و تعالی بشّـر أهل العقل و الفهم فی کتابه - إلی أن قال علیه السّلام: یا هشام ثمّ ذمّ اللّه الکثره فقـال: «وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِی الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » و قـال: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ » و قـال: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ».

یـا هشـام ثمّ مـدح القلّه فقال: «وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ » و قال: «وَ قَلِيلٌ ما هُمْ » و قال: «وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ » و قال: «وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ » و قال: «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ » و قال: «وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ » و قال: «و أكثرهم لا يشعرون» الحديث.

ثمّ قـال أمیر المؤمنین علیه السّلام (و هـذه حجّتی إلی غیرک قصـدها و لکنّی أطلقت لک منها بقـدر ما سـنح من ذکرها) یعنی علیه السّلام أنّ بیعته علیه السّلام الخلفاء علی إجبارهم إیّاه و إکراههم إیّاه حجّه علیهم لما دریت من احتجاجه علیه السّلام علی أبی بکر المنقول آنفـا من کتـاب الاحتجاج، و من احقاق الحقّ ، و لما لم یکن معاویه فی أمر الخلافه فی شـیء کما دریت آنفا من عـدم کونه فی مظنّه الاسـتحقاق بـل کـان غیر لائق له رأسا و کان أجنبیّا من النّبی و الأنصار کلیهما و لم یکن له حظّ و شأن فیه أصلا قال علیه السّلام: و هذه حجّتی إلی غیرک - إلخ.

و بمـا قـدّمنا و حقّقنـا فی معنی قوله علیه السّلام: و قلت إنّی کنت اقاد کما یقاد الجمل المخشوش - إلـخ، تعلم أنّ ما ذهب إلیه الشارح البحرانی لیس کما ینبغی ترکنا نقل کلامه مخافه التطویل و من شاء فلیراجع إلی شرحه.

و لنـذکر نبـذه من کلاـم ابن قتیبه الـدینوری فی إکراه القوم علیّا أمیر المؤمنین علیه السّلام للبیعه و إبـایته البیعه فقـال فی کتاب الإمامه و السیاسه المعروف بتاریخ الخلفاء (ص ۱۱ من طبع مصر):

ثمّ إنّ علیّا کرّم اللّه وجهه اتی به إلی أبی بکر و هو یقول: أنـا عبـد اللّه، و أخو رسوله، فقیل له: بایع أبا بکر فقال: أنا أحقّ بهـذا الأمر منکم لا ابایعکم و أنتم

أولى بـالبيعه لى، أخـذتم هـذا الأمر من الأنصـار، و احتججتم عليهم بالقرابه من النّبى صـلى اللّه عليه و آله، و تأخـذونه منّا أهل البيت غصـبا؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّد منكم فأعطوكم المقاده، و سلّموا إليكم الإماره و أنـا احتـجّ عليكم بمثـل مـا احتججتم به على الأنصـار، نحن أولى برسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله حيّا و ميّتا، فأنصـفونا إن كنتم تؤمنون و إلاّ فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون.

فقال له عمر: إنك لست متروكا حتّى تبايع، فقال له علىّ : احلب حلبا لك شطره و اشدد له اليوم أمره يردده عليك غدا، ثمّ قال: و اللّه يـا عمر لاـ أقبـل قولـك و لاـ ابـايعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهك، فقال أبو عبيـده ابن الجرّاح لعلى كرّم اللّه وجهه: يـا ابن عمّ إنّـك حـديث السنّ و هؤلاـء مشـيخه قومـك، ليس لـك مثل تجربتهم و معرفتهم بالامور و لا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هـذا الأمر منك و أشـدّ احتمالا و اضـطلاعا به، فسـلّم لأبى بكر هذا الأمر، فانّك إن تعش و يطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق و به حقيق فى فضلك و دينك و علمك و فهمك و سابقتك و نسبك و صهرك.

فقـال علىّ كرّم اللّه وجهه: اللّه اللّه يـا معشـر المهاجرين، لا تخرجوا سـلطان محمّـد فى العرب عن داره و قعر بيعته إلى دوركم و قعور بيوتكم، و لا تـدفعوا أهله عن مقامه فى الناس و حقّه فو اللّه يا معشـر المهاجرين لنحن أحقّ النّاس به لأنا أهل البيت و نحن أحقّ بهـذا الأـمر منكم مـا كـان فينا القارئ لكتاب اللّه الفقيه فى دين اللّه العالم بسـنن رسول اللّه، المضـطلع بأمر الرعيّه، المـدافع عنهم الامور السّيئه القاسم بينهم بالسويه و اللّه إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل اللّه فتزدادوا من الحقّ بعدا.

فقال بشير بن سعد الأنصارى: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علىّ قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلف عليك اثنان.

قـال: و خرج علىّ كرّم اللّه وجهه يحمـل فـاطمه بنت رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله على دابّه ليلاـ فى مجـالس الأنصار تسألهم النصره فكانوا يقولون: يا بنت رسول اللّه قد

مضت بيعتنا لهـذا الرجـل و لو أنّ زوجك و ابن عمك سـبق إلينا قبل أبى بكر ما عـدلنا به، فيقول علىّ كرّم اللّه وجهه: أ فكنت أدع رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله فى بيته لم أدفنه و أخرج انازع الناس سـلطانه ؟ فقالت فاطمه: ما صـنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغى له و لقد صنعوا ما اللّه حسيبهم و طالبهم.

قال: و إنّ أبا بكر تفقـد قوما تخلّفوا عن بيعته عنـد علىّ ، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم و هم فى دار علىّ فأبوا أن يخرجوا فـدعا بـالحطب و قـال: و الّـذى نفس عمر بيـده: لتخرجنّ أو لأحرقنّهـا على من فيهـا، فقيـل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمه، فقال: و إن. فخرجوا فبـايعوا إلاّ ـ عليّـا فانّه زعمّ أنّه قال: حلفت أن لا أخرج و لا أضع ثوبى على عاتقى حتّى أجمع القرآن فوقفت فاطمه على بابها فقالت: لا عهد لى بقوم حضـروا أسوأ محضـر منكم تركتم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله جنازه بين أيدينا و قطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا و لم تردّوا لنا حقا.

فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخـذ هـذا المتخلّف عنك بالبيعه ؟ فقال أبو بكر لقنفذ و هو مولى له: اذهب فادع لى عليّا، فذهب إلى علىّ فقال له: ما حاجتك ؟ فقال: يدعوك خليفه رسول اللّه، فقال علىّ : لسـريع ما كذبتم على رسول اللّه فرجع فأبلغ الرساله فبكى أبو بكر طويلاـ فقـال عمر الثانيه: لا تمهل هـذا المتخلّف عنك بالبيعه، فقال أبو بكر لقنفـذ: عـد إليه فقل له: أمير المؤمنين يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدّى ما امر به فرفع علىّ صوته فقال: سبحان اللّه! لقد ادّعى ما ليس له فرجع قنفذ فأبلغ الرساله فبكى أبو بكر طويلا ثمّ قام عمر فمشـى معه جماعه حتّى أتوا باب فاطمه فدّقوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول اللّه ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبى قحافه.

فلمّـا سـمع القوم صوتهـا و بكاءها انصـرفوا باكين و كادت قلوبهم تنصـدع و أكبادهم تنفطر و بقى عمر و معه قوم فأخرجوا عليّا فمضوا به إلى أبى بكر فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه ؟ قالوا: إذا و للّه الّذى لا إله إلاّ هو

تضرب عنقک، قال: إذا تقتلون عبد اللّه و أخا رسوله، قال عمر: أمّا عبد اللّه فنعم و أمّا أخو رسوله فلا، و أبو بکر ساکت لا یتکلّم، فقال له عمر: ألا تأمرک فیه بأمرک، فقال: لا أکرهه علی شیء ما کانت فاطمه إلی جنبه، فلحق علیّ بقبر رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یصیح و یبکی و ینادی یا ابن امّ إنّ القوم استضعفونی و کادوا یقتلوننی.

قال فقال عمر لأبی بکر: انطلق بنا إلی فاطمه فانا قد أغضبناها فانطلقا جمیعا فاستأذنا علی فاطمه فلم تأذن لهما فأتیا علیّا فکلّماه فأدخلهما علیها فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلی الحائط فسلّما علیها فلم تردّ علیهما السلام فتکلّم أبو بکر فقال: یا حبیبه رسول اللّه و اللّه إنّ قرابه رسول اللّه أحبّ إلیّ من قرابتی، و إنک لأحبّ إلیّ من عائشه ابنتی، و لوددت یوم مات أبوک أنّی متّ و لا أبقی بعده أ فترانی أعرفک و أعرف فضلک و شرفک و أمنعک حقک و میراثک من رسول اللّه إلاّ أنّی سمعت أباک رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یقول: لا نورث ما ترکنا فهو صدقه فقالت: أرأیتکما إن حدّثتکما حدیثا عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله تعرفانه و تفعلان به ؟ قالا: نعم، فقالت:

نشدتکما اللّه ألم تسمعا رسول اللّه یقول: رضا فاطمه من رضای، و سخط فاطمه من سخطی، فمن أحبّ فاطمه ابنتی فقد أحبّنی، و من أرضی فاطمه فقد أرضانی، و من أسخط فاطمه فقد أسخطنی ؟ قالا: نعم سمعناه من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله، قالت: فإنّی اشهد اللّه و ملائکته أنکما أسخطتمانی و ما أرضیتمانی، و لئن لقیت النّبی لأشکونکما إلیه، - إلی أن قال ابن قتیبه: فلم یبایع علیّ کرّم اللّه وجهه حتّی ماتت فاطمه رضی اللّه عنها و لم تمکث بعد أبیها إلاّ خمسا و سبعین لیله إلخ.

قلت: إنّ کلام الأمیر علیه السّلام یا ابن امّ إنّ القوم استضعفونی و کادوا یقتلوننی، اقتباس من قول اللّه عزّ و جلّ فیما جری بین موسی کلیم اللّه علیه السّلام و أخیه هارون و بین قومه الظالمین حیث قال عزّ من قائل: «وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسی مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِیِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَ لَمْ یَرَوْا أَنَّهُ لا یُکَلِّمُهُمْ وَ لا یَهْدِیهِمْ سَبِیلاً اتَّخَذُوهُ وَ کانُوا ظالِمِینَ وَ لَمّا سُقِطَ فِی أَیْدِیهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ یَرْحَمْنا رَبُّنا وَ یَغْفِرْ لَنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ وَ لَمّا رَجَعَ مُوسی إِلی قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِی مِنْ بَعْدِی أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّکُمْ وَ أَلْقَی الْأَلْواحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِیهِ یَجُرُّهُ إِلَیْهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی وَ کادُوا یَقْتُلُونَنِی فَلا تُشْمِتْ بِیَ الْأَعْداءَ وَ لا تَجْعَلْنِی مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِینَ قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِأَخِی وَ أَدْخِلْنا فِی رَحْمَتِکَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِینَ إِنَّ الَّذِینَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَیَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّهٌ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُفْتَرِینَ » (الأعراف: ۱۴۹-۱۵۳).

و انّما تذکّر علیه السّلام فی التجائه بقبر النّبی صلی اللّه علیه و آله بهذه الایه لأنّه علیه السّلام کان من النّبیّ بمنزله هارون من موسی کما رواها الفریقان فی جوامعهم الروائیه و حدیث المنزله من الأحادیث المتواتره و قد نقل المحدّث الخبیر الرّبانی السیّد هاشم البحرانی طیّب اللّه رمسه و أعلی مقامه فی الباب العشرین من کتابه القیّم الموسوم بغایه المرام و حجّه الخصام فی تعیین الإمام من طریق الخاص و العامّ مائه حدیث من طریق العامّه فی قول النّبی صلی اللّه علیه و آله لعلیّ علیه السّلام: أنت منّی بمنزله هارون من موسی إلاّ أنّه لا نبیّ بعدی، و فی الباب الحادی و العشرین منه سبعین حدیثا من طریق الخاصّه فی ذلک.

فاذا کان لأمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام تلک المنزله السامیه ففی استشهاده بالایه یظهر مطالب لاولی الدرایه فتأمّل فیما تلوناه علیک من الایات القرآنیه.

ثمّ إنّ کلام أبی بکر لفاطمه علیها سلام اللّه المتعال: انّی سمعت أباک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: لا نورث إلخ،

فیظهر ما فیه بالتأمّل فی ما أفاده العلّامه الحلّی قدس سرّه فی کتابه الموسوم بکشف الحقّ حیث قال:

و من المطاعن الّتی رواها السنّه فی أبی بکر أنّه منع فاطمه ارثها فقالت له:

یا ابن أبی قحافه أترث أباک و لا أرث أبی، و احتجّ علیها بروایه تفرّد بها هو عن جمیع المسلمین مع قلّه روایاته و قلّه علمه و کونه الغریم لأنّ الصدقه یحلّ علیه فقال لها: إنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: نحن معاشر الأنبیاء لا نورث ما ترکناه صدقه، و القرآن مخالف لذلک فإنّ صریحه یقتضی دخول النّبی صلی اللّه علیه و آله فیه بقوله تعالی: «یُوصِیکُمُ اللّهُ »

ص:۱۸۱

«فِی أَوْلادِکُمْ » و قد نصّ علی أنّ الأنبیاء یورثون فقال اللّه تعالی «وَ وَرِثَ سُلَیْمانُ داوُدَ » و قال عن زکریّا «وَ إِنِّی خِفْتُ الْمَوالِیَ مِنْ وَرائِی وَ کانَتِ امْرَأَتِی عاقِراً فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا یَرِثُنِی وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ ».

و ناقض فعله أیضا بهذه الروایه لأنّ أمیر المؤمنین و العبّاس اختلفا فی بغله رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سیفه و عمامته و حکم بها میراثا لأمیر المؤمنین علیه السّلام و لو کانت صدقه علی علیّ علیه السّلام کان یجب علی أبی بکر انتزاعها منه، و لکان أهل البیت الّذین حکی اللّه تعالی عنهم بأنه طهّرهم تطهیرا مرتکبین ما لا یجوز، نعوذ باللّه من هذه المقالات الردّیه و الإعتقادات الفاسده.

و أخذ فدک من فاطمه و قد وهبها أباها رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فلم یصدّقها مع أنّ اللّه تعالی طهّرها و زکّاها و استعان بها النّبی صلی اللّه علیه و آله فی الدّعاء علی الکفّار علی ما حکی اللّه تعالی و أمره بذلک فقال له: «فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ » فکیف یأمره اللّه تعالی بالاستعانه و هو سیّد المرسلین بابنته و هی کاذبه فی دعواها غاصبه لمال غیرها نعوذ باللّه من ذلک.

فجاءت بأمیر المؤمنین علیه السّلام و شهد لها فلم یقبل شهادته قال: إنّه یجرّ إلی نفسه و هذا من قلّه معرفته بالأحکام، و مع أنّ اللّه تعالی قد نصّ فی آیه المباهله أنه نفس رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فکیف یلیق بمن هو بهذه المنزله و استعان به رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بأمر اللّه تعالی فی الدّعاء یوم المباهله أن یشهد بالباطل و یکذب و یغصب المسلمین أموالهم نعوذ باللّه من هذه المقاله.

و شهد لها الحسنان علیهما السّلام فردّ شهادتهما و قال: هذان ابناک لا أقبل شهادتهما لأنهما یجرّ ان نفعا بشهادتهما، و هذا من قلّه معرفته بالأحکام مع أنّ اللّه تعالی قد أمر النّبیّ صلی اللّه علیه و آله بالاستعانه بدعائهما یوم المباهله فقال: «أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ » و حکم رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بأنهما سیّدا شباب أهل الجنّه فکیف یجامع هذا شهادتهما بالزور و الکذب و غصب المسلمین حقّهم نعوذ باللّه من ذلک.

ثمّ جاءت بامّ أیمن فقال: امرأه لا یقبل قولها: مع أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: امّ

أيمن امرأه من أهل الجنّه فعند ذلك غضبت عليه و على صاحبه و حلفت أن لا تكلّمه و لا صاحبه حتّى تلقا أباها و تشكو له فلمّا حضرتها الوفاه أوصت أن تدفن ليلا و لا يدع أحدا منهم يصلّى عليها و قد رووا جميعا أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: يا فاطمه إنّ اللّه يغضب لغضبك و يرضى لرضاك، انتهى كلامه قدس سرّه فى المقام.

قوله عليه السّلام:(ثمّ ذكرت ما كان من أمرى و أمر عثمان - إلى قوله عليه السّلام:

و ما توفيقى إلاّ باللّه عليه توكّلت) هذا الفصل جواب عن قول معاويه: ثمّ لم تكن أشدّ منك حسدا لابن عمك عثمان - إلى قوله: و تلك من أمانى النّقوس و ضلالات الهواء.

و اعلم أنّ احتجاجه هذا على معاويه فى أمر عثمان يتّضح لك بعد استحضارك ما قدّمنا من الطبرى و غيره من قوله عليه السّلام: ما زلت أذبّ عن عثمان حتّى أنّى لأستحى، و قوله عليه السّلام: و اللّه لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثما، و ما قدّمنا من نصح أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام عثمان و طلبه قعوده فى البيت، فراجع إلى ص ١٨٣ و ص ٢٠٣ و ص ٣١١ و ص ٣٢٥ من ج ١٦. و ص ٣٩٥ من ج ١٧، و ص ٣ من ج ١٨.

قوله عليه السّلام:(حتّى أتى قدره عليه) أى حتّى أتى قتله المقدّر له.

و قوله عليه السّلام:(كلاّ و اللّه لقد علم اللّه المعوّقين منكم - إلخ) إشاره إلى قوله عزّ و جلّ فى أوائل سوره الأحزاب: «قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاّ قَلِيلاً أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَهٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً».

و هى من الايات الّتى نزلت فى الأحزاب الّذين حاربوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى غزوه الخندق و كان من الأحزاب قريش و كان قائدهم أبو سفيان بن حرب كما نصّ به حمله الأخبار منهم أبو جعفر الطبرى فى التاريخ (ص ١٤٦٥ ج ٣ من

طبع ليدن) و ابن هشام فى السيره النّبويه (ص ۲۱۵ ج ۲)، و كاتب الواقدى محمّد ابن سعد فى الطبقات الكبرى (ص ۶۶ ج ۲ من طبع مصر) حيث قال: فكان جميع القوم الّذين وافوا الخندق ممّن ذكر من القبائل عشره آلاف و هم الأحزاب و كانوا ثلاثه عساكر و عناج الأمر إلى أبى سفيان بن حرب - إلى آخر ما قال.

و المعوّقون هم الّذين يعوّقون أى يمنعون غيرهم عن الجهاد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و غزوه الأحزاب أى غزوه الخندق مذكوره فى كتب التفاسير فى سوره الأحزاب، و فى كتب المغازى و السير فراجع إلى مغازى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله للواقدى (ص ۲۹۰ من طبع مصر) و إلى السيره النّبويه لابن هشام (ص ۲۱۴ ج ۲ من طبع مصر) و إلى تاريخ الطبرى، و الطبقات الكبرى لابن سعد، حتّى يتبيّن لك ما فعلت الشجره الملعونه بنو اميّه بالإسلام و المسلمين.

قوله عليه السّلام:(و ذكرت أنه ليس لى و لا لأصحابى إلاّ السيف - إلخ) هذا الفصل جواب عن قول معاويه: و ليس لك و لأصحابك عندى إلّا السيف - إلخ.

و قد مضى نحوه فى الكتاب التاسع، فأجابه بقوله (فلقد أضحكت بعد استعبار) و ذلك أنّ تهديد معاويه لمّا كان فى غير محلّه لأنّ مثل تخويفه أمير المؤمنين عليه السّلام بالسيف كصبىّ يخوّف بطلا محاميا قال عليه السّلام: لقد أضحكت، أى أضحكت غيرك من المؤمنين بتخويفك، و لمّا كان تصرّفه فى امور الدّين ممّا يبكى المؤمنين قال عليه السّلام: بعد استعبار، أى بعد استعبارك أهل الدّين بما يرون منك فى دين اللّه.

و قوله عليه السّلام:(من المهاجرين و الأنصار و التابعين باحسان)اقتباس من قول اللّه عزّ و جلّ :«وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »(التوبه:۱۰۰).

و ذرّيه بدريّه أى الّذين هم من ذرارى أهل بدر، و أخو معاويه، هو حنظله ابن أبى سفيان و خاله وليد بن عتبه و جدّه عتبه بن ربيعه و أهله أتباعه، و مضى نحو كلامه هذا فى الكتاب العاشر: فأنا أبو حسن قاتل جدّك و خالك و أخيك شدخا

یوم بدر و ذلک السیف معی و بذلک القلب ألقی عدوّی، و سیأتی نحوه فی الکتاب الرابع و الستّین: و عندی السیف الّذی أعضضته بجدّک و خالک و أخیک فی مقام واحد.

قوله علیه السّلام:(و ما هی من الظالمین ببعید) أراد بالظالمین معاویه و أتباعه، و هو بعض آیه من قوله تعالی فی قصّه قوم لوط : «فَلَمّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِیَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَیْها حِجارَةً مِنْ سِجِّیلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ وَ ما هِیَ مِنَ الظّالِمِینَ بِبَعِیدٍ » (هود: ۸۴) و هو علیه السّلام ذکر فی هذا الکتاب عدّه آیات لا یخفی مناسبه کلّ واحده منها لموردها.

و معنی سائر الجمل واضح إلّا أنّه علیه السّلام أخبر عن نفسه و عن الجحفل من المهاجرین و الأنصار و التابعین بأنّ أحبّ اللقاء إلیهم لقاء ربّهم و إنّما یلیق فی المقام أن نبحث عن لقاء اللّه تعالی، و لنا بفضله سبحانه رساله منفرده فی لقاء اللّه أری الاتیان بها ههنا و درجها فی هذا الشرح أولی من أن تطبع و تنشر علی حده فاطلبها بعد الترجمه.

الترجمه

این یکی از نامه های بسیار خوب أمیر علیه السّلام است که بمعاویه نوشت:

أمّا بعد: نامه ات بمن رسیده در آن گفتی: خدای تعالی پیمبر را برای دینش برگزید و یاورانش را یاری کرد، روزگار أمر شگفتی از تو بر ما پوشیده داشت که آزمون خدا را و نعمت وجود پیمبر را بما گزارش می دهی، در این کار برنده خرما به هجری، یا آنکه استاد تیراندازیش را به کارزار بخواند مانی.

پنداشتی که برترین مردم در اسلام فلانی و فلانی است، اگر راست است بتو چه، و اگر نه عیب آن دامن گیرت نشود، تو را با فراتر و فروتر، و با تدبیر و بی تدبیر چه کار، آزادشدگان و فرزندانشان را چه رسد به تمیز میان مهاجرین أوّل، و ترتیب درجات و تعریف طبقاتشان، تیری رها شد که از جنس تیرهای دیگر نبود، حرف بیجائی از دهن نا أهل در آمد، و در آن امور کسی دارد زبان

درازی میکند که دستور او فرمان بردن است.

آیا بر لنگی خود ایست نمی کنی، و آرام نمی گیری، و کوتاه دستیت را نمی دانی که در حدّ خود باشی و تجاوز نکنی، شکست و پیروزی این و آن بتو چه تو در گمراهی بسر می بری و از راستی بدری.

نمی خواهم که بتو خبر دهم و با تو سخن بگویم ولی نعمت خدای تعالی را بازگو می کنم که می گویم: مگر نمی بینی که چون از مهاجرین کسی شهید می شد - و البتّه برای هر یک فضلی است - یکی سیّد الشهداء بود که پیغمبر صلی اللّه علیه و آله بر جنازه اش هفتاد تکبیر بگفت ؟ و دیگری که دستهایش بریده شد او را طیّار گفتند که با دو بال در بهشت پرواز می کرد، و اگر خدای تعالی از خودستائی باز نمی داشت هر آینه فضائل کسی را می شنیدی که دلهای با إیمان بدانها آشنایند و شنونده ای انکار آنها نتواند کرد.

دست بردار از کسانی که گول دنیا خورده اند و از راه راست بدر رفتند ما برگزیدگان خدای خودیم و مردم برگزیدگان ما، آمیزش در زندگی با شما ما را از عزّت دیرین باز نداشته و شما را بزرگ نکرده، چه پیمبر از ما است، و أبو سفیان مکذّب از شما، حمزهٔ أسد اللّه از ما است، و أسد الأحلاف - کسانی که هم پیمان شدند برای کشتن پیمبر در جنگ بدر - از شما، حسن و حسین بزرگان جوانان أهل بهشت از ما، و عقبه بن أبی معیط پدر فرزندان دوزخی از شما، بهترین زنان روزگار فاطمه از ما است، و حمّاله الحطب زن أبو لهب از شما، و دیگر خوبیها و نکوئی ها که ما را است، و بدیها و زشتیها که شما را.

از اسلام ما که شنیدید و آگاهید، در زمان جاهلیّت هم روزگار ما را نیالود، و مهتر و بهتر همه بودیم، و کتاب خدا این پایه را بما داده که با پیمبرش به کریمهٔ اولو الأرحام وابسته، و به آیت إنّ أولی النّاس نزدیکیم، پس ما بحکم آیهٔ نخستین بقرابت به پیمبر سزاواریم، و بایهٔ دوّم بطاعت.

چون مهاجرین در روز سقیفه به رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بر أنصار احتجاج کردند بر آن پیروز شدند، پس اگر به پیمبر پیروز شدند حق با ما است نه با شما، و اگر نه که

أنصار بر دعواى خود باقيند.

پنـداشتى كه من بر خلفـا حسـد بردم، و بر آنان سـتم كردم، اگر اين طور است به تو چه، دخل و ربطى به تو نـدارد كه از آنان بيگانه اى.

و گفـتى: مرا چون شـتر مهـار كرده براى بيعت بردنـد، خواستى از اين گفتـارت مرا نكوهش كنى سـتودى، و خواستى رسوايم كنى رسوا شدى، خوارى براى مسلمانى كه مظلوم گردد ولى در دينش و در يقينش دو دل نباشد نيست.

اين سخنانم حجّت بر ديگرانست، روى سخنم با تو نيست، پارهٔ از آنها پيش آمد و گفتم.

سپس در كار من و عثمان حرف بميان آوردى تو بايـد از جانب او در اين باره پاسـخ گوئى، پس بنگر كه كـدام يك از من و تو به كشتن او اقدام و راهنمائى كرديم آيا آن كسى كه دستش را مى گرفت و ياريش مى كرد، و از بدعتها و بديهايش بازش مى داشت ؟ يا آنكه عثمان چون وى را بياريش خواست سـر باز زد، و ديگران را بر او بشورانيـد؟ نه بخـدا كه خـداى متعال از خودداری كنندگان شما و كسانى كه به برادرانشان گفتند بيائيد بسوى ما و به كارزار نرفتند مگر اندكى، دانا است.

عذرخواهى نميكنم از اين كه عثمان را از بدعتهايش باز مى داشـتم و كارهاى ناروايش را تقبيح مى كردم، حال اگر هدايت و إرشاد گناه است و موجب سرزنش مى شود چه بسا سرزنش شده بيگناه است، و آنكه نخواهد نپذيرد از گفتار ناصح گمان بد مى برد، و من تا آنجا كه در قدرتم بود جز اصلاح نخواستم و توفيق از خدا خواهم و بس، و توكّلم با او است.

ديگر اين كه از شمشـير بيم داده اى، از اين سـخنت گريان را بخنـده آوردى كى فرزنـدان عبد المطّلب از دشـمن روى گردان بودنـد و از شمشير ترسـان، انـدكى درنـگ كن تـا حمـل شير نر بكارزار در آيـد، كه آن گاه كسـى بگيردت كه تو او را مى خواستى، و بتو نزديك مى شود مرگى كه از آن دورى مى جستى.

و من با لشكرى بزرگ از مهاجر و أنصار و تابعين باحسان شتابان بسوى تو

رهسپاریم، لشکر سخت أنبوهی که گرد سوارانش فضا را فرا گرفت و خود لباس مرگ در بر کرده اند بهترین دیدارشان دیدار خدایشان است، با آنان فرزندان و دودمان سربازان سلحشور و جنگاور روز بدرند، در دست آن پهلوانان شمشیر بنی هاشم است همان شمشیرهائی که در جنگ بدر بر سر برادر و دائی و جدّ و دودمانت فرود آمد، که آماده اند بر سر ستمکاران دیگر فرود آیند.

رساله منفرده فی لقاء الله تعالی

اشاره

بسم اللّه الرحمن الرحیم حمدا لک یا من شرّف أولیاءه بلقائه، و کرّم أحبّاءه بالعکوف علی فنائه سبحانک یا من انتجب أسرار أهله لرؤیه جماله، و احتجب عن أبصار خلیقته بحجاب جلاله، صلّ اللّهمّ علی مظهرک الأتم، و جامع الکلم و الحکم، المنزل علیه ما یهدی للّتی هی أقوم، و آله خیر الوری و أعلام الهدی و من اتّبع هدیهم من اولی النّهی.

و بعد فیقول العبد الراجی لقاء ربّه الکریم نجم الدّین حسن بن عبد اللّه الطبری المدعوّ بحسن زاده الآملی بلغه اللّه و جمیع المؤمنین إلی آمالهم، و رزقهم نعمه لقائه: یا أهل الوداد و السّداد! و طالبی الهدایه و الرشاد، یا إخوان الصفاء و خلّان الوفاء، إلی متی و حتّی متی جاز لنا الحرمان عن حرم الحبّ ، و الخذلان فی غیابه الجبّ ؟ و ما لنا ألّا نسیر إلی نواحی القدس ؟ و لا نطیر إلی ریاض الانس ؟ أو ترون أنّا خلقنا عبثا، أو ترکنا سدی ؟ نأکل و نتمتّع کالأنعام السائمه، غافلین عن لقاء اللّه عزّ و جلّ إلی أن یدرکنا الأجل، و یلهینا الأمل ؟ کلّا و حاشاکم عن هذا الظنّ و إنّ بعض الظنّ إثم «وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِینَ إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لا یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ یُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ ».

خلیلیّ نحن نیام فی فراش الغفله، و قد أدبرت العاجله و أقبلت الاخره إنّ هؤلاء یحبّون العاجله و یذرون ورائهم یوما ثقیلا، یوما عبوسا قمطریرا، یوما

كان شرّه مستطيرا.

قد أتى يوم تبلى فيه السرائر، و ما زرع فى الأوّل يحصد فى الاخر، فانظروا بما أسلفتم فى الأيّام الخاليه، و اقرءوا ألواح أنفسكم تخبركم عن غدكم و أمسكم و رمسكم.

و استمع ما ذا يقول برهان السالكين و إمام المتقين و قائد الغرّ المحجّلين علىّ أمير المؤمنين: احذروا عباد اللّه الموت و نزوله، و خذوا له فإنّه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شرّ أبدا، و شرّ لا يكون معه خير أبدا، فمن أقرب إلى الجنّه من عاملها، و من أقرب إلى النار من عاملها.

ليس أحد من النّاس تفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أىّ المنزلتين يصير إلى الجنّه أم إلى النّار؟ أعدوّ هو للّه أم ولىّ له ؟ فإن كان وليا فتحت له أبواب الجنّه و شرع له طريقها، و نظر إلى ما أعدّ اللّه عزّ و جلّ لأوليائه فيها فرغ من كلّ شغل، و وضع عنه كلّ ثقل، و إن كان عدوّا فتحت له أبواب النّار و سهّل له طريقها و نظر إلى ما أعدّ اللّه لأهلها و استقبل كلّ مكروه.

و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد اليوم أشدّ و أدهى: نار قعرها بعيد، و حرّها شديد، و عذابها جديد، و مقامعها حديد، و شرابها صديد، لا يفتر عذابها، و لا يموت ساكنها، دار ليس للّه سبحانه فيها رحمه، و لا يسمع فيها دعوه.

فطوبى لمن انتبه عن النّوم و تشمّر الذيل لتدارك اليوم، ثمّ طوبى لمن راقب سرّه عمّا سوى اللّه و ما طالب إلاّ القرب منه و لقاءه و رضاه، فإنّا امرنا ألاّ نعبد إلاّ إيّاه و لا نطلب إلاّ إيّاه، فوحّد اللّه سبحانه بصدق السريره حتّى ترى بعين البصيره أن لا هو إلاّ هو و لا إله إلاّ هو، فأينما تولّوا فثمّ وجه اللّه، و هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن، و هو معكم أينما كنتم.

خليلىّ إنّى لأستحيى من نفسى فضلا عن غيرى بأن أقول: هذه رساله عملتها يداى فى لقاء اللّه تعالى، كيف لا و أنّى لهذا المطرود عن صفّ النعال، بل المردود عن الباب أن يأتى فيه بكتاب ؟ و هل هذا إلاّ الخروج عن الزّىّ ؟ و لا يخرج

عنه إلّا البذىّ .

قال أفلاطن الالهىّ : إنّ شاهق المعرفه أشمخ من أن يطير إليه كلّ طائر و سرادق البصيره أحجب من أن يحوم حوله كلّ سائر، (الفصل الرابع من شرح رساله زينون الكبير اليونانى تلميذ ارسطاطاليس، للمعلم الثانى أبى نصر الفارابى ص ٨ من طبع حيدرآباد الدكن).

و قال الشّيخ الرئيس أبو على سينا فى آخر النمط التاسع من الإشارات فى مقامات العارفين: جلّ جناب الحقّ عن أن يكون شريعه لكلّ وارد أو يطّلع عليه إلّا واحد بعد واحد.

و قال أبو الفتح يحيى بن حبش بن أميرك الملقّب شهاب الدّين السهروردى الحكيم المقتول: الفكر فى صوره قدسيّه يتلطف بها طالب الأريحيّه، و نواحى القدس دار لا يطأها القوم الجاهلون و حرام على الأجساد المظلمه أن تلج ملكوت السماوات فوحّد اللّه و أنت بتعظيمه ملان، و اذكره و أنت من ملابس الأكوان عريان، و لو كان فى الوجود شمسان لا نطمست الأركان و أبى النظام أن يكون غير ما كان (نقلنا كلامه من تاريخ ابن خلّكان) و قال العارف السنائى:

بار توحيد هر كسى نكشد طعم توحيد هر خسى نچشد

و قال العارف الرومى:

ياد او اندر خور هر هوش نيست حلقهٔ او سخرهٔ هر گوش نيست

و بالجمله هذا المحروم بقصور باعه مقرّ، فى إقراره مصرّ، و على نفسه بصير، و بأمره خبير، يفوه من شدّه الخجل أخفى من الهمس، و يبوه من كثره الوجل كعليل دان حلوله فى الرّمس و يقول:

جز تو ما را هواى ديگر نيست جز لقاى تو هيچ در سر نيست

اين ره است و دگر دوم ره نيست اين در است و دگر دوم در نيست

دلگشاتر ز محضر قدست محضر هيچ نيک محضر نيست

جانفزاتر ز نفحهٔ انست نفحهٔ مشكک و عود و عنبر نيست

ص:١٩١

خوشتر از گفته تو گفتاری بهتر از دفتر تو دفتر نیست

دفتری بیکرانه دریائی کاندرو هر خسی شناور نیست

نرسد تا بسرّ گفتارت دست جانی اگر مطهّر نیست

بهر وصف صفات نیکویت در همه دهر یک سخنور نیست

آنچه را گفته اند و می گویند از هزاران یکی مقرّر نیست

کرمک شب فروز بی پا را قدرت وصف مهر خاور نیست

هر چه و هر که را که می بینم در حریم تو جز که مضطر نیست

نبود ذرّه ای که در کارش تحت فرمان تو مسخّر نیست

آنچه از صنع تو پدید آمد خیر محض است و خردلی شر نیست

در همه نقش بو العجب که بود وین عجب نقطه ای مکرر نیست

یار و دلدار و شاهد و معشوق هر چه گویند جز تو دلبر نیست

ره نیابد بسویت آنکه درو تیر عشقت نشسته تا پر نیست

بسری شور عشقت ار نبود بحقیقت دم است و آن سر نیست

دل که از نور تو ندیده فروغ تیره جانی بود منوّر نیست

برضای تو سالک صادق هر چه پیش آیدش مکدّر نیست

کانچه آمد مقدّر است همان و آنچه کو نامده مقدّر نیست

سالک راه را ره آوردی جز خموشی و فکر آخر نیست

عاشق تشنه وصالت را خبر از هر چه هست یکسر نیست

بهر راز و نیاز درگاهت تن او را نیاز بستر نیست

با تو محشور هم در امروز است انتظارش بروز محشر نیست

آتشی کو فتاده در جانش عین نار اللّه است و أخگر نیست

عاشقی کار شیر مردانست سخرهٔ کودکان معبر نیست

اوفتادن در آتش سوزان جز که در عهدهٔ سمندر نیست

آنچه عاشق کند تماشایش ای برادر به دیدهٔ سر نیست

ص:۱۹۲

لذّه خلوت شبانهٔ او در گل قند و شهد و شکّر نیست

مزهٔ بادهٔ حضورش در چشمهٔ سلسبیل و کوثر نیست

آنچه اندر حضور می یابد خامه در شرح او توانگر نیست

عوض گریهٔ سحرگاهش گر بگوید امید باور نیست

لاجرم آن سعید فرزانه در پی تاج و تخت و افسر نیست

هست ایمان باللّهش سدّی که چنو صد سد سکندر نیست

بهتر از لا إله إلاّ اللّه هیچ حصنی و برج و سنگر نیست

اندرین کشور بزرگ جهان جز خدای بزرگ داور نیست

کشتی ممکنات عالم را جز که نام خدای لنگر نیست

آنچه پنهان و آشکار بود جز که مجلای یار و مظهر نیست

نیست جز او زدار و من فی الدّار نی که همسنگ او و همسر نیست

قائل و قیل و قولی و قالا جز که اطوار قول مصدر نیست

زین مثل آنچه بایدش گفتن گفتم و بیش ازین میسّر نیست

ای که دوری ز گلشن عشّاق جانت از بوی خوش معطّر نیست

ای که غافل ز حال خویشتنی گویمت چون تو کوری و کر نیست

گر بدی کرده ای ز خود میدان گنه مهر و ماه و أختر نیست

تو بهشت خودی و دوزخ خود جز که نفس تو مار و أژدر نیست

مسلم همدم هوا و هوس مشرکست و باسم کافر نیست

آن شکم پرور است حیوانی گر چه نامش حمار و أستر نیست

ای که خو کرده ای به نادانی این ره مردمان بافر نیست

آدمی را درین سرای سپنج جز بدانش جمال و زیور نیست

علم آب حیات جان باشد بهر تحصیل سیم یا زر نیست

رو پی مصطفی شوی بوذر فیض حقّ وقف خاص بوذر نیست

تو در آ از حجاب نفسانی تا که بینی هر آنچه مبصر نیست

ص:۱۹۳

آخر ای دوستان بخود رحمی كافرينش به لاف و تسخر نيست

حسن نجم آملى طبعش چشمهٔ حكمت است و ديگر نيست

ثمّ أقول: لا ريب أنّ الاقتحام فى ذلك المشهد العظيم فوق شأن هذا المسكين الّذى لم يذق حلاوه ذكر اللّه و لم يتنعّم بنعمه المراقبه و الحضور و لم يخرج من سجن الدّنيا الدنيّه و من ظلمه دار الغرور، إلى عالم النور و السرور، يا حسرتى على ما فرّطت فى جنب اللّه، و للّه درّ الشاعر قائلا:

خلق اللّه للحروب رجالا و رجالا لقصعه و تريد

و لكن كما قيل: ألق فى الدّلاء دلوك نشير إلى عدّه آيات و روايات و أدعيه و أذكار و مطالب رشيقه أنيقه من كبار تنبيها للغافلين و أنا منهم، و تذكره للمستبصرين، فنقول: قد بحثنا عن رؤيته تعالى فى شرحنا على المختار الثامن من كتب أمير المؤمنين عليه السّلام من النهج (ص ۲۴۲ - إلى ۳۲۳ ج ۱۷) لكنّ ذلك البحث كان طورا، و هذا البحث طور آخر، و إن كان أحدهما يعاضد الاخر، و قد أشرنا هنا لك إلى هذا المطلب الأسنى أعنى البحث عن لقاء اللّه أيضا إجمالا فإن شئت قلت إنّ هذا البحث مكمّل ذلك.

اعلم أنّ القرآن الكريم قد نطق فى مواضع كثيره بلقائه تعالى فنأتى بها لأنّها شفاء و رحمه للمؤمنين:

۱ - «فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَهِ رَبِّهِ أَحَداً » (آخر الكهف).

۲ - «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللّهِ حَتّى إِذا جاءَتْهُمُ السّاعَهُ بَغْتَهً قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فِيها وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ » (الأنعام: ۳۲).

۳ - «ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْ ءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَهً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ » (الأنعام: ۱۵۵).

۴ – «إِنَّ الَّذِينَ لاـ يَرْجُونَ لِقاءَنـا وَ رَضُوا بِالْحَيـاهِ الـدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ أولئِكَ مَأْواهُمُ النّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ » (يونس: ۸).

۵ – «اَللّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ » (الرعد: ۳).

۶ – «مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (العنكبوت: ۶).

۷ – «أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِـهِمْ مـا خَلَقَ اللّهُ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلاّ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَـمًّى وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ » (الروم: ۹).

۸ – «اَلَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْ ءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَـلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصـارَ وَ الْأَفْئِـدَهَ قَلِيلاً ما تَشْـكُرُونَ وَ قالُوا أَ إِذا ضَـلَلْنا فِى الْأَرْضِ أَ إِنّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيـدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ » (الم السجده: ۸–۱۱).

۹ – «سَـنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَ فِى أَنْفُسِـهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَـىْ ءٍ شَـهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِى مِرْيَهٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْ ءٍ مُحِيطٌ » (آخر فصّلت، حم السجده).

۱۰ و ۱۱ – «إِنَّ الَّذِينَ لاـ يَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَياهِ الـدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ أُولئِكَ مَأْواهُمُ النّارُ بِما كانُوا يَكْسِـبُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ يَهْـدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِى جَنّاتِ النَّعِيمِ دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَـكَ اللّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيهـا سَـلامٌ وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْـدُ لِلّهِ رَبِّ الْعـالَمِينَ وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنّـاسِ الشَّرَّ اسْـتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ » (يونس: ۸–۱۲).

۱۲ – «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنـا بَيِّنـاتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هـذا أَوْ بَـدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِى أَنْ أُبَـدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما يُوحى »

ص:۱۹۵

«إِلَيَّ إِنِّى أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » (يونس: ١۶).

١٣ - «وَ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَهُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً » (الفرقان: ٢٢).

١۴ - «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَزْناً » (الكهف: ١٠۶).

١۵ - «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللّهِ وَ لِقائِهِ أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » (العنكبوت: ٢۴).

١۶ - «وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاهِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَهٌ إِلاّ عَلَى الْخاشِعِينَ اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ » (البقره: ۴٧).

١٧ - «قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللّهِ كَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِيلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً كَثِيرَهً بِإِذْنِ اللّهِ وَ اللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ » (البقره: ٢۵٠).

١٨ - «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ » - إلى قوله: «وَ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مالاً إِنْ أَجرِىَ إِلاّ عَلَى اللّهِ وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ لكِنِّى أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ » (هود: ٣٠).

١٩ - «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَهً وَ أَصِيلاً هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً » (الأحزاب: ۴۵).

٢٠ - «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ » (الإنشقاق: ٧).

٢١ - «رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللّهِ مِنْهُمْ شَىْ ءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ » (المؤمن، غافر: ١٨).

٢٢ - «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَهٌ إِلى رَبِّها ناظِرَهٌ » (القيامه: ٢۴).

٢٣ - «وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ »

«مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْ ءٍ وَ ما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْ ءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ » (الأنعام: ۵۳).

۲۴ – «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ » – الايه (الكهف: ۲۹).

۲۵ – «وَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقامُوا الصَّلاهَ » – الايه (الرعد: ۲۳).

۲۶ و ۲۷ – «فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ذلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ » – الايه، «وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاهٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » (۳۹ و ۴۰ الروم).

۲۸ – «فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظّى لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى اَلَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلّى وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى اَلَّذِي يُؤْتِي مالَهُ يَتَزَكّى وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزى إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى وَ لَسَوْفَ »، (آخر سوره الليل).

و اعلم أنّ غير واحد من المفسّرين ذهبوا فى تفسير لقاء اللّه إلى لقاء العبد ثواب أعماله أو عقابها و نحوهما، و هذا الرأى كأنّما نشأ من توهّم القوم اللقاء بمعنى الرؤيه بالأبصار و لا يدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير، فلمّا فهموا من اللقاء هذا المعنى احتاجوا إلى تقدير الثواب أو العقاب، أو حمل اللّقاء على معنى آخر يناسب ما توّهموه، و لكن ما مالوا إليه و هم و ليس اللقاء إلّا الرؤيه القلبيّه كما قال أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فى جواب حبر قال له: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته ؟ فقال عليه السّلام: ويلك ما كنت أعبد ربّا لم أره، قال: و كيف رأيته ؟ قال: ويلك لا تدركه العيون فى مشاهده الأبصار و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، و قال علم الهدى فى الغرر و الدّرر (ص ۱۵۰ ج ۱): أتى أعرابىّ أبا جعفر محمّد بن على عليه السّلام فقال له: هل رأيت ربّك حين عبدته، نحو الخبر المذكور إلى آخره.

و قد فسّرنا هذا الحديث فى شرحنا على المختار الثامن من باب الكتب من النهج و قد بيّنّا هناك أنّ ما يتبادر إلى الأذهان من معنى الرؤيه و نحوها هو

الرؤيه بـالعين و ذلـك للالف بالمحسوسات و الحشـر معها، و أمّا السـير إلى باطن هـذه النشأه و السـفر إليه و ادراك ما عبّى فى كلام اللّه المتعال و سفرائه و وجدانها من الدقائق و اللطائف فلا يتيسّر إلّا لواحد بعد واحد.

كما دريت أيضا أنّ الرؤيه القلبيّه به تعالى هى الكشف الحضوريّ و شهوده تعالى للعبد على مقدار تقرّبه منه تعالى بقدم المعرفه و درج معارف العقل، فراجع إلى المجلّد السابع عشر من ص ۳۰۸، إلى ۳۲۳.

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرونا

و قلت فى قصيدتى التوحيديّه:

آنچه عاشق كند تماشايش اى برادر بديدهٔ سر نيست

و لاـ نعنى من اللّقاء الرؤيه بكنهه تعالى فإنّ معرفته بالاكتناه لا يتيسّـر لما سواه و ذلك لأنّ المعلول لا يرى علّته إلّا بمقـدار سـعه وجوده، و المعلول ظلّ علّته و عكسـها و الظلّ مرتبه ضـعيفه من ذيه و لذا قالوا إنّ العلم بالعلّه من العلم بالمعلوم علم بها من وجه يعنى أنّه علم ناقص بالعلّه بقدر ظرف المعلول سعه و ضيقا، لا يحيطون به علما و عنت الوجوه للحىّ القيّوم.

و قـد أفـاد فى ذلك فيلسوف العرب يعقوب بن إسـحاق الكنـدى رحمه اللّه عليه بقوله: إذا كانت العلّه الاولى متّصـله بنا لفيضـه علينا و كنّا غير متّصلين به إلّا من جهته فقد يمكن فينا ملاحظته على قدر ما يمكن للمفاض عليه أن يلاحظ المفيض فيجب أن لا ينسب قدر إحاطته بنا إلى قدر ملاحظتنا له لأنّها أغزر و أوفر و أشدّ استغراقا.

و نعم ما أفاد، للّه درّه، و لا يخفى على اولى النّهى أنّ هذا الكلام سام بعيد الغور.

و ما أجاد قول المحقّق العارف أفضل الدّين الكاشى فى المقام:

گفتم همه ملك حسن سرمايهٔ تست خورشيد فلك چو ذرّه در سايهٔ تست

گفتا غلطى ز ما نشان نتوان يافت از ما تو هر آنچه ديده اى پايهٔ تست

و تبصّر ممّا قدّمنا أنّه ما من موجود إلّا و هو علم الحقّ تعالى لأنّ علمه بما سواه حضورى إشراقى، لم يعزب عن علمه مثقال ذرّه.

و أفاد العلامه الشّيخ البهائى فى شرح الحديث الثانى من كتابه الأربعين:

المراد بمعرفه اللّه تعالى الإطّلاع على نعوته و صفاته الجلاليه و الجماليّه بقدر الطاقه البشريه، و أما الإطّلاع على حقيقه الذات المقدّسه فممّا لا مطمع فيه للملائكه المقرّبين و الأنبياء المرسلين فضلا عن غيرهم، و كفى فى ذلك قول سيّد البشر صلى اللّه عليه و آله: ما عرفناك حقّ معرفتك، و فى الحديث إنّ اللّه احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار و إنّ الملاء الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم.

فلا تلتفت إلى من يزعم أنّه قد وصل إلى كنه الحقيقه المقدّسه بل احث التراب فى فيه فقد ضلّ و غوى و كذب و افترى فإنّ الأمر أرفع و أطهر من أن يتلوّث بخواطر البشر، و كلّما تصوّره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ، و أقصى ما وصل إليه الفكر العميق فهو غايه مبلغه من التدقيق و ما أحسن ما قال:

آنچه پيش تو غير از آن ره نيست غايت فهم تست اللّه نيست

بل الصفات الّتى تثبتها له سبحانه إنّما هى على حسب أو هامنا و قدر أفهامنا فإنّا نعتقد اتّصافه سبحانه بأشرف طرفى النقيض بالنظر إلى عقولنا القاصره و هو تعالى أرفع و أجلّ من جميع ما نصفه به.

و فى كلام الإمام أبى جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام إشاره إلى هذا المعنى حيث قال: كلّما ميّزتموه بأوهامكم فى أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم و لعل النّمل الصغار تتوهّم أنّ للّه تعالى زبانيتين فإنّ ذلك كمالها، و تتوهّم أنّ عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما و هكذا حال العقلاء فيما يصفون اللّه تعالى به.

انتهى كلامه صلوات اللّه عليه و سلامه.

قال بعض المحقّقين – يعنى به المولى الجلال الدوانى –: هذا كلام دقيق رشيق أنيق صدر من مصدر التّحقيق و مورد التّدقيق، و السرّ فى ذلك أنّ التكليف

إنّما يتوقّف على معرفه اللّه بحسب الوسع و الطاقه، و إنّما كلّفوا أن يعرفوه بالصفات الّتى ألفوها و شاهدوها فيهم مع سلب النقائص الناشئه عن انتسابها إليهم.

و لما كان الإنسان واجبا بغيره عالما قادرا مريدا حيّا متكلّما سميعا بصيرا كلّف بأن يعتقد تلك الصفات فى حقّه تعالى مع سلب النقائص الناشئه عن انتسابها إلى الإنسان بأن يعتقد أنه تعالى واجب لذاته لا ـ بغيره، عالم بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات و هكذا فى سائر الصفات، و لم يكلّف باعتقاد صفه له تعالى لا يوجد فيه مثالها و مناسبها، و لو كلّف به لما أمكنه تعقّله بالحقيقه، و هذا أحد معانى قوله عليه السّلام: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، انتهى كلامه.

و اعلم أنّ تلك المعرفه الّتى يمكن أن تصل إليها أفهام البشر لها مراتب متخالفه و درج متفاوته، قال المحقّق الطوسى طاب ثراه فى بعض مصنفاته: إنّ مراتبها مثل مراتب معرفه النار مثلا فإنّ أدناها من سمع أنّ فى الوجود شيئا يعدم كلّ شىء يلاقيه، و يظهر أثره فى كلّ شىء يحاذيه، و أىّ شىء اخذ منه لم ينقص منه شىء و يسمّى ذلك الموجود نارا، و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه تعالى معرفه المقلّدين الّذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجّه.

و أعلى منها مرتبه من وصل إليه دخان النار و علم أنّه لا بدّ له من مؤثّر فحكم بذات لها أثر هو الدّخان، و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه تعالى معرفه أهل النظر و الإستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعه على وجود الصانع.

و أعلى منها مرتبه من أحسّ بحراره النار بسبب مجاورتها و شاهد الموجودات بنورها و انتفع بذلك الأثر، و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه تعالى سبحانه معرفه المؤمنين الخلّص الّذين اطمأنّت قلوبهم باللّه و تيقّنوا أنّ اللّه نور السموات و الأرض كما وصف به نفسه.

و أعلى منها مرتبه من احترق بالنّار بكليّته و تلاشى فيها بجملته، و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه تعالى معرفه أهل الشهود و الفناء فى اللّه و هى الدرجه العليا و المرتبه القصوى رزقنا اللّه الوصول إليها و الوقوف عليها بمنّه و كرمه، انتهى

کلامه أعلى اللّه مقامه، هذا آخر ما أردنا من نقل ما أتى به العلاّمه الشّيخ البهائى طاب ثراه فى المقام.

و معنى قوله - ره -: «فإنّا نعتقد اتّصافه سبحانه بأشرف طرفى النقيض بالنظر إلى عقولنا القاصره» أنّ العقل ينظر إلى الحياه و عدمها و هما نقيضان فيرى أنّ الحياه أشرف من الموت فيعتقد باتّصافه سبحانه بها فيقول: إنّه حىّ ، و ينظر إلى العلم و نقيضه الجهل فيعتقد باتّصافه تعالى بالأشرف منهما فيقول: انه عالم و هكذا.

و معنى كلام الدوانى: «و لم يكلّف باعتقاد صفه له تعالى لم يوجد فيه مثالها و مناسبها» يعلم من كلامنا الاتى فى أسماء اللّه المستأثره إنشاء اللّه تعالى.

و بالجمله أنّ ما يفهم الناس فى مقام خطابهم اللّه تعالى و ندائهم إيّاه هو ما يجده أهل المعرفه و يسمّون ذلك الوجدان بالكشف و الشهود.

قال العلامه الشّيخ البهائى قدس سره فى الكشكول (ص ۴۱۶ من طبع نجم الدوله): العارف من أشهده اللّه تعالى صفاته و أسماءه و أفعاله فالمعرفه حال تحدث عن شهود، و العالم من اطّلعه اللّه على ذلك لا عن شهود بل عن يقين.

و من ذاق هذه الحلاوه و التذّ بتلك اللّذه و تنعّم بتلك النعمه فقد فاز فوزا عظيما، و هذا الوجدان الشهودى الحضورى الحاصل لأهله يدرك و لا يوصف و هو طور وراء طور العقل يتوصّل إليه بالمجاهدات الكشفيّه دون المناظرات العقليه.

و لا يقدر أهله أن يقرّره لغيره على النحو الّذى أدركه، و لا يعدله لذّه و لا ابتهاج، و انظر إلى قول ولىّ اللّه المتعال الإمام أبى عبد اللّه الصّادق عليه السّلام رواه ثقه الإسلام الكلينى فى الكافى باسناده عن جميل بن دراج عنه عليه السّلام قال:

لو يعلم الناس ما فى فضل معرفه اللّه تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع به الأعداء من زهره الحياه الدّنيا و نعيمها و كانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطئونه بأرجلهم، و لنعموا بمعرفه اللّه تعالى، و تلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل فى روضات الجنان مع أولياء اللّه، إنّ معرفه اللّه انس من كلّ وحشه، و صاحب من كلّ وحده و نور من كلّ ظلمه، و قوّه من كلّ ضعف، و شفاء من كلّ سقم، قال: قد كان قبلكم

قوم يقتلون و يحرقون و ينشرون بالمناشير، و تضيق عليم الأرض برحبها فما يردّهم عمّا هم عليه شيء ممّا هم فيه من غير تره وتروا من فعل ذلك بهم و لا أذى ممّا نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا باللّه العزيز الحميد، فسلوا ربّكم درجاتهم و اصبروا على نوائب دهركم، (باب ثواب العالم و المتعلم من المجلّد الأوّل من الوافى ص ۴۲).

ثمّ إنّ التوغّل فى عالم الطبيعه الّذى هو عالم الكثره و الشتات صار حجابا للمتوغّلين فيه و لو خلصوا منه و أقبلوا إلى ما هو الحقّ الأصيل و عرفوا معنى التوحيد و الفناء فيه و صاروا موحّدين على النهج الّذى قال عزّ من قائل: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ » (الحديد: ۴) بلا- تنزيه محض و تشبيه باطل لارتفع الخلاف و النزاع بينهم، و لما شاجروا أهل المعرفه فى ما يجدونه و يرونه قائلين: ما كنّا نعبد ربّا لم نره.

كما أنّ من لم يقدر الجمع بين الجمع و التفرقه إذا سمع من الفائزين به ينكره كلّ الإنكار.

و إذا تفوّه فان فى التوحيد بقوله: ليس فى الدّار غيره ديار، أو ليس الدّار و من فى الدّار إلاّ هو، أو أنّ اللّه كلّ الأشياء أو نحوها من العبارات تقوّل عليه من لم يدرك فهم كلامه بعض الأقاويل و لم يعلم أنّ سببه إنما هو تراكم عروق سبل الجهل المركب الناشئه من التقليدات الراسخه المانعه له عن ذلك الإدراك.

بل كثيرا ما نرى أصاغر لا يبالون بما يقولون إذا سمعوا من متألّه أنّ الوجود واحد لا تعدّد فيه و الوجود هو اللّه تعالى أسندوه إلى الكفر و الإلحاد و الزندقه و لم يعلموا أنّ نفى الوجود الحقيقىّ عن الأشياء ليس قولا- بأنّ كلّ شىء هو اللّه و ليس قولا بالإتّحاد و قد نقل طود العلم و التّقى العارف المتألّه المولى ميرزا جواد آقا الملكىّ التبريزى أعلى اللّه تعالى درجاته فى كتابه القيّم المعمول فى لقاء اللّه تعالى حكايه بقوله:

حكى أنّ حكيما كان فى أصبهان و كان من دأبه أنّه إذا حضر وقت غذائه يرسل خادمه يشترى له و لمن كان عنده كائنا من كان غذاء يأكل معه، و اتّفق فى يوم أن جاءه واحد من طلاّب البلد لحاجه وقت الغذاء، فقال الحكيم لخادمه:

اشتر لنا غذاء نتغذّی و ذهب الخادم و اشتری لهما غذاء و أحضره، قال الحکیم للفاضل:

بسم اللّه، تعال، نتغذی، قال الشّیخ: أنا لا أتغذّی، قال: تغذّیت ؟ قال: لا، قال:

لم لا تتغذّی و أنت ما تغذّیت بعد؟! قال: احتاط أن آکل من غذائکم، قال:

ما وجه احتیاطک ؟ قال: سمعت أنّک تقول بوحده الوجود و هو کفر و لا یجوز لی أن آکل من طعامک معک لأنّه ینجس من ملاقاتک، قال: ما فرضت أنت معنی وحده الوجود و حکمت بکفر قائله ؟ قال: من جهه أنّ القائل به قائل بأنّ اللّه کلّ الأشیاء و جمیع الموجودات هو اللّه، قال: أخطأت تعال تغذّ لأنّی قائل بوحده الوجود و لا أقول بأنّ جمیع الأشیاء هو اللّه لأنّ من جمله الأشیاء جنابک و أنا لا أشکّ فی کونک بدرجه الحمار أو أخسّ منها فأین القول بإلهیتک ؟! فلا احتیاط و لا إشکال تعالی تغذّ انتهی.

و قلت: قدر أی حکیم ناسکا جاهلا فی یده سبحه یذکر الحکماء واحدا بعد واحد و یلعنهم فقال له: لما ذا تلعنهم و ما أوجب لعنهم ؟ قال: لأنهم قائلون بوحده واجب الوجود، فتبسّم الحکیم ضاحکا من قوله فقال له: أنا أیضا قائل بوحده واجب الوجود فاشتدّ الناسک غضبا فقال: اللهمّ العنه.

و اعلم أنّ البحث عن وحده الوجود تاره یتوهّم أنّ الوجود شخص واحد منحصر بفرد هو الواجب بالذّات و لیس لمفهوم الوجود مصداق آخر، و غیره من الموجودات کالسماء و الأرض و النبات و الحیوان و النفس و العقل خیالات ذلک الفرد أی لیس سوی ذلک الفرد شیء و هذه الموجودات لیست أشیاء اخری غیره کماء البحر و أمواجه حیث إنّ تلک الأمواج المختلفه فی الکبر و الصغر لیست إلاّ ماء البحر، إلاّ أنّ اختلاف الأمواج و کثرتها یوهم أنّها موجودات بحیالها غیر الماء فهذا التوهم مخالف لکثیر من القواعد العقلیّه الحکمیّه الرصینه المبانی، لأنّه یوجب نفی علیّه الحقّ و معلولیّه الممکنات حقیقه و عدم افتقار الممکنات رأسا، بل یوجب نفیها أصلا، و بالجمله أنّ مفاسدها کثیره عقلا و شرعا و لم یتفوّه به أحد من الحکماء المتألهین و العرفاء الشامخین و نسبته إلیهم

ص:۲۰۳

اختلاق كبير و إفك عظيم.

على أنّ الاثـار المختلفه المتنوّعه المشـهوره من أنواع الموجودات حسّا و عيانا تردّ هـذا الوهم و تبطله و تنادى بأعلى صوتها أنّها مولود من فطانه بتراء.

قال صدر المتألّهين فى مبحث العلّه و المعلول من الأسفار (الفصل ٢٧ من المرحله الرابعه فى اثبات التكثّر فى الحقائق الإمكانيه ص ١٩٠ ج ١ من الرحلى و ص ٣١٨ ج ٢ من الطبع الجديد):

إنّ أكثر النـاظرين فى كلام العرفـاء الالهيّين حيث لم يصـلوا إلى مقامهم و لم يحيطوا بكنه مرامهم ظنّوا أنه يلزم من كلامهم فى إثبات التوحيد الخاصى فى حقيقه الوجود و الموجود بما هو موجود وحده شخصيّه أنّ هويّات الممكنات امور اعتباريه محضه و حقائقهـا أوهام و خيالات لا تحصل لها إلّا بحسب الإعتبار حتّى أنّ هؤلاء الناظرين فى كلامهم من غير تحصيل مرامهم صـرّحوا بعـدميّه الـذوات الكريمه القدسـيّه و الأشـخاص الشـريفه الملكوتيّه كالعقـل الأوّل و سـائر الملائكه المقرّبين و ذوات الأنبيـاء و الأولياء و الأجرام العظيمه المتعـدّده المختلفه بحركاتها المتعدّده المختلفه جهه و قدرا و آثارها المتفنّنه و بالجمله النظام المشاهد فى هـذا العالم المحسوس و العوالم الّتى فوق هـذا العالم مع تخالف أشـخاص كلّ منها نوعا و تشـخّصا و هويّه و عـددا و التّضاد الواقع بين كثير من الحقائق أيضا.

ثمّ إنّ لكـلّ منهـا آثـارا مخصوصه و أحكامـا خـاصّه و لا نعنى بـالحقيقه إلّا ما يكون مبـدأ أثر خارجى و لا نعنى بالكثره إلّا ما يوجب تعدّد الأحكام و الاثار فكيف يكون الممكن لا شيئا فى الخارج و لا موجودا فيه.

و مـا يتراءى من ظواهر كلمـات الصوفيّه أنّ الممكنـات امور اعتباريّه أو انتزاعيّه عقليّه ليس معناه ما يفهم منه الجمهور ممّن ليس لـه قـدم راسـخ فى فقـه المعـارف و أراد أن يتفطّن بأغراضـهم و مقاصـدهم بمجرّد مطـالعه كتبهم كمن أراد أن يصـير من جمله الشعراء بمجرّد تتبّع قوانين العروض من غير سليقه يحكم باستقامه الأوزان او اختلالها عن نهج الوحده الإعتداليّه.

ص:٢٠٤

فانّک إن کنت ممّن له أهلیّه التفطّن بالحقائق العرفانیّه لأجل مناسبه ذاتیه و استحقاق فطری یمکنک أن تتنبّه ممّا أسلفناه من أنّ کلّ ممکن من الممکنات یکون ذا جهتین: جهه یکون بها موجودا واجبا لغیره من حیث هو موجود و واجب لغیره و هو بهذا الإعتبار یشارک جمیع الموجودات فی الوجود المطلق من غیر تفاوت، و جهه اخری بها یتعیّن هویّتها الوجودیه و هو اعتبار کونه فی أیّ درجه من درجات الوجود قوّه و ضعفا کمالا و نقصا فإنّ ممکنیّه الممکن إنما ینبعث من نزوله عن مرتبه الکمال الواجبی و القوّه الغیر المتناهیه و القهر الأتم و الجلال الأرفع و باعتبار کلّ درجه من درجات القصور عن الوجود المطلق الّذی لا یشوبه قصور و لا جهه عدمیّه و لا حیثیّه امکانیّه یحصل للوجود خصائص عقلیّه و تعیّنات ذهنیّه هی المسمّات بالمهیّات و الأعیان الثابته فکلّ ممکن زوج ترکیبی عند التحلیل من جهه مطلق الوجود و من جهه کونه فی مرتبه معیّنه من القصور، إلی آخر ما أفاد قدّس سرّه.

و قال الحکیم السبزواری رضوان اللّه علیه فی بیانه: المغالطه نشأت من خلط الماهیّه بالهویه و اشتباه الماهیّه من حیث هی بالحقیقه و لم یعلموا أنّ الوجود عندهم أصل فکیف یکون الهویّه و الحقیقه عندهم اعتباریّا، أم کیف یکون الجهه النورانیّه من کلّ شیء الّتی هی وجه اللّه و ظهوره و قدرته و مشیّته المبینه للفاعل لا ـ للمفعول اعتباریّا، تعالی ذیل جلاله عن علوق غبار الإعتبار، فمتی قال العرفاء الأخیار أولو الأیدی و الأبصار: إنّ الملک و الفلک و الإنسان و الحیوان و غیرها من المخلوقات اعتباریه، أرادوا شیئیات ماهیاتها الغیر المتأصّله عند أهل البرهان و عند أهل الذوق و الوجدان و أهل الإعتبار ذهب أوهامهم إلی ماهیاتها الموجوده بما هی موجوده أو إلی وجوداتها حاشاهم عن ذلک بل هذا نظر عامی منزّه ساحه عزّ الفضلاء عن ذلک.

نظیر ذلک إذا قال: الإنسان مثلا وجوده و عدمه علی السّواء أو مسلوب ضرورتی الوجود و العدم أراد بشیئیّه ماهیه الإنسان و نحوه أنها کذلک و ظنّ

ص:۲۰۵

العامی الجاهل أنه أراد الانسان الموجود فی حال الوجود أو بشرط الوجود و لم یعلم أنّه فی حال الوجود و بشرطه محفوف بالضرورتین و لیست النسبتان متساویتین و لا جائزتین إذ سلب الشیء عن نفسه محال و ثبوت الشیء لنفسه واجب، بل لو قیل: بأصاله الماهیّه فالماهیّه المنتسبه إلی حضره الوجود أصلیّه عند هذا القائل لا الماهیّه من حیث هی فإنّها اعتباریّه عند الجمیع، و قول الشّیخ الشبستری: تعیّنها امور اعتباریست، ینادی بما ذکرناه.

و بما حقّقناه علمت أنّ ما توهّمه بعض من أنّ الوجود مع کونه عین الواجب و غیر قابل للتجزّی و الانقسام قد انبسط علی هیاکل الموجودات و ظهر فیها فلا یخل منه شیء من الأشیاء بل هو حقیقتها و عینها و إنما امتازت و تعیّنت بتقیّدات و تعیّنات و تشخّصات اعتباریّه، و یمثل ذلک بالبحر و ظهوره فی صوره الأمواج المتکثره مع أنه لیس هناک إلّا حقیقه البحر فقط ، لیس علی ما ینبغی بل وهم، اللهمّ إلاّ أن یقال: إنّ مراده من قوله: و یمثل ذلک بالبحر و ظهوره فی صوره الأمواج المتکثره لیس محمولا علی ظاهره بل المراد شدّه افتقار ما سواه تعالی به فانّ الکلّ قائم به کالأمواج بالبحر مثلا، أو نحو هذا المعنی.

و تاره یعقل من الوحده الدایره فی ألسنتهم الوحده السنخیّه لا الوحده الشخصیّه المذکوره بمعنی أنّ أعلی مرتبه الوجود کالأوّل تعالی متحد مع أدنی مرتبته و أضعف الموجودات کالجسم و الهیولی فی سنخ أصل حقیقه الوجود و التفاوت و التمایز إنما فی الشدّه و الضعف و النقص و الکمال و عظم درجه الوجود و صغرها و تفاوت شئون الوجود من الحیاه و العلم و القدره و نحوها، و بالجمله أنّ ما به الامتیاز عین ما به الإتّفاق و أهل الحکمه یسمّون هذا المعنی بالوحده السنخیّه، و الاشتراک المعنوی فی الوجود، و هذا رأی الفهلویین من الحکماء نظمه المتألّه السبزواری قدّس سرّه فی غرر الفرائد بقوله:

الفهلویون الوجود عندهم حقیقه ذات تشکّک تعم

مراتبا غنی و فقرا تختلف کالنور حیثما تقوی و ضعف

و هـذا الرأى لا ينافى أمرا من الامور العقليّه، و لا المبانى الشـرعيّه، بل ذهب أكثر المحقّقين إلى أنّ صدور المعلول من العلّه إنّما يصحّ على هذا المبنى، لأنّ الموجودات لو كانت حقائق متبائنه كما اسـند إلى طائفه يستلزم مفاسد كثيره منها عدم كون ما سوى اللّه تعالى آياته و علاماته لأنّ السنخيّه بين العلّه و المعلول حكم عقلى لا يشوبه ريب، و ذلك لأنّ الشيء لا يصدر عنه ما يضادّه و لاـ يثمر مـا يبـاينه و إلّا يلزم أن لا يكون وجود العلّه حـدّا تامّا لوجود معلولها، و لا وجود المعلول حـدّا ناقصا لوجود علّته، كما يلزم أن لا يكون حينئذ العلم بالعلّه مستلزما للعلم بالمعلول، و الكلّ كما ترى.

و أمّـا هؤلاـء الطـائفه فظـاهر الكلاـم الحكيم المتـألّه السبزوارى قـدّس سـرّه الشـريف فى الغرر هم المشـاءون كلّهم حيث قال: و الوجود عند طائفه مشّائيه من الحكماء حقائق تباينت، و الدائر فى ألسـنه كثير ممّن عاصرناهم كذلك أيضا، و لكن صريح كلام ابن تركه فى كتاب التمهيد فى شـرح رساله قواعد التوحيد: أنّ مذهب المشاءين فى هذه المسأله التشـكيك، حيث قال فى شرح كلام المصنّف تركه:

«ثمّ إنّ الوجود الحاصل للماهيات المختلفه و الطّبايع المتخالفه – إلخ»:

أقول: هـذا دليل على بطلان القول بالتشـكيك الّـذى هو مبنى قواعـد المشاءين فى هذه المسأله و عمده عقائدهم. انتهى ما أردنا من نقل كلامه (ص ۴۸ طبع ايران ۱۳۵۱).

و لا يخفى عليك أنّ كلام ابن تركه يبائن كلام السبزوارى، و لا يبعد أن يقال: إنّ مراده من طائفه مشائيه بعضـهم و اللّه سـبحانه أعلم.

و ثـالثه يعقـل من الوحـده الوحـده الشخصـيّه غير الوجه الأـوّل البـاطـل بل بمعنى أنّ الوجود واحـد كثير، أى إنّه مع كونه واحـدا بالشـخص كثير و تلـك الكثره و التعـدّد و اختلاـف الأـنواع و الاثار لا تنافى وحـدته لأنّ الوحـده من غايه سـعتها و إحاطتها بما سواهـا تشـمل على جميع الكثرات الواقعيه، و الوجود حقيقه واحـده و لهـا وحـده لاـ تقابل الكثره و هى الوحـده الـذاتيه، و كثره ظهوراتها و صورها لا تقدح

فی وحده ذاتها.

و یعبّرون عن هـذا المعنی بالوحـده فی عین الکثره، و الکثره فی عین الوحـده، و یمثّلونه بـالنفس الناطقه الإنسانیّه لأنّ کلّ إنسان شخص واحد بالضـروره، قال عزّ من قائل: «ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ » (الأحزاب: ۴) و النّفس النّاطقه مع أنّها واحده بالشخص هی عین جمیع قواها الظاهره و الباطنه و تلک القوی مع کونها کثیره هی عین النّفس النّاطقه الواحده بالشخص.

فالنّفس بالحقیقه هی العاقله المتوهّمه المتخیّله الحسّاسه المحرّکه المتحرّکه و غیرها و هی الأصل المحفوظ فی القوی لا قوام لها إلّا بها، قال المتألّه السبزواری فی بعض تعالیقه علی کتابه غرر الفرائد: و الحقّ أنّ وجود النّفس ذا مراتب و أنها الأصل المحفوظ فیها و أنّ کلّ فعل لأیّه قوّه تنسب فی الحقیقه فعلها بلا مجاز وجدانیّ ، و هذا ذوق أرباب العرفان، قال الشّیخ العربی فی فتوحاته:

النّفس النّاطقه هی العـاقله و المفکّره و المتخیّلـه و الحـافظه و المصـوّره و المغـذیه و المنمیـه و الجـاذبه و الـدّافعه و الهاضـمه و الماسـکه و السامعه و الباصره و الطاعمه و المستنشقه و اللاّمسه و المدرکه لهذه الامور، فاختلاف هذه القوی و اختلاف الأسماء لیست بشیء زائد علیها، بل هی عین کلّ صوره هذا کلامه.

فـأنوار المراتب المسـمّاه بـالقوی کلّهـا فانیه فی نور النّفس النّاطقه، و التنزیه الّـذی یراعیه الحکماء إنّما هو لئلّا یقف الأذهان فی مراتب جسـمها و جسـمانیّتها کأذهان الطباعیّه و العوام و هو یرجع إلی تنزیه مرتبه منها هی أعلی مراتبها و هی المسـمّاه بذاتها، و البواقی اشراقاتها المتفاضله، انتهی کلامه – قدّه.

قـال صـدر المتـألّهین قـدّس سـرّه فی الأسـفار: إنّ النّفس الإنسانیّه لیس لها مقام معلوم فی الهویّه و لا لها درجه معیّنه فی الوجود کسائر الموجودات الطبیعیّه و النفسـیّه و العقلیّه الّتی کلّ له مقام معلوم، بل النّفس الانسانیّه ذات مقامات و درجات متفاوته، و لها نشئات سابقه و لاحقه، و لها فی کلّ مقام عالم و صوره اخری.

و بيان هذا القول المنيع الشريف يطلب من كتابه فى المبدأ و المعاد حيث قال فيه (ص ٢٨٢): الوحده الشخصيّه فى كلّ شىء ليست على وتيره واحده و درجه واحده فإنّ الوحده الشخصيّه فى الجواهر المجرّده حكمها غير الوحده الشخصيّه فى الجواهر المادّيه، فإنّ فى الجسم الواحد الشخصى يستحيل أن يجتمع أوصاف متضادّه و أغراض متقابله من السواد و البياض و السعاده و الشقاوه و اللذّه و الألم و العلوّ و السفل و الدّنيا و الاخره و ذلك لضيق حوصله ذاته و قصر ردائه الوجودى عن الجمع بين الامور المتخالفه بخلاف وجود الجوهر النطقى من الإنسان فإنّها مع وحدتها الشخصيّه جامعه للتجسّم و التجرّد و حاصره للسعاده و الشقاوه فانها قد يكون فى وقت واحد فى أعلى علّيين و ذلك عند تصوّر أمر قدسى، و قد يكون فى أسفل سافلين و ذلك عند تصوّر أمر شهوىّ ، و قد يكون ملكا مقرّبا باعتبار و شيطانا مريدا باعتبار.

و ذلك لأنّ إدراك كلّ شىء هو بأن ينال حقيقه ذلك الشىء المدرك بما هو مدرك بل بالاتّحاد معه كما رآه طائفه من العرفاء و أكثر المشاءين و المحققون و صرّح به الشّيخ أبو نصر فى مواضع من كتبه، و الشّيخ اعترف به فى كتابه المسمّى بالمبدإ و المعاد و فى موضع من الشفاء حيث قال فى الفصل السّادس من المقاله التاسعه من الإلهيّات بهذه العباره:

ثمّ كذلك حتّى يستوفى فى النّفس هيئه الوجود كلّه فينقلب عالما معقولا ـ مقبولا ـ موازيا للعالم الموجود كلّه مشاهدا لما هو الحسن المطلق و الخير المطلق و الجمال الحقّ و متّحده به و منتقشه بمثاله و هيئاته و منخرطه فى سلكه و سائره من جوهره.

و ممّا يؤيّد ذلك أنّ المدرك بجمع الإدراكات و الفاعل بجميع الأفاعيل الواقعه من الإنسان هو نفسه الناطقه النازله إلى مرتبه الحواس و الالات و الأعضاء و الصّاعده إلى مرتبه العقل المستفاد و العقل الفعال فى آن واحد و ذلك لسعه وجودها و بسط جوهريّتها و انتشار نورها فى الأكناف و الأطراف بل يتطوّر ذاتها بالشئون

ص:٢٠٩

و الأطوار و تجلّيها على الأعضاء و الأرواح، و تحلّيها بحليه الأجسام و الأشباح مع كونها من سنخ الأنوار و معدن الأسرار.

و من هذا الأصل تبيّن و تحقّق ما ادّعيناه من كون شيء واحد، تاره محتاجا فى وجوده إلى عوارض مادّيه و لواحق جسميّه و ذلك لضعف وجوده و نقص تجوهره، و تاره ينفرد بذاته و يتخلّص بوجوده و ذلك لاستكمال ذاته و تقوى انيّته و ما اشتهر بين متقدّمى المشاءين أنّ شيئا واحدا لا يكون له إلّا أحد نحوى الوجود الرابطى و الاستقلالى غير مبرهن عليه بل الحق خلافه، نعم لو اريد منه أنّ الوجود الواحد من جهه واحده لا يكون ناعتيا و غير ناعتىّ لكان صحيحا. انتهى كلامه قدّس سرّه.

و يعبّرون عن الوحده الجمعيه الّتى فى الحقّ سبحانه بالوحده الحقّه الحقيقيّه و الّتى فى النّفس بالوحده الحقّه الظلّيه، و من كان عين بصيرته مفتوحه يعرف من هذا سرّ قوله صلى اللّه عليه و آله: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، قال علم الهدى الشريف المرتضى رضوان اللّه عليه فى المجلس التاسع عشر من أماليه غرر الفوائد و درر القلائد (۲۷۴ ج ۱):

روى أنّ بعض أزواج النّبىّ صلى اللّه عليه و آله سألته متى يعرف الإنسان ربّه ؟ فقال: إذا عرف نفسه، و فى ص ۳۲۹ ج ۲ منه روى عن النّبىّ صلى اللّه عليه و آله أنّه قال: أعلمكم بنفسه أعلمكم بربّه، قال العارف الرومى:

سايۀ يزدان بود بندۀ خدا مردۀ اين عالم و زندۀ خدا

كيف مدّ الظلّ نقش أوليا است كو دليل نور خورشيد خدا است

و تسمّى هذه الكثره بالكثره النوريّه، و هى كلّما كانت أوفر كانت فى الوحده أوغر، و قد اختار الخواجه لسان الغيب هذا المعنى فى قوله:

زلف آشفتۀ او موجب جمعيّت ما است چون چنين است پس آشفته ترش بايد كرد

و فى قوله الاخر:

از خلاف آمد دوران بطلب كام كه من كسب جمعيّت از آن زلف پريشان كردم

و قد اختار صدر المتألّهين المولى صدرا قدّس سرّه الشريف هذا الوجه،

و شنّع على القسم الأوّل و أبطله فى مبحث العلّه و المعلول من الأسفار، كما دريت و هذا وجه وجيه شريف دقيق يوافقه البرهان و ذوق العرفان و الوجدان و لا ينافى أمرا.

و رابعه يعقل معنى الوحده على وجه أدقّ و ألطف من الوجوه المتقدّمه و أعلى و أرفع منها، و الإخلاص فى العباده كما ندب إليه العقل و النقل مقدّمه لحصول هذا المقام المنيع الأسنى، و سلّم للارتقاء إلى هذا المنظر الرفيع الأعلى، و من راقب الإخلاص و الحضور يستعدّ للوصول إلى هذه الرتبه العظمى و الجنّه العليا و فيها ما تشتهى الأنفس و تلذّ الأعين فيرى ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، و قد سلك إليه العرفاء الشامخون.

تقريره: أنه لا شبهه بوجود الكثره و التعدّد و اختلاف الأنواع و الأصناف و الأفراد، و اللّه جلّ جلاله فى إيجاد الممكنات المختلفه و تكوينها، قد ظهر و تجلّى بالحياه و القدره، و العلم و الإراده تجلّى المتكلّم الفصيح البليغ فى كلامه، و ظهور عاكس كإنسان مثلا فى مرائى متعدّده مختلفه جنسا و لونا و شكلا وجهه و عظما و صغرا و غيرها من الصفا و الكدره و لا ريب أنّ ما يرى من عكوسه المختلفه فى أنحاء كثيره فى تلك المرائى ظهوره فيها لا وجوده فيها، و لا حلوله فيها، و لا اتّحاده معها، و كذا الكلام فى تجلّى المتكلّم فى كلامه.

فإذا نظر شخص آخر فى تلك المرائى و المظاهر يرى عكوس الأوّل المتعدّده المختلفه فيها، كما يرى تلك المرائى أيضا، فمن وقع نظره على العكوس المتفاوته بالمحالّ و المجالى من غير أن يجعلها عنوانات للعاكس فهو يزعمها أشياء مستقلّه بذواتها، و قد غاب عن العاكس كما هو مذهب عامّه النّاس.

و من جعل نظره فى العاكس فقط بحيث إنّ كلّه مشغول بكلّه، و من فرط العشق به لم يلتفت إلى غيره من الصّور و المرائى، و لم يشاهد فى تلك الكثرات و التعيّنات إلاّ إيّاه، أعنى أصل الصور و صاحبها، فهذا وحده الوجود فى النظر و فناء فى الصوره.

ص:۲۱۱

زهر رنگی كه خواهی جامه می پوش كه من آن قدّ رعنا می شناسم

فالموحّد الحقيقی إذا أسقط الإضافات و لم يشاهد أعيان الممكنات و الحقائق الوجوديّه الإمكانيّه و الجهات الكثيره الخلقيّه، و لم ينظر إليها و لم ير فيها إلّا تجلّيه تعالی و ظهور قدرته و صفاته الكماليّه حيث لم تشغله تلك الخليقه عن الوجود الواجبی و لم تنسه عن لقاء اللّه عزّ و جلّ ، و لم تذهله عن وجهه فی كلّ شیء فهو فان فی اللّه مرزوق عنده و لا يری إلّا إيّاه و لا يرزق التوحيد بهذا المعنی إلّا الأوحدیّ من أهل اللّه، الفائز بنعمه لقائه العظمی.

لقد ظهرت فلا تخفی علی أحد إلّا علی أكمه لا يعرف القمرا

و الموحّد فی ذلك المشهد يری ما سواه من الأرض و السماء و الغيب و الشهاده مرتبطا بعضها ببعض و لا يری فصلا بينها كارتباط أجزاء بدن واحد بعضها ببعض، و بهذا المعنی قد جعل وحده العالم دليلا علی توحيده تبارك و تعالی، و إن كان كلّ شیء بحياله يدلّ علی وحدانيّته تعالی كما قرّر فی محلّه.

و فی كلّ شیء له آيه تدلّ علی أنّه واحد

هر گياهی كه از زمين رويد وحده لا شريك له گويد

و روی الصدوق فی باب الردّ علی الثنويه و الزنادقه من التوحيد ص ۲۵۴ باسناده عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبی عبد اللّه عليه السّلام: ما الدّليل علی أنّ اللّه واحد؟ قال: اتّصال التّدبير و تمام الصنع، كما قال عزّ و جلّ : «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا ».

و إذا نال الموحّد هذا المقام العظيم يجد سلطان اللّه تعالی علی ما سواه و يری أنّه «ما مِنْ دَابَّهٍ إِلّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها »، و يقول: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ » و يصل إلی سرّ قول إمام الموحّدين أمير المؤمنين علیّ عليه السّلام:

«مع كلّ شیء لا بمقارنه و غير كلّ شیء لا بمزايله».

قال القصيری فی شرح الفصّ الإدريسی من فصوص الحكم: انظر أيّها السالك طريق الحقّ ما ذا تری من الوحده و الكثره جمعا و فرادی ؟ فإن كنت

ترى الوحده فقط فأنت مع الحقّ وحده لارتفاع الإثنينيّه، و إن كنت ترى الكثره فقط فأنت مع الخلق وحده، و إن كنت ترى الوحده فى الكثره محتجبه، و الكثره فى الوحده مستهلكه، فقد جمعت بين الكمالين و فزت بمقام الحسنيين. انتهى كلامه.

و بما قرّرنا علم سرّ قول كاشف الحقائق الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام: «و اللّه لقد تجلّى اللّه عزّ و جلّ لخلقه فى كلامه و لكن لا يبصرون» رواه عنه عليه السّلام العارف الربّانى مولانا عبد الرزّاق القاسانى فى تأويلاته كما فى آخر كشكول العلاّمه البهائى ص ۶۲۵ من طبع نجم الدوله، و كذا الشّيخ الأكبر محيى الدّين فى مقدّمه تفسيره (ص ۴ ج ۱)، كذا رواه عنه عليه السّلام أبو طالب محمّد بن علىّ الحارثى المكّى فى قوّه القلوب (ص ۱۰۰، ج ۱ من طبع مصر ۱۳۸۱ ه) و قد روى قريبا منه ثقه الإسلام الكلينىّ فى روضه الكافى (۲۷۱ من الطبع الرّحلى) عن مولانا أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فى خطبه خطب بها فى ذى قار حيث قال عليه السّلام:

فتجلّى لهم سبحانه فى كتابه من غير أن يكونوا رأوه، و أتى بها الفيض المقدّس فى الوافى ص ۲۲ م ۱۴، و قد نقلناها فى شرح المختار ۲۲۹ من الخطب، فراجع إلى ص ۱۹ من ج ۱۵.

و بعد اللّتيا و الّتى نقول: و للّه المثل الأعلى، و التوحيد على الوجه الرابع أدقّ من التمثيل المذكور أعنى مثل صور عاكس فى المرايا، و نعم ما قاله الشّيخ العارف محيى الدّين العربى فى الباب الثالث و الستّين من كتاب الفتوحات المكّيه كما فى الأسفار: إذا أدرك الإنسان صورته فى المرآه يعلم قطعا أنه أدرك صورته بوجه و أنه ما أدرك صورته بوجه لما يراه فى غايه الصغر لصغر جرم المرآه أو الكبر لعظمه و لا يقدر أن ينكر أنّه رأى صورته و يعلم أنّه ليس فى المرآه صورته و لا هى بينه و بين المرآه فليس بصادق و لا كاذب فى قوله رأى صورته و ما رأى صورته فما تلك الصوره المرئيّه، و أين محلّها و ما شأنها فهى منتفيه ثابته موجوده معدومه معلومه مجهوله أظهر سبحانه هذه الحقيقه لعبده ضرب المثال ليعلم و يتحقّق أنه إذا عجز و حار فى درك حقيقه هذا و هو من العالم و لم يحصل علما بحقيقته فهو بخالقها إذن

أعجز و أجهل و أشدّ حيره. انتهى.

قال الغزالى فى الإحياء فى بيان الوجه الأخير من التوحيد: هو أن لا يرى فى الموجود إلّا واحدا و هو مشاهده الصدّيقين و يسمّيه الصوفيّه الفناء فى التوحيد لأنّه من حيث لا يرى إلّا واحدا لا يرى نفسه أيضا بمعنى أنّه فنى عن رؤيه نفسه.

فإن قلت: كيف يتصوّر أن لا يشاهد إلّا واحدا و هو يشاهد السّماء و الأرض و سائر الأجسام المحسوسه و هى كثيره ؟ فاعلم أنّ هذا غايه علوم المكاشفات و أنّ الموجود الحقيقى واحد، و أنّ الكثره فيه فى حقّ من يفرق نظره، و الموحّد لا يفرق نظر رؤيه السماء و الأرض و سائر الموجودات بل يرى الكلّ فى حكم الشيء الواحد، و أسرار علوم المكاشفات لا يسطر فى كتاب، نعم ذكر ما يكسر سوره استبعادك ممكن و هو أنّ الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهده و اعتبار، و يكون بنوع آخر من المشاهده و الاعتبار واحدا كما أنّ الإنسان كثير إذا نظر إلى روحه و جسده و سائر أعضائه و هو باعتبار آخر و مشاهده اخرى واحد إذ نقول إنّه إنسان واحد فهو بالإضافه إلى الإنسانيّه واحد، و كم من شخص يشاهد إنسانا و لا يخطر بباله كثره أجزائه و أعضائه و تفصيل روحه و جسده، و الفرق بينهما و هو فى حاله الاستغراق و الاستهتار مستغرق واحد ليس فيه تفرّق و كأنّه فى عين الجمع و الملتفت إلى الكثره فى تفرقه.

و كذلك كلّ ما فى الوجود له اعتبارات و مشاهدات كثيره مختلفه و هو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد و باعتبار آخر سواه كثير بعضه أشدّ كثره من بعض.

و مثال الانسان و إن كان لا يطابق الغرض و لكن ينبّه فى الجمله على كشف الكثير و يستفيد معا من هذا الكلام بترك الإنكار و الجحود بمقام لم تبلغه و تؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب منه، و إن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنّك إذا آمنت بالنّبوّه كان لك نصيب منه، و إن لم يكن بيّنا و هذه المشاهده الّتى لا يظهر فيها إلّا الواحد الحقّ سبحانه تاره يدوم

ص:۲۱۴

و تاره يطرأ كالبرق الخاطف و هو أكثر و الدوام نادر عزيز جدّا.

و قال فى موضع آخر من الكتاب: و أمّا من قويت بصيرته و لم يضعف نيّته فانّه فى حال اعتدال أمره لا يرى إلاّ اللّه و لا يعرف غيره، و يعلم أنّه ليس فى الوجود إلاّ اللّه تعالى و أفعاله أثر من آثار قدرته فهى تابعه له فلا وجود لها بالحقيقه و إنّما الوجود للواحد الحقّ الّذى به وجود الأفعال كلّها، و من هذا حاله فلا ينظر فى شىء من الأفعال إلاّ و يرى فيه الفاعل و يذهل عن الفعل من حيث إنّه سماء و أرض و حيوان و شجر بل ينظر فيه من حيث إنّه صنع فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر فى شعر إنسان أو خطّه أو تصنيفه، فرأى فيه الشاعر و المصنّف و رأى آثاره من حيث إنّه آثاره لا من حيث إنه حبر و عفص و زاج مرقوم على بياض، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنّف و كلّ العالم تصنيف اللّه فمن نظر إليها من حيث إنّها فعل اللّه و أحبّها من حيث إنّها فعل اللّه لم يكن ناظرا إلاّ فى اللّه، و لا عارفا إلاّ باللّه، و لا محبّا إلاّ اللّه، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنّه عبد اللّه فهذا الّذى يقال إنّه فنى فى التوحيد، و إنّه فنى فى نفسه و إليه الإشاره بقول من قال: كنّا بنا فغبنا عنّا فبقينا بلا نحن، فهذه امور معلومه عند ذوى البصائر اشكلت لضعف الأفهام عن دركها، و قصور قدر العلماء بها عن إيضاحها و بيانها بعباره مفهمه موصله للغرض إلى الأفهام، أو باشتغالهم بأنفسهم و اعتقادهم أنّ بيان ذلك لغيرهم ممّا لا يغنيهم. انتهى كلامه.

قلت: قد رأيت ليله الاثنين الثالثه و العشرين من ربيع الأوّل من شهور السنّه السّابعه و الثمانين و ثلاثمائه بعد الألف من الهجره بعض مشايخى متّع اللّه المسلمين بطول بقائه فى منامى، قد ناولنى رساله فى السير و السلوك إلى اللّه تبارك و تعالى، ثمّ قال لى: «التوحيد أن تنسى غير اللّه» و لمّا قصصت عليه الرؤيا، قال مدّ ظلّه العالى:

نشانى داده اندت از خرابات كه التوحيد إسقاط الإضافات

و البيت من گلشن راز للشبسترى قدّس سرّه.

ص:۲۱۵

و خامسه يعنى بالوحده ما يفوه به من يبوح قائلا من عرّف سرّ القدر فقد ألحد.

فبما قدّمنا علمت أنّ المراد من وحده الوجود ليس ما توهّمه أوهام من لم يصل إلى مغزا مرامهم و سرّ كلامهم، و أنّ لقاء اللّه تعالى الحاصل لأهله ليس كما يتصوّره الجهّال الّذين لم يجمعوا بين الجمع و التفرقه، و قد جاء حديث عن معدن الحقائق الإمام أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق صلوات اللّه تعالى عليه:

«إنّ الجمع بلا تفرقه زندقه، و التفرقه بدون الجمع تعطيل، و الجمع بينهما توحيد».

و قال المولى الحكيم العارف المتألّه ميرزا محمّد رضا القمشى قدّس سرّه فى تعاليقه على تمهيد القواعد لابن تركه فى شرح قواعد التوحيد لتركه فى بيان الحديث:

ذهبت طائفه من المتصوّفه إلى أنّ الوجود حقيقه واحده لا تكثّر فيها و لا تشأن لها و ما يرى من الممكنات المكثّره امور موهومه باطله الذوات كثانى ما يراه الأحول، و هذا زندقه و جحود و نفى له تعالى لأنّ نفى الممكنات يستلزم نفى فاعليّته تعالى، و لمّا كان فاعليّته تعالى نفس ذاته فنفى فاعليّته يستلزم نفى ذاته و إليه أشار عليه السّلام بقوله: إنّ الجمع بلا تفرقه زندقه.

و ذهبت طائفه اخرى منهم إلى أنّ الممكنات موجوده مكثره و لا جاعل و لا فاعل لها خارجا عنها، و الوجود المطلق متّحد بها بل هو عينها و هذا إبطال لها و تعطيل لها فى وجودها فإنّه حينئذ لا معطى لوجودها لأنّ المفروض أن لا واجب خارجا عنها و الشىء لا يعطى نفسها و لا يوصف الممكن بالوجوب الذاتى، و إليه أشار عليه السّلام بقوله: و التفرقه بدون الجمع تعطيل، و يظهر من ذلك البيان أنّ كلا القولين يشتمل على التناقض لأنّ الجمع بلا تفرقه يستلزم نفى الجمع، و التفرقه بدون الجمع يستلزم نفى التفرقه. انتهى كلامه رفع مقامه.

و إن شئت تقرير ذلك المطلب الأسنى على اسلوب آخر أبين و أوضح ممّا تقدّم، فاعلم أنّ ما يخبر عنه و يصدر عنه أثر هو الوجود لا غير و سواه ليس محض و عدم

صرف و باطل بالـذات و مـا ليس بشـىء ليس بشـىء حتّى يكـون ذا أثر، و إذا تـأمّلت فى الأشـياء الممكنه تجـدها أنّ ظهورها بالوجود، و لولاه لم يكن لها ظهور فضلا عن أن يكون لها أثر فاذا تحقّق الوجود فى موطن يتبعه أثر لائق بذلك الموطن.

و تجد أنّ لها اعتبارين: أحدهما وجودها و الاخر حدودها فتصـير وجودات مقيّده محدوده، فبالقيد و الحدّ تسـمّى بأسماء لفظيه، فيقـال: هـذه أرض، و تلـك شـمس و ذلك قمر و فلك و ملك و هكـذا، و تلك الحـدود يعبّر عنها فى الكتب الحكميّه بل فى الجوامع الروائيّه بالماهيّه، و لمّا لم يكن للأوّل تعالى حدّ لم تعلم له ماهيّه، و فى دعاء اليمانى لإمام الموحّدين علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام رواه السيّد الأجلّ ابن طاوس عليه رحمه الملك القدّوس، مسندا فى مهج الدعوات (ص ١٠٥):

بسـم اللّه الرّحمن الرّحيم اللهمّ أنت الملـك الحـقّ الّـذى لاـ إله إلاّـ أنت - إلى أن قـال بعـد سـطور: لم تعن فى قـدرتك، و لم تشارك فى إلهيّتك، و لم تعلم لك مائيّه فتكون للأشياء المختلفه مجانسا، إلخ.

و فى باب نفى الجسم و الصوره و التشبيه من ثانى البحار نقلا عن روضه الواعظين:

روى عن أمير المؤمنين عليه السّـلام أنّه قال له رجل: اين المعبود؟ فقال عليه السّـلام: لا يقال له أين لأنّه أيّن الأينيّه، و لا يقال له كيف لأنّه كيّف الكيفيّه، و لا يقال له ما هو لأنّه خلق الماهيّه - الحديث.

و الماهيّه و المائيّه بمعنى واحد و هى مشـتقّه عن ما هو، كما هو صـريح روايه أمير المؤمنين عليه السّلام، و كما صرّح به المحقّق الخواجه نصير الـدّين الطوسـى قـدّس سـرّه فى أوّل الفصـل الثـانى من المقصـد الأوّل من التجريـد، و المتألّه السبزوارى فى أوّل الفريـده الخامسه من غرر الفرائد، و تعبير الماهيّه بالمائيّه فى كتب القدماء بل فى الروايات كثيره جدّا، و قد كان فيلسوف العرب الكنـدى يعبّرها فى رسائله بالمائيّه، كما ترى فى رسائله الفلسـفيّه المطبوعه فى مصـر، و قد روى الشّـيخ الجليل الصّدوق فى باب تفسـير «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » من كتاب التوحيد بإسناده عن وهب بن وهب القرشى قال: سمعت الصادق عليه السّلام يقول: قدم وفد من أهل فلسطين على

الباقر عليه السّلام فسألوه عن مسائل فأجابهم، ثمّ سألوه عن الصمد، فقال: تفسيره فيه، الصمد خمسه أحرف: فالألف دليل على انّيته، و هو قوله عزّ و جلّ «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ » و ذلك تنبيه و إشاره إلى الغائب عن درك الحواس، و اللام دليل على إلهيّته بأنّه هو اللّه – إلى أن قال: لأنّ تفسير الإله هو الّذى أله الخلق عن درك مائيّته و كيفيّته بحسّ أو وهم – إلى أن قال: فمتى تفكّر العبد فى مائيّه البارى و كيفيّته أله فيه و تحيّر – إلخ، و الإنّيه مشتقّه من الإنّ ، كما قال الإمام عليه السّلام من حسن صنيعته: و هو قوله عزّ و جلّ : «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ » و التعبير عن تحقّق الشىء و وجوده بالإنّيه و عن حدوده بالماهيّه أو المائيّه غير عزيز فى ألسنه أهل اللّه.

و الماهيّات بأسرها ظاهره بالوجود فهى ليست نورى الذّات بل بذاتها ليس محض و ظلمه و إنّما أيسها و نورها بغيرها و هو الوجود، و لما لم يكن للّه جلّ جلاله حدّ و نهايه فلا يتصوّر فيه ماهيّه تعالى عن أن يكون مجانسا لمخلوقاته و فى الحديث: ربّنا نورى الذّات، حىّ الذات، قادر الذّات، عالم الذّات، من قال أنه قادر بقدره، عالم بعلم، حىّ بحياه، فقد اتّخذ مع اللّه آلهه اخرى و ليس على ولايتنا من شىء.

و فى التوحيد عن جابر الجعفى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول:

إنّ اللّه نور لا ظلمه فيه، و علم لا جهل فيه، و حياه لا موت فيه.

و فيه بإسناده عن هشام بن سالم قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقال لى:

أتنعت اللّه ؟ قلت: نعم، قال عليه السّلام: هات، فقلت: هو السميع البصير، قال عليه السّلام هذه صفه يشترك فيها المخلوقون، قلت: و كيف ننعته ؟ فقال عليه السّلام: هو نور لا ظلمه فيه، و حياه لا موت فيه، و علم لا جهل فيه، و حقّ لا باطل فيه، فخرجت من عنده و أنا أعلم الناس بالتوحيد.

و لمّا كان النور ظاهرا بذاته و مظهرا لغيره كما ترى الأنوار المحسوسه

من نور القمر و الكواكب و ضياء الشمس و غيرها، و يطلق عليها النور من هذه الحيثيّه كما أنّ النّور يطلق على العلم من حيث ظهوره للعالم، كذلك فقد جاء فى الخبر عن سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله: العلم نور و ضياء يقذفه اللّه فى قلوب أوليائه كما فى جامع الأسرار للسيّد المتألّه حيدر الاملى قدّس سرّه (ص ۵۱۳) و فى خبر آخر عنه صلى اللّه عليه و آله: ليس العلم بكثره التعلّم إنّما هو نور يقذفه اللّه فى قلب من يريد أن يهديه، كما فى قرّه العيون للفيض المقدّس رضوان اللّه عليه (ص ۲۲۰) و فى الحديث الاتى عن عنوان البصرى عن الإمام الصّادق عليه السّلام اطلق على شمس الوجود المضيئه لغيرها من ماهيّات القوالب و الهياكل الإمكانيّه بل مخرجها من اللّيس إلى الايس اسم النور أيضا بل هو النور حقيقه و يستنير سائر الأنوار الحسّيه به لما دريت من أنّ ظهور كلّ شىء به، فالوجود ظاهر بذاته و مظهر لغيره من أشباح الماهيات و هياكلها، كما يرشدك إليه قوله عزّ و جلّ : «اَللّٰهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » - الايه.

و قد روى الشّيخ الجليل الصّدوق فى أوّل باب تفسير قول اللّه عزّ و جلّ :

«اَللّٰهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » إلى آخر الايه بإسناده عن العبّاس بن هلال قال: سألت الرّضا عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ : «اَللّٰهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » فقال: هاد لأهل السّماء و هاد لأهل الأرض، قال: و فى روايه البرقى: هدى من فى السّماوات و هدى من فى الأرض.

و ذلك لأنّ كلّ من هدى إلى حقيقه فإنّما هدى بنور الوجود و لولاه لكانت الظلمات غالبه فالنور أى الوجود هو الهادى فليس إلّا، صدق ولىّ اللّه الأعظم فى قوله حيث فسّر النور بالهادى.

فان قلت: قد جاءت فى عدّه آيات و كثير من أدعيّه و روايات أنه تعالى مضلّ أيضا كقوله تعالى: «مَنْ يَشَإِ اللّٰهُ يُضْلِلْهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » (الأنعام: ۴۰)، و قوله تعالى: «فَإِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ » (فاطر: ۸) و نحوهما فكيف التوفيق ؟

قلت: الإضلال: إخراج الغير عن الطريق من دواع نفسانيّه و أغراض شخصيّه من إعمال حقد و حسد و نحوهما حتّى يحصل التشفّى للمضلّ بإضلاله الغير، و لا يخفى عليك أنّ إسناد الاضلال إليه تعالى قبيح عقلا لعدم تجويز العقل إسناده إليه فليس الإضلال بمعناه الحقيقى مسندا إليه تعالى من غير التوسّل بوسط .

فنقول: لا كلام أنّه تعالى مضلّ ، من يشإ اللّه يضلله، و لكن تحت هذا سرّ و يتّضح لك بإيراد مثال و هو أن نقول: لو كان لك أولاد و لم تأمرهم بعمل و دستور لا يصحّ أن يقال: إنّ فلانا أطاع أباه، و فلانا عصاه، و أمّا إذا جعلت لهم دستورا يأمرهم بالخير قبله بعض و أبى بعض آخر، فحينئذ يقال للأوّل: المطيع، و للثانى:

العاصى، ثمّ لمّا كان ذلك الدستور حاويا لما فيه صلاحهم و رشادهم، فأنت هاد للبعض الأوّل، و حيث إنّ الثانى ظلم نفسه و أعرض عن الدستور، فحينئذ يقال له:

هو ضالّ و أنت مضلّ له، بمعنى أنّه لو لم يكن جعل هذا الدستور لم يتميّز الهدايه من الضلاله، و لم يصحّ قبل تعيين الطريق، أن يقال: فلان اهتدى و فلان ضلّ ، فبالحقيقه أنّ الثانى إنّما ضلّ عن دستورك و طريقك فأنت مضلّ له بهذا المعنى الدقيق اللّطيف.

فإذا فهمت المثال فهمت جواب السؤال و ذلك لأنّه لو لا إرسال الرسل و إنزال الكتب لما يتميّز الخبيث عن الطيّب و لم يصحّ أن يقال: فلان هدى إلى الصراط المستقيم فأفلح، و فلان ضلّ فعصى و غوى، و حيث إنّ الدستور هو القرآن و هو الصراط و المعيار و الميزان و إنّ اللّه تعالى أنزله هدايه للعباد فمن استكبر و أبى فقد ضلّ و ظلم نفسه، و بهذا المعنى يقال: إنّ اللّه أضلّه أو هو مضلّ و نحوهما، ألا ترى أنّ الإضلال يضاف إلى الظّالمين و الخاسرين و الكافرين و نحوها، نحو قوله تعالى: «وَ يُضِلُّ اللّهُ الظّالِمِينَ » (إبراهيم: ٢٧)، و قوله تعالى: «وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ » (الأعراف: ١٧٨) و قوله: «كَذلِكَ يُضِلُّ اللّهُ الْكافِرِينَ » و أمثالها، فتبصّر و خذه و اغتنم.

قال القيصرى فى مقدّمته على شرح الفصوص: و الوجود خير محض و كلّ ما هو خير فهو منه و به و قوامه بذاته لذاته، إذ لا يحتاج فى تحقّقه إلى أمر خارج عن ذاته فهو القيّوم الثابت بذاته و المثبت لغيره.

و ليس له ابتداء و إلّا لكان محتاجا إلى علّه موجوده لإمكانه حينئذ، و لا له انتهاء و إلّا لكان معروضا للعدم فيوصف بضدّه أو الإنقلاب فهو أزلى و أبدى فهو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن لرجوع كلّ ما ظهر فى الشهاده أو بطن فى الغيب إليه، و هو بكلّ شىء عليم لإحاطته بالأشياء بذاته و حصول العلم لكلّ عالم إنّما هو بواسطته فهو أولى بذلك بل هو الّذى يلزمه جميع الكمالات و به تقوم كلّ من الصّفات كالحياه و العلم و الإراده و القدره و السمع و البصر و غير ذلك فهو الحىّ العليم المريد القادر السميع البصير بذاته لا بواسطه شىء آخر إذ به يلحق الأشياء كلّها كمالاتها بل هو الّذى يظهر بتجلّيه و تحوّله فى صوره مختلفه بصور تلك الكمالات فيصير تابعا للذوات لأنّها أيضا وجودات خاصّه مستهلكه فى مرتبه أحديّته ظاهره فى واحديّته.

و هو حقيقه واحده لا تكثّر فيها و كثره ظهوراتها و صورها لا يقدح فى وحده ذاتها و تعيّنها، و امتيازها بذاتها لا بتعيّن زائد عليها إذ ليس فى الوجود ما يغايره ليشترك معه فى شىء و يتميّز عنه بشىء و ذلك لا ينافى ظهورها فى مراتبها المتعيّنه بل هو أصل جميع التعيّنات الصفاتيّه و الأسمائيّه و المظاهر العلميّه و العينيّه.

و لها وحده لا يقابل الكثره هى أصل الوحده المقابله لها و هى عين ذاتها الأحديّه، و الوحده الأسمائيّه المقابله للكثره الّتى هى ظلّ تلك الوحده الأصليّه الذاتيّه أيضا عينها من وجه.

و هو نور محض إذ به يدرك الأشياء كلّها و لأنّه ظاهر بذاته و مظهر لغيره و منوّر سماوات الغيوب و الأرواح و أرض الأجسام لأنّها به توجد، و تتحقّق و منبع جميع الأنوار الروحانيّه و الجسمانيّه، و حقيقته غير معلومه لما سواه، و ليست عباره عن الكون و لا عن الحصول و التحقّق و الثبوت، إن اريد بها المصدر

لأنّ كلّا منها عرض حينئذ ضروره، و إن اريد بها ما يراد بلفظ الوجود فلا نزاع كما أراد أهل اللّه بالكون وجود العالم، و حينئذ لا يكون شيء منها جوهرا و لا عرضا و لا معلوما بحسب حقيقته، و إن كان معلوما بحسب انّيته، و التعريف اللّفظى لا بدّ أن يكون بالأشهر ليفيد العلم و الوجود أشهر من الكون و غيره ضروره.

و الوجود العام المنبسط على الأعيان فى العلم ظلّ من أظلاله لتقيّده بعمومه و كذلك الوجود الذهنى و الوجود الخارجى ظلّان لذلك الظلّ لتضاعف التقييد و إليه الإشاره بقوله تعالى: «أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً» فهو الواجب الوجود الحقّ سبحانه و تعالى الثابت بذاته المثبت لغيره الموصوف بالأسماء الإلهيّه المنعوت بالنعوت الربّانيّه المدعوّ بلسان الأنبياء و الأولياء الهادى خلقه إلى ذاته الداعى مظاهره بأنبيائه إلى عين جمعه و مرتبه الوهيّته أخبر بلسانهم أنّه بهويّته مع كلّ شىء، و بحقيقته مع كلّ حىّ ، و نبّه أيضا أنّه عين الأشياء، بقوله: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْ ءٍ عَلِيمٌ» فكونه عين الأشياء بظهوره فى ملابس أسمائه و صفاته فى عالمى العلم و العين و كونه غيرها باختفائه فى ذاته و استعلائه بصفاته عمّا يوجب النقص و الشين و تنزّهه عن الحصر و التعيين و تقدّسه عن سمات الحدوث و التكوين.

و إيجاده للأشياء اختفاؤه فيها مع اظهاره إيّاها، و إعدامه لها فى القيامه الكبرى ظهوره بوحدته و قهره إيّاها بازاله تعيّناتها و سماتها و جعلها متلاشيه، كما قال: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ» «هُوَ كُلُّ شَيْ ءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ» و فى الصغرى تحوّله من عالم الشهاده إلى عالم الغيب، أو من صوره إلى صوره فى عالم واحد، فالمهيّات صور كمالاته و مظاهر أسمائه و صفاته ظهرت أوّلا فى العلم ثمّ فى العين بحسب حبّه إظهار آياته و رفع أعلامه و راياته فتكثر بحسب الصّور و هو على وحدته الحقيقيّه و كمالاته السرمديّه و هو يدرك حقائق الأشياء بما يدرك حقيقه ذاته لا بأمر آخر كالعقل الأوّل و غيره لأنّ تلك الحقائق أيضا عين ذاته حقيقه و إن كانت غيرها تعيّنا.

و لا یدرکه غیره کما قال: «لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصارَ » «وَ لا یُحِیطُونَ بِهِ عِلْماً » «وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » «وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ » نبّه عبّاده تعطّفا منه و رحمه لئلاّ یضیّعوا أعمارهم فیما لا یمکن حصوله.

و إذا علمت أنّ الوجود هو الحق علمت سرّ قوله: «وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ » «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْکُمْ وَ لکِنْ لا تُبْصِرُونَ » «وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ » «وَ هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلهٌ وَ فِی الْأَرْضِ إِلهٌ » و قوله: «اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » و اللّه «بِکُلِّ شَیْ ءٍ مُحِیطٌ » و کنت سمعه و بصره، و سرّ قوله علیه السّلام: لو دلیتم بحبل لهبط علی اللّه و أمثال ذلک من الأسرار المتبّهه للتوحید بلسان الإشاره. انتهی ما أردنا من نقل کلام القیصری.

و لمّا کان حکم السنخیّه بین العلّه و المعلول ممّا لا یتطرّق إلیه شکّ و شبهه فکلّ واحد ممّا سواه تعالی آیه و علامه له و آیه الشیء تحاکی عنه من وجه و لا تباینه من جمیع الوجوه و نسبتها إلیه کظلّ إلی ذیه، و لو لا حکم السنخیّه لما یصحّ کون الموجودات الافاقیّه و الأنفسیّه أعنی ما سواه آیات له و تأمّل فی ألفاظ الایه و أخواتها المذکوره فی القرآن الکریم ترشدک إلی الصواب.

قال تعالی: «إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دَابَّهٍ وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ » (البقره: ۱۶۵).

و قال تعالی: «إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ لَآیاتٍ لِأُولِی الْأَلْبابِ » إلی آخر الایات الخمس (آل عمران: ۰۰) قال فی المجمع: و قد اشتهرت الروایه عن النّبیّ صلی اللّه علیه و آله أنّه لما نزلت هذه الایات قال: ویل لمن لاکها بین فکّیه و لم یتأمّل ما فیها.

و قد روی ثقه الإسلام الکلینی قدّس سرّه فی کتاب فضل القرآن من اصول الکافی (ص ۴۴۶ ج ۲ من المعرب) بإسناده عن حفص بن غیاث، عن الزّهری قال:

سمعت عليّ بن الحسين عليهما السّلام يقول: آيات القرآن خزائن فكلّما فتحت خزانه ينبغى لك أن تنظر ما فيها.

و هذه اللّفظه أعنى الايه و أخواتها تنادى بأعلى صوتها أنّ الوجود أصل و أنّ ما سواه تعالى علامه و فىء له تعالى، و لو لا الوجود لما كان عن الأشياء عين و أثر، و لمّا كان الوجود نورا فما صدر عنه تعالى نور أيضا لحكم السنخيّه بين العلّه و معلولها.

و فى المجلّد الأوّل من البحار نقلا عن كتاب علل الشرائع فى سؤالات الشامى عن أمير المؤمنين عليه السّلام عن أوّل ما خلق اللّه تبارک و تعالى ؟ فقال عليه السّلام:

النّور.

و فى التاسع عشر من البحار ص ۱۸۳ فى دعاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: اللهمّ إنّى أسئلك يا من احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه.

ففيه دلاله على أنّه لا حجاب مضروب بينه و بين خلقه إلاّ شدّه ظهوره و قصور بصائرنا فضلا عن أبصارنا عن اكتناه نوره كما تقدّم آنفا بيانه.

جمالك فى كلّ الحقائق سائر و ليس له إلاّ جمالك ساتر

حجاب روى تو هم روى تست در همه حال نهانى از همه عالم ز بس كه پيدائى

و هذا الدّعاء معروف بدعاء احتجاب، نقله الشّيخ العلاّمه البهائى قدّس سرّه فى الكشكول أيضا (ص ۳۰۳ من طبع نجم الدوله) و رواه السيّد الأجلّ ابن طاوس - ره - عن أمير المؤمنين عليه السّلام عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى مهج الدعوات (ص ۷۵).

و تأمّل فى حرز مولانا و إمامنا محمّد بن علىّ الجواد عليهما السّلام، رواه السيّد الأجلّ ابن طاوس رفع اللّه تعالى درجاته فى مهج الدّعوات (ص ۳۶) و فى ذلك الحرز:

و أسألك يا نور النّهار و يا نور اللّيل و يا نور السّماء و الأرض و نور النّور و نورا يضىء به كلّ نور - إلى أن قال عليه السّلام، و ملأ كلّ شىء نورک.

و فى قوله عليه السّلام: «ملأ» دقيقه و هى أنّ ذلك النور لم يترک مكانا لغيره حتّى يوجد شىء مؤلّف منه و من غيره بل كلّ شىء ليس إلاّ ذلك النّور فقط

ص:۲۲۴

و حدودها أعدام ذهنيّه اعتباريّه.

غيرتش غير در جهان نگذاشت لا جرم عين جمله أشيا شد

و فى دعاء إدريس عليه السّلام نقله السيّد الجليل المذكور قدّس سرّه فى المهج أيضا (ص ۳۰۵): يا نور كلّ شىء و هداه أنت الّذى فلق الظلمات نوره.

و فى دعاء إبراهيم خليل الرحمن صلوات اللّه عليه (المهج ص ۳۰۶): يا اللّه يا نور النّور قد استضاء بنورك أهل سماواتك و أرضك.

و فى دعاء لنبيّنا صلى اللّه عليه و آله: فيا نور النّور و يا نور كلّ نور - إلخ، رواه السيّد قدّس سرّه فى الاقبال (ص ۱۲۶).

و فى المهج أيضا (ص ۸۸) و من ذلك دعاء آخر علّمه جبرائيل عليه السّلام النّبىّ صلى اللّه عليه و آله أيضا: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم يا نور السّماوات و الأرض يا جمال السّماوات و الأرض - إلخ.

و فى دعاء السحر لإمامنا محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام: اللهمّ إنّى أسألك من نورك بأنوره و كلّ نورك نيّر اللهمّ إنّى أسئلك بنورك كلّه، و نحوها من الأذكار و الأدعيّه المأثوره عن حجج اللّه تعالى كثير جدّا و إنّما نقلنا طائفه منها ضياء و نورا للمستضيئين، و ليعلم أنّ المعارف كلّها عند خزنه علم اللّه جلّ و علا.

از رهگذر خاك سر كوى شما بود هر نافه كه در دست نسيم سحر افتاد

و ذلك النور الّذى ملأ كلّ شىء هو وجهه تعالى «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ » «كُلُّ شَيْ ءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ » «وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ».

قال العارف المتألّه السيّد حيدر الاملى قدّس سرّه فى جامع الأسرار (ص ۲۱۰):

حكى أنّ جماعه من الرّهبانيّين و ردوا المدينه فى عهد خلافه أبى بكر و دخلوا عليه و سألوه عن النّبى و كتابه، فقال لهم أبو بكر: نعم جاء نبيّنا و معه كتاب، فقالوا له: و هل فى كتابه وجه اللّه ؟ قال: نعم، قالوا: و ما تفسيره ؟ قال أبو بكر: هذا السّؤال منهىّ عنه فى ديننا، و ما فسّره نبيّنا بشىء، فضحك الرهبانيّون كلّهم و قالوا:

و اللّه ما كان نبيّكم إلاّ كذّابا و ما كان كتابكم إلاّ زورا و بهتانا.

و خرجوا من عنده فعرف بذلك سلمان فدعاهم إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و قال لهم: إنّ هذا خليفته الحقيقى و ابن عمّه فاسألوه، فسألوا عن السؤال بعينه أمير المؤمنين عليه السّلام فقال لهم: ما نقول جوابكم بالقول بل بالفعل فأمر باحضار شىء من الفحم و باشعاله فلمّا اشتعل و صار كلّه نارا، سأل عليه السّلام الرّهبان و قال:

يا رهبان! ما وجه النّار؟ فقال الرّهبان هذا كلّه وجه النّار، فقال عليه السّلام: فهذا الوجود كلّه وجه اللّه، و قرأ «فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ » «كُلُّ شَيْ ءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فأسلم الرّهبانيّون كلّهم بذلك على يده و صاروا موحّدين عارفين.

و قال - رضوان اللّه عليه -: و حكى أيضا أنّ حيتان البحر اجتمعوا يوما عند كبيرهم و قالوا له: يا فلان نحن عزمنا على التوجّه إلى البحر الّذى نحن به موجودون و بدونه معدومون فلا بدّ من أن تعلّمنا جهته و تعرّفنا طريقه حتّى نتوجّه إليه و نصل إلى حضرته لأنّا بقينا مدّه متطاوله نسمع به و ما نعرفه و لا نعرف مكانه و لا جهته.

فقال لهم كبيرهم: يا أصحابى و إخوانى ليس هذا الكلام يليق بكم و لا بأمثالكم لأنّ البحر أعظم من أن يصل إليه أحد و هذا ليس بشغلكم و لا هو من مقامكم، فاسكتوا عنه و لا تتكلّموا بعد ذلك بمثل هذا الكلام بل يكفيكم أنكم تعتقدون أنكم موجودون بوجوده و معدومون بدونه.

فقالوا له: هذا الكلام ما ينفعنا و لا هذا المنع يدفعنا، لا بدّ لنا من التوجّه إليه و لا بدّ لك من إرشادنا إلى معرفته و دلالتنا إلى وجوده.

فلمّا عرف الكبير صوره الحال و أنّ المنع لا يفيد شرع لهم فى البيان و قال:

يا اخوانى البحر الّذى أنتم تطلبونه و تريدون التوجّه إليه هو معكم و أنتم معه، و هو محيط بكم و أنتم محاطون به، و المحيط لا ينفكّ عن المحاط به، و البحر عباره عن الّذى أنتم فيه فأينما توجّهتم فى الجهات فهو البحر و ليس غير البحر عندكم شيء

فالبحر معكم و أنتم مع البحر، و أنتم فى البحر و البحر فيكم، و هو ليس بغائب عنكم، و لا أنتم بغائبين عنه، و هو أقرب إليكم من أنفسكم.

فحين سمعوا هذا الكلام منه قاموا كلّهم إليه و قصدوه حتّى يقتلوه، فقال لهم: لم تقتلونى و لأىّ ذنب أستحقّ هذا؟ فقالوا له: لأنّك قلت البحر الّذى نحن نطلبه هو الّذى نحن فيه و الّذى نحن فيه هو الماء فقط ، و أين الماء من البحر فما أردت بهذا إلّا إضلالنا عن طريقه وحيداننا عنه.

فقال كبيرهم: و اللّه ما كان كذلك و ما قلت إلّا الحقّ و الواقع فى نفس الأمر لأنّ البحر و الماء شىء واحد فى الحقيقه و ليس بينهما مغايره أصلا، فالماء اسم للبحر بحسب الحقيقه و الوجود، و البحر اسم له بحسب الكمالات و الخصوصيّات و الانبساط و الانتشار على المظاهر كلّها.

فعرف ذلك بعضهم و صار عارفا بالبحر و سكت عنه، و أنكر البعض الاخر و كفر بذلك و رجع عنه مطرودا محجوبا.

و الّذى حكيت عن لسان الحيتان لو حكيته عن لسان الأمواج لكان أيضا صحيحا و كلاهما جائز، و إذا تحقّق هذا فكذلك شأن الخلق فى طلب الحقّ فإنّهم إذا اجتمعوا عند نبىّ أو إمام أو عارف و سألوا عن الحقّ ، فقال هذا النّبىّ أو الإمام أو العارف: إنّ الحقّ الّذى تسألون عنه و تطلبونه هو معكم و أنتم معه، و هو محيط بكم و أنتم محاطون به، و المحيط لا ينفكّ عن المحاط ، و هو معكم أينما كنتم، و هو أقرب إليكم من حبل وريدكم «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَهٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَهٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا » «و «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَىْ ءٍ عَلِيمٌ » «فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ » «كُلُّ شَىْ ءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » و هو ليس بغائب عنكم و لا أنتم بغائبين عنه، أينما توجّهتم فثمّ ذاته و وجهه و وجوده و هو مع كلّ شىء و هو عين كلّ شىء، بل هو كلّ شىء و كلّ شىء به قائم و بدونه زائل، و ليس لغيره وجود أصلا، لا ذهنا و لا خارجا، و هو الأوّل بذاته، و الاخر

بکمالاته، الظاهر بصفاته، و الباطن بوجوده، و إنّه للکلّ مکان، فی کلّ حین و أوان، و مع کلّ إنس و جان.

فلمّا سمع الخلق ذلک قاموا إلیه کلّهم و قصدوه لیقتلوه، فقال لهم لم تقتلونی و لأیّ ذنب أستحقّ هذا؟.

فقالوا له: لأنّک قلت الحقّ معکم و أنتم معه، و لیس فی الوجود إلاّ هو، و لیس لغیره وجود لا ذهنا و لا خارجا، و نحن نعرف بالحقیقه أنّ هناک موجودات غیره من العقل و النّفس و الأفلاک و الأجرام و الملک و الجنّ و غیر ذلک، فما أنت إلاّ کافر ملحد زندیق، و ما أردت بذلک إلاّ إغواءنا و إضلالنا عن الحقّ و طریقه.

فقال لهم: لا و اللّه ما قلت لکم غیر الحق و لا غیر الواقع، و ما أردت بذلک إضلالکم و إغواءکم، بل قلت ما قال هو بنفسه، و أخبرکم إیّاه علی لسان نبیّه، و إلاّ فأیّ شیء معنی قوله: «سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ » - الایه، و معنی قوله:

«اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » - الایه، و معنی قوله: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ » و لأیّ شیء قال: «ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْماءً سَمَّیْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُکْمُ إِلاّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِیّاهُ ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَعْلَمُونَ »؟، و لم قال: «ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ »؟ لأنّه یعرف أنّ کلّ واحد ما یعرف ذلک و لا یقدر علیه، کما قال أیضا: «إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِأُولِی النُّهی » «و «إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِأُولِی الْأَلْبابِ » «و «إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِیدٌ ».

فعرف ذلک بعضهم و قبل منه و صار عارفا موحّدا، و أنکر ذلک بعضهم، و رجع عنه محجوبا مطرودا ملعونا نعوذ باللّه منه و من أمثاله، هذا آخر الأمثله المضروبه فی هذا الباب، و اللّه أعلم بالصواب و إلیه المرجع و الماب «وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِی هذَا الْقُرْآنِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ » «وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما یَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ »، انتهی ما أردنا من نقل کلامه رحمه اللّه علیه فی المقام.

و لمّا لم یکن للمهیّات أصاله، و لم یکن لها أثر و ظهور إلاّ بنور الوجود، و لم

یکن الوجود إلّا ذاته سبحانه و شئونه و دریت أنّه ملأ کلّ شیء و فتق ظلمات الماهیّات نوره فأوّل ما یری و یدرک و یعلم فی دار الوجود هو الوجود لیس إلاّ فهو ظاهر بذاته لا یحتاج إلی معرّف و دلیل یدلّ علیه لأنّ ذلک الدّلیل إمّا وجود أو غیره و الوجود وجود، و الغیر عدم و العدم لا شیء محض و ما لیس بشیء رأسا کیف یدلّ علی ما هو شیء و موجود، نعم إنّ غیر الوجود من ماهیّات أشباح الموجودات الممکنه بأسرها یعرف به، و قد سئل نبیّنا صلی اللّه علیه و آله بما ذا عرفت ربّک ؟ قال صلی اللّه علیه و آله: باللّه عرفت الأشیاء، و قال مولانا علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام: اعرفوا اللّه باللّه.

و روی ثقه الإسلام الکلینی بإسناده عن عبد الأعلی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: اسم اللّه غیره و کلّ شیء وقع علیه اسم شیء فهو مخلوق ما خلا اللّه - إلی أن قال علیه السّلام: من زعم أنّه یعرف اللّه بحجاب أو بصوره أو بمثال فهو مشرک لأنّ حجابه و مثاله و صورته غیره و إنّما هو واحد موحّد فکیف یوحّده من زعم أنه عرفه بغیره، و إنّما عرف اللّه من عرفه باللّه، فمن لم یعرفه به فلیس یعرفه إنّما یعرف غیره لیس بین الخالق و المخلوق شیء - الحدیث (حدیث ۴ من باب حدوث الأسماء من اصول الکافی ج ۱ ص ۸۸ من المعرب).

و فی التوحید (ص ۴۹۴) عن منصور بن حازم قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام:

إنّی ناظرت قوما فقلت لهم: إنّ اللّه أجلّ و أکرم من أن یعرف بخلقه بل العباد یعرفون باللّه، فقال علیه السّلام: رحمک اللّه.

و فی دعاء عرفه لسیّد الشهداء أبی عبد اللّه الحسین علیه السّلام: کیف یستدلّ علیک بما هو فی وجوده مفتقر إلیک أ یکون لغیرک من الظهور ما لیس لک حتّی یکون هو المظهر لک، کما تقدّم آنفا، و لا یخفی لطف کلامه علیه السّلام «فی وجوده» فإن لهذا الکلام شأنا من الشأن.

و ممّا یرشدک أیضا إلی أنّ ما سواه تعالی شئونه و مجالی ذاته و مظاهر أسمائه و صفاته کلمه فاطر، و فطر و أخواتهما فی القرآن الکریم نحو قوله عزّ من قائل:

«أَ فِی اللّهِ شَکٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » (إبراهیم: ۱۱) و قوله تعالی:

«إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً » (الأنعام: ۸۰) و کذا فی عدّه آیات اخر، لأنّ أصل الفطر الشقّ ، یقال: تفطّر الشّجر بالورق و الورد إذا أظهرهما، کما فی غرائب القرآن للنیسابوری.

قال الراغب: أصل الفطر: الشقّ طولا، یقال: فطر فلان کذا فطرا و أفطر هو فطورا و انفطر انفطارا، و فطرت الشاه حلبتها باصبعین، و فطرت العجین إذا عجنته فخبزته من وقته، و منه الفطره، و فطر اللّه الخلق و هو ایجاده الشیء و إبداعه علی هیئه مترشّحه لفعل من الأفعال، فقوله: «فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها » فإشاره منه تعالی إلی ما فطر، أی أبدع و رکز فی الناس من معرفته تعالی، و فطره اللّه هی ما رکز فیه من قوّته علی معرفه الإیمان و هو المشار إلیه بقوله:

«وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَیَقُولُنَّ اللّهُ » و قال: «اَلْحَمْدُ لِلّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » و قال: «اَلَّذِی فَطَرَهُنَّ » - و «اَلَّذِی فَطَرَنا » أی أبدعنا و أوجدنا، یصحّ أن یکون الإنفطار فی قوله: «اَلسَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ » إشاره إلی قبول ما أبدعها و أفاضه علینا منه. انتهی.

و کلمه فطر و مشتقّاتها تنبئک أنّ ما سواه تعالی تفطّر منه و کلّ واحد منهم علی حیاله مشتقّ منه و منشقّ عنه و صوره و آیه له، و من دعاء سیّد السّاجدین علیه السّلام فی الصّلاه علی آدم علیه السّلام، کما فی ملحقات الصّحیفه: اللهمّ صلّ علی آدم و آدم بدیع فطرتک - إلخ.

و لمّا اتّصف کلّ واحد منهم بالوجود، اتّصف علی قدر قابلیّته و سعته و ضیقه بالأسماء و الصّفات اللاّزمه للوجود أیضا، و فی أیّ موطن ظهر منک الوجود ظهر معه أتباعه من الأسماء و الصفات اللاّئقه به إلاّ الأسماء المستأثره کالوجوب الذّاتی فانّها صفایا الملک الواحد القهّار، أسماء مخزونه عنده تعالی لا یمکن لغیره أن یتّصف به و لا یسع غیره أن یطلبها منه و یتعب نفسه لإدراکها.

و فی حرز مولانا محمّد بن علیّ الجواد علیه السّلام: و بأسمائک المقدّسات المکرّمات المخزونات فی علم الغیب عندک، رواه السیّد الأجلّ ابن طاوس قدّس سرّه فی

مهج الدّعوات (ص ۳۶).

و فی أعمال لیله عید الفطر: أسألک بکلّ اسم فی مخزون الغیب عندک، رواه السیّد المذکور قدّس سرّه فی الإقبال (۲۷۳).

و فی دعاء مولانا و إمامنا موسی بن جعفر الکاظم علیه السّلام أتی به الشّیخ الکفعمی نوّر اللّه مضجعه فی البلد الأمین (ص ۵۲۱): و بالاسم الّذی حجبت عن خلقک فلم یخرج منک إلّا إلیک.

و فی آخر دعاء مرویّ عن مولانا الحسین بن علیّ علیهما السّلام الدعاء المعروف بدعاء الشابّ المأخوذ بذنبه، رواه السیّد الجلیل ابن طاوس قدّس سرّه فی مهج الدّعوات (ص ۱۵۱): أسألک بکلّ اسم سمّیت به نفسک، أو أنزلته فی شیء من کتبک، أو استأثرت به فی علم الغیب عندک. إلخ.

و فی الدّعاء الخمسین من الصحیفه السجّادیه: فأسألک اللهمّ بالمخزون من أسمائک.

و فی ریاض السالکین فی شرح صحیفه سیّد السّاجدین للعالم الربّانی صدر الدّین علیّ بن أحمد نظام الدّین الحسینی المدعوّ بالسیّد علی خان قدّس سرّه (۵۶۵): روی عن النبیّ صلی اللّه علیه و آله قال: إنّ للّه تعالی أربعه آلاف اسم: ألف لا یعلمها إلّا اللّه، و ألف لا یعلمها إلّا اللّه و الملائکه، و ألف لا یعلمها إلّا اللّه و الملائکه و النّبیّون، و أمّا الألف الرابع فالمؤمنون یعلمونه، فثلاثمائه فی التوراه، و ثلاثمائه فی الإنجیل، و ثلاثمائه فی الزبور، و مائه فی القرآن، تسعه و تسعون ظاهره و واحد منها مکتوم من أحصاها دخل الجنّه.

و روی ثقه الإسلام الکلینیّ نوّر اللّه مضجعه فی الحدیث الأوّل من باب حدوث الأسماء من اصول الکافی (ص ۸۷ ج ۱ من المعرب) بإسناده عن إبراهیم ابن عمر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ اللّه تبارک و تعالی خلق اسما بالحروف غیر متصوّت و باللّفظ غیر منطق و بالشخص غیر مجسّد و بالتشبیه غیر موصوف و باللّون غیر مصبوغ منفیّ عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ کلّ متوهّم

مستتر غير مستور، فجعله كلمه تامّه على أربعه أجزاء معا ليس منها واحد قبل الاخر فأظهر منها ثلاثه أسماء لفاقه الخلق إليها و حجب منها واحدا و هو الاسم المكنون المخزون - الحديث.

و رواه رئيس المحدّثين الشّيخ الصّدوق رضوان اللّه عليه أيضا فی باب أسماء اللّه تعالى، و الفرق بين معانيها و بين معانی أسماء المخلوقين من كتاب التوحيد ص ۱۸۳ من طبع ايران ۱۳۲۱ ه .

و روى الكلينى فی الحديث الأوّل من باب ما أعطى الأئمّه عليهم السّلام من اسم اللّه الأعظم من اصول الكافی (ص ۱۷۹ ج ۱ من المعرب) بإسناده عن جابر، عن أبی جعفر عليه السّلام قال: إنّ اسم اللّه الأعظم على ثلاثه و سبعين حرفا و إنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفه العين، و نحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان و سبعون حرفا، و حرف واحد عند اللّه تعالى استأثر به فی علم الغيب عنده و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه العلیّ العظيم.

و فی الحديث الثانی منه: و إنّ اسم اللّه الأعظم ثلاثه و سبعون حرفا اعطى محمّد صلى اللّه عليه و آله اثنين و سبعين حرفا و حجب عنه حرف واحد.

و فی الثالث منه: و عندنا منه اثنان و سبعون حرفا و حرف عند اللّه مستأثر به فی علم الغيب.

و فی الحديث السادس عشر من باب الدّعاء للكرب و الهمّ و الحزن و الخوف من كتاب الدّعاء من الكافی (ص ۴۰۸ ج ۲ من المعرب) عن أبی عبد اللّه عليه السّلام:

اللهمّ إنّی أسألك بكلّ اسم هو لك أنزلته فی كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت فی علم الغيب عندك - الحديث.

و الأخبار و الأدعيّه فی ذلك كثيره جدّا، و للحكيم المتألّه المولى الصالح المازندرانی السروى قدّس سرّه فی شرح الأبواب المذكوره من الكافی، و كذا لاستاذنا العلّامه ميرزا أبی الحسن الشعرانی متّع اللّه علماء المسلمين بطول بقائه

معارف حقّه إلهيّه فى بيان تلك الأسرار الصادره عن خزنه علم اللّه تعالى فعليك بطلبها فى مظانّها.

و بـالجمله إنّ الوجود إذا ظهر أينمـا كـان لا ينفكّ عنه توابعه النوريّه و صـفاته العليا بحكم السـنخيّه المسـتفاد من الفطر أيضا، و إنّما التفاوت بحسب قرب الأشياء من مبدئها و بعدها عنها طولا فكلّما كان أقرب كان سعه وجوده أكثر و آثاره الوجوديّه أشدّ و أوفر فتنتهى كلّهـا إلى من واجب وجوده، و لا ـ ينقطع جوده طرفه عين، و ليس مـا سواه إلاّ ـ فيضه القائم به و هو قيامه، فإذا جميع الصّـِفات الكماليه ينتهى إليه أيضا و لا يتصوّر فوقه وجود و لا كمال، قال عزّ من قائل: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَـدُّ مِنْهُمْ قُوَّهً » و قال تعالى: «إِنْ مِنْ شَىْ ءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُوم » و قال جلّ و علا: «كُلَّ يَوْم هُوَ فِى شَأْنٍ » و قال جلّت عظمته: «يـا أَيُّهَـا النّـاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللّهِ وَ اللّهُ هُوَ الْغَنِيُّ » و قـال تبـارك و تعـالى: «قُـلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ » و قال تعـالى: «إِنَّ اللّهَ يُمْسِـكُ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا ـ» و قـال تعـالى: و الله «بِكُـلِّ شَـىْ ءٍ مُحِيطٌ » و قال تعالى «إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِى الرَّحْمنِ عَبْداً » و قال تعالى: «وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّوم ».

و ممّـا يتفرّع على هـذه الـدقيقه أنّه ما من موجود إلاّ و له ملكوت ناطق بالحقّ بلسان يليق به، قال اللّه تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَـىْ ءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » (الاسراء: ۴۵) و قال تعالى: «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ » (الرّحمن: ۷).

و قال تبارك و تعالى: «قالُوا أَنْطَقَنَا اللّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْ ءٍ » (فصّلت، حم السجده: ۲۲).

و قـال تعـالى: «فَلَمّـا أَتاهـا نُودِىَ مِنْ شـاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَهِ الْمُبـارَكَهِ مِنَ الشَّجَرَهِ أَنْ يا مُوسـى إِنِّى أَنَا اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ » (قصص ۳۱).

و قال تعالى: «وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ » (النمل: ١٧).

و قال تعالى: «وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها » - إلخ» (النمل: ١٩).

و قال تعالى: «وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ » - إلى قوله: «فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ » - إلى آخر الايات» (النمل: ٢٢).

و قال تعالى فى سوره يس: «اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ »، و غيرها من الايات القرآنيه.

و أمّا الأخبار فى تكلّم الحيوانات بل الجمادات لحجج اللّه تعالى و أوليائه فكثيره جدّا.

قال العلّامه البهائى قدّس سرّه فى أوائل المجلّد الثانى من الكشكول: العالم بأجزائه حىّ ناطق و إن من شيء إلّا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم، لكن نطق البعض يسمع و يفهم ككلام الاثنين المتّفقين فى اللّغه إذا سمع كلّ منهما كلام الاخر و فهمه، و نطق البعض يسمع و لا يفهم كالاثنين المختلفى اللّغه و منه سماعنا أصوات الحيوانات و سماع الحيوانات أصواتنا، و منه ما لا يسمع و لا يفهم كغير ذلك، و هذا بالنسبه الى المحجوبين، و أمّا غيرهم فيسمعون كلام كلّ شيء.

و قال فى آخر الكشكول (ص ٦٢٥ من طبع نجم الدوله): روى العارف الربّانى المولا عبد الرزاق القاسانى فى تأويلاته: أنّ الصادق جعفر بن محمّد عليه السّلام خرّ مغشيّا عليه فى الصّلاه فسئل عن ذلك فقال: ما زلت اردّد الايه حتّى سمعتها من المتكلّم بها، ثمّ قال: نقل الفاضل الميبدى فى شرح الديوان عن الشّيخ السهروردى أنّه قال بعد نقل هذه الحكايه عن الصادق عليه السّلام: أنّ لسان الإمام فى ذلك الوقت كان كشجره موسى عند قول: «إِنِّي أَنَا اللّهُ » و هو مذكور فى الإحياء فى تلاوه القرآن. انتهى.

قال الشّيخ العارف محيى الـدّين فى أوائل الفصّ الهودى: و كلّ ما سوى الحقّ فهو دابّه لأنّه ذو روح و ما ثمّه من يـدبّ بنفسه و إنّما يدبّ بغيره فهو يدبّ بحكم التبعيّه للذى هو على الصّراط المستقيم فانّه لا يكون صراطا إلاّ بالمشى عليه.

إذا دان لک الخلق فقد دان لک الحق و إن دان لک الحق فقد لا يتبع الخلق

فحقّق قولنا فيه فقولى كلّه حقّ فما فى الكون موجود تراه ماله نطق

و ما خلق تراه العين إلاّ عينه حقّ و لكن مودع فيه لهذا صوره حقّ

و قال القيصرى فى بيان قوله: فما فى الكون موجود تراه ماله نطق: أى ليس فى الوجود موجود تراه و تشاهده إلاّ و له روح مجرّد ناطق بلسان يليق به، و قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » و هذا اللّسان ليس لسان الحال كما يزعم المحجوبون، قال الشّيخ رضى اللّه عنه فى آخر الباب الثانى عشر من الفتوحات: و قد ورد أنّ المؤذّن يشهد له مدى صوته من رطب أو يابس، و الشرائع و النبوات من هذا القبيل مشحونه و نحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف فقد رأينا الأحجار رؤيه عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبه العارفين بجلال اللّه ممّا ليس يدركه كلّ إنسان، و إنّما اختفى نطق بعض الموجودات لعدم الاعتدال الموجب لظهور ذلک الفعل فلا يسمعه كلّ أحد فبقى نطقه باطنا و المحجوب يزعم أنّه لا نطق له و الكامل لكونه مرفوع الحجاب لشاهد روحانيّه كلّ شىء، و يدرک نطق كلّ حىّ باطنا و ظاهرا و الحمد للّه أوّلا و آخرا.

و أفاد العارف المولى عبد الرزاق القاسانى فى المقام بقوله: إذا كان الحقّ هو المتجلّى فى كل موجود فلا موجود إلاّ هو ناطق بالحقّ لأنّه لا يتجلّى فى مظهر إلاّ فى صوره اسم من أسمائه، و كلّ اسم موصوف بجميع الأسماء لأنّه لا يتجزّى لكن المظاهر متفاوته فى الاعتدال و التسويه، فإذا كانت التسويه فى غايه الاعتدال تجلّى بجميع الأسماء، و إذا لم يكن و لم يخرج عن هذا الاعتدال الإنسانى ظهر النطق و بطن سائر الأسماء و الكمالات و إذا انحطّ عن طور الاعتدال الإنسانى بقى النطق فى الباطن فى الجميع حتّى الجماد، فإنّ الّتى لم يظهر عليه من الأسماء

الإلهيّه و الصفات كانت باطنه فيه لعدم قابليّه المحلّ لظهوره فلا موجود إلّا و له نطق ظاهرا أو باطنا، فمن كوشف ببواطن الوجود سمع كلام الكلّ حتّى الحجر و المدر. انتهى.

و قال القيصرى فى الفصل الرابع من مقدّماته على شرح الفصوص: و لا تظنّ أن مبدأ النطق الّذى هو النفس الناطقه ليس للحيوان لينضمّ معه فيصير الحيوان به إنسانا مع أنّه غير صالح للفصليّه لكونه موجودا مستقلا فى الخارج بل هذا المبدأ مع كلّ شىء حتّى الجماد أيضا فإنّ لكلّ شىء نصيبا من عالم الملكوت و الجبروت و قد جاء ما يؤيّد ذلك من معدن الرساله المشاهد للأشياء بحقائقها صلوات اللّه عليه مثل تكلّم الحيوانات و الجمادات معه، و قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » و ظهور النطق لكلّ واحد بحسب العاده و السنّه الإلهيّه موقوف على اعتدال المزاج الإنسانى، و أمّا للكمّل فلا لكونهم مطّلعين على بواطن الأشياء مدركين لكلامها، و ما قال المتأخّرون بأنّ المراد بالنطق هو إدراك الكلّيات لا التكلّم مع كونه مخالفا لوضع اللّغه لا يفيدهم لأنّه موقوف على أنّ الناطقه المجرّده للإنسان فقط ، و لا دليل لهم على ذلك، و لا شعور لهم على أنّ الحيوانات، ليس لهم إدراك كلّى و الجهل بالشىء لا ينافى وجوده، و امعان النظر فيما يصدر منها من العجائب يوجب أن يكون لها إدراكات كلّيه، و أيضا لا يمكن إدراك الجزئى بدون كلّيه إذ الجزئى هو الكلّى مع التشخّص، و اللّه الهادى.

و قال الحكيم المتألّه المولى صدرا قدّس سرّه فى شرح الحديث الثالث من باب النسبه من كتاب التوحيد من اصول الكافى: عن عاصم بن حميد قال: قال سئل علىّ بن الحسين عليهما السّلام عن التوحيد، فقال: إنّ اللّه عزّ و جلّ علم أنه يكون فى آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل اللّه تعالى «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » و الايات من سوره الحديد - إلى قوله: «وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ » فمن رام وراء ذلك فقد هلك.

ثمّ اعلم أنّ كلّ واحده من هذه الايات السـتّه المشار إليها فى هذا الحديث متضمّنه لباب عظيم من علم التوحيد و الإلهيّه محتويه على أمر حكيم من الأحكام الصمديّه و الربوبيّه لو أمهل الزّمان و ساعد الدّهر الخوّان لعارف ربّانى و حكيم إلهىّ أخذ علمه من مشـكاه النّبوّه المحمّـديّه على صادعها و آله أفضل الصّـلاه و التحيّه و اقتبس حكمته عن أحاديث أصـحاب العصـمه و الطهاره و التزكيه سـلام اللّه عليهم لكان من حقّه و حقّهما أن يكتب فى تفسير كلّ منها ما يثخن به مجلّدا كبيرا بل مجلّدات كثيره، و لكن سنذكر فى كلّ آيه منها ما هو كالشاهد لما ادّعيناه و كالأنموذج لما شاهدناه فنقول:

أمّـا الايه الالى ففى الأخبار عن تسبيـح كلّ ما فى السـماوات و ما فى الأرض من الموجودات حتّى الجماد و النّبات و الأجساد و الموادّ و الأرض الموات و جثث الأموات للّه تعالى، و معرفه هذا التسبيح الفطرى و العرفان الكشفى الوجودى من غوامض العلوم و دقائق الأسـرار الّتى عجزت عن إدراكها أذهان جمهور العلماء و أكثر الحكماء فضـلا عن غيرهم و ليس عنـدهم فى هذا الباب إلاّـ مجرّد التقليـد، إيمانـا بـالغيب أو حمـل التسبيـح على مـا فيها من الأدلّه الـدّالّه على وحـدانيّه اللّه و تنزيهه (تنزّهه - خ ل) عن صفات النقص من التجسّم و التغيّر و التكثّر.

و قـال بعضـهم: إنّ كلمه مـا ههنا بمعنى من، و قيل: معناه كلّ ما يتأتّى منه التسبيـح، هـذا تمام كلام الأعلام فى هـذا المقام، و لا يخفى عدم ملائمه كلّ من الوجهين الأخيرين، بل كلّ ما قيل من التأويل و التخصـيص لكثير من الايات القرآنيّه و الأخبار النبويّه الدالّه على تسبيح المسمّى بالجماد و النّبات من الشجر و الحجر و الصخر و المدر فضلا عن المسمّى بالحيوان و الطير و البشر.

منهـا قوله تعـالى: «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَسْـجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمـاواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبـالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ ».

و منهـا قوله: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى مـا خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَـيْ ءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُـجَّداً لِلّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ » و كـذا نظائرها من الايات الدالّه على وقوع

التسبيح من جميع الموجودات حقيقه.

و حكايه تسبيح الحصى فى كفّ النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سماعه و إسماعه مشهور، و فى ألسنه الرواه مذكور، و ما روى أيضا عن ابن مسعود أنّه قال: كنت مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بمكّه فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله حجر و لا مدر إلّا و يقول:

السّلام عليك يا رسول اللّه، و أمثاله كثيره فى الروايات دالّه على أنّ هذا التسبيح و السجود و التسليم واقع على وجه التحقيق.

حتّى أنّ كثيرا من المنتسبين إلى الكشف و العرفان، زعموا أنّ النبات بل الجماد فضلا عن الحيوان له نفس ناطقه كالإنسان، و ذلك أمر باطل و البراهين ناهضه على خلافه من لزوم التعطيل و المنع عما فطر اللّه طبيعه الشىء عليه و دوام القصر على أفراد النوع و الإبقاء له على القوّه و الإمكان للشىء من غير أن يخرج إلى الفعليّه و الوجدان إلى غير ذلك من المفاسد الشنيعه المصادمه للبرهان و الحكمه.

بل هذا تسبيح فطرى و سجود ذاتى و عباده فطريه نشأت عن تجلّ إلهى و انبساط نور وجودى على كافه الخلائق على تفاوت درجاتها و تفاضل مقاماتها فى نيل الوجود و درك الشهود و مع هذا التفاوت و التفاضل فى القرب و البعد و الشرف و الخسّه فأفراد العالم كلّه كأجزاء شخص واحد تنال من روح الحياه و روح المعرفه ما ناله الكلّ دفعه واحده فأنطقها اللّه الّذى أنطق كلّ شىء فأحبّته و خضعته و سجدت له بسجود الكلّ و سبّحت له بتسبيحات هى تسبيح الكلّ «كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ ».

و الّذى يمنع عن هذه العباده الفطريّه الأفكار الوهميّه و التصرّفات النفسانيّه لأكثر الانس الموجبه للخروج عن الفطره الأصليّه و استحقاقيّه العذاب كما فى قوله تعالى: «وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ ».

و بالجمله تحقيق هذا التسبيح الفطرى و إثبات هذه العباده الذاتيّه ممّا يختصّ به الكاملون فى الكشف و العرفان الراسخون فى العلم و الإيقان، و أمّا سماع

ص:٢٣٨

اللّفظ أو إسماعه كما هو المروی عن النبیّ صلی اللّه علیه و آله و صحبه فکذلک من باب المعجزه الواقعه نفسه القدسیّه علی إنشاء الأصوات و الأشکال علی موازنه المعانی و الأحوال انتهی کلامه طیّب اللّه رمسه فی المقام.

و قلت: الظاهر من کلامه: حتّی أنّ کثیرا من المنتسبین - إلخ - یوهم التناقض بینه و بین کلام القیصری المذکور آنفا حیث قال: «لأنّه موقوف علی أنّ النّاطقه المجرّده للإنسان فقط ، و لا دلیل لهم علی ذلک» و لکن بعد التأمّل الدقیق فی کلامهما یظهر عدم التناقض بینهما و کلاهما یشیران إلی معنی واحد، و بیان عدم التنافی بینهما یعلم بما قدّمنا من کلام المولی عبد الرزاق القاسانی فإنّک إذا أمعنت النظر فیه تدری أنّ المولی صدرا و القیصری یسلکان ما سلکه القاسانی و یفیدان ما أفاده و لا اختلاف و لا تفرقه بینهم، و قد أجاد العارف صاحب المثنوی بقوله نظما:

گر تو را از غیب چشمی باز شد با تو ذرّات جهان همراز شد

نطق خاک و نطق آب و نطق گل هست محسوس حواسّ أهل دل

هر جمادی با تو می گوید سخن کو ترا آن گوش و چشم أی بو الحسن

گر نبودی واقف از حق جان باد فرق کی کردی میان قوم عاد

سنگ أحمد را سلامی می کند کوه یحیی را پیامی می کند

جملهٔ ذرات در عالم نهان با تو می گویند روزان و شبان

ما سمیعیم و بصیر و با هشیم با شما نامحرمان ما خامشیم

از جمادی سوی جان جان شوید غلغل أجزای عالم بشنوید

فاش تسبیح جمادات آیدت وسوسه تأویلها بزدایدت

چون ندارد جان تو قندیلها بهر بینش کرده ای تأویلها

فإذا دریت أنّ ما سواه آیه له و مشتقّ منه و منفطر منه، و أنّه إنّ من شیء إلّا أنّه حاک عنه و مثال و صوره له و للّه المثل الأعلی و أن الوجود لا ینفکّ عن آثاره النّوریّه، علمت أنّ ما یخاطبنا اللّه جلّ جلاله بکتابه و کلامه و یدعونا إلی

ما فيه خيرنا و سعادتنا كلقائه مثلا، فلا بدّ من أن يكون فطرتنا مناسبه و متشابهه له و لو بوجه و إلّا لم يصحّ الخطاب و نزيدك فى ذلك بيانا.

و نقول: قال محيى الدّين فى الفصّ الادمىّ من الفصوص: و لما كان استناده – أى استناد الحادث – إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كلّ شىء من اسم و صفه ما عدا الوجوب الذاتى فإنّ ذلك لا يصحّ للحادث، و إن كان واجب الوجود و لكن وجوده بغيره لا بنفسه.

و قال القيصرى فى شرحه: أى اقتضى هذا الاستناد أن يكون الحادث على صوره الواجب، أى يكون متّصفا بصفاته، و جميع ما ينسب إليه من الكمالات ما عدا الوجوب الذاتى و إلاّ لزم انقلاب الممكن من حيث هو ممكن واجبا، و ذلك لأنّه اتّصف بالوجود و الأسماء و الصفات لازمه للوجود، فوجب أيضا اتّصافه بلوازم الوجود و إلاّ لزم تخلّف اللاّزم عن الملزوم، و لأنّ المعلول أثر العلّه و الاثار بذاتها و صفاتها دلائل على صفات المؤثّر و ذاته، و لا بدّ أن يكون فى الدليل شىء من المدلول لذلك صار الدليل العقلى أيضا مشتملا على النتيجه، فإنّ إحدى مقدّمتيه مشتمله على موضوع النتيجه، و الاخرى على محمولها، و الأوسط جامع بينهما، و لأنّ العلّه الغائيّه من إيجاد الحادث عرفان الموجد كما قال تعالى: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ» و العباده تستلزم معرفه المعبود و لو بوجه، مع أنّ ابن عبّاس رضى اللّه عنه فسّرها هنا بالمعرفه و لا يعرف الشىء إلاّ بما فيه من غيره لذلك قال عليه السّلام حين سئل بم عرفت اللّه: عرفت الأشياء باللّه، أى عرفته به أوّلا ثمّ عرفت به غيره و لما كان وجوده من غيره صار أيضا وجوبه بغيره، و غير الإنسان من الموجودات، و إن كان متّصفا بالوجود لكن لا صلاحيّه له بظهور جميع الكمالات فيه. انتهى.

و قال العارف الجامى فى شرحه على الفصوص: قوله: «فيما ينسب إليه من كلّ شىء من اسم و صفه» من اسم و صفه بيان لشىء، فحاصله أن يكون على صفته تعالى فى كلّ اسم و صفه ينسب إليه تعالى يعنى كما أنه ينسب كلّ اسم و صفه إليه

تعالی کذلک ینسب إلی الحادث فإنّه بأحدیّه جمعه الأسمائی متجلّ و سار فیه و لذا قیل کلّ موجود متّصف بصفات السبع الکمالیّه لکن ظهورها فیه بحسب استعداده و قابلیّته.

و قال بعض المحشّیین علی شرح القیصری: قوله: «لأنّه اتّصف بالوجود» یظهر من هذا أنّ ذات الواجب بصرافه ذاته لا یکون فی الممکن و إلّا یلزم أن یکون الممکن متّصفا بالوجوب الذاتی أیضا بعین هذا الدلیل بأن یقال انّ الممکن متصف بالوجود الّذی یکون واجبا لذاته و الوجوب لازم للواجب فوجب اتصاف الممکن بذلک اللازم أیضا، انتهی، یعنی أنّ الممکن غیر متصف بالوجود الصرف الواجب الوجود حتّی یلزم انقلاب الممکن واجبا.

و أفاد بعض اساتیذنا و هو العالم المحقّق النحریر محمّد حسین ابن المولی عبد العظیم التونی الشهیر بالفاضل التونی تغمّده اللّه بغفرانه فی تعلیقته علی قول القیصری المنقول آنفا «و لا یعرف الشیء إلّا بما منه فی غیره»:

لأنّه لا یعرف الغائب إلّا بالشاهد بمعنی أنه لا یمکن أن یعرف شیء إلّا أن یکون له مثال فی ذات العالم فاذا قیل لک کیف یکون الواجب تعالی عالما بذاته فالجواب کما أنّک تعلم ذاتک فتفهم علمه تعالی بذاته، و إذا قیل کیف یعلم الواجب تعالی غیره فیقال کما تعلم أنت غیرک، و إذا قیل کیف یعلم الواجب تعالی بعلم واحد بسیط سائر المعلومات فیقال کما تعلم جواب مسائل دفعه بدون تفصیل ثمّ تنتقل بالتفصیل، و إذا قیل کیف علمه مبدء لوجود الأشیاء فیقال کما یکون توهمک للسقوط عن الجدار مبدء للسقوط و إذا قیل کیف یعلم الأشیاء کلّها فیقال کما یعلم المنجم الخسوف أو الکسوف من العلم بأسبابها، و الحاصل أنّک لا تقدر أن تفهم شیئا من اللّه تعالی إلّا بالمقایسه إلی شیء من نفسک فإذا لم یکن لشیء نظیر فی نفسک فلا یمکنک العلم به کالوجوب الذاتی و الوجود بلا مهیّه و لمّا لم یکن لهما نظیر فی نفسک لم یمکنک العلم بهما فلا تتعب نفسک فی العلم بهما و لذا قال تعالی «وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ » انتهی کلامه رفع مقامه و له

ص:۲۴۱

قدس سرّه تعليقات أنيقه على شرح الفصوص القيصرى من بدو الكتاب إلى ختمه و قد طبع طائفه منها على مقدمات القيصرى على شرح الفصوص.

فبما قدّمنا علمت معنى قول ثامن الأئمه علىّ بن موسى الرضا عليه آلاف التحيّه و الثناء: «قد علم أولو الألباب أنّ ما هنالك لا يعلم إلّا بما ههنا» و هذا الكلام الوجيز بعيد الغور جدّا، ككلام جدّه باب مدينه العلم أمير المؤمنين على عليه السّلام فى الصوره الإنسانيه: «و هى الشاهده على كلّ غائب» كما فى شرح الأسماء للمتأله السبزوارى ص ۱۲ من الطبع الناصرى، كما علمت أن الإنسان متّصف بحسب استعداده و قابليته بأوصاف وجوديّه تحاكى عن أصلها قال عزّ من قائل:

«وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها » و التفاوت بينها و بين الأصل كتفاوت مرحلتى الوجودين حيث انّ وجود الإنسان كغيره فيض من وجوده تعالى و فىء له و قائم به و واجب به و فقير إليه و كذا صفاته المنطبعه فى فطرته «فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها ».

و من بحثنا هذا تنتقل إلى أنّ دين الإسلام هو دين الفطره ما ذا؟ و قد أفاد فى ذلك استادنا العلّامه الطباطبائى البارع فى الحكمه الحقّه جزاه اللّه تعالى عنّا أفضل جزاء المعلّمين و أدام أيّام إفاضاته فى الجزء السابع من تفسيره القيّم:

الميزان، فى قوله تعالى: «إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً » (الأنعام ۷۹) بقوله:

و فى تخصيص فطر السموات و الأرض من بين صفاته تعالى الخاصّه و كذا من بين الألفاظ الدّاله على الخلقه كالبارى و الخالق و البديع إشاره إلى ما يؤثره إبراهيم عليه السّلام من دين الفطره و قد كرّر وصف هذا الدين فى القرآن الكريم بأنّه دين إبراهيم الحنيف و دين الفطره أى الدين الّذى بنيت معارفه و شرائعه على خلقه الإنسان و نوع وجوده الّذى لا يقبل التبدّل و التغيّر فإنّ الدين هو الطريقه المسلوكه الّتى يقصد بها الوصول إلى السعاده الحقيقيّه و السعاده الحقيقيّه هى الغايه المطلوبه الّتى يطلبها الشيء حسب تركّب وجوده و تجهّزه بوسائل الكمال طلبا خارجيا واقعيّا، و حاشا أن يسعد الإنسان أو أى شيء آخر

من الخليقه بأمر و لم يتهيّأ بحسب خلقته له أو هيّئ لخلافه كأن يسعد بترك التغذّی أو النكاح أو ترک المعاشره و الاجتماع و قد جهّز بخلافها، أو يسعد بالطيران كالطّير أو بالحياه فی قعر البحار كالسمک و لم يجهّز بما يوافقه.

فالدين الحقّ هو الذی يوافق بنواميسه الفطره و حاشا ساحه الربوبيّه أن يهدی الإنسان أو أیّ مخلوق آخر مكلّف بالدين – إن كان – إلی غايه سعيده مسعده و لا يوافق الخلقه أو لم يجهّز بما يسلک به إليها فإنّما الدين عند اللّه الإسلام و هو الخضوع للّه بحسب ما يهدی إليه و يدلّ عليه صنعه و إيجاده، انتهی ما أفاد مدّ ظلّه العالی فی المقام.

فتبصّر بما قدّمناه أنّ أصل المعرفه فطریّ للأشياء و قال اللّه تعالی: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ » و إنّما ضلّ عنهم المعرفه بالمعرفه و البصيره بالرؤيه، و أنّ المعرفه و الرؤيه القلبيّه ترجعان إلی أمر واحد و إنهما تثمران الايمان علی البصيره، و لا نعنی من اللقاء إلّا المعرفه و الرؤيه بهذا المعنی ففی التوحيد عن أبی بصير عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال قلت له: أخبرنی عن اللّه عزّ و جلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامه ؟ قال عليه السّلام: نعم و قد رأوه قبل يوم القيامه فقلت:

متی ؟ قال عليه السّلام: حين قال لهم: أ لست بربكم قالوا بلی، ثمّ سكت ساعه ثمّ قال و انّ المؤمنين ليرونه فی الدّنيا قبل يوم القيامه، أ لست تراه فی وقتک هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداک فاحدّث بهذا عنک ؟ فقال عليه السّلام: لا فانک إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنی ما نقوله ثمّ قدّر أنّ ذلک تشبيه كفر و ليست الرؤيه بالقلب كالرؤيه بالعين، تعالی عما يصفه المشبّهون و الملحدون.

و فی آخر باب نفی المكان و الزمان عنه تعالی من كتاب التوحيد أيضا ص ۱۷۶ باسناده عن إسحاق السبيعی عن الحارث الأعور، عن علیّ بن أبی طالب عليه السّلام أنه دخل السوق فإذا هو برجل (فاذا هو مرّ برجل – خ د) مولّيه ظهره يقول:

لا و الّذی احتجب بالسبع قال اللّه يا أمير المؤمنين، قال أخطأت ثكلتک امّک انّ اللّه عزّ و جلّ ليس بينه و بين خلقه حجاب لأنّه معهم أينما كانوا، قال: ما كفاره

ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ قال: أن تعلم أنّ اللّه معک حيث كنت قال: أطعم المساكين ؟ قال: لا إنما حلفت بغير ربّک.

و من سلک هذا المسلک فقد حيى بحياه طيّبه و يدخل فى ملک لا يبلى و جنّه الخلد الّتى وعد المتقون، ففى التوحيد عن الحارث بن المغيره النضرى قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ : «كُلُّ شَىْ ءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ » قال: كلّ شيء هالک إلاّ من أخذ طريق الحقّ .

و اعلم أنّ الوجود مع وحده حقيقتها و كثره تشأنّها، كلّ يوم هو شأن له مراتب طوليّه تختلف غنى و فقرا و سعه و ضيقا فتنتهى إلى ذات واجب الوجود الّذى تلک الكثرات مجاليه و مظاهره و مراياه و اللّه تعالى من ورائهم محيط فله تعالى مرتبه متحققه مجرّده عن المظاهر و المجالى غير متناهيه فى جميع الصفات النوريه أشدّ و أقوى ممّا سواه وجودا، قال عزّ من قائل: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً » (فصّلت ١۶)، و لا يحيطون به علما لأن الدّانى لا يسعه الإحاطه بالعالى المحيط به، كما أنّ النفس مع كونها فى وحدتها كلّ القوى و كلّها مجاليها و مظاهرها ليست هى بمجموع تلک القوى الظاهره و الباطنه تعلّقت بالبدن فحسب بل لها مرتبه فوقها أعلى و أشمخ منها رتبه و آثارا و هى جهتها المجرّده الّتى تلى ربّها، و إن كانت تلک القوى مراتبها النازله، و المرتبه النازله منها كالواهمه مثلا لا تحيط بالمرتبه العاليه كالعاقله المحيطه بها.

قال صدر المتألّهين قدّس سرّه فى شرحه للهدايه: و الصنف الثالث و هم الراسخون فى العلم من الحكماء قائلون بأنّ العالم ليس عباره عن الممكن الصرف و لا عن الوجود الحقيقى الصرف بل من حيث هو موجود بالوجود الحقيقى له اعتبار و من حيث إنّه ينقسم إلى العقول و النفوس و غيرها له اعتبار آخر فالعالم زوج تركيبى من الممكن و السنخ الباقى الّذى هو بذاته موجود و وجود فليس العالم عباره عن الذوات المتعدّده كما حسبه المحجوبون بل ذاته واحد و هو الحقّ الّذى هو الوجود الحقيقى و لا وجود للممكنات إلاّ بارتباطها به لا بأن يفيض

علیها وجودات مغایره للوجود الحقیقی و برهان ذلک مذکور فی کتابنا المسمّی بالأسفار الأربعه.

و قال فی مبحث العله و المعلول من الأسفار: (ص ۱۹۶ من الرحلی) تنبیه:

إنّ بعض الجهله من المتصوّفین المقلّدین الّذین لم یحصّلوا طریق العلماء العرفاء و لم یبلغوا مقام العرفان توهّموا لضعف عقولهم و وهن عقیدتهم و غلبه سلطان الوهم علی نفوسهم أن لا تحقق بالفعل للذّات الأحدیّه المنعوته بألسنه العرفاء بمقام الأحدیّه و غیب الهویه و غیب الغیوب مجرّده عن المظاهر و المجالی بل المتحقّق هو عالم الصوره و قواها الروحانیّه و الحسیّه و اللّه هو الظاهر المجموع لا بدونه و هو حقیقه الإنسان الکبیر و الکتاب المبین الّذی هذا الإنسان الصغیر أنموذج و نسخه مختصره عنه، و ذلک القول کفر فضیح و زندقه صرفه لا یتفوّه به من له أدنی مرتبه من العلم و نسبه هذا الأمر إلی أکابر الصوفیّه و رؤسائهم افتراء محض و افک عظیم یتحاشی عنها أسرارهم و ضمائرهم، و لا یبعد أن یکون سبب ظنّ الجهله بهؤلاء الأکابر اطلاق الوجود تاره علی ذات الحقّ و تاره علی المطلق الشامل و تاره علی المعنی العام العقلی فإنّهم کثیرا ما یطلقون الوجود علی المعنی الظلّی الکونی فیحملونه علی مراتب التعیّنات و الوجودات الخاصّه فیجری علیه أحکامها.

و بما تقدّم من أنّ ما سواه تعالی مظاهر أسمائه و صفاته و مجالی إشراقات نور وجهه و مرایا ظلّ ذاته علمت معنی الإخلاص فی التوحید أعنی التوحید الذاتی الّذی ینطق به الموحّدون و إمامهم علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام: أوّل الدین معرفته و کمال معرفته التصدیق به، و کمال التصدیق به توحیده، و کمال توحیده الإخلاص له، و کمال الإخلاص له نفی الصفات عنه، لشهاده کلّ صفه أنّها غیر الموصوف، و شهاده کلّ موصوف أنّه غیر الصفه فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه و من ثنّاه فقد جزّاه و من جزّاه فقد جهله و من جهله فقد أشار إلیه و من أشار إلیه فقد حدّه و من حدّ فقد عدّه إلخ (الخطبه الاولی من نهج البلاغه).

ص:۲۴۵

و لا يخفى عليك أنّ كلامه عليه السّلام يشير إلى التوحيد الذاتى و اخلاصه تمحيض حقيقه الأحديّه عن شائبه الكثره، قال العارف السيّد حيدر الاملى فى رساله نقد النقود فى معرفه الوجود (ص ۶۳۶): و اذا تحقّق هذا و ثبت أنّ الوجود المطلق موجود فى الخارج و ليس لغيره وجود أصلا، و ثبت أنّ هذا الوجود المطلق هو الحقّ تعالى فاعلم أنّ مرادهم بالوجود من حيث هو الوجود، الوجود الصرف و الذات البحت الخالص بلا اعتبار شىء معه أصلا أعنى تصوّره من حيث هو هو لا بشرط الشىء و لا بشرط اللا شىء أى مجردا عن جميع النسب و الإضافات و القيود و الاعتبارات.

و معلوم أنّ كلّ شىء له اعتباران: اعتبار الذات من حيث هى هى، و اعتبارها من حيث الصفات أى وصفها بصفه مّا أيّه صفه كانت، فهذا هو اعتبار الذات فقط أعنى اعتبار الذات بقطع النظر عن جميع الاعتبارات و الإضافات المخصوصه بالحضره الأحديّه و أنّ مرادهم بالمطلق هو الذات المطلقه المنزّهه عن جميع هذه الاعتبارات، و ليس اطلاق لفظ المطلق على الوجود الصرف إلّا من هذه الحيثيّه لا من جهه المطلق الّذى هو بازاء المقيد، و لا من جهه الكلى الّذى هو بازاء الجزئى، و لا من جهه العام الذى هو بازاء الخاص لأنه - أى الوجود الصرف - من حيث هو غنىّ عن إطلاق شىء عليه اسما كان أو صفه، سلبا كان أو ثبوتا، إطلاقا كان أو تقييدا، عامّا كان أو خاصّا، لأنّ كلّ واحد منها - اى من هذه الامور المتقابله - يقتضى سلب الاخر، أو يقتضى التقيّد و التعيّن فيه، و هو أعنى الوجود المطلق المحض منزّه عن الكلّ حتّى عن الإطلاق و عدم الإطلاق لأنّ الإطلاق تقييد يقيّد الإطلاق، كما أنّ اللّا إطلاق قيد بعدم الاطلاق و كذلك التعيّن و اللّا تعيّن و غير ذلك من الصفات كالوجود و القدم و العلم و القدره و أمثالها.

و عن هذا التنزيه و التقديس الشريف أخبر مولانا و إمامنا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فى قوله: أوّل الدين معرفته - إلخ و الغرض

أنّ كلّ ذلك إشاره إلى إطلاقه و تجرّده و تنزّهه و تقدّسه عن الكثره الوجوديّه و الإعتباريّه، لأنّ قوله عليه السّلام و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه إشاره إلى الوجود المطلق المحض و الذات البحت الخالص الّذى لا يمكن وصفه بشىء أصلا و لا يكون قابلا للإشاره أبدا كما أشار إليه عليه السّلام فى موضع آخر فى قوله:

الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره.

قلت: قوله عليه السّلام: الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره، بعض حديث الحقيقه المخاطب به كميل بن زياد رضوان اللّه عليه سأله عليه السّلام عن الحقيقه بقوله: ما الحقيقه ؟ قال عليه السّلام: مالك و الحقيقه ؟! قال: أ و لست صاحب سرّك ؟ قال: بلى، و لكن يرشح عليك ما يطفح منّى، قال: أو مثلك يخيّب سائلا؟! قال: الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره، قال: زدنى فيه بيانا، قال:

محو الموهوم مع صحو المعلوم، قال: زدنى فيه بيانا، قال: هتك الستر لغلبه السرّ قال: زدنى فيه بيانا، قال: جذب الأحديّه بصفه التوحيد، قال: زدنى فيه بيانا قال: نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل آثاره، قال: زدنى فيه بيانا قال: أطف السراج فقد طلع الصبح.

نقله العارف المذكور فى جامع الأسرار ص ۱۷۰ و شرحه فى عدّه مواضع من ذلك الكتاب، و العلاّمه الشّيخ البهائى فى الكشكول و القاضى نور اللّه الشهيد نوّر اللّه مرقده فى مجالس المؤمنين و العارف الشّيخ عبد الرزاق اللاّهجى فى شرح گلشن راز، و الخوانسارى فى روضات الجنّات، و المحدّث القمّى فى سفينه البحار و غيرهم من أساطين الحكمه و العرفان فى صحفهم القيّمه، و شرحه العلاّمه قطب الدين الشيرازى فى رساله معموله فى ذلك فقط ، و شرحه أيضا بعض أساتيذنا بالنظم الفارسى و لقد أحسن و أجاد، ألا و هو العارف الرّبانى محيى الدّين مهدى الالهى القمشئى أدام اللّه أيّام إفاضاته.

و قال العارف الاملى المذكور فى جامع الأسرار فى تعريف التوحيد: اعلم أنّ حقيقه التوحيد أعظم من أن يعبّر عنها بعباره أو يؤمى إلى تعريفها بإشاره

فالعباره فی طریق معرفتها حجاب، و الإشاره علی وجه إشراقها نقاب، لأنّها یعنی حقیقه التوحید منزّهه عن أن تصل إلی کنهها العقول و الأفهام، مقدّسه عن أن تظفر بمعرفتها الأفکار و الأوهام، شعر:

تجول عقول الخلق حول حمائها و لم یدرکوا من برقها غیر لمعه

و إلی صعوبه إدراکها یعنی حقیقه التوحید و شدّه خفائها أشار مولانا و إمامنا أمیر المؤمنین و یعسوب المسلمین سلطان الأولیاء و الوصیین وارث علوم الأنبیاء و المرسلین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فی قوله: ما وحّده من کیّفه، و لا حقیقته أصاب من مثّله، و لا إیّاه عنی من شبّهه، و لا قصده من أشار إلیه و توهّمه.

و فی قوله: هو الأحد لا بتأویل عدد، و الخالق لا بمعنی حرکه و نصب و السمیع لا بأداه، و البصیر لا بتفریق آله، و الشاهد لا بمماسّه، و البائن لا بتراخی مسافه، و الظاهر لا برؤیه، و الباطن لا بلطافه، بان من الأشیاء بالقهر لها و القدره علیها، و بانت الأشیاء منه بالخضوع له و الرجوع إلیه، من وصفه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من عدّه فقد أبطل أزله، و من قال کیف فقد استوصفه، و من قال أین فقد حیّزه، عالم إذ لا معلوم، و ربّ إذ لا مربوب و قادر إذ لا مقدور.

و فی قوله: أوّل الدین معرفته - إلخ.

و کذلک الشّیخ العارف الشبلی البغدادی رحمه اللّه علیه فی قوله: من أجاب عن التوحید بعباره فهو ملحد، و من أشار إلیه باشاره فهو زندیق، و من أومی إلیه فهو عابد وثن، و من نطق فیه فهو غافل، و من سکت عنه فهو جاهل، و من وهم أنّه إلیه واصل فلیس له حاصل، و من ظنّ أنّه منه قریب فهو عنه بعید، و من به تواجد فهو له فاقد، و کلّ ما میّزتموه بأوهامکم و أدرکتموه بعقولکم فی أتمّ معانیکم فهو مصروف مردود إلیکم، محدث مصنوع مثلکم.

و لیس مرادهم من هذه الإشارات الامتناع من حصوله، و لا الیأس من وصوله بل المراد منها إعلاء أعلام منزلته، و ارتفاع أرکان درجته، و بیان أنّه لیس

بقابل للإشاره و لا- بمحلّ للعباره، لأنّه عباره عن الوجود المطلق المحض و الذات الصرف البحت المسمّى بالحقّ جلّ جلاله الّذى لا- يقبل الإشاره أصلا و رأسا و لا- العباره قولا و فعلا و ذلك لا يكون إلّا عند فناء الطالب فى المطلوب و الشاهد فى المشهود و حين الاستغراق و الاستهلاك فى المطلق المحيط و لا شكّ أنّه لا يبقى مع ذلك لا الإشاره و لا المشير، و لا من الغير أثر فى العقل و الضمير.

و إليه أشار الإمام عليه السّلام بقوله أيضا: «الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره» اظهارا بأنّه لا ينكشف الحقّ حقيقه على أحد إلاّ- عند ارتفاع الكثره مطلقا اسما كان أو صفه و لهذا قال سبحات الجلال بدون الجمال لأنّ الجمال مخصوص بالأسماء و الصفات الّتى هى منشأ الكثره لا الجلال، انتهى ما أردنا من نقل كلام العارف السيّد حيدر الاملى قدّس سرّه الشريف فى التوحيد الذاتى.

و الشّيخ العارف المحقّق أبو إسماعيل خواجه عبد اللّه بن إسماعيل الأنصارى الهروى قد ذكر فى آخر كتابه الموسوم بمنازل السائرين بابا مفردا فى التوحيد و قسمه على ثلاثه أوجه، و قد بذل الجهد فى ذلك جدّا، و لكنّه موجز يحتاج إلى البيان و قد شرح ذلك الكتاب المولى العارف المحقّق كمال الدّين عبد الرزّاق الكاشانى يفضل ذلك الشرح على سائر الشروح كفضله على سائر الشراح، و ذلك الباب باب إلى ما كنّا فى صدده، و قد أشار الشارح المذكور إلى المتن بحرف الميم، و إلى الشرح بحرف الشين فنأتى بالباب على هديه و طريقته من غير تغيير وضعه و اسلوبه و هو مايلى:

(م) باب التوحيد، قال اللّه تعالى: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ ».

(ش) إنّما خصّ بعض الايه بالذكر لأنّ هذا محض التوحيد الجمعى و هو أن لا يكون معه شىء فلو ذكر و الملائكه و اولو العلم لكان نزولا عن الجميع إلى الفرق فيكون معه غيره فلا يبقى التوحيد المحض فهو الشاهد بنفسه لنفسه فلم يشهد أن لا إله إلّا هو غيره فمن تحقّق هذا بالذوق فقد شهد التوحيد بالحقيقه.

(م) التوحيد تنزيه اللّه عزّ و جلّ عن الحدث و إنّما نطق العلماء بما نطقوا به

و أشار المحقّقون بما أشاروا إليه فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد و ما سواه من حال أو مقام فكلّه مصحوب العلل.

(ش) قوله: التوحيد تنزيه اللّه عزّ و جل عن الحدث. مجمل يتناول تنزيه العقلاء من الحكماء و المسلمين، و تنزيه العرفاء الموحّدين لأنّ جميع العقلاء و أهل الفكر يدّعون تنزيه اللّه تعالى مع كونهم مقيّدين لأنّ العقل لا يقول إلاّ بالتقييد و يثبتون الحدث و ينفونه عن الحقّ تعالى و ينزّهونه عنه، و أما العرفاء المحقّقون فلا يثبتون الحدث أصلا و رأسا فإنّ شهود التوحيد ينفيه عن أصله ثمّ يثبته بعد نفيه بالحقّ بمعنى تجلّى الحقّ مع الايات بوجوهه فى الصّور فيكون الحدوث عندهم ظهوره فى الصّور المختلفه بالتجلّيات المتعاقبه الغير المتكرّره.

و مراد الشّيخ قدّس اللّه روحه هذا التنزيه و لا يهتدى العقل إلى طريق التوحيد الّذى لا يكون فيه مع الحقّ سواه و لا يرى الحقّ عين الكلّ و لا يرى الحقّ عين الكلّ بحيث لا يكون فى الوجود شيء غيره.

و إنما نطق العلماء بما نطقوا به و أشار المحقّقون إلى ما أشاروا إليه فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد أى ما نطقوا و ما أشاروا إلاّ لقصد تصحيح هذا المقام السنّى لأنّه المقصد الأقصى و الموقف الأعلى و ما دون ذلك من الأحوال و المقامات فكلّه مصحوب العلل لا صحّه لها لبقاء الرسوم فيها و لو فى الحضره الواحديّه و التجلّيات الأسمائيه هذا ما ذهب إليه خاطرى.

و وجه آخر مبنىّ على أنّ «ما» فى إنّما نطق موصوله حقها أن تكتب مفصوله على معنى أنّ كلّ ما نطق به العلماء و أشار إليه المحقّقون لقصد تصحيح التوحيد و ما سواه من الأحوال و المقامات فكلّه مصحوب العلل لا يخلو منها يعنى أنّ التوحيد بالعلم لا يخلص عن العلل و كذا إثبات الأحوال و المقامات بطريق العلم و إشارات المحقّقين لا يخلو من العلل فإنّها مواجيد ذوقيّه لا تندرج تحت العبارات و لا يحيط به الإشارات و لا تفى ببيانها الكلمات و العلل هى الجهالات.

(م) و التوحيد على ثلاثه وجوه: الوجه الأوّل توحيد العامه الّذى يصحّ

بالشواهد، و الوجه الثانى توحيد الخاصّه و هو الّذى يثبت بالحقائق، و الوجه الثالث توحيد قائم بالقدم و هو توحيد خاصّه الخاصّه.

(ش) الشواهد هى الأكوان و المصنوعات الّتى يستدلّ بها على المكوّن الصانع و بالجمله الدلائل الّتى يستدلّ بها العلماء بالنظر و الفكر و براهين العقل فتوحيد العامّه إنّما يصحّ بالإستدلال مثل قوله تعالى: «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَهٌ إِلَّا اللّهُ لَفَسَدَتا »، و لكن ما فسدتا فليس فيهما آلهه غير اللّه و أمثال ذلك.

و أما توحيد الخاصّه و هم المتوسطون فهو الذى يثبت بالحقائق المذكوره فى القسم التاسع و هى المكاشفه و المشاهده و المعاينه و الحياه و القبض و البسط و السكر و الصحو و الإتّصال و الانفصال.

و أما توحيد خاصّه الخاصّه فهو التوحيد القائم بالقدم يعنى توحيد الحقّ لنفسه أزلا و أبدا كما قال: شهد اللّه أنّه لا إله إلّا هو، و قيامه بالقدم أزليّه و امتناع قيامه بالحدث و إلّا كان مثبتا للغير فلم يكن توحيدا و أهل هذا المقام هم المذكورون فى الدرجه الثالثه من كل باب من أبواب أقسام النهايات.

(م) فأما التوحيد الأوّل فهو شهاده أن لا إلّا اللّه وحده لا شريك له الأحد الصمد الّذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، هذا هو التوحيد الظاهر الجليّ الّذى نفى الشرك الأعظم و عليه نصبت القبله، و به وجبت الذمّه، و به حقنت الدّماء و الأموال، و انفصلت دار الإسلام عن دار الكفر، و صحّت به الملّه العامّه و إن لم يقوموا بحقّ الاستدلال بعد أن سلموا من الشّبهه و الحيره و الريبه بصدق شهاده صحّحها قبول القلب.

(ش) هذا ظاهر غنىّ عن الشرح و هو أصل التوحيد التقليدى الّذى صحّت به الملّه للعامّه بصدق شهاده صحّحها فى الشرع قبول قلوبهم لها تقليدا و إن لم يقدروا على الاستدلال بعد أن لم تعتورهم الشّبهه و الحيره و الشك و سلمت قلوبهم من ذلك.

(م) هذا توحيد العامّه الّذى يصحّ بالشواهد، و الشواهد هى

الرساله و الصنائع.

(ش) أى الأخبار الّتى وردت بها الرساله و المصنوعات المتقنه المحكمه الدالّه بحسن صنعتها و إتقانها على وجود الصّانع و علمه و حكمته و قدرته.

(م) يجب بالسمع و يوجد بتبصير الحقّ و ينمو على مشاهده الشواهد.

(ش) أى يجب قبول هذا التوحيد بالأدلّه السمعيّه و هى أخبار الكتاب و السنّه الّتى يسمعها من النّبى صلى اللّه عليه و آله كقوله: فاعلم أنّه لا إله إلاّ اللّه. و قوله:

و إلهكم إله واحد، و شهد اللّه، و سوره الإخلاص و أمثالها، و لا توجد حقيقته و حلاوته و إدراك معناه إلاّ بتبصير الحقّ إيّاه بنوره المقذوف فى قلب المؤمن و يزيد و ينمو بالمواظبه على مشاهده الشواهد بنظر الإعتبار و التفكّر فيها و مطالعه حكمه صانعها فى أحوالها.

(م) و أمّا التوحيد الثانى الّذى يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصّه و هو إسقاط الأسباب الظاهره و الصعود عن منازعات العقول و عن التعلّق بالشواهد و هو أن لا تشهد فى التوحيد دليلا، و لا فى التوكل سببا، و لا للنّجاه وسيله.

(ش) إسقاط الأسباب الظاهره هو أن لا يعلّق المسبّبات بالأسباب المعروفه بين الناس و لا يرى لها تأثيرا و لا لغير الحقّ فعلا، و يشهد بالحقيقه أن لا مؤثّر إلاّ اللّه، و الصعود عن منازعات العقول هو الترقّى إلى مقام الكشف و التخلّص عن منازعات العقول أحكام الشرع لعماها عن حكمها، و احتجابها بقياساتها، و عن منازعات بعض العقول بعضا، و مجادلاتها فى الأحكام لثبوت الأوهام إيّاها، و معارضاتها فى المناظرات باتّهامها فى الأحكام (بإتمامها فى الأحكام - خ ل) و تصفيه الباطن عن المخالفات و المجادلات مجاوزا طور العقل إلى نور الكشف و عن التعلّق بالشواهد أى الصعود عن طور الاستدلال و التمسّك بالأدلّه استغناء عنها بنور التجلّى و العيان.

قوله: «و هو» إشاره إلى الصعود عن التعلق بالشواهد أى و ذلك الصعود أن لا تشهد فى التوحيد دليلا فيكون التوحيد عندك أجلى من كلّ دليل فإنّ نور

الحقّ إنما لا يدرك لشدّته و قوّه نوريّته كما قيل، شعر:

خفىّ لإفراط الظهور تعرّضت لإدراكه أبصار قوم أخافش

«و لا فى التوكّل سببا» أى و أن لا تشهد فى التوكّل سببا لقوّه يقينك فى أن لا مؤثّر إلّا اللّه و رؤيتك الأفعال كلّها منه فيتلاشى الأسباب فى المسبّب فى شهودك لشهودك التّأثير منه دون السبب «و لا للنّجاه وسيله» أى و أن لا تشهد للنّجاه من العذاب و العقوبه و الطرد وسيله من الأعمال الصالحه و الحسنات.

(م) فتكون مشاهدا سبق الحقّ بحكمه و علمه و وضعه الأشياء مواضعها و تعليقه إيّاها بأحايينها، و إخفائه إيّاها فى رسومها و تحقّق معرفه العلل و تسلك سبيل إسقاط الحدث هذا توحيد الخاصّه الّذى يصحّ بعلم الفناء و يصفو فى علم الجمع و يجذب إلى توحيد أرباب الجمع.

(ش) أى فتكون أنت مشاهدا أنّ الحقّ سبق بحكمه على الأشياء بما هى عليه فى الأزل فلا تكون إلّا كما حكم به، و كذا سبق بعلمه و تقديره الأشياء على ما هى عليه، و حكمه تعالى على الأشياء تابع لعلمه فتكون الأشياء على مقتضى سابق علمه و قضائه، «و وضعه الأشياء مواضعها» أى و تكون مشاهدا لوضع الحقّ تعالى كلّ شىء فى موضعه بتقديره و حكمته فى الأزل، و كذا تشاهد «تعليقه إيّاها بأحايينها» فلا تقع إلّا فى الوقت الّذى قدر وقوعها فيه، «و اخفائه إيّاها فى رسومها» أى و تكون مشاهدا سبق الحقّ بإخفائه الأشياء فى رسومها عن أعين المحجوبين فإنّهم لا يرون أنّها بفعل الحقّ و حكمه و تقديره فى القضاء السابق جاريه على مجراها فينسبونها إلى أسبابها و مقتضيات رسومها الخلقيّه و طبائعها و أوقاتها، فيجعلون لكلّ تغيّر حال من أحوالها سببا، و يحتجبون بها عن التصرّف الالهىّ و التقدير الأزلىّ ، و ذلك هو إخفاؤها فى الرسوم.

قوله «و تحقّق» عطف على «فتكون» أى فتكون مشاهدا و تحقّق معرفه العلل و هى الوسائط و إسناد أحوالها إلى ما سوى اللّه تعالى من الأسباب و الرسوم الخلقيه من الطبايع و اختيار الخلق و إرادتهم و قدرتهم و إلى حركات الأفلاك

و أوضاع الكواكب و أمثالها، و كلّ ذلك علل يحتجب أهل العادات عن اللّه تعالى و توحيده.

و أما العرفاء الموحّدون فهم يعرفون هذه العلل و يسقطون الحدث و يسلكون سبيل علم القدم بإسقاط الحدث فلا يرون إلاّ سابقه حكم الأزل فيكونون مع الحقّ فى جريان الأحول و يشهدون تصريفاته للأشياء بفعله على مقتضى حكمه و تقديره و حكمته الأزليّه و قدرته و إرادته الأوليّه فيشاهدون الحقّ و أسماءه و صفاته لا غير.

هذا توحيد الخاصّه أى المتوسطين الّذى يصحّ بعلم الفناء لا بنفس الفناء الاتى بعده فإنّ علم الفناء يحصل بالفناء فى حضره الصفات و الأسماء أى الحضره الواحديّه قبل الفناء فى الذات الأحديّه الّتى هى عين الجمع و يصفو بعلم الجمع لا بعين الجمع و اضمحلال الرسوم بل قبله عند فناء علمه فى علم الحقّ و يجذب إلى توحيد أرباب الجمع الّذى يأتى فى قوله.

(م) و أما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصّه اللّه لنفسه و استحقّه بقدره و ألاح منه لائحا إلى أسرار طائفه من صفوته، و أخرسهم من نعته و أعجزهم عن بثّه.

(ش) اختصّه اللّه لنفسه أى استأثره اللّه به ليس لغيره منه نصيب و لا فيه قدم لأنّه إنّما يتحقّق بفناء الحقّ كلّهم و بقاء الحقّ وحده فلا يمكن لغيره عنه عباره و لا إليه إشاره و لا شىء من أحكام الخلق و أوصافهم يصل إليه لحصوله بفنائهم و استحقّه بقدره أى لا يستحقّه بمقدار كنهه و حقيقته إلاّ هو و لا يبلغه غيره و ما قدروا اللّه حقّ قدره، و ألاح منه لائحا إلى أسرار طائفه من صفوته حال البقاء بعد الفناء فى عين الجمع لأنّهم حال الفناء قد استغرقوا فيه فانين عن أسرارهم غائبين عنها، و فى حال البقاء ردّوا إلى الخلق باقين به فعرفوا أنّ الحضره الأحديّه لا نعت لها و كلّ ما ينعت به فهو من الحضره الواحديّه فأخرسهم اللّه عن نعته لا بمعنى أنهم يعرفون نعته فمنعهم عن التكلّم به بل لأنّهم عرفوا أنّ حضره النعوت تحت مقام الجمع فهو كقوله: شعر: على لا حب لا يهتدى بمناره، و كذا معنى قوله:

«و أعجزهم عن بثّه» أى عن إظهار ذلک اللآئح و الإخبار به لأنّه لا يقبل الإخبار عنه كما لا يقبل النعت.

(م) و الذى يشار به إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث و إثبات القدم، على أنّ هذا الرمز فى ذلک التوحيد علّه لا يصحّ ذلک التوحيد إلّا باسقاطه.

(ش) «و الّذى يشار به إليه» مبتداء، خبره «أنّه إسقاط الحدث» أى و أحسن ما يشار به إلى هذا التوحيد و ألطفه هو هذا الكلام المرموز، مع أنّ هذا الرمز فى ذلک التوحيد علّه لا يصحّ ذلک التوحيد إلّا باسقاطه فانّ الحدث لم يزل ساقطا، و إنّ القدم لم يزل ثابتا، فما معنى إسقاط ذلک و إثبات هذا و من المسقط و المثبت و ما ثمّ إلّا وجه الحقّ تعالى ؟ فهذه علّه و هؤلاء ظنوا أنّهم قد حصّلوا تعريفه و ليسوا فى حاصل.

(م) هذا قطب الإشاره إليه على ألسن علماء هذا الطريق و إن زخرفوا له نعوتا و فصّلوه فصولا فإنّ ذلک التوحيد يزيده العباره خفاء، و الصفه نفورا و البسط صعوبه.

(ش) «هذا» أى قولهم إسقاط الحدث و إثبات القدم قطب مدار الإشاره إلى هذا الطريق و أعظم الإشارات و أحكمها و هو مع ذلک معلول يجب إسقاطه فى تصحيح هذا التوحيد و الباقى من المتن ظاهر.

(م) و إلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضه و أرباب الأحوال و المعارف و له قصد أهل التعظيم و إيّاه عنى المتكلّمون فى عين الجمع، و عليه تصطلم الإشارات ثمّ لم ينطق عنه لسان و لم يشر إليه عباره فإنّ التوحيد وراء ما يشير إليه مكوّن، أو يتعاطاه حين، أو يقلّه سبب.

(ش) «و إلى هذا التوحيد شخص» أى ذهب «أهل الرياضه» السالكون «و عليه تصطلم الإشارات» أى تنقطع و تستأصل «فإنّ التوحيد وراء ما يشير إليه مكوّن» أى مخلوق، لأنّه لا يصحّ إلّا بفناء الرسوم كلّها و صفاء الأحديّه عن

الکثیره العددیه فلا مجال للإشاره فیه، «أو یتعاطاه حین» أی وراء ما یتداوله زمان لأنّه فی عین القدم فوق طور الزمان و الحدث، «أو یقلّه سبب» أی وراء ما یحمله سبب لأنّه قائم بمسبّب الأسباب وحده فکیف یحمله سبب ؟ و کلامه ظاهر لا یحتاج إلی الشرح.

(م) و قد أجبت فی سالف الزمان سائلا سألنی عن توحید الصوفیّه بهذه القوافی الثلاث:

ما وحّد الواحد من واحد إذ کلّ من وحّده جاحد

توحید من ینطق عن نعته عاریه أبطلها الواحد

توحیده إیّاه توحیده و نعت من ینعته لاحد

(ش) یعنی ما وحّد الحقّ تعالی حقّ توحیده الذّاتی أحد إذ کلّ من وحّده أثبت فعله و رسمه بتوحیده فقد جحده باثبات الغیر إذ لا توحید إلّا بفناء الرسوم و الاثار کلّها «توحید من ینطق من نعته عاریه» إذ لا نعت فی الحضره الأحدیه و لا نطق و لا رسم لشیء و النطق و النعت یقتضیان الرسم و کلّ ما یشمّ منه رائحه الوجود فهو للحقّ عاریه عند الغیر فیجب علیه ردّها إلی مالکها حتّی یصحّ التوحید و یبقی الحقّ واحدا واحدا فلذلک أبطل الواحد الحقیقی تلک العاریه الّتی هی ذلک التوحید مع بقاء رسم الغیر فإنّه باطل فی نفسه فی الحضره الأحدیّه «توحیده إیّاه توحیده» أی توحید الحقّ ذاته بذاته هو توحیده الحقیقی «و نعت من ینعته لاحد» أی وصف الّذی یصفه هو أنّه مشرک جائز عن طریق الحقّ مائل عنه لأنّه أثبت النعت و لا نعت ثمّه و أثبت رسمه باثبات النعت و لا رسم لشیء فی الحضره الأحدیّه و لا أثر و إلّا لم تکن أحدیه، انتهی.

فإن قلت: إنّ ما استفید ممّا تقدّم فی معنی التوحید أنّه تعالی أحد لا بتأویل عدد، کما صرّح به الأمیر علیه السّلام فی کلامه المذکور آنفا و قد قال سیّد الساجدین و زین العابدین علیّ بن الحسین علیهما السّلام فی الدّعاء الثامن و العشرین من الصحیفه السّجادیّه و هو کان من دعائه علیه السّلام متفزعا إلی اللّه عزّ و جلّ : «لک یا

إلهی وحدانیّه العدد، و ملکه القدره الصمد، و فضیله الحول و القوّه، و درجه العلوّ و الرّفعه، و من سواک مرحوم فی عمره، مغلوب علی أمره، مقهور علی شأنه، مختلف الحالات، متنقل فی الصفات، فتعالیت عن الأشباه و الأضداد و تکبّرت عن الأمثال و الأنداد، فسبحانک لا إله إلّا أنت».

فکیف التوفیق بین قوله علیه السّلام: لک یا إلهی وحدانیّه العدد، و بین ما مرّ من أنّ اللّه تعالی منزّه عن الوحده العددیّه ؟.

قلت: قد أفاد العالم المحقّق صدر الدّین المعروف بالسیّد علی خان رضوان اللّه علیه فی شرحه ما أتلوه علیک أوّلا ثمّ أذکر ما عندی، قال رحمه اللّه تعالی:

تقدیم المسند لإفاده قصر المسند إلیه علیه، أی لک وحدانیّه العدد لا تتخطّاک إلی غیرک، و وحدانیّه الشیء کونه واحدا لأنّ یاء النسب إن الحقت آخر الاسم و بعدها هاء التأنیث أفادت معنی المصدر کالالوهیه و الربوبیه و الألف و النون مزیدتان للمبالغه.

و العدد قیل: هو کثره الاحاد و هی صوره تنطبع فی نفس العادّ من تکرار الاحاد، و علی هذا فالواحد لیس عددا، و قیل: هو ما یقع جوابا لکم فیکون الواحد عددا.

و قد اختلف أقوال الأصحاب فی معنی قوله علیه السّلام: لک یا إلهی وحدانیّه العدد، لمنافاتها ظاهرا وجوب تنزیهه تعالی عن الوحده العددیّه نقلا و عقلا.

أمّا النقل فمستفیض من أخبارهم علیهم السّلام و منه قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبه له: الواحد بلا تأویل عدد، و قوله فی خطبه اخری: واحد لا بعدد و دائم لا بأمد.

و منه ما رواه رئیس المحدّثین فی کتاب التوحید أنّ أعرابیا قام یوم الجمل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال یا أمیر المؤمنین أتقول انّ اللّه واحد؟ فحمل الناس علیه و قالوا: یا أعرابی أما تری ما فیه أمیر المؤمنین من تقسیم القلب ؟ فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: دعوه فإنّ الّذی یریده الأعرابی هو الّذی نریده من القوم

ثم قال: يا أعرابى إنّ القول بأنّ اللّه تعالى واحد على أربعه أقسام فوجهان منها لا يجوزان على اللّه عزّ و جلّ ، و وجهان يثبتان فيه:

فأما اللّذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأنّ ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد، أما ترى أنّه كفر من قال ثالث ثلاثه ؟.

و قول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه و جلّ ربّنا عن ذلك و تعالى.

و أما الوجهان اللّذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له فى الأشياء شبه كذلك ربّنا، و قول القائل: إنّه عزّ و جلّ أحدى المعنى يعنى به أنّه لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم كذلك ربّنا عزّ و جلّ .

و أما العقل فلأنّ الوحده العدديّه إنّما تتقوّم بتكرّرها الكثره العدديّه و يصحّ بحسبها أن يقال إنّ المتصف بها أحد أعداد الوجود أو أحد آحاد الموجودات و عزّ جنابه سبحانه أن يكون كذلك، بل الوحده العدديّه و الكثره العدديّه الّتى هى فى مقابلتها جميعا من صنع وحدته المحضه الحقيقيّه الّتى هى نفس ذاته القيّومه و هى وحده حقّه صرفه وجوبيّه قائمه بالذات لا مقابل لها و من لوازمها نفى الكثره كما أشار إليه أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه فى الحديث المذكور آنفا أنه أحدى المعنى لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ قوله عليه السّلام: لك يا إلهى وحدانيّه العدد، ليس مرادا به الوحده العدديّه بل لا بدّ له من معنى آخر يصحّ تخصيصه به تعالى و قصره عليه كما يقتضيه تقديم المسند على المسند إليه.

فقال بعضهم: المراد به نفى الوحده العدديّه عنه تعالى لا إثباتها له، و هو غير ظاهر.

و قيل: معناه انّ لك من جنس العدد صفه لوحده و هو كونك واحدا لا شريك لك و لا ثانى لك فى الربوبيّه.

و قيل: معناه إذا عددت الموجودات كنت أنت المتفرد بالوحدانيّه من بينها.

و قيل: اريد به أنّ لك وحدانيّه العدد بالخلق و الإيجاد لها فإنّ الوحده العدديّه من صنعه و فيض وجوده وجوده و لا يخفى أنه بمعزل عن المقام.

و قال بعضهم: أراد بوحدانيّه العدد جهه وحده الكثرات و أحديه جمعها لا إثبات الوحده العدديّه له تعالى.

و قيل: معناه أنّه لا كثره فيك أى لا جزء لك و لا صفه لك يزيدان على ذلك و هو أنسب المعانى المذكوره بالمقام، و توضيح المراد أنّ قوله عليه السّلام لك يا إلهى وحدانيّه العدد يفسّره قوله عليه السّلام: و من سواك مختلف الحالات متنقل فى الصفات فإنّه عليه السّلام قابل كلّ فقره من الفقرات الأربع المتضمّنه للصفات الّتى قصرها عليه سبحانه بفقره متضمّنه لخلافها فمن سواه على الطريق اللّف و النشر الّذى يسمّيه أرباب البديع معكوس الترتيب و هو أن يذكر متعدد تفصيلا ثمّ تذكر أشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم من غير تعيين ثقه بأنّ السامع يرد كلّ واحد إلى ما يليق به و يكون الأوّل من النشر للاخر من اللف و الثانى لما قبله و هكذا على الترتيب كعباره الدّعاء فإنّ قوله عليه السّلام: مختلف الحالات متنقل فى الصفات راجع إلى قوله: لك يا إلهى وحدانيّه العدد، و قوله: مقهور على شأنه راجع إلى قوله: و ملكه القدره الصمد، و قوله:

مغلوب على أمره راجع إلى قوله: و فضيله الحول و القوّه، قوله: مرحوم فى عمره راجع إلى قوله: درجه العلو و الرفعه.

إذا علمت ذلك ظهر لك أنّ المراد بوحدانيّه العدد له تعالى معنى يخالف معنى اختلاف الحالات و التنقل فى الصفات لغيره سبحانه فيكون المقصود إثبات وحدانيه ما تعدّد من صفاته و تكثر من جهاته و أنّ عددها و كثرتها فى الاعتبارات و المفهومات لا يقتضى اختلافا فى الجهات و الحيثيات و لا تركيبا من الأجزاء بل جميع نعوته و صفاته المتعدّده موجوده بوجود ذاته، و حيثيه ذاته بعينها حيثيه علمه و قدرته و سائر صفاته الإيجابيّه فلا تعدّد و لا تكثر فيها أصلا

بل هى وحدانيه العدد موجوده بوجود واحد بسيط من كل وجه إذ كل منها عين ذاته فلو تعددت لزم كون الذات الواحده ذواتا تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا.

و هذا معنى قولهم واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات فجميع صفاته الإيجابيّه عين ذاته من غير لزوم تكثر.

فإن قلت: كيف تكون صفاته عين ذاته و مفهوم الصفه غير مفهوم الذات ؟ و أيضا فإنّ مفهوم كلّ صفه غير مفهوم صفه اخرى فكيف تتّحد بالذات ؟.

قلت: قد تكون المفهومات المتعدّده موجوده بوجود واحد فالصفات بحسب المفهوم و إن كانت غير الذات و بعضها يغاير بعضها إلّا أنها بحسب الوجود ليست أمرا وراء الذات أعنى أنّ ذاته الأحديه تعالى شأنه هى بعينها صفاته الذاتيه بمعنى أنّ ذاته بذاته وجود و علم و قدره و حياه و سمع و بصر، و هى أيضا موجود عالم قادر حىّ سميع بصير يترتّب عليها آثار جميع الكمالات و يكون هو من حيث ذاته مبدء لها من غير افتقار إلى معان اخر قائمه به تسمّى صفاتا تكون مصدرا للاثار لمنافاته الوحده و الغناء الذاتيين و الإختصاص بالقدم فذاته صفاته و صفاته ذاته لا زائده عليها كصفات غيره من المخلوقين فإنّ العلم مثلا فى غيره سبحانه صفه زائده على ذاته مغايره للسمع فيه و فيه نفسه تعالى و هو بعينه سمعه و قس على ذلك سائر الصفات الثبوتيه.

فتبيّن أنّ المراد بقصر وحدانيه العدد عليه تعالى هذا المعنى المخالف لصفات من سواه و حالاته فانّها كيفيات نفسانيّه انفعاليّه و حالات متغايره و معان مختلفه له إذ كان يسمع بغير ما يبصر، و يبصر بغير ما يسمع إلى غير ذلك من صفاته المتعدّده المتكثّره الّتى توجب اختلاف الحالات و التنقل فى الصفات و بالجمله فمعنى قصر وحدانيه العدد عليه سبحانه نفى التعدّد و التكثّر و الاختلاف عن الذات و الصفات على الاطلاق، و هذا المعنى مقصور عليه تعالى لا يتجاوزه إلى غيره، و اللّه أعلم بمقاصد أوليائه، و فى المقام كلام طويل طويناه على عزّه. انتهى كلامه رفع مقامه.

ص:۲۶۰

أقول: أوّلاـ إنّ حديث الأعرابى يوم الجمل قد نقله العلاّمه الشّيخ بهاء الدّين قدّس سرّه أيضا فى أوائل المجلّد الثالث من الكشكول (ص ۲۵۸ من طبع نجم الدوله) من كتاب أعلام الدّين تأليف أبى محمّد الحسن بن أبى الحسن الديلمى، عن مقداد بن شريح البرهانى، عن أبيه قال: قام رجل يوم الجمل إلى علىّ عليه السّلام - إلخ، و ثانيا الحكم فى اصول العقائد و المعيار فيها هو العقل فحسب فما حكم به العقل الناصع فهو المتّبع فاذا ورد أمر من أهل بيت الوحى و خزنه أسرار اللّه فإن كان ممّا يدركه العقل، و إلاّ فإن عجز عن إدراكه فإمّا كان العجز من حيث إنه كلام عال سام لا تبلغه العقول بلا تلطيف سرّ و تدقيق فكر و نور علم فلاـ بدّ من الورود فيها من أبوابها، أو من حيث إنّ ظاهره ينافى حكم صريح العقل فلا بدّ من التأمّل فيه حقّ التأمّل لأنّ الكلام حينئذ ليس محمولا على ظاهره قطعا و ذلك للعلم القطعى بأنّ ما صدر عن أولياء اللّه تعالى لا سيّما عن حججه و وسائط فيضه ليس ما ينافى حكم العقل واقعا بل منطقهم عقل ليس إلاّ، فما يحرى على الفاحص مغزا كلامهم، و المستفيد من مأدبه مرامهم أن يسأل اللّه تعالى فهم ما أفاضوه، و نيل ما أفادوه، فقد روى ثقه الإسلام الكلينى فى باب فيما جاء أنّ حديثهم صعب مستصعب من كتاب الحجّه من اصول الكافى بإسناده عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السّلام قال:

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: إنّ حديث آل محمّد صعب مستصعب لاـ يؤمن به إلاّ ملك مقرّب أو نبىّ مرسل أو عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمّد صلى اللّه عليه و آله فلانت له قلوبكم و عرفتموه فاقبلوه، و ما اشمأزّت منه قلوبكم و أنكرتموه فردّوه إلى اللّه و إلى الرسول و إلى العالم من آل محمّد صلى اللّه عليه و آله و إنما الهالك أن يحدّث أحدكم بشىء منه لاـ يحتمله فيقول: و اللّه ما كان هذا، و اللّه ما كان هذا و الإنكار هو الكفر (۳۳۰ ج ۱ من الكافى المشكول) و قريب منه ما قد أتى به السيّد الرضى عن أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فى الخطبه ۱۸۷ من النهج أوّلها: فمن الإيمان ما يكون ثابتا مستقرا فى القلوب.

فنقول: العقل حاكم على أنّه تعالى ليس بواحد عدديّ أى شخصيّ لأنّ

ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد و الوحده العدديّه معروضها هويّات آحاد عالم الإمكان، على أنّه قد تحقق فى محلّه أنّ العدد لا يعرض المفارق العقلى لا بالذات و لا بالعرض و هو عارض للنفوس بواسطه البدن، بل اللّه تعالى واحد بالوحده الحقّه الّتى هى حقّ الوحده إذ لا مهيّه له سوى الوجود البحت البسيط و الوجود هو الوحده القائمه بذاتها و الوحده هى الوجود.

فاعلم أنّ الوحده هى ما يقال به لشىء ما واحد، و العدد هو الكمّيه المتألّفه من الوحدات، كما فى صدر المقاله السابعه من اصول أقليدس، فالوحده ليست بعدد لأنّ العدد ما فيه انفصال لأنّه كمّ و الكمّ يقبل الانقسام و الوحده لا تقبله، و من جعلها عددا أراد بالعدد ما يدخل تحت العدّ، كما قال العلاّمه الخواجه الطوسى فى الصدر المذكور: «و قد يقال لكلّ ما يقع فى مراتب العدّ عدد فيقع اسم العدد على الواحد أيضا بهذا الاعتبار» فالنزاع لفظى، و قد يحدّ العدد بأنّه نصف مجموع حاشيته كالأربعه مثلا حاشيتاها ثلاثه و خمسه و هى نصف مجموعها، فيخرج الواحد منه أيضا.

و الوحده مبدء العدد المتقوم بها فالحق كما صرّح به العلاّمه الشّيخ البهائى فى خلاصه الحساب أنّ الواحد ليس بعدد و إن تألفت منه الأعداد كما أنّ الجوهر الفرد عند مثبتيه ليس بجسم و إن تألّفت منه الأجسام، مثلا أنّ العشره متقومه بالواحد عشر مرّات و ليست متقومه بخمسه و خمسه و لا ـ بستّه و أربعه و لا ـ بسبعه و ثلاثه و لا بثمانيه و اثنين لأن تركّبها من الخمستين ليس بأولى من تركّبها من الستّه و الأربعه و غيرها من أنواع الأعداد الّتى تحتها و لهذا قال الفيلسوف المقدم ارسطاليس - كما فى الخامس من ثالثه إلهيات الشفاء -: لا تحسبنّ أنّ ستّه ثلاثه و ثلاثه بل هو ستّه مره واحده.

و قال الشّيخ فى الفصل المذكور: و حدّ كلّ واحد من الأعداد إن أردت التحقيق هو أن يقال إنّه عدد من اجتماع واحد و واحد و واحد و تذكر الاحاد كلّها و ذلک لأنّه لا يخلو إمّا أن يحدّد العدد من غير أن يشار إلى تركيبه ممّا ركّب منه بل بخاصيه من خواصّه فذلک يكون رسم ذلک العدد لا حدّه من

جوهره، و إمّا أن يشار إلى تركيبه ممّا ركّب منه، فإن اشير إلى تركيبه من عـددين دون الاخر مثلا أن يجعل العشره من تركيب خمسه و خمسه لم يكن ذلک أولى من تركيب سته مع أربعه و ليس تعلق هويّتها بأحدهما أولى من الاخر و هو بما هو عشره مهيه واحده و محال أن تكون مهيه واحده و ما يدلّ على مهيه من حيث هى واحده حدود مختلفه فاذا كان كذلك فحدّه ليس بهذا و لا بذاك بل بما قلنا و يكون إذا كان ذلك كذلك فقد كان له التراكيب من خمسه و خمسه و من سته و أربعه و من ثلاثه و سبعه لازما لذلک و تابعا فيكون هذه رسوما له.

فنقول: كما أنّ الوحده مبدء العدد و ليست منه و تتألف منه الأعداد بكثرتها و لم تجد فى مراتبها المختلفه بعد الفحص و التفتيش غير الوحده و قد علمت أن مفاهيم الأعداد تتحقّق بتكرّر المفهوم الوحده لا غير كذلك الوحده الحقّه الّتى هى حقّ الوحده مبدء للحقائق و بتكرّر تجلّياته تتحقّق الحقائق بلا تكثر فى المتجلّى، و كأنّ ما فى زبور آل محمّد صلى اللّه عليه و آله من أنّ له تعالى وحدانيّه العدد يشير إلى هذا السرّ المكنون و قد سلک أهل السرّ هذا المسلک الأقوم و الطريق الأوسط .

فقال السيّد المحقّق الداماد قدّس اللّه روحه معناه: أنّ الوحده العدديّه ظلّ لوحده الحقّه الصرفه القيّوميه، و قال مولانا محسن الفيض قدس سرّه:

وحدانيّه العدد أى جهه وحده الكثرات و أحديّه جمعها لأنّ العدديّه منتفيه عنه سبحانه تعالى البتّه و إنّما الثابت له معنى الوحده ليس إلاّ الوحده الحقيقيّه كما ثبت فى محلّه عقلا و نقلا.

و قال صدر المتألّهين قدّس سرّه فى الشواهد الربوبيّه: و من اللّطائف أنّ العدد مع غايه تباينه عن الوحده و كون كلّ مرتبه منه حقيقه برأسها موصوفه بخواصّ و لوازم لا توجدان فى غيرها إذا فتّشت فى حاله و حال مراتبه المختلفه لم تجد فيها غير الوحده.

و قال الحكيم المتألّه السبزوارى رضوان اللّه عليه فى الحاشيه: فكلّ عدد من

الأعداد الّتى من النسب الأربع فيه التباين مع الاخر ليس أجزاؤه إلّا الواحد فالاثنان واحد و واحد، و الثلاثه واحد و واحد و واحد و هكذا فالواحد رسم بتكراره الأعداد المتباينه و لو فى غايه التباين، و تكرار الشيء ليس إلّا ظهوره ثانيا و ثالثا بالغا ما بلغ، و ظهورات الشيء ليست مكثره له فاذا ظهر زيد فى البيت مرّه بعد اولى و كرّه غبّ اخرى لم يتعدّد تعدّدا شخصيّا أو نوعيّا، و هذا الواحد لا ـ بشرط صار باللحاظات الكثيره أعدادا متباينه لها أحكام و آثار متخالفه ممّا هى مشروحه فى علم الحساب و علم الأعداد و غيرهما فمفهوم الواحد فى مفاهيم الأعداد كحقيقه الوجود بالنسبه إلى أنحاء الوجودات و لعلّ هذا معنى قول سيّد الساجدين علىّ بن الحسين عليهما السّلام: يا الهى لك وحدانيه العدد، أى لك وحدانيه آيتها الوحدانيه الّتى هى راسمه الأعداد و علّه قوامها و عادّها و مفنيها، انتهى.

و قد نقلنا بيان هؤلاء العظام من تعليقه الحكيم المتأله البارع الاخوند الهيدجىّ على الفريده الثالثه من المقصد الأوّل من غرر الفرائد للمتألّه السبزوارى قدّس سرّهما.

و أنت تعلم أنّ كلامهم مبنىّ على ذلك السرّ المشار إليه و قد بسط القول فيه غير واحد من أجلّه المتألّهين منهم محيى الدّين فى الفصّ الإدريسى من كتاب فصوص الحكم، و منهم المولى صدرا فى الفصل الرابع من المرحله الخامسه من السفر الأوّل من الأسفار الأربعه، و منهم المولى محسن الفيض فى عين اليقين.

و نأتى بكلام الأوّلين تتميما للفائده و تكميلا لها قال أوسطهم: فصل فى بعض الأحكام الوحده و الكثره، انّ الوحده ليست بعدد و إن تألّف منها لأنّ العدد كم يقبل الانقسام و الوحده لا يقبله و من جعل الوحده من العدد أراد بالعدد ما يدخل فى تحت العدّ فلا نزاع معه لأنّه راجع إلى اللفظ بل هى مبدء للعدد لأنّ العدد لا يمكن تقوّمه إلّا بالواحده لا بما دون ذلك العدد من الأعداد فإنّ العشره لو تقويت بغير الوحدات لزم الترجيح من غير مرجّح فإنّ تقوّمها بخمسه و خمسه ليس أولى من تقوّمها بسته و أربعه، و لا من تقوّمها بسبعه و ثلاثه

و التقوم بالجميع غير ممكن و إلّا لزم تكرّر أجزاء المهيّه المستلزم لاستغناء الشيء عمّا هو ذاتى له لأنّ كلّا منها كان فى تقوّمها فيستغنى به عمّا عداه، و إن أخذ تقويمها باعتبار القدر المشترك بين جميعها لا باعتبار الخصوصيّات كان اعترافا بما هو المقصود إذ القدر المشترک بينها هو الوحدات.

و من الشواهد أنّه يمكن تصوّر كل عدد بكنهه مع الغفله عمّا دونه من الأعداد فلا يكون شيء منها داخلا فى حقيقته فالمقوّم لكلّ مرتبه من العدد ليس إلّا الوحده المتكرّره فإذا انضم إلى الوحده مثلها حصلت الاثنينيّه و هى نوع من العدد و إذا انضم إليها مثلاها حصلت الثلاثه و هكذا يحصل أنواع لا تتناهى بتزايد واحد واحد لا إلى نهايه إذا التزايد لا ينتهى إلى حدّ لا يزاد عليه فلا ينتهى الأنواع إلى نوع لا يكون فوقه نوع آخر.

و أمّا كون مراتب العدد متخالفه الحقائق كما هو عند الجمهور فلاختلافها باللوازم و الأوصاف من الصمم و المنطقيّه و التشارک و التباين و العاديّه و المعدوديه و التجذير و الماليه و التكعّب و أشباهها، و اختلاف اللوازم يدلّ على اختلاف الملزومات.

و هذا ممّا يؤيّد ما ذهبنا إليه فى باب الوجود من أنّ الاختلاف بين حقائقها إنّما نشأ من نفس وقوع كلّ حقيقه فى مرتبه من المراتب فكما أنّ مجرّد كون العدد واقعا فى مرتبه بعد الاثنينيّه هو نفس حقيقه الثلاثه إذ يلزمها خواصّ لا توجد فى غيره من المراتب قبلها أو بعدها فكذلک مجرّد كون الوجود واقعا فى مرتبه من مراتب الأكوان يلزمه معان لا توجد فى غير الوجود الواقع فى تلک المرتبه فالوحده لا بشرط فى مثالنا بازاء الوجود المطلق، و الوحده المحضه المتقدّمه على جميع المراتب العدديه بازاء الوجود الواجبى الّذى هو مبدأ كلّ وجود بلا واسطه و مع واسطه أيضا، و المحمولات الخاصّه المنتزعه من نفس كلّ مرتبه من العدد بازاء المهيات المتّحده مع كلّ مرتبه من الوجود، و كما أنّ الاختلاف بين الأعداد بنفس ما به الاتفاق فكذلک التفاوت بين الوجودات بنفس هويّاتها

ص:۲۶۵

المتوافقه فی سنخ الموجودیّه.

و علی ما قرّرنا یمکن القول بالتخالف النوعی بین الأعداد نظرا إلی التخالف الواقع بین المعانی المنتزعه عن نفس ذواتها بذواتها و هی الّتی بازاء المهیات المتخالفه المنتزعه عن نفس الوجودات.

و یمکن القول بعدم تخالفها النوعی نظرا إلی أنّ التفاوت بین ذواتها لیس إلاّ بمجرّد القلّه و الکثره فی الوحدات و مجرّد التفاوت بحسب قلّه الأجزاء و کثرتها فی شیء لا یوجب الاختلاف النوعی فی أفراد ذلک الشیء، و أمّا کون اختلاف اللوازم دلیلا علی اختلاف الملزومات فالحق دلالته علی القدر المشترک بین التخالف النوعی و التخالف بحسب القوّه و الضعف و الکمال و النقص. انتهی کلامه رفع مقامه.

و أمّا ما أفاده فی المقام أوّلهم فی الفصّ الإدریسی، فلمّا کان کشف دقائقه علی طالبیه مبتنیا علی زیاده إیضاح فالحریّ بنا أن نأتی به مع شرح کاشف معضلات کتابه فصوص الحکم داود بن محمود القیصری مشیرا إلی المتن بحرف المیم و إلی الشرح بالشین، کما یلی:

(م) فاختلطت الامور و ظهرت الأعداد بالواحد فی المراتب المعلومه.

(ش) أی فاختلطت الامور و اشتبهت بالتکثر الواقع فیها علی المحجوب الغیر المنفتح عین بصیرته و إن کانت ظاهره راجعه إلی الواحد الحقیقی عند من رفعت الأستار عن عینه و انکشف الحق إلیه بعینه، و الاختلاط بالتجلّیات المختلفه صار سببا لوجود الکثره کما ظهرت الأعداد بظهور الواحد فی المراتب المعلومه، و لمّا کان ظهور الواحد فی المراتب المتعدّده مثالا تامّا لظهور الحقّ فی مظاهره جعل هذا الکلام توطئه و شرع فی تقریر العدد و ظهور الواحد فیه لیستدلّ المحجوب به علی الکثره الواقعه فی الوجود المطلق مع عدم خروجه عن کونه واحدا حقیقیّا و قال:

(م) فأوجد الواحد العدد و فصل العدد الواحد.

ص:۲۶۶

(ش) أی أوجد الواحد بتكرّره العدد إذ لو لم يتكرّر الواحد لم يكن حصول العدد، و فصل العدد مراتب الواحد مثل الاثنين و الثلاثه و الأربعه و غير ذلك إلى ما لا يتناهى لأنّ كلّ مرتبه من مراتب الاحاد و العشرات و المات و الالوف ليس غير الواحد المتجلّى بها لأنّ الاثنين مثلا ليس إلّا واحدا و واحدا اجتمعا بالهيئه الوحدانيّه فحصل منها الاثنان فمادّته هو الواحد المتكرّر و صورته أيضا واحده فليس فيه شيء سوى الواحد المتكرّر فهو مرتبه من مراتبه و كذلك البواقى، فايجاد الواحد بتكراره العدد مثال لإيجاد الحق الخلق بظهوره فى الصوره الكونيّه، و تفصيل العدد مراتب الواحد مثال لإظهار الأعيان أحكام الأسماء الإلهيّه و الصفات الرّبانيه و الارتباط بين الواحد و العدد مثال للارتباط بين الحق و الخلق و كون الواحد نصف الاثنين و ثلث الثلاثه و ربع الأربعه و غير ذلك مثال للنسب اللازمه الّتى هى الصفات للحق.

(م) و ما ظهر حكم العدد إلّا بالمعدود فالمعدود منه عدم و منه وجود، فقد يعدم الشيء من حيث الحسّ و هو موجود من حيث العقل.

(ش) أی العدد لكونه كمّيا منفصلا و عرضا غير قائم بنفسه لا بدّ أن يقع فى معدود ما سواء كان ذلك المعدود موجودا فى الحس أو معدوما فيه موجودا فى العقل و ظهور العدد بالمعدود مثال لظهور الأعيان الثابته فى العلم بالموجودات و هى بعضها حسيّه و بعضها غيبيّه كما أنّ بعض المعدود فى الحس و بعضه فى العقل.

(م) فلا بدّ من عدد و معدود و لا بدّ من واحد ينشئ ذلك فينشأ بسببه.

(ش) أی إذا كان لا يظهر حكم العدد إلّا بالمعدود، و لا يتبيّن مراتب الواحد إلّا بالعدد فلا بدّ من عدد و معدود، و لمّا كان العدد ينشأ بتكرار الواحد فلا بدّ من واحد ينشئ ذلك العدد فينشأ، أی يظهر الواحد فى مراتبه و مقاماته المختلفه بسبب ظهور العدد فالسبب هنا السبب القابلى، و لا بدّ من واحد ينشئ العدد فينشأ العدد بسبب ذلك الواحد فالسبب السبب الفاعلى و الأوّل أنسب.

(م) فإن كان كلّ مرتبه من العدد حقيقه واحده كالتسعه مثلا و العشره إلى أدنى و أكثر إلى غير نهايه ما هى مجموع و لا ينفكّ عنها اسم جمع الاحاد

فإن الإثنين حقيقه واحده و الثلاثه حقيقه واحده بالغا ما بلغت هذه المراتب.

(ش) و فی بعض النسخ فإنّ لكلّ مرتبه من العـدد حقيقه و الظاهر أنّه تصـرّف ممّن لا يعرف معناه و مقصوده رضـی اللّه عنه أن كـان كلّ مرتبه حقيقه واحـده أی إن عبرنا فی كلّ مرتبه ما به يمتاز العـدد المعيّن فيها من غيرها و هو ما به الاثنان اثنان و الثلاثه ثلاـثه مثلاـ فما هی مجموع الاحاد فقط بل ينضم إليها أمر آخر يميّزها عن غيرها و لا ينفكّ عنها اسم جمع الاحاد لأنّه كالجنس لها فلا بـدّ منها فإنّ الاثنين حقيقه واحـده ممتازه من الثلاثه و هی أيضا كـذلك حقيقه واحده متميزه عن الاخرى إلى ما لا نهايه له، فقوله: مـا هی مجموع جواب الشـرط و الجمله الإسـميّه إذا وقعت جواب الشـرط يجوز حـذف الفاء منه عنـد الكوفيين كقول الشاعر: من يفعل الحسـنات اللّه يجزيها، و إن لم تعتبر الامور المتميّزه بعضـها عن بعضها و تأخذ القدر المشترك بين الكل الّذى هو جمع الاحـاد و تعتبره لاـ يبقی الامتيـاز بين كـلّ منهـا كمـا نعتبر الجنس الّـذى بين النوعين كالإنسان و الفرس فيحكم عليهما بأنهمـا حيوان فكـذلك يحكم فی الإثنين و الثلاثه و الأربعه بأنها مجموع من الاحاد مع قطع النظر عمّا به يمتاز بعضه عن البعض الاخر و هو المراد بقوله:

(م) و إن كانت واحده فما عين واحده منهنّ عين ما بقی.

(ش) و هـذا الشق يدلّ على ما ذهبنا إليه من أنّ الأصحّ فإن كان كلّ مرتبه من العدد حقيقه أی و إن كانت المراتب كلّها واحده فی كونها جمع الاحاد أو مجموعها فليس عين مرتبه واحده من تلك المراتب عين ما بقی منها لأنّ كل مرتبه منها حقيقه برأسـها موصوفه بخواصّ لا توجد فی غيرها، و يجوز أن يكون ما بمعنی الّذی أی و إن كانت المراتب كلّها واحده بحسب رجوعها إلى حقيقه واحـده هی جمع الاحـاد فالّـذی عين واحـده من مراتب الاثنين و الثلاثه و غير ذلک عين ما بقی فی كونه عباره عن جمع الاحاد و هذا أنسب بقوله:

(م) فالجمع يأخذها فيقول بها منها و يحكم بها عليها.

ص:۲۶۸

(ش) أى إذا كان لا ينفكّ عنها اسم جمع الاحاد فجمع الاحاد الّذى هو كالجنس لتلك المراتب يأخذها و يجمعها و يتناولها و يصدق عليها صدق الجنس على أنواعه فنقول بتلك المراتب من تلك الحقيقه الجامعه إياها و يحكم بها عليها أى الجامع بين المراتب يحكم عليها بما يعطيه من الأحكام كما يحكم الحقّ على الأعيان بما يعطيه من الأحوال.

(م) و قد ظهر فى هذا القول عشرون مرتبه فقد دخلها التركيب.

(ش) أى حصل فى هذا القول و هو أن كان كل مرتبه حقيقه عشرون مرتبه أولها مرتبه الواحد المنشئ للعدد، ثمّ مرتبه الاثنين إلى التسعه فصار تسعه ثمّ مرتبه العشره و العشرين إلى تسعين و هى تسعه اخرى فصار ثمانيه عشر، ثمّ مرتبه المائه و الألف و على الباقى يدخل التركيب و ضمير دخلها يرجع إلى المراتب العشرين.

(م) فما تنفكّ ثبت عين ما هو منفىّ عندك لذاته.

(ش) أى لا تزال ثبت فى كلّ مرتبه من المراتب عين ما تنفيه فى مرتبه اخرى كما ذكر من أنّ الواحد ليس من العدد باتفاق جمهور أهل الحساب مع أنّه عين العدد إذ هو الّذى بتكرّره توجد الأعداد فيلزمه فى كلّ مرتبه من مراتب العدد لوازم و خصوصيّات متعدّده و كذلك نقول لكلّ مرتبه أنها جمع الاحاد و نثبت أنّها ليست غير مجموع الاحاد مع أنّه منفىّ عندك بأنّها ليست مجموع الاحاد فقط .

(م) و من عرف ما قرّرناه فى الأعداد و أنّ نفيها عين ثبتها علم أنّ الحقّ المنزّه هو الخلق المشبّه و إن كان قد تميّز الخلق من الخالق فالأمر الخالق المخلوق و الأمر المخلوق الخالق.

(ش) أى و من عرف أنّ العدد هو عباره عن ظهور الواحد فى مراتب متعدّده و ليس من العدد بل هو مقوّمه و مظهره و العدد أيضا فى الحقيقه ليس غيره، و أنّ نفى العدديّه من الواحد عين إثباتها له لأنّ الأعداد ليست إلّا عين مجموع الاحاد

مادّه و صوره علم أنّ الحق المنزه عن نقائص الإمكان بل عن كمالات الأكوان هو بعينه الخلق المشبّه، و إن كان قد تميّز الخلق بإمكانه من الخالق فالأمر الخالق أی الشیء الّذی هو الخالق هو المخلوق بعینه، لکن فی مرتبه اخری غیر المرتبه الخالقیّه، و الأمر المخلوق هو الخالق بعینه لکن باعتبار ظهور الحق فیه.

و اعلم أنّ الاثنین مثلا- لیس عباره إلاّ- عن ظهور الواحد مرّتین مع الجمع بینهما، و الظاهر فرادی و مجموعا فیه لیس إلاّ الواحد فما به الاثنان اثنان و تغایر الواحد لیس إلاّ أمر متوهّم لا حقیقه له کذلک شأن الحقّ مع الخلق فإنّه هو الّذی یظهر بصور البسائط ثمّ بصور المرکّبات فیظنّ المحجوب أنّها مغایره بحقائقها و ما یعلم أنّها امور متوهّمه و لا موجود إلاّ هو.

(م) کلّ ذلک من عین واحده لا بل هو العین الواحده و هو العیون الکثیره.

(ش) أی کلّ ذلک الوجود الخلقی صادر من الذات الواحده الإلهیّه ثمّ أضرب عنه لأنّه مشعر بالمغایره فقال: بل ذلک الوجود الخلقی هو عین تلک العین الواحده الظاهره فی مراتب متعدّده و ذلک العین الواحده الّتی هی الوجود المطلق هی العیون الکثیره باعتبار المظاهر المتکثّره، کما قال:

(م) سبحان من أظهرنا سوته سرّ سنا لاهوته الثاقب

ثمّ بدا فی خلقه ظاهرا فی صوره الاکل و الشارب

فانظر ما ذا تری.

(ش) أی انظر أیها السالک طریق الحقّ ما ذا تری من الوحده و الکثره جمعا و فرادی ؟ فإن کنت تری الوحده فقط فأنت مع الحقّ وحده لارتفاع الإثنینیّه، و إن کنت تری الکثره فقط فأنت مع الخلق وحده، و إن کنت تری الوحده فی الکثره محتجبه و الکثره فی الوحده مستهلکه فقد جمعت بین الکمالین و فزت بمقام الحسنیین، هذا آخر ما أفاد هذا الفحل العارف المتأله فی المقام.

فبما قدّمنا ظهر لک سرّ کلام ولیّ اللّه الأعظم زین العابدین و سیّد

ص:۲۷۰

الساجـدين علىّ بن الحسـين عليهما السّـلام: لك يا إلهى وحـدانيه العدد، و كلام هؤلاء الأكابر سـيما الأخير منهم تفصـيل ذلك الكلام الموجز المفاض من صـقع الملكوت و قـد عرّفه جدّه قدوه المتألّهين و إمام العارفين و برهان السالكين علىّ أمير المؤمنين عليه السّـلام بقوله: «إنّا لامراء الكلام، و فينا تنشـبّت عروقه و علينا تهدّلت غصونه» (المختار ۲۳۱ من خطب النهج)، و بقوله: «هم عيش العلم و موت الجهل إلخ» (المختار ۲۳۷ من خطب النهج) فراجع إلى شرحنا عليهما فى المجلّدين الأوّل و الثانى من تكمله منهاج البراعه.

و حيث انجرّ البحث إلى التوحيـد و ساقنـا لقـاء اللّه إليه فلنشـر إلى نبـذه ممّـا أودع فى سوره التوحيـد أعنى سوره الإخلاص كى يستقرّ التوحيد على ما شاهده أهله فى قلوب مستعدّيه، و يتّضح معنى اللقاء المبحوث عنه أتمّ إيضاح لمبتغيه على أنّ هذه السوره نسـبته تبارك و تعالى و وصفه، و الحبيب يشتاق ذكر حبيبه و يلتذّ بوصفه كما يحبّ الخلوه معه، و الانس به، و آثاره من رسوله و كتابه و أوليائه.

ففى آخر الباب الحادى و العشرين من إرشاد القلوب للديلمى قدس سرّه فى الذكر و المحافظه عليه: قال الصادق عليه السّلام إنّ النّبى صـلى اللّه عليه و آله صـلّى على سعد بن معاذ و قال: لقد وافى من الملائكه للصلاه عليه تسعون ألف ملك و فيهم جبرئيل يصلّون عليه فقلت: يا جبرئيل بما استحقّ صلاتكم ؟ قال: يقرأ قل هو اللّه أحد قائما و قاعدا و راكبا و ماشيا و ذاهبا و جائيا.

و قـد انعقـد الشّـيخ أبو جعفر الصّـدوق رضوان اللّه عليه بابا فى كتاب التوحيـد فى تفسـير سوره قل هو اللّه أحـد و أتى من أئمه الدين بأحاديث قيّمه فليراجع الطالب إليه و إلى شـرح المقتبس من مشـكاه الولايه القاضـى السـعيد القمّى أعلى اللّه درجاته على ذلك الكتاب، و لكنّا إنّما نكتفى بنقل بعضـها، و بما أفاده العارف المتألّه الميرزا محمّد رضا القمشئى قدّس سرّه فى تعليقته على شرح الفصوص للقيصـرى، و الحكيم البارع المولى صدرا قدس سـرّه فى شرح اصول الكافى فى تفسير سوره الإخلاص لأنّ نقل جميع تلك الأحاديث ينجرّ إلى الإطاله لكونها

صعبا مستصعبا جدّا لا بدّ من تفسيرها و كشف معضلاتها.

فأمّا ما قال القمشئى رضوان اللّه عليه فى تعليقته على الفصل الأوّل من مقدّمات القيصرى على شرح الفصوص فى الإشاره إلى نبذ ممّا فى سوره التوحيد فهو مايلى:

اعلم أنّ الوجود لمّا كان حيث ذاته حيث التحقّق و الإنيّه فهو متحقّق بنفس ذاته و لما كان واجبا بذاته و الواجب بالذات مهيّته إنيّته فليس فيه سوى حيث الوجود حيث، و لما لم يكن فيه سوى حيث الوجود حيث فلم يكن معه شىء فكان اللّه و لم يكن معه شىء و الان كما كان و هذا هو الّذى يوهم أنّه وجود بشرط لا و الأمر كذلك إلاّ أنّ كونه بشرط لا من لوازم ذاته و لا دخل فى وجوب ذاته.

فإن قلت: فما معنى سريان تلك الحقيقه فى الواجب و الممكن ؟ أقول: معنى السريان الظهور فقد يكون ظاهرا بنفس ذاته لذاته و هذا سريانه فى الواجب و قد يكون ظاهرا فى ملابس الأسماء و الأعيان الثابته فى العلم، و قد يكون ظاهرا فى ملابس أعيان الموجودات فى الأعيان و الأذهان، و هذا السريان فى الممكن و الكلّ شئونه الذاتيّه، فالوجود المأخوذ لا بشرط عين الوجود بشرط بحسب الهويّه و الإختلاف فى الاعتبار و إليه اشير فى قوله تعالى: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فإنّ لفظه هو ضمير يشير إلى أنّه لا اسم له، و لفظه اللّه اسم للذات بحسب الظهور الذّاتى، و لفظه أحد قرينه دالّه على أنّ اسم اللّه هناك للذات فإنّه مشترک بينها و بين الذات الجامعه لجميع الصفات و فى الظهور الذاتى لا نعت له و لا صفه بل الصفات منفيّه كما قال عليه السّلام: و كمال التوحيد نفى الصفات عنه تعالى، أى الغيب المجهول هو الذات الظاهره بالأحديه، و لمّا كان لفظه أحد قد يطلق لمعنى سلبى كما فى هذا الموضع فإنّه يسلب عنه جمع الأشياء بل الأسماء و الصفات أيضا فيوهم أنّه خال عن الأشياء فاقد لها بل عن النعوت و الكمالات و هو تعالى بوحدته كلّ الأشياء و جميع النعوت و الكمالات فاستدرک بقوله تعالى: «اَللّهُ الصَّمَدُ »

فانّ الصمد هو الواحد الجامع، ثمّ استدل علیه بأنّه لم یلد و لم یولد أی لم یخرج عنه شیء و لم یخرج عن شیء لیکون ناقصا بخروج الشیء عنه أو بخروجه عن شیء فأحدیّته بسلب تعیّنات الأشیاء عنه، و صمدیّته تثبت باندماج حقائقها فیه. انتهی کلامه.

قلت: ما أفاده قدّس سرّه شریف متین جدّا و تجد فی تلک المعانی الدقیقه الفائضه من عرش التحقیق إشارات أنیقه من أئمّه الدّین صلوات اللّه علیهم أجمعین و من تأمّل فی الجوامع الروائیه الإمامیّه رأی بالعیان أنّ أصل العرفان تنشبّت عروقه فیهم، و تهدّلت غصونه علیهم إلاّ أنّ الجهله من المتصوّفه و أشباه العرفاء و لا عرفاء إنّما ردّوا النّاس عن الدّین القهقری، و ما سمعت من کلام هذا العارف الجلیل فی «هو» مأخوذ من خزنه العلم و عیب أسرار اللّه، فقد روی أبو جعفر الصدوق رضوان اللّه علیه فی باب تفسیر «قُلْ هُوَ اللّهُ » من کتابه التوحید بإسناده عن أبی البختری وهب بن وهب القرشی، عن أبی عبد اللّه الصّادق جعفر بن محمّد، عن أبیه محمّد بن علیّ الباقر علیهم السّلام فی قول اللّه تبارک و تعالی: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ »:

قال: «قل» أی أظهر ما أوحینا إلیک و نبّأناک به بتألیف الحروف الّتی قرأتها لک لیهتدی بها من ألقی السمع و هو شهید، و «هو» اسم مکنّی مشار إلی غائب فالهاء تنبیه علی معنی ثابت، و الواو إشاره إلی الغائب عن الحواس، کما أنّ قولک: هذا إشاره إلی الشاهد عند الحواسّ ، و ذلک أنّ الکفّار نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشاره الشاهد المدرک، فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسه المدرکه بالأبصار فأشر أنت یا محمّد إلهک الّذی تدعو إلیه حتّی نراه و ندرکه و لا نأله فیه، فأنزل اللّه تبارک و تعالی: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فالهاء تثبیت للثابت، و الواو إشاره إلی الغائب عن درک الأبصار و لمس الحواسّ ، و أنّه تعالی عن ذلک، بل هو مدرک الأبصار و مبدع الحواس، حدّثنی أبی، عن أبیه، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: رأیت الخضر علیه السّلام فی المنام قبل بدر بلیله، فقلت له: علّمنی شیئا أنصر به علی الأعداء، فقال: قل: یا هو یا من لا هو إلاّ هو، فلما أصبحت قصصتها علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله، فقال لی: یا علیّ علّمت الاسم الأعظم، فکان علی لسانی یوم بدر

و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قرأ «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فلمّا فرغ قال: يا هو يا من لا هو إلاّ هو اغفر لى و انصرنى على القوم الكافرين، و كان علىّ عليه السّلام يقول ذلك يوم صفين و هو يطارد، فقال له عمّار بن ياسر: يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات ؟ قال: اسم اللّه الأعظم و عماد التوحيد للّه لا إله إلاّ هو، ثمّ قرأ: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ » و آخر الحشر - ثمّ نزل فصلّى أربع ركعات قبل الزوال.

بيان: قوله: و لا نأله فيه أى لا نتحيّر فيه من أله كفرح أى تحيّر، و قوله:

حدّثنى أبى عن أبيه من تتمّه الحديث و القائل هو الإمام محمّد بن علىّ الباقر يقول حدّثنى أبى زين العابدين علىّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علىّ ، عن أبيه أمير المؤمنين علىّ عليهم السّلام، و قوله: قبل بدر بليله، يعنى قبل غزوه بدر بليله.

و أمّا ما أفاده الحكيم المتألّه مولى صدرا فى تفسير السوره، فقال قدّس سرّه فى شرح الحديث الثالث من باب النسبه من كتاب التوحيد من اصول الكافى المذكور من قبل عن سيّد السّاجدين عليه السّلام فى سوره التوحيد و الايات من الحديد:

أمّا سوره التوحيد، فلا يخفى لمن تدبّر و تعمّق فيها اشتمالها على غوامض علوم التوحيد و لطائف أسرار التقديس، فقد علمت نبذا من أسرارها العميقه مع أنّ المذكور يسير من كثير ما علمناه، نزر حقير فى جنب ما ستر فيها من العلوم الأحديّه و الأسرار الصّمديّه.

و اعلم أنّ كثره الأسامى و الألقاب يدلّ على مزيد الفضيله و الشرف، كما لا يخفى فأحدها سوره التفريد، و الثانى سوره التجريد، و ثالثها سوره التوحيد، و رابعها سوره الاخلاص، لأنّه لم يذكر فى هذه السوره الصفات السلبيّه الّتى هى صفات الجلال، و لأنّ من اعتقدها كان مخلصا فى دين اللّه، و لأنّ غايه التنزيه و التفريد و التوحيد يستلزم غايه الدنوّ و القرب المستلزم للمحبّه و الاخلاص فى الدّنيا.

و خامسها سوره النجاه لأنّها تنجيك من التشبيه و الكفر فى الدّنيا، و عن

النار فی الاخره، و سادسها سوره الولایه لأنّ من قرأها عارفا بأسرارها صار من أولیاء اللّه، و سابعها سوره النسبه لما روی أنّه ورد جوابا لسؤال من قال: انسب لنا ربّک، ثامنها سوره المعرفه، و روی جابر رضی اللّه عنه: أنّ رجلا صلّی فقرأ:

«قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فقال النبیّ صلی اللّه علیه و آله: إنّ هذا عبد عرف ربّه فسمّیت سوره المعرفه لذلک.

و تاسعها سوره الجمال لأنّ الجلال غیر منفک عن الجمال کما أشرنا إلیه، و لما روی أنّه قال صلی اللّه علیه و آله: إنّ اللّه جمیل یحبّ الجمال، سألوه عن ذلک فقال: أحد صمد لم یلد و لم یولد، و عاشرها سوره المقشقشه، یقال: قشقش یقشقش المریض برأ، فمن عرفها تبرّأ من الشرک و النفاق لأنّ النفاق مرض کما فی قلوبهم مرض، الحادی عشر المعوّذه، روی أنّه صلی اللّه علیه و آله دخل علی عثمان بن مظعون یعوذه بها و باللّتین بعدها، ثمّ قال: تعوّذ بهنّ فما تعوّذت بخیر منها، و الثانی عشر سوره الصمد، و الثالث عشر سوره الأساس لما روی أنّه قال: اسّست السماوات السبع و الأرضون السبع علی قل هو اللّه أحد، و ممّا یدلّ علیه أن القول بالثلاثه سبب لخراب السماوات و الأرض بدلیل قوله تعالی: «تَکادُ السَّماواتُ یَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا » فوجب أن یکون التوحید سببا لعماره العالم و نظامه.

و الرابع عشر سوره المانعه لما روی أنّها تمنع فتانی القبر و نفخات النیران و الخامس عشر سوره المحضره لأن الملائکه تحضر لاستماعها إذا قرأت و السادس عشر سوره المنفره لأنّ الشیطان ینفر عند قراءتها، السابع عشر البراءه لانها تبریء من الشرک، و لما روی أنّه صلی اللّه علیه و آله رأی رجلا یقرأها فقال: أمّا هذا فقد بریء من الشرک، الثامن عشر سوره المذکره لأنها یذکر العبد خالص التوحید التاسع عشر سوره النور لأنّ اللّه نور السموات و الأرض و السوره فی بیان معرفته و معرفته النور، و نوره المعرفه، و لما روی أنّه صلی اللّه علیه و آله قال: إنّ لکلّ شیء نورا و نور القرآن قل هو اللّه أحد، و نظیره أنّ نور الإنسان فی أصغر أعضائه و هو

الحدقه فصارت السوره للقرآن كالحدقه للإنسان.

العشرون سوره الأمان قال صلى اللّه عليه و آله: إذا قال العبد لا إله إلّا اللّه دخل فى حصنى و من دخل فى حصنى أمن من عذابى، فهذه عشرون اسما من أسامى هذه السوره و لها فضائل كثيره و معانى و نكات غير محصوره، و ما روى فى فضل قراءتها و ثواب الصلاه المشتمله على عدد منها فلا يعدّ و لا يحصى.

فمن فضائلها أنّها ثلث القرآن و ذكروا لذلك وجوها أجودها أنّ المقصود الأشرف من جميع الشرائع و العبادات معرفه ذات اللّه، و معرفه صفات اللّه و معرفه أفعاله و هذه السوره مشتمله على معرفه الذات فكانت معادله لثلث القرآن.

و من فضائلها أيضا أنّ الدلائل و البراهين قائمه على أنّ أعظم درجات العبد و أجلّ سعاداته أن يكون قلبه مستنيرا بنور جلال اللّه و كبريائه و هو إنما يحصل بعرفان هذه السوره فكانت هذه السوره أفضل السور و أعظمها.

فإن قيل: صفات اللّه تعالى مذكور فى سائر السور؟، قلنا: لكن لهذه السوره خصوصيّه و هى أنّها مع و جازتها مشتمله على عظائم أسرار التوحيد فتبقى محفوظه فى القلب معقوله للعقل فيكون ذكر جلال اللّه حاضرا بهذا السبب فلا جرم امتازت عن سائر السور.

و أما المعانى و النكات فمنها ما سبق، و منها وجوه اخرى كثيره لو ذهبنا إلى تفسير هذه السوره مستقصى لخرجنا عمّا نحن بصدده من شرح الأحاديث و لكن نذكر أنموذجا يتبه على الكثير لمن هو أهله فنقول:

قوله: هو اللّه أحد ثلاثه ألفاظ كل واحد منها إشاره إلى مقام من مقامات السالكين إليه تعالى: المقام الأوّل للمقرّبين و هم أعلى السائرين إلى اللّه تعالى فهؤلاء رأوا أنّ موجوديه المهيّات بالوجود و أنّ أصل حقيقه الوجود بذاته موجود و بنفسه واجب الوجود متعيّن الذات لا بتعيّن زائد فعلموا أنّ كل ذى مهيّه معلول محتاج و أنّه تعالى نفس حقيقه الوجود و الوجوب و التعيّن فلهذا

سمعوا كلمه هو علموا أنّه الحقّ تعالى لأنّ غيره غير موجود بذاته و ما هو غير موجود بذاته فلا إشاره إليه بالذات.

و المقام الثانى مقام أصحاب اليمين و هؤلاء شاهدوا الحقّ موجودا و الخلق أيضا موجودا فحصلت كثره فى الموجودات فلا جرم لم يكن هو كافيا فى الإشاره إلى الحقّ بل لا بدّ هناك من مميّز يميّز الحقّ عن الخلق فهؤلاء احتاجوا إلى أن يقرن لفظه اللّه بلفظه هو فقيل لأجله هو اللّه لأنّ اللّه هو الموجود الّذى يفتقر إليه ما عداه و هو مستغن عن كلّ ما عداه فيكون أحدىّ الذات لا محاله إذ لو كان مركبّا كان ممكنا محتاجا إلى غيره فلفظه الجلاله دال على الأحديّه من غير اقتران إلى لفظ أحد به.

المقام الثالث مقام أصحاب الشمال و هو أدون المقامات و أخسّها و هم الّذين يجوزون كثره فى واجب الوجود أيضا كما فى أصل الوجود فقورن لفظ أحد بكلمه اللّه ردّا عليهم و ابطالا لمقالهم فقيل: قل هو اللّه أحد.

و ههنا بحث آخر أدق و أشرف و هو أنّا نقول كلّ ماله مهيّه غير انيّته فلا يكون هو هو لذاته و كلّما يكون مهيّته عين هويته و حقيقته نفس تعيّنه فلا اسم و لا حدّ له و لا يمكن شرحه إلاّ بلوازمه الّتى يكون بعضها إضافيّه و بعضها سلبيّه و الأكمل فى التعريف ما يجمع ذينك النوعين جميعا و هو كون تلك الهويّه إلها فإنّ الالهيّه يقتضى أن ينسب إليه غيره و لا ينسب هو إلى غيره، و المعنى الأوّل إضافى، و الثانى سلبى فلا جرم ذكر اللّه عقيب قوله هو.

ثمّ اعلم أنّ الّذى لا سبب له و إن لم يكن تعريفه بالحدّ إلاّ أنّ البسيط الّذى لا سبب له و هو مبدء الأشياء كلّها على سلسله الترتيب النازل من عنده طولا و عرضا فمن البيّن أنّ ما هو أقرب المجعولات إليه بل اللاّزم الأقرب المنبعث عن حاق الملزوم إذا وقع التعريف كان أشدّ تعريفا من غيره، و أقرب اللوازم له تعالى كونه واجب الوجود غنيّا عمّا سواه و كونه مبدءا و مفتقرا إليه الجميع و مجموع هذا الأمرين هو معنى الالهيّه فلأجل ذلك وقع قوله اللّه عقيب هو

شرحا و تعريفا له.

و لمّا ثبت مطلوب الهليّه البسيطه بقوله هو الدال على أنّه الهو المطلق الّذى لا يتوقف هويته على غيره، و لأجل ذلك هو البرهان على وجود ذاته و ثبت مطلوب الهليّه البسيطه بقوله فحصلت بمجموع الكلمتين معرفه الإنيّه المهيه اريد أن يذكر عقيبهما ما هو كالصفات الجلاليّه و الجماليّه فقوله تعالى: أحد مبالغه فى الوحده، و الوحده التامّه ما لا ينقسم و لا يتكثر بوجه من الوجوه أصلا لا- بحسب العقل كالانقسام بالجنس و الفصل، و لا بحسب العين كالانقسام من المادّه و الصوره و لا فى الحسّ و لا فى الوهم كالانقسام بالأعضاء و الأجزاء و كان الأكمل فى الوحده ما لا كثره فيه تعالى أصلا فكان اللّه تعالى غايه فى الوحده، فقوله تعالى أحد دلّ على أنّه واحد من جميع الوجوه و إنما قلنا أنه واحد كذلك لأنّه لو لم يكن كذلك لم يكن إلها لأنّ كل ما هو مركّب فهو مفتقر إلى أجزائه و أجزاؤه غيره فيكون مفتقرا إلى غيره فلم يكن واجب الوجود و لا- مبدء الكلّ ثمّ إنّ هذه الصفه و هى الأحديه التامّه الخالصه عن شوب الكثره كما توجب التنزّه عن الجنس و الفصل و الماده و الصوره، و عن الجسميّه و المقداريه و الأبعاض و الأعضاء و الألوان و سائر الكيفيّات الحسيّه الانفعاليّه و كلّما يوجب قوّه أو استعدادا أو إمكانا لك يقتضى كل صفه كماليّه من العلم التام و القدره الكامله و الحياه السرمديه و الإراده التامه و الخير المحض و الجود المطلق فإنّ من أمعن النظر و تأمل تأملا كافيا يظهر له أن الأحديّه التامّه منبع الصفات الكماليّه كلّها، و لو لا مخافه الإطناب لبيّنت استلزامها لواحده واحده منها لكنّ اللبيب يدرك صحّه ما ادّعيناه.

و قوله تعالى «اَللّٰهُ الصَّمَدُ » قد مرّ أنّ الصمديّه لها تفسيران أحدهما ما لا جوف له، و الثانى السيّد فمعناه على الأوّل سلبى و هو إشاره إلى نفى المهيه فإنّ كل ماله مهيّه كان له جوف و باطن و كان من جهه اعتبار مهيّه قابلا للعدم و كلّ ما لا جهه و لا اعتبار له إلّا الوجود المحض فهو غير قابل للعدم فواجب الوجود من

كلّ جهه هو الصـمد الحقّ ، و على التفسـير الثانى يكون معنى إضافيا و هو كونه سـيّد الكلّ أى مبدأ الجميع فيكون من الصفات الإضافيّه.

و ههنا وجه آخر و هو أنّ الصـمد فى اللّغه هو المصـمت الّـذى لا جوف له و إذا اسـتحال هـذا فى حقّه تعالى فوجب حمله على الفرد المطلق أعنى الواحد المنزّه عن المثل و النظير إما ابتداءا، أو بعد نقله إلى معنى الأحديه المسـتلزمه للواحديّه كما مرّ فيكون الصمد إشاره إلى نفى الشريك كما الأحد إلى نفى الانقسام.

فـانظر كيف عرّف أوّلا هويّته و إنيّته، ثمّ عرّف أنه تعالى خالق لهـذا العالم، ثمّ عرّف أنّ الامور الّتى لأجلها افتقر هـذا العالم إلى الخـالق كـالتركيب و الإمكـان و المهيّه و العمـوم و الاـشتراك و الاحتيـاج لاـ بـدّ أن يكون منفيّـا عنه تعـالى لئلاـ يلزم الـدور أو التسلسل.

ثمّ لمّـا كان من عاده المحقّقين أن يـذكروا أوّلا ما هو الأصل و القاعـده ثمّ يخرجون عليه المسائل فـذكر أوّلا كونه موجودا إلها ثمّ توصل به إلى كونه صـمدا ثمّ رتّب عليه أحكاما ثلاثه أحـدها أنّه «لَمْ يَلِدْ » لاستيجاب التوليد للتركيب لأنّه عباره عن انفصال بعض نـاقص من أبعـاضه ثمّ يترقّى فيصير مساويا له فى الـذات و الحقيقه و من البيّن أنّ نقصان البعض يسـتلزم تركيب الكلّ ، و ثانيهـا قوله: «وَ لَمْ يُولَـدْ » لاسـتلزامه للحـدوث و النقصـان و الافتقار إلى العلل من جهات شتّى كالإعـداد و الإحـداث و الإبقاء و التربيّه و التكميل، و ثالثها قوله: «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَـدٌ » و بيانه أنّا لو فرضـنا مكافيا له فى رتبه الوجود فذلك المكافى لو كان ممكن الوجود كان محتاجا إليه متأخّرا عنه فى الوجود فكيف يكون مكافيا له ؟ و إن كان واجب الوجود و قـد علمت أن تعدّده ينافى الأحديّه و أنّه يستلزم التركيب فهذا أنموذج من دقائق أسرار التوحيد تحويها هذه السوره، انتهى كلامه قدّس سرّه الشريف.

خاتمه

نذكر فيها أمرين لمن أراد أن يتذكّر، و يسعى إلى لقاء ربّه و يتنعّم به

ص:۲۷۹

أحدهما نقل عدّه أذكار و أدعيّه عن خزنه علم اللّه عزّ و جلّ و عيب وحيه الّذين أنعم اللّه عليهم بلقائه و كانوا يناجون بها ربّهم الجليل لأنّها جلاء القلوب عن رين علائقها الدّنياويه، و إرشاد للطالب إلى لقاء ربّه المتعال، و ثانيهما نبذه ممّا هى آداب مبتغى اللقاء و الفائزين به.

أمّا الأوّل فقد روى السيّد الأجلّ جمال العارفين ابن طاوس قدّس سرّه الشريف فى أعمال شعبان من كتابه القيّم الكريم المسمّى بالإقبال (ص ۶۸۵ من الطبع الرحلى) عن ابن خالويه - إلى أن قال: إنّها مناجاه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و الأئمّه من ولده عليهم السّلام كانوا يدعون بها فى شهر شعبان:

اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و اسمع دعائى إذا دعوتك - إلى قوله عليه السّلام:

إلهى هب لى كمال الإنقطاع إليك و أنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمه و تصير أرواحنا معلّقه بعزّ قدسك - إلى أن قال عليه السّلام: إلهى إن أنا متنى الغفله عن الاستداد للقائك فقد نبّهتنى المعرفه بكرم آلائك - إلى أن قال عليه السّلام: و ألحقنى بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفا و عن سواك منحرفا و منك خائفا مراقبا يا ذا الجلال و الاكرام، و رواه العلاّمه المجلسى فى البحار أيضا (ص ۸۹ ج ۱۹ من طبع الكمبانى).

و قال السيّد المذكور فى أعمال شهر رجب من ذلك الكتاب (ص ۶۴۶):

و من الدعوات فى كلّ يوم من رجب ما رويناه أيضا عن جدّى أبى جعفر الطوسى رضى اللّه عنه فقال: أخبرنى جماعه عن ابن عيّاش قال: ممّا خرج على يد الشّيخ الكبير أبى جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد رضى اللّه عنه من الناحيه المقدّسه ما حدّثنى به خير بن عبد اللّه قال: كتبته من التوقيع الخارج إليه:

بسم الرّحمن الرّحيم ادع فى كلّ يوم من أيّام رجب: اللهمّ إنّى أسئلك بمعانى جميع ما يدعوك به ولاه أمرك المأمونون على سرّك المستبشرون [المستسرّون - خ ل] بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك، و أسألك

بما نطق فيهم من مشيّتك، فجعلتهم معادن لكلماتك و أركانا لتوحيدك و آياتك و مقاماتك الّتى لا تعطيل لها فى كلّ مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك و بينها إلاّ أنّهم عبادك و خلقك، فتقها و رتقها بيدك بدؤها منك و عودها إليك. إلخ.

قلت: هذا التوقيع من أسرار اللّه المكنونه المخزونه، و الحقائق المودعه فيها تدرك و لا توصف ينالها من كان له قلب و لو تصدّينا لشرحه على قدر باعنا القصيره و بضاعتنا المزجاه لا نجرّ إلى تأليف كتاب على حده، و الضمير المجرور فى لها و بها و بينها راجعه إلى المقامات و كذلك الضمير المنصوب فى إلاّ أنّهم عبادك و ضميرهم لذوى العقول فالمقامات من ذوى العقول، و لا بأس بإتيان الضمير، تاره من غير ذوى العقول و تاره من ذوى العقول، و ذلك نحو قوله تبارك و تعالى:

«وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ » أورد الضمير ثانيا من ذوى العقول إشاره إلى أنّ الأسماء ليست ألفاظا دالّه على معانيها لأنّ معرفه الألفاظ تعدّ من العلوم الأدبيّه و هى لا توجب شرح الصدر و سعه الذات، بل المراد بها حقائق المخلوقات و مقامات دار الوجود على ما هى عليه.

قوله عليه السّلام: لا فرق بينك و بينها إلاّ أنّهم عبادك، قال القيصرى فى آخر الإشاره إلى بعض المراتب الكلّيه من الفصل الأوّل من مقدّماته على شرح الفصوص (ص ١١ من الطبع الناصرى): و مرتبه الإنسان الكامل عباره عن جمع جميع المراتب الإلهيه و الكونيّه من العقول و النفوس الكلّيه و الجزئيه، و مراتب الطبيعه إلى آخر تنزلات الوجود و يسمّى بالمرتبه العمائيه أيضا فهى مضاهيه للمرتبه الإلهيّه، و لا فرق بينهما إلاّ بالربوبيّه و المربوبيّه لذلك صار خليفه اللّه - إلخ.

إنّما نقلنا كلام القيصرى فى المقام لكى يعلم أنّ أصل ما تفوّه به العرفاء الشامخون مقتبس من مشكاه بيت آل النّبى صلى اللّه عليه و آله، نعم انهم و اللّه ينابيع الحكمه و المعرفه و العرفان و خزنه الحقائق كلّها.

و فى دعاء عرفه لمولانا الحسين بن علىّ صلوات اللّه عليهما، كما أتى به السيّد المذكور فى الإقبال أيضا (ص ٣٤٨): إلهى تردّدى فى الاثار يوجب بعد

المزار فاجمعنی علیک بخدمه توصلنی إلیک کیف یستدلّ علیک بما هو فی وجوده مفتقر إلیک ؟ أ یکون لغیرک من الظهور ما لیس لک حتی یکون هو المظهر لک ؟ متی غبت حتّی تحتاج إلی دلیل یدلّ علیک ؟ و متی بعدت حتّی تکون الاثار، هی الّتی توصل إلیک ؟ عمیت عین لا تراک علیها رقیبا، و خسرت صفقه عبد لم تجعل له من حبّک نصیبا.

إلهی أمرت بالرجوع إلی الاثار فارجعنی إلیک بکسوه الأنوار و هدایه الاستبصار حتّی أرجع إلیک منها، کما دخلت إلیک منها مصون السرّ عن النظر إلیها، و مرفوع الهمّه عن الاعتماد علیها إنّک علی کلّ شیء قدیر.

إلهی هذا ذلّی ظاهر بین یدیک، و هذا حالی لا یخفی علیک، منک أطلب الوصول إلیک، و بک أستدلّ علیک، فاهدنی بنورک إلیک، و أقمنی بصدق العبودیه بین یدیک.

إلهی علّمنی من علمک المخزون، و صنّی بسرّک [بسترک – خ ل] المصون.

إلهی حقّقنی بحقائق أهل القرب، و اسلک بی مسلک أهل الجذب.

و روی ثقه الإسلام الکلینی فی باب الدّعاء فی أدبار الصلوات من الکافی (ص ۳۹۹ ج ۲ من المعرب) بإسناده عن محمّد بن الفرج قال: کتب إلیّ أبو جعفر ابن الرّضا – یعنی الإمام الجواد علیه السّلام – بهذا الدّعاء و علّمنیه – إلی أن قال علیه السّلام: و أسألک الرضا بالقضاء و برکه الموت بعد العیش و برد العیش بعد الموت و لذّه المنظر إلی وجهک و شوقا إلی رؤیتک و لقائک من غیر ضرّاء مضرّه و لا فتنه مضلّه. إلخ.

و فی دعاء یوم الاثنین للإمام موسی بن جعفر الکاظم علیه السّلام: و أسألک خشیتک فی السرّ و العلانیه و العدل فی الرضا و الغضب و القصد فی الغنی و الفقر و أن تحبّب إلیّ لقاءک فی غیر ضرّاء مضرّه و لا فتنه مضلّه. إلخ. رواه الکفعمی رضوان اللّه علیه فی البلد الأمین (ص ۱۱۸) و فی المصباح أیضا (ص ۱۱۵).

و فی الدّعاء السابع و الأربعین من الصحیفه السجادیّه: و أخفنی مقامک و شوّقنی لقاءک.

و فی المناجاه الخمس عشره لمولانا علیّ بن الحسین صلوات اللّه علیه – و قال العلاّمه المجلسی رحمه اللّه علیه فی التاسع عشر من البحار (ص ۱۰۵ من الطبع الکمبانی): و قد وجدتها مرویه عنه علیه السّلام فی بعض کتب الأصحاب رضوان اللّه علیهم. انتهی.

و عدّها المحدث الخبیر و العالم الجلیل الشّیخ حرّ العاملی صاحب الوسائل فی الصحیفه الثانیه من الأدعیّه السجادیّه علیه السّلام و نسبها إلیه من غیر تردید.

ففی مناجاه الخائفین: و لیتنی علمت أمن أهل السعاده جعلتنی و بقربک و جوارک خصصتنی فتقرّ بذلک عینی و تطمئنّ له نفسی – إلی أن قال علیه السّلام: إلهی لا تغلق علی موحّدیک أبواب رحمتک و لا تحجب مشتاقیک عن النظر إلی جمیل رؤیتک.

و فی مناجاه الراغبین: إلهی إن کان قلّ زادی فی المسیر إلیک فلقد حسن ظنّی بالتوکّل علیک – إلی أن قال علیه السّلام: و إن أنا متنی الغفله عن الاستعداد للقائک فقد نبّهتنی المعرفه [المغفره – خ ل] بکرمک و آلائک – إلی أن قال علیه السّلام:

أسألک بسبحات وجهک و بأنوار قدسک، و أبتهل إلیک بعواطف رحمتک و لطائف برّک أن تحقق ظنّی بما اؤمّله من جزیل إکرامک و جمیل إنعامک فی القربی منک و الزلفی لدیک و التمتع بالنظر إلیک.

و فی مناجاه المطیعین للّه: اللهمّ احملنا فی سفن نجاتک و متّعنا بلذیذ مناجاتک و أوردنا حیاض حبّک، و أذقنا حلاوه ودّک و قربک.

و فی مناجاه المریدین: و لقاؤک قرّه عینی، و وصلک منی نفسی، و إلیک شوقی و فی محبّتک ولهی و إلی هواک صبابتی و رضاک بغیتی، و رؤیتک حاجتی و جوارک طلبی، و قربک غایه سؤلی، و فی مناجاتک انسی و راحتی [روحی – خ ل].

و فی مناجاه المحبّین: إلهی من ذا الّذی ذاق حلاوه محبّتک، فرام منک بدلا؟! و من ذا الّذی أنس بقربک فابتغی عنک حولا؟! إلهی فاجعلنا ممّن اصطفیته لقربک و ولایتک، و أخلصته لودّک و محبّتک، و شوّقته إلی لقاءک، و رضّیته

بقضائک، و منحته بالنظر إلی وجهک - إلی أن قال: و اجتبیته لمشاهدتک.

و فی مناجاه المتوسّلین: و اجعلنی من صفوتک الّذین أحللتهم بحبوحه جنّتک و بوّأتهم دار کرامتک، و أقررت أعینهم بالنظر إلیک یوم لقائک، و أورثتهم منازل الصدق فی جوارک.

و فی مناجاه المفتقرین: ولوعتی لا یطفیها إلّا لقاؤک، و شوقی إلیک لا یبلّه إلّا النظر إلی وجهک.

و فی مناجاه العارفین: فهم إلی أو کار الأفکار یأوون، و فی ریاض القرب و المکاشفه یرتعون - إلی أن قال: و قرّت بالنظر إلی محبوبهم أعینهم، إلی أن قال: ما أطیب طعم حبّک، و ما أعذب شرب قربک.

و فی مناجاه الذاکرین: فلا تطمئن القلوب إلّا بذکراک، و لا تسکن النفوس إلّا عند رؤیاک - إلی أن قال: و أستغفرک من کلّ لذّه بغیر ذکرک، و من کلّ راحه بغیر انسک، و من کلّ سرور بغیر قربک.

و فی مناجاه الزاهدین: و اقرر أعیننا یوم لقائک برؤیتک.

فعلیک بتلک المناجاه الخمس عشره سیما مناجاه العارفین و مناجاه المحبّین منها فانّها جلاء للقلوب.

و فی آخر الدّعاء السابع و الأربعین من الصحیفه و کان من دعائه علیه السّلام فی یوم عرفه: و أ تحفنی بتحفه من تحفاتک، و اجعل تجارتی رابحه، و کرّتی غیر خاسره، و أخفنی مقامک، و شوّقنی لقاءک - إلخ.

و فی باب فی أنه عزّ و جلّ لا یعرف إلّا به من توحید الصّدوق رضوان اللّه علیه باسناده عن زیاد بن المنذر، عن أبی جعفر محمّد بن علیّ الباقر، عن أبیه، عن جدّه علیهم السّلام أنّه قال: إنّ رجلا قام إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام و قال: بماذا عرفت ربّک ؟ قال: بفسخ العزم، و نقض الهمم لما هممت فحیل بینی و بین همّی و عزمت فخالف القضاء عزمی علمت أنّ المدبّر غیری، قال: فبما ذا شکرت نعماه ؟ قال: نظرت إلی بلاء قد صرفه عنّی و أبلی به غیری فعلمت أنّه قد أنعم علیّ فشکرته، قال:

فبما ذا أحببت لقاه ؟ قال: لما رأيته قد اختار لى من دين ملائكته و رسله و أنبيائه علمت أنّ الّذى أكرمنى بهذا ليس ينسانى فأحببت لقاه.

روى الكلينى فى باب الاهتمام بامور المسلمين و النصيحه لهم و نفعهم باسناده عن سفيان بن عيينه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: عليك بالنصح للّه فى خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه.

و اعلم أنّ ما تقدّم من التوقيع الشريف الصادر من الناحيه المقدّسه و فيه قوله عليه السّلام: لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك و خلقك، و ما مرّ فى ذيله من كلام القيصرى: لا فرق بينهما إلاّ بالربوبيّه و المربوبيّه كأنّما يفيدان وجها خامسا فى وحده الوجود أعلى و أشمخ و أدقّ و أشرف من الأربعه المتقدّمه المبيّنه، و لعلّ كلام العارف الربّانى الخواجه صائن الدين على تركه اصفهانى يشير إلى هذا الوجه المنيع حيث قال: فهو العابد باعتبار تعيّنه و تقيّده بصوره العبد الّذى هو شأن من شئونه الذاتيّه و هو المعبود باعتبار إطلاقه، اعلم أنّ الشهود الأتم الأكمل قضى أنّ كلّ ما يسمّى مرآه و مجلى و مظهرا و عينا و نحو ذلك ليس سوى تعينات صور أحوال الحقّ على ما بينها من التفاوت فى الحكم و الحقّ من حيث هو باطن هويّته متجلى فى عين كل فرد فرد من أحواله المتميّزه الّتى تغيب و ظهرت له انتهى كلامه.

و اللّه تعالى أعلم بمراد أوليائه، اللّهم ارزقنا فهم ما أودعت فى كلماتك التامّه، قال عزّ من قائل: «يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ».

ای برتر از خیال و قیاس و گمان و وهم وز آنچه گفته اند و شنیدیم و خوانده ایم

مجلس تمام گشت و باخر رسید عمر ما همچنان در أوّل وصف تو مانده ایم

و أما الأمر الثانى فنقول: لا يعرج الإنسان إلى ذى المعارج إلاّ بجناحى العلم و العمل قال عزّ من قائل: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى » (النجم: ۴۰) و قال تعالى: «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى » (النازعات: ۳۵)، «وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً » (الاسراء: ۲۰)

و قال تعالى: «فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَهِ رَبِّهِ أَحَداً » (آخر الكهف).

ثمّ تأمّل تأمّلا ـ كاملا ـ في قوله تعالى: «لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى »، فإن ما هو خارج عن ذاتک ليس لک حقيقه بل له ارتباط مّا إليک فاسع إلى ما هو لک بل هو أنت و أنت هو على الحقيقه لما ثبت بالبراهين العقليه المعاضده بالأدله النقليه من اتّحاد العاقل بمعقوله، و نعم ما أفاده الشّيخ أبو على الرئيس رضوان اللّه عليه فى النمط الثامن من كتاب الإشارات: كمال الجوهر العاقل أن يتمثل فيه جليّه الحقّ الأوّل قدر ما يمكنه أن ينال منه ببهائه الّذى يخصّه ثمّ يتمثل فيه الوجود كلّه على ما هو عليه مجردا عن الشوب مبتدأ فيه بعد الحقّ الأوّل بالجواهر العقليّه العاليه ثمّ الرّوحانيّه السماويه ثمّ ما بعد ذلک تمثّلا لا يمايز الذات.

فاعلم أنّ الخبر ليس كالمعاينه، و العلم بالشىء غير النيل لوصوله و وجدانه و حصوله، و لا ـ يبلغ مرتبه علم اليقين مرتبه عين اليقين فضلا عن مرتبه حقّ اليقين بل الأوّل دون الثانى بمراحل و الثانى دون الثالث بمنازل، قال الشّيخ الرئيس قدّس سرّه فى أواخر النمط التاسع من كتاب الإشارات: من أحبّ أن يتعرّفها - يعنى أن يتعرّف الدرجات الّتى يجدها السالک - فليتدرّج إلى أن يصير من أهل المشاهده دون المشافهه و من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر.

و قال الخواجه نصير الدين الطوسى رضوان اللّه عليه فى الشرح بعد كلام فى الدرجات: و اعلم أنّ العباره عن هذه الدرجات غير ممكنه لأنّ العبارات موضوعه للمعانى الّتى يتصوّرها أهل اللغات ثمّ يحفظونها ثمّ يتذكرونها ثمّ يتفاهمونها تعليما و تعلّما، أما الّتى لا يصل إليها إلاّ غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه فليس يمكن أن يوضع لها ألفاظ فضلا عن أن يعبّر عنها بعباره، و كما أنّ المعقولات لا تدرک بالأوهام و الموهومات لا تدرک بالخيالات و المتخيلات لا تدرک بالحواس كذلک ما من شأنه أن يعاين بعين اليقين فلا ـ يمكن أن تدرک بعلم اليقين فالواجب على من يريد ذلک أن يجتهد فى الوصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبرهان.

ص:٢٨٦

قلت: قد مضى فى ذلک کلامنا آنفا و تقدّم قول الإمام الصّادق علیه السّلام فیه.

و لا یتیسّر الوصول إلی لقائه تعالی إلاّ بالعمل الصالح و الإخلاص فی عبادته کما فی آیه الکهف الکریمه و إنما یتأتّی لمن تخلّص عن العلائق النفسانیّه و الشواغل الدنیاویه و إلاّ لم یحصل معها ذوق اللذائذ العقلیّه حتّی یحصل الشوق إلیها فمن لم یعشق العباده فإنّما لتمکن تلک العوائق فیه و نعم ما قال الشّیخ فی النمط الثامن من الإشارات: الان إذا کنت فی البدن و فی شواغله و علائقه فلم تشتق إلی کما لک المناسب أو لم تتألّم بحصول ضدّه فاعلم أنّ ذلک منک لا منه.

و ما قال المعلم الثانی أبو نصر الفارابی رضوان اللّه علیه فی الفصوص: إنّ لک منک غطاء فضلا عن لباسک من البدن فاجهد أن ترفع الحجاب فحینئذ تلحق فلا تسأل عمّا تباشره، فإن ألمت فویل لک، و إن سلمت فطوبی لک و نفسک و أنت فی بدنک کأنک لست فی بدنک و کأنک فی صقع الملکوت فتری ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر فاتّخذ لک عند الحقّ عهدا إلی أن تأتیه فردا.

قلت: قوله: فلا تسأل عمّا تباشره، کلام عمیق بعید الغور یفسّره قول الشّیخ الرئیس فی آخر النمط التاسع فی مقامات العارفین: و العارف ربما ذهل فیما یصار به إلیه فغفل عن کل شیء فهو فی حکم من لا یکلّف، و کیف و التکلیف لمن یعقل التکلیف حال ما یعقله و لمن اجترح بخطیئته إن لم یعقل التکلیف.

و قال الخواجه نصیر الدین الطوسی فی الشرح: و المراد أنّ العارف ربما ذهل فی حال اتّصاله بعالم القدس عن هذا العالم فغفل عن کلّ ما فی هذا العالم و صدر عنه إخلال بالتکالیف الشرعیّه فهو لا یصیر بذلک متأثّما لأنه فی حکم من لا یکلف لأنّ التکلیف لا یتعلّق إلاّ بمن یعقل التکلیف فی وقت تعقّله ذلک، أو بمن یتأثّم بترک التکلیف إن لم یکن یعقل التکلیف کالنائمین و الغافلین و الصبیان الّذین هم فی حکم المکلفین.

و إلی هذا المعنی أشار الخواجه عبد اللّه الأنصار بقوله: صاحب غلبۀ عشق

از خود آگاه نیست آنچه مست می کند او را گناه نیست، و الخواجه شمس الدین الحافظ بقوله:

رشتهٔ تسبیحم ار بگسست معذورم بدار دستم اندر ساعد ساقی سیمین ساق بود

و بیانه أوضح من ذلک یطلب من شرح اللاّهیجی علی گلشن راز للشبستری (ص ۱۹۸ من الطبع الأوّل)، و من شرح الأمیر إسماعیل الشنب غازانی التبریزی علی فصوص الفارابی (ص ۷۱) رحمه اللّه علیهم.

و قوله: و أنت فی بدنک کانّک إلخ، و منه أخذ الشّیخ الرئیس أبو علی بن سینا کلامه فی أوّل النمط التاسع فی مقامات العارفین: فکأنّهم و هم فی جلابیب من أبدانهم قد نضوها و تجرّدوا عنها إلی عالم القدس إلخ، و کأنّ هذا الکلام مأخوذ من مشکاه الولایه العلویه حیث قال إمام الموحدین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فی صفه الزّهاد: کانوا قوما من أهل الدّنیا و لیسوا من أهلها فکانوا فیها کمن لیس منها إلخ (نهج البلاغه آخر المختار ۲۲۸ من باب الخطب) و حیث قال علیه السّلام لکمیل بن زیاد: صحبوا الدّنیا بأبدان أرواحها معلقه بالمحلّ الأعلی إلخ (المختار ۱۴۷ من باب الحکم و المواعظ من النهج)، و إلی هذا المعنی أشار السعدی بقوله:

هرگز وجود حاضر و غائب شنیده ای من در میان جمع و دلم جای دیگر است

و قوله: فتری ما لا عین رأت، مأخوذ من حدیث عن النّبی صلی اللّه علیه و آله أنّه قال: قال اللّه تعالی: أعددت لعبادی الصالحین ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر.

و قوله: فاتخذ لک عند الحقّ فردا، کأنّما إشاره إلی قوله تبارک و تعالی:

«لا یَمْلِکُونَ الشَّفاعَهَ إِلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً » (مریم: ۸۸)، و قوله: إلی أن تأتیه فردا إشاره إلی قوله تعالی: «وَ کُلُّهُمْ آتِیهِ یَوْمَ الْقِیامَهِ فَرْداً » (مریم: ۹۶).

ثمّ اعلم أنّ معرفه النفس هی مرقاه إلی معرفه الربّ ، و من عرف نفسه فقد عرف ربّه کما تقدّمت الإشاره إلیه إجمالاً و فی الخبر المروی تاره عن أمیر المؤمنین

علىّ عليه السّلام كما فى الصافى للفيض قدس سرّه، و اخرى عن أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام كما فى المجلى لابن جمهور الأحسائى رضوان اللّه عليه: الصوره الإنسانيه هى أكبر حجج اللّه على خلقه، و هى الكتاب الّذى كتبه بيده، و هى الهيكل الّذى بناه بحكمته، و هى مجموع صور العالمين، و هى المختصر من اللوح المحفوظ ، و هى الشاهده على كلّ غائب، و هى الحجّه على كلّ جاحد، و هى الطريق المستقيم إلى كلّ خير، و هى الجسر (الصراط - خ ل) الممدود بين الجنّه و النّار.

و هذا الخبر الشريف باب بل أبواب إلى معارف حقّه و أسرار مكنونه و لعمرى جدير أن يقال فيه كلّ الصيد فى جوف الفراء، شرحه يخرجنا إلى الإسهاب، و يجرّنا إلى تأليف رساله عليحده أو كتاب، و حيث إنّ الصوره الإنسانيه هى مجموع صور العالمين قالوا فى حدّ الفلسفه: هى معرفه الإنسان نفسه، كما فى رساله الكندى فى حدود الأشياء و رسومها (ص ۱۷۳ من طبع مصر) و قد أتى الكندى فيها فى حدّ الفلسفه بسته حدود من القدماء و هذا أحدها، و قال بعد نقله الحدّ المذكور: و هذا قول شريف النهايه بعيد الغور مثلا أقول: إنّ الأشياء إذا كانت أجساما و لا أجسام، و ما لا أجسام إما جواهر و إما أعراض، و كان الإنسان هو الجسم و النفس و الأعراض، و كانت النفس جوهرا لا جسما فإنّه إذا عرف ذاته عرف الجسم بأعراضه و العرض الأوّل و الجوهر الّذى هو لا جسم فإذن إذا علم ذلك جميعا فقد علم الكلّ ، و لهذه العلّه سمّى الحكماء الإنسان العالم الأصغر.

و قال العارف المتنزّه الميرزا جواد الملكى قدّس سرّه فى كتابه المسمّى بلقاء اللّه: انّ الإنسان له عوالم ثلاثه: عالم الحسّ و الشهاده، و عالم الخيال و المثال، و عالم العقل و الحقيقه، فمن جهه أنّ إنيّته الخاصّه إنّما بدأت من عالم الطبيعه كما فى الايه الكريمه المباركه «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ » صار عالمه هذا له بالفعل و عرف نفسه و حقيقته بعالمه هذا، بل لو سمع من عارف أو عالم

عـالميه الاـخرين أنكره، بـل لو أخبره أحـد بصـفات عالمه العقلى لكفّره، و ذلك لأنّ عالمه الطبيعى له بالفعل و عالميه الاخرين بالقوّه، و لم ينكشف له بالكشف التام إلاّ عالم الطبيعه، و آثار من عالم المثال، و شىء قليل من عالمه العقلى.

و انسـانيته انمـا بعـالمه العقلى و إلاّ ـ فهو مشترك مع سـائر بنى جنسه من الحيوان فى عـالميه الاـخرين، و إن كان عالماه الاخران أيضا من جهه المرتبه أشرف من عالمى سائر الحيوانات.

و بهـذه العوالم الثلاثه و ترتيبها وقع التلويـح بل التصـريح فى دعاء سـجده ليله النصف من شـعبان عن النّبى صـلى اللّه عليه و آله حيث قال فيها: و سجد لك سوادى و خيالى و بياضى.

و بـالجمله فعـالمه الحسّـى عباره عن بـدنه الّـذى له مادّه و صوره، و عالمه المثالى عباره عن عالمه الّـذى حقائقه صور عاريه عن المواد، و عالمه العقلى عباره عن عالمه الّذى هو حقيقته و نفسه بلا مادّه و لا صوره.

و لكـلّ من هـذه العوالم لوازم و آثـار خـاصّه لاـزمه لفعليّتها، فمن انغمر فى عالم الطبيعه و تحقّقت باثارها و تحرّكت بحكمها و ضعفت فيه آثار عالمه العقلى فقد أخلد إلى الأرض و صار موجودا بما هو حيوان بل أضلّ من الحيوان كما هو الصـريح فى قوله تعالى: «إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا »، و من ترقّى إلى العالم العقلى و غلب آثاره على آثار عالميه الطبيعى و الخيالى و كـان الحاكم فى مملكه وجوده العقل يصير موجودا روحانيا حتّى يتكامل فى العقلانيّه و انكشف له حقيقته و نفسه و روحه فإذا ترتفع عنه الحجب الظلمانيه بل النورانيّه أو غالبها بينه و بين معرفه اللّه جلّ جلاله و يتحقّق فى حقّه قوله صلى اللّه عليه و آله: من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

و إذا تمهّد لك هذه الإجماليات فراجع إلى تفصيل لوازم كل عالم من العوالم و اشـتغل بتدبير السفر و توكّل على الرب الرّحيم و استعن منه و توسّل بأوليائه فى كلّ جزئى و كلى من شئونك:

و اعلم أنّ هذا العالم الحسى هو عالم الموت و الفناء و الفقد و الظلمه و الجهل و هو ذات ماده و صوره سائلتين زائلتين دائم التغير و الانقسام و لا شعور له و لا إشعار إلاّ بتبعيه العالمين الاخرين و إنّما ظهوره للحسّ بتوسط الأعراض من حيث وحدته الإتصاليّه أمّا من حيث كثرته المقداريه المتجزّيه عند فرض القسمه فكل واحد من الأجزاء معدوم عن الاخر و مفقود عنه فالكلّ غائب عن الكلّ و معدوم عنه و ذلك من جهه أنّ المادّه مصحوبه بالعدم بل هو جوهر مظلم و أوّل ما ظهر من الظلام.

و لأنّها فى ذاتها بالقوّه و بما لها فى أصلها من عالم النور تقبل الصور النوريه و تذهب ظلماتها بنور صورها فهذه النشأه اختلط نورها بظلامها و ضعف وجودها و ظهورها و لضعفها احتاجت إلى مهد المكان و ظئر الزمان و أهلها المخصوصون بها أشقياء الجن و الإنس و الحيوان و النبات و الجماد، و فى الحديث القدسى: ما نظرت إلى الأجسام منذ خلقتها، و هم الّذين علومهم مختصّه بهذا العالم و يعلمون ظاهرا من الحيوه الدّنيا و هم عن الاخره غافلون، و لم يتجاوز علمهم عن المحسوسات و لم يعرفوا من العوالم العاليه إلاّ الأسماء، و كلما سمعوا حكايه منها قدروا له لوازم عالمهم و أنكروا ما يقال لهم من لوازم غير عالمهم.

و بالجمله مرعيهم و مأنسهم و وطنهم هذا العالم المحسوس و ملاذهم و مقاصدهم كلّها من مألوفات هذا العالم و هم الّذين قلنا إنّهم من الّذين أخلدوا إلى الأرض و هم يعتقدون أنّ أنفسهم هو هذا البدن و أرواحهم هى الروح الحيوانى، و أنّ الجماد كلّها موجودات متأصّله متحقّقه و جواهر قائمه بذواتها مخلوقه فى عالمها و حيّزها، و أنّ موجودات العوالم الاخر على القول بها موجودات اعتباريه خياليّه لا حقيقه لها و أنّ اللّذه إنّما هى فى المأكل و المشرب و المنكح و جاه هذا العالم، و ذكرهم و فكرهم و خيالهم و آمالهم و علومهم كلّها متعلّقه بالمحسوسات و انسهم بها يحبّونها و يستأنسون بها، و يشتاقون لما لم يصلوا إليه من زخارفها و حلوها و خضرتها بل يعشقونها و شغفهم حبّها كالعاشق المستهتر.

فمن كان منهم مع ذلك مؤمنا باللّه و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر و لكن بايمان مستقر غير زائل عند الموت لضعفه و قله نوره و شدّه ظلمه المعاصى و خلط مع ذلك عملا صالحا و آخر سيئا اولئك ممّن يرجى له المغفره و لو بعد حين.

و أما الطائفه الاولى فهم الأشقياء الكافرون ليس لهم فى الاخره إلّا النار لأنهم من أهل السجين و يوم القيامه إذا ميّزت الحقائق و التحقت الفروع بالاصول التحق ما فى هذا العالم من النور إلى عوالمه و بقى ظلمتها و نارها و تبدّلت صور كل واحد من الأفعال و الأخلاق بما يناسب عالم القيامه من الحيات و العقارب و عذب بها فاعلها و مختلقها، و من كان يريد الدّنيا و زينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون اولئك ليس لهم فى الاخره إلّا النار.

و لو فرض لهم عمل خير يوفّ إليهم فى حياتهم الدنيا أو ينقص بقدره من عذابهم فى الاخره و بالجمله أنّ الإنسان لما خلق ابتداء من هذه الأرض فإن بقى فيها بعد ما خلق فيه الروح و العقل و استأنس بها و ألف لذاتها كان ممّن أخلد إلى الأرض فيوم القيامه ملتحق بالسجّين.

و إن خلص منها بعد ذلك بمعنى أن تحقّق باثار العقل و الروح و صار جسدا عقلانيا، و هيكلا نورانيا فيوم القيامه يرتقى إلى أعلى عليّين، و بعباره و ضحى خلق اللّه الإنسان فى أوّل ما خلق من سلاله من طين، و بقى مده فى صوره السلاله و النطفه و العلقه و المضغه و العظم و اللحم، ثمّ أعطاه الحياه و بقى حيّا إلى أن وهبه قوّه الحركه و البطش، و بقى على ذلك حتّى وهبه قوّه التميّز بين النافع و الضار فأراد النافع و كره الضار فإن اتبع إرادته لإراده اللّه جلّ جلاله فى جميع حركاته و سكناته و لم يبق له إراده مخالفه لإرادته تعالى فهذا مقام الرضا و هذا الشخص دائما يكون فى الجنّه و لهم فيها ما يشاءون و لذلك كان اسم خازن الجنّه الرضوان.

و فى حديث المعراج انّ اللّه قال: فمن عمل برضاى ألزمته (الزمه - خ ل) ثلاث خصال: أعرفه شكرا لا يخالطه جهل، و ذكرا لا يخالطه النسيان، و محبه لا يؤثر على محبّتى محبّه المخلوقين.

ثمّ إن عرف أنّ قدرته منتفيه فى قدره اللّه و لم ير قدره لغير اللّه لا لنفسه و لا لغيره فهو مقام التوكّل - و من يتوكّل على اللّه فهو حسبه.

ثمّ إن وفق مع ذلك أن ينفى علمه أيضا فى علم اللّه لئلا يكون بنفسه شيئا فهذا مقام الوحده (التوحيد - خ ل) اولئك الّذين أنعم اللّه عليهم.

فإن اتبع إراده نفسه و عمل فى حركاته و سكناته بهواه، و الحقّ لا يتبع بهوى غيره، فيخالف هواه مع هوى الحقّ فيكون هوى الحقّ و لا يكون هواه و حيل بينهم و بين ما يشتهون، إلى أن يوصله الهوى إلى الهاويه و يقيده بالأغلال و السّلاسل فى جميع مراداته و هذا شأن المماليك بالنسبه إلى مراداتهم و لذلك سمى خازن جهنم مالكا.

و إن تخلّف عن التوكّل يقع فى الخذلان، و إن تخلّف عن جليل مرتبه التوحيد (الوحده - خ ل) ردّ إلى سفلى الدركات و هى دركه اللّعنه اولئك يلعنهم اللّه و يلعنهم اللاعنون، - إلى أن قال قدّس سرّه:

و لا يذهب عليك أنّ ما ذكرنا من العوالم إنّما هى داخل هذا العالم و ليس خارجا عنه بمعنى أنّ هذا العالم حاله و كيفيه للموجودات فى حدّ و مرتبه من الوجود و عالم المثال حاله و كيفيه اخرى ألطف من هذه الكيفيات فى باطن هذا العالم و ليس خارجا منه فمن كان له نور لعينه الحسيّه و اجتمع بنور الشمس أو القمر الحسيّين يرى العالم الحسّى بكيفيات حسيّه و صور حسيّه و من كان لعينيه المثاليّه نور مثالى و اجتمع نوره بنور الكواكب المثاليّه يرى مثال هذا العالم بكيفيّات مثاليّه و صور مثاليه فإنّ كيفيات العوالم و صورها مختلفه كل بحسبها و مناسبتها و هكذا.

و يكشف عن هذا الإختلاف الرؤيا و تعبيرها بما يرى واقعه مطابقا لصورتها المثاليه يرى النائم اللبن و يفسّره المعبّر بالعلم و يقع فى الواقع ما يرى على وفق التعبير.

و يكشف عن ذلك أيضا الأخبار الكثيره الوارده فى أحوال البرزخ و القيامه و تجسيم الأعمال بما يناسبها من الصور، فحصل من جميع ما قلنا أنّ الموجود

الحقّ الواقعى إنّما هو الذات جلّ جلاله فى عالمها و سائر العوالم انما هو شأن من شئون و تجلى من تجلياتها مثلا تجلى بالتجلى الأوّل فوجد منه العالم العقلى ثمّ تجلّى ثانيا فظهر العالم النفسى، و هكذا إلى أن خلق هذا العالم الحسّى ففى الخارج موجود حقيقى حقّ ثابت و شئونه فكل شأن من شئونه عباره عن عالم من العوالم تامّ فى مرتبته و لكلّ عالم آثار و صفات حتّى ينتهى إلى أحسن العوالم و أكثفها و أضيقها و هو هذا العالم المحسوس و هذا العالم كيفيه خاصه و صور و حدود شتّى لازم لهذه المرتبه من الوجود، و وجوده و آثاره مخصوصه بعالمها و هكذا.

و عالم الرؤياء إنّما هو من عالم المثال فكلما يرى فيها فهو من هذا العالم أرضها و سماؤها و جمادها و نباتها بل و صور المرايا أيضا منه و الصور الخياليه أيضا منه و هذا العالم عالم واسع بل عوالم كثيره بل قيل إنّ فى عالم المثال ثمانيه عشر ألف عالم.

و حكى عن بعض العرفاء أنّ كلما ورد فى الشّرع ممّا ظاهره مجاز فى عالمنا فقد وجدناه فى بعض هذه العوالم حقيقه من غير تجوز - فكما أن كلّما يراه النائم فى الرؤيا إنّما هو حال و كيف مثالى يظهر لنفسه فى عالم المثال فكذلك ما يراه اليقظان فى عالمنا هذا الحسّى حال و كيف حسّى يظهر لنفسه فى عالم الحس - إلى أن قال رضوان اللّه عليه:

و الإدراك لا يمكن إلّا بنيل المدرك لذات المدرك و ذلك إما بخروجه من ذاته إلى أن يصل إليه أو بادخاله إيّاه فى ذاته و كلاهما محال إلّا أن يتّحد معه و يتصوّر بصورته فالذات العالمه ليست بذاتها بعينها هى الذات الجاهله، فالعلم بالأجسام لا يتعلق بوجوداتها الخارجيه لأنّ صورها بما هى هى ليست حاصله بهذا النحو من الحصول الاتّحادى إلّا لموادها و ليست حاصله لأنفسها و حصولها لموادها ليس بنحو العلمى إذ هى أمر عدمىّ ليست إلّا جهه القوّه فى الوجودات فليس لها فى أنفسها ذات يصحّ أن يدرك شيئا و يعلمه و إذا لم يكن الصور الخارجيه للأجسام ممّا يصحّ أن يحصل لها شيء الحصول المعتبر فى العلم و لا هى حاصله لما

يصحّ له أن يعلمها فليست هى عالمه بشىء أصلا و لا لشىء أن يعلمها بعينها كما هى فهى إذا معلومه بالقوّه بمعنى أن فى قوّتها أن ينتزع منها عالم صورا فيعلمها أى يتصور بمثل صورها لاستحاله انتقال المنطبعات فى الموادّ فالمعلوم بالذات من كل شىء ليس إلّا صورا إدراكيّه قائمه بالنفس متّحده معها لا ماده خارجيّه.

فالمعلوم بالفعل ليس إلّا لعالمه فكل عالم معلومه غير معلوم عالم آخر و هو فى الحقيقه عالم و علم و معلوم، هذا.

و المقصود من التعرض بهذه التفصيلات التنبيه إلى الفكر فى معرفه النفس و كيفيّه الترقى منها إلى معرفه الربّ ، و الإستدلال بما يستحكم به تصديق ذلك و أن يتفطّن المبتدى لاصول تنفع فى فكره، و إلّا فليس كيفيّه التفكر إلّا أن يشتغل المتفكر تاره لتجزيه نفسه، و اخرى لتجزيه العالم حتّى يتحقّق له أن ما يعلمه من العالم ليس إلّا نفسه و عالمه لا العالم الخارجى، و أنّ هذه العوالم المعلومه له إنّما هو مرتبه من نفسه و حتّى يجد نفسه لنفسه ما هى ؟! ثمّ ينقّى عن قلبه كلّ صوره و خيال و يكون فكره فى العدم حتّى تنكشف له حقيقه نفسه أى يرتفع العالم من بين يديه و يظهر له حقيقه نفسه بلا صوره و لا مادّه، و هذا هو أوّل معرفه النفس و لعلّ إلى ذلك اشير فى تفسير قوله تعالى: «أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ » (الزمر: ۲۴) حيث سئل عنه و قال عليه السّلام: نور يقذفه اللّه فى قلبه فيشرح صدره، قيل: هل لذلك من علامه ؟ قال عليه السّلام: علامته التّجافى عن دار الغرور و الإنابه إلى دار الخلود و الاستعداد للموت قبل حلول الفوت.

و لعلّ العامّه لا يعتقدون فى معنى التجافى إلّا الزهد فى شهوات الدنيا، و لا يتصوّرون معنى للتجافى الحقيقى الّذى هو ارتفاع الغرور الواقع فى هذا العالم لأهله و عدم رؤيه الأشياء كما هى الّذى هو شأن العامّه الّذين لم يبلغوا بعد معرفه النفس بهذه المعرفه، انتهى ما أردنا من نقل كلامه نوّر اللّه تعالى رمسه. و قد أجاد فيما أفاد و كتابه فى لقاء اللّه ممتّع جدّا للّه درّه مؤلّفا.

و کلامه – ره – فی النشات الثلاثه الإنسائیّه تشیر إلی ما برهنه المتألّه المولی صدرا فی الرابع من الأسفار حیث قال قدّس سرّه:

حکمه عرشیه: إنّ للنفس الإنسانیه نشئات ثلاثه إدراکیه: النشأه الاولی هی الصوره الحسیّه الطبیعیه و مظهرها الحواس الخمس الظاهره و یقال لها الدنیا لدنوّها و قربها لتقدمها علی الأخیرتین، و عالم الشهاده لکونها مشهوده بالحواس و شرورها و خیراتها معلومه لکلّ أحد لا یحتاج إلی البیان و فی هذه النشأه لا یخلو موجود عن حرکته و استحالته و وجود صورتها لا تنفک عن وجود مادّتها.

و النشأه الثانیه هی الأشباح و الصور الغائبه عن هذه الحواس و مظهرها الحواس الباطنه و یقال لها عالم الغیب و الاخره لمقایستها إلی الاولی لأنّ الاخره و الاولی من باب المضاف، و لهذا لا یعرف إحداهما إلّا مع الاخری کالمتضایفین کما قال تعالی: «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَهَ الْأُولی فَلَوْ لا تَذَکَّرُونَ »، و هی تنقسم إلی الجنّه و هی دار السعداء، و الجحیم و هی دار الأشقیاء، و مبادی السعادات و الشقاوات فیهما هی الملکات و الأخلاق الفاضله و الرذیله.

و النشأه الثالثه هی العقلیّه و هی دار المقرّبین و دار العقل و المعقول و مظهرها القوّه العاقله من الإنسان إذا صارت عقلا بالفعل، و هی لا تکون إلاّ خیرا محضا و نورا صرفا فالنشأه الاولی دار القوّه و الاستعداد و المزرعه لبذور الأرواح و نبات النیّات و الإعتقادات، و الاخریتان کلّ منهما دار التمام و الفعلیه، و حصول الثمرات و حصاد المزروعات.

و قد أفاد قدّس سرّه هذا المطلب الأرفع الأعلی فی عدّه مواضع من الأسفار فراجع إلی ص ۱۷، و ص ۲۱، و ص ۹۷، و ص ۱۳۱ من ج ۹.

و إذا دریت أنّ الصوره الإنسانیه هی مجموع صور عالمی الأمر و الخلق فادر أیضا أنّ الإنسان إذا کان مراقبا لقلبه و حارسا له عن ولوج الأجانب و الأغیار، و ناظرا إلی ربّه و مستشعرا جانب اللّه عزّ و جلّ و منصرفا بفکره إلی قدس الجبروت مستدیما لشروق نور الحقّ فی سرّه یلوح له ملکوت

السموات و الأرض و يرتقى إلى أعلى علیّين، و يصافحه الملائكه المقرّبين، قال عزّ من قائل: «إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَهُ أَلاَّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ فِى الْآخِرَهِ وَ لَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ » (حم السجده، فصّلت ٣١-٣٣)، و قد تقدّم فى صدر الرساله كلام العارف السهروردى: الفكر فى صوره قدسيّه يتلطّف بها طالب الأريحيّه.

و فى باب تنقل أحوال القلب من كتاب الإيمان و الكفر من اصول الكافى (ص ٣٠٩ ج ٢ من المعرب) باسناده عن سلام بن المستنير عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

أما إنّ أصحاب محمّد صلى اللّه عليه و آله قالوا: يا رسول اللّه نخاف علينا النفاق قال: فقال: و لم تخافون ذلك ؟ قالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا و رغّبتنا و جلنا و نسينا الدنيا و زهدنا حتّى كأنا نعاين الاخره و الجنّه و النار و نحن عندك، فإذا خرجنا من عندك و دخلنا هذه البيوت و شممنا الأولاد و رأينا العيال و الأهل يكاد أن نحوّل عن الّتى كنّا عليها عندك و حتّى كأنّا لم نكن على شىء أ فتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقا؟ فقال لهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: كلّا إنّ هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم فى الدنيا، و اللّه لو تدومون على الحاله الّتى وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكه و مشيتم على الماء - الخبر.

و روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لو لا إنّ الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء، قال الكندى فى رسالته فى النفس: إنّ النفس بسيطه ذات شرف و كمال عظيمه الشّأن، جوهرها من جوهر البارى عزّ و جلّ كقياس ضياء الشمس من الشمس.

و قد بيّن أنّ هذه النفس منفرده عن هذا الجسم مباينه له و أنّ جوهرها جوهر إلهى روحانى بما يرى من شرف طباعها و مضادّتها لما يعرض للبدن من الشهوات و الغضب.

و ذلك أنّ القوّه الغضبيّه قد تتحرك على الإنسان فى بعض الأوقات

فتحمله على ارتكـاب الأـمر العظيم فتضادّها هـذه النفس و تمنع الغضب من أن يفعل فعله أو أن يرتكب الغيظ و ترته، و تضـبطه كما يضبط الفارس الفرس إذا همّ أنّ يجمح به أو يمدّه.

و هـذا دليـل بيّن على أنّ القوّه الّتى يغضب بهـا الإنسـان غير هـذه النفس الّتى تمنع الغضب أن يجرى إلى مـا يهواه لأنّ المانع لا محـاله غير الممنوع لأنّه لا يكون شـيء واحـد يضادّ نفسه، فأمّا القوّه الشـهوانيه فقـد تتوق فى بعض الأوقات إلى بعض الشـهوات ففكّر النفس العقليّه فى ذلـك أنّه أخطأ و أنّه يؤدى إلى حـال رديّه فتمنعهـا عن ذلك و تضادها، و هـذا أيضا دليل على أنّ كلّ واحده منهما غير الاخرى.

و هـذه النفس الّتى هى من نور البـارى عزّ و جـلّ إذا هى فارقت البـدن علمت كلّ ما فى العالم و لم يخف عنها خافيه، و الـدليل على ذلك قول أفلاطن حيث يقول: إنّ كثيرا من الفلاسـفه الطاهرين القدماء لما يتجرّدوا من الدّنيا و تهاونوا بالأشـياء المحسوسه و تفرّدوا بالنظر و البحث عن حقائق الأشياء انكشف لهم الغيب، و علموا بما يخفيه الناس فى نفوسهم و اطّلعوا على سرائر الخلق.

فإذا كان هـذا هكـذا، و النفس بعد مرتبطه بهذا البدن فى هذا العالم المظلم الّذى لو لا نور الشـمس لكان فى غايه الظلمه فكيف إذا تجرّدت هذه النفس، و فارقت البدن، و صارت فى عالم الحقّ الّذى فيه نور البارى سبحانه ؟!.

و لقد صدق أفلاطن فى هذا القياس و أصاب به البرهان الصحيح، ثمّ إنّ أفلاطن أتبع هذا القول بأن قال: فأمّا من كان غرضه فى هـذا العـالم التلـذّذ بالماكـل و المشـارب المسـتحيله إلى الجيف، و كـان أيضا غرضه فى لـذّه الجماع فلا سبيل لنفسه العقليه إلى معرفه هذه الأشياء الشريفه و لا يمكنها الوصول إلى التشبّه بالبارى سبحانه.

ثمّ إنّ أفلاطن قاس القوّه الشهوانيّه الّتى للإنسان بالخنزير، و القوّه الغضبيّه بالكلب، و القوّه العقليّه الّتى ذكرنا بالملك، و قال: من غلبت عليه

الشهوانيّه و كانت هى غرضه و أكثر همته فقياسه قياس الخنزير، و من غلب عليه الغضبيّه فقياسه قياس الكلب، و من كان الأغلب عليه قوّه النفس العقليه و كان أكثر أدبه الفكر و التمييز و معرفه حقائق الأشياء، و البحث عن غوامض العلم كان انسانا فاضلا قريب الشبه من البارى سبحانه لأنّ الأشياء الّتى نجدها للبارى عزّ و جلّ هى الحكمه و القدره و العدل و الخير و الجميل و الحقّ .

و قد يمكن للإنسان أن يدبّر نفسه بهذه الحيله حسب ما فى طاقه الإنسان فيكون حكيما عدلا جوادا خيّرا يؤثر الحقّ و الجميل، و يكون بذلك كلّه بنوع دخل دون النوع الّذى للبارى سبحانه من قوّته و قدرته لأنّها إنما اقتبست من قربها قدره مشاكله لقدرته، فإنّ النفس على رأى أفلاطن و جلّه الفلاسفه باقيه بعد الموت جوهرها كجوهر البارى عزّ و علا فى قوّتها إذا تجرّدت أن تعلم سائر الأشياء كما يعلم البارى بها أو دون ذلك برتبه يسيره، لأنها اودعت من نور البارى جلّ و عزّ.

و إذا تجرّدت و فارقت هذا البدن و صارت فى عالم العقل فوق الفلك صارت فى نور البارى، و رأت البارى عزّ و جلّ و طابقت نوره و جلّت فى ملكوته فانكشف لها حينئذ علم كلّ شىء، و صارت الأشياء كلّها بارزه لها كمثل ماهى بارزه للبارى عزّ و جلّ ، لأنّا إذا كنّا و نحن فى هذا العالم الدنس قد نرى فيه أشياء كثيره بضوء الشمس فكيف إذا تجرّدت نفوسنا، و صارت مطابقه لعالم الديموميّه و صارت تنظر بنور البارى فهى لا محاله ترى بنور البارى كلّ ظاهر و خفىّ و تقف على كلّ سرّ و علانيه.

و كان أفسقورس يقول: إنّ النفس إذا كانت و هى مرتبطه بالبدن تاركه للشهوات متطهّره من الأدناس، كثيره البحث و النظر فى معرفه حقائق الأشياء انصقلت صقاله ظاهره و اتّحد بها صوره من نور البارى يحدث فيها و يكامل نور البارى بسبب ذلك الصقال الّذى اكتسبه من التطهر فحينئذ يظهر فيها صور الأشياء كلّها و معرفتها كما يظهر صور خيالات سائر الأشياء المحسوسه فى المرآه إذا

كانت صقيله، فهذا قياس النفس لأنّ المرآه إذا كانت صدئه لم يتبيّن صوره شيء فيها بتّه، فإذا زال منها الصدء ظهرت و تبيّنت فيها جميع الصور، كذلك النفس العقليه إذا كانت صدئه دنسه كانت على غايه الجهل و لم يظهر فيها صور المعلومات و إذا تطهّرت و تهذّبت و انصقلت، و صفاء النفس هو أنّ النفس تتطهّر من الدنس و تكتسب العلم ظهر فيها حينئذ صوره معرفه جميع الأشياء، و على حسب جوده صقالتها تكون معرفتها بالأشياء، فالنفس كلما ازدادت صقالا ظهر لها و فيها معرفه الأشياء.

و هذه النفس لا تنام بتّه لأنّها فى وقت النوم تترك استعمال الحواس و تبقى محصوره، ليست بمجرّده على حدتها، و تعلم كلّ ما فى العوالم و كلّ ظاهر و خفى و لو كانت هذه النفس تنام لما كان الإنسان إذا رأى فى النوم شيئا يعلم أنه فى النوم بل لا يفرق بينه و بين ما كان فى اليقظه.

و إذا بلغت هذه النفس مبلغها فى الطهاره رأت فى النوم عجائب من الأحلام و خاطبتها الأنفس الّتى قد فارقت الأبدان و أفاض عليها البارى من نوره و رحمته فتلتذّ حينئذ لذّه دائمه فوق كل لذّه تكون بالمطعم و المشرب و النكاح و السماع و النظر و الشمّ و اللمس، لأنّ هذه لذات حسيّه دنسه تعقب الأذى، و تلك لذّه إلهيّه روحانيّه ملكوتيّه تعقب الشرف الأعظم، و الشقى المغرور الجاهل من رضى لنفسه بلذّات الحسّ و كانت هى أكثر أغراضه و منتهى غايته.

و إنما نجىء فى هذا العالم فى شبه المعبر و الجسر الّذى يجوز عليه السيّاره ليس لنا مقام يطول، و أما مقامنا و مستقرّنا الّذى نتوقع فهو العالم الأعلى الشريف الّذى تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت حيث تقرب من باريها، و نقرب من نوره و رحمته، و نراه رؤيه عقليّه لا حسيّه، و يفيض عليها من نوره و رحمته، فهذا قول افسقورس الحكيم. انتهى ما نقلنا عن الفيلسوف الكندى.

و قد صدر هذه النكات اللطيفه الشريفه عن قلوب نقيّه، و هى كلمات اقتبست من مشكاه الأنبياء غايه الأمر بوسائط ، و الملهم المبتدع القديم حقّ عليم منّه عظيم.

ص:٣٠٠

قوله: جوهرها من جوهر البارى، يعنى أنها من عالم الأمر الحكيم قال عزّ من قائل: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی » (الأسراء: ۸۶) «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی » (ص: ۷۳).

و قوله كقياس ضياء الشمس من الشمس شريف جدا و قد قال الإمام كشّاف الحقائق وارث علوم النبيّين أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: إنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالا بروح اللّه من اتصال شعاع الشمس بها، رواه ثقه الإسلام الكلينى قدّس سرّه فى باب أخوه المؤمنين بعضهم لبعض من كتاب الإيمان و الكفر من اصول الكافى (ص ۳۳ ج ۲ من المعرب).

قوله: إذا هى فارقت البدن علمت كلّ ما فى العالم، قال تبارك و تعالى:

«لَقَدْ كُنْتَ فِی غَفْلَهٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » (ق: ۲۴).

و قوله: ثمّ إنّ افلاطن قاس القوّه الشهوانيّه الّتى للإنسان بالخنزير إلخ كلام شريف أيضا و من هنا يعلم أيضا حشر الناس على صور نيّاتهم و أن الجزاء فى الاخره بنفس العمل و قد وردت فى ذلك روايات كثيره من بيت الوحى و العصمه و الطهاره ففى الحديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يحشر الناس على صور نيّاتهم، و فى الاخر عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى منزل أبى أيوب الأنصارى فقال معاذ: يا رسول اللّه ما رأيت قول اللّه تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِی الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً »، الايات ؟ فقال: يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمر، ثمّ أرسل عينيه ثمّ قال: يحشر عشره أصناف من امّتى أشتاتا قد ميّزهم اللّه من المسلمين و بدّل صورهم: فبعضهم على صوره القرده و بعضهم على صوره الخنازير، و بعضهم منكسون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثمّ يسحبون عليها، و بعضهم عمى يتردّدون، و بعضهم صمّ بكم لا يعقلون، و بعضهم يمضغون ألسنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع، و بعضهم مقطّعه أيديهم و أرجلهم، و بعضهم مصلبون على جذوع من نار، و بعضهم أشدّ نتنا من الجيف، و بعضهم يلبسون جبابا سابغه من قطران لازقه بجلودهم.

فأما الّذين على صوره القرده فالقتّات من الناس، و أما الّذين على صوره

الخنازير فأهل السحت، و أما المنكسون على رؤوسهم فاكلوا الربا، و العمى الجائرون فى الحكم، و الصمّ البكم المعجبون بأعمالهم، و الّذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء و القضاه الّذين خالف أعمالهم أقوالهم، و المقطعه أيديهم و أرجلهم الّذين يؤذون الجيران، و المصلبون على جذوع من نار فالسّعاه بالناس إلى السلطان و الّذين هم أشدّ نتنا من الجيف فالّذين يتمتّعون بالشهوات و اللّذات و يمنعون حقّ اللّه تعالى فى أموالهم، و الّذين يلبسون الجباب فأهل التجبّر و الخيلاء.

و هذا الحديث قد رواه الفريقان فى الجوامع و كتب التفسير و فى الحديث عنه صلى اللّه عليه و آله: من خالف الإمام فى أفعال الصلاه يحشر و رأسه رأس حمار، و قد روى الكلينى فى باب الكبر من كتاب الإيمان و الكفر من اصول الكافى (ص ۲۳۵ ج ۲ من المعرب) باسناده عن داود بن فرقد عن أخيه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ المتكبرين يجعلون فى صور الذرّ يتوطّأهم الناس حتّى يفرغ اللّه من الحساب.

و فى الحديث عنه صلى اللّه عليه و آله: كما تعيشون تموتون و كما تنامون تبعثون و روى عن النّبى صلى اللّه عليه و آله انه قال: رأيت ليله أسرى بى قوما تقرض شفاههم، و كلّما قرضت وفت، فقال لى جبرئيل: هؤلاء خطباء امّتك تقرض شفاههم لأنّهم يقولون ما لا يفعلون، رواه علم الهدى سيّد المرتضى فى المجلس الأوّل من أماليه غرر الفوائد و درر القلائد (ص ۶ من ج ۱ من طبع مصر).

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى صفه بعض علماء السوء: فالصوره صوره انسان و القلب قلب حيوان.

و فى حديث الريّان بن شبيب عن ثامن الأئمّه علىّ بن موسى الرضا عليهما السّلام:

يا ابن شبيب إن سرّك أن تكون معنا فى الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا و افرح لفرحنا و عليك بولايتنا، فلو أنّ رجلا تولّى حجرا لحشره اللّه تعالى معه يوم القيامه، رواه المجلسى رحمه اللّه عليه فى عاشر البحار (ص ۱۶۵ من طبع الكمبانى) عن عيون أخبار الرضا و أمالى الصدوق.

قلت: كنت ذات ليله متفكرا فى أمرى من حشرى معادى و ناظرا فى صحيفه عملى، و يوم عرضى للحساب و نحوها إذ رأيت فيما رأيت فى صقع نفسى شيئا لازبا بها جدّا، محشورا عندها غير منفك عنها، و لمّا أمعنت النظر فيه عرفته، و كان نسخه مخطوطه من كتاب، قد كنت احبّها شديدا فعندئذ حضر و خطر بالبال، قوله عليه السلام: فلو أنّ رجلا تولّى حجرا لحشره اللّه تعالى معه يوم القيامه، فإنّ الكتاب جماد كالحجر و لا فرق بينهما من هذه الحيثيّه.

و من تلك البراهين النقليه المعاضده للعقليه قال أساطين الحكمه: إنّ حشر الخلائق فى الاخره على أنحاء مختلفه حسب أعمالهم و أخلاقهم فلقوم على سبيل الوفد، يوم نحشر المتّقين إلى الرحمن وفدا، و لقوم على سبيل التعذيب و يوم يحشر أعداء اللّه إلى النار فهم يوزعون، و لقوم نحشر المجرمين يومئذ زرقا و لقوم و نحشره يوم القيمه أعمى، و بالجمله كل أحد إلى غايه سعيه و عمله و إلى ما يحبّه و يهواه حتّى أنّه لو أحبّ حجرا لحشر معه لقوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ »، و قوله تعالى: «اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْواجَهُمْ وَ ما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَاهْدُوهُمْ إِلىٰ صِراطِ الْجَحِيمِ ».

و المراد بأزواجهم الملكات و صورها فان تكرّر الأفاعيل يوجب الملكات و كلّ ملكه تغلب على نفس الإنسان تتصور فى القيامه بصوره تناسبها، قل كلّ يعمل على شاكلته، و لا شك أن أفاعيل الأشقياء المدبرين إنّما هى بحسب هممهم القاصره النازله فى مراتب البرازخ الحيوانيه و تصوراتهم مقصوره على أغراض بهيميّه أو سبعيّه أو شيطانيّه تغلب على نفوسهم فلا- جرم يحشرون على صور تلك الحيوانات، و إذا الوحوش حشرت، و فى الحديث عنه صلى اللّه عليه و آله يحشر بعض النّاس على صور يحسن عندها القرده و الخنازير، و فيه أيضا يحشر النّاس يوم القيامه ثلاثه أصناف: ركبانا، و مشاه، و على وجوههم.

و السرّ فى ذلك أن لكلّ خلق من الأخلاق المذمومه و الهيئات الرديه المتمكنّه فى النفس صوره نوع من أنواع الحيوانات و بدن يختصّ بذلك كصور

أبـدان الأسود و نحوها لخلق التكبّر و التهوّر مثلا، و أبـدان الثعالب و أمثالها للخبث و الروغان، و أبدان القرود و نحوها للمحاكاه و السخريّه، و الخنازير للحرص و الشهوه إلى غير ذلك.

و ربما كان لشخص واحد من الإنسان عدد كثير من الأخلاق الرديه على مراتب متفاوته فبحسب ذلك تختلف الصور الحيوانيّه فى الاخره قال اللّه عزّ و جلّ : «شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ ».

قال المولى صـدرا قـدس سرّه فى مبحث الحشـر من الأسـفار: إنّ فى داخل بـدن كلّ إنسان و مكمن جوفه حيوانا صوريا بجميع أعضائه و أشكاله و قواه و حواسّه هو موجود قائم بالفعل لا يموت بموت هذا البدن و هو المحشور يوم القيامه بصورته المناسبه لمعناه و هو الّذى يثاب و يعاقب و ليست حياته كحياه هذا البدن المركب عرضيّه وارده عليه من الخارج و إنما حياته كحياه النفس ذاتيه و هو حيوان متوسط بين الحيوان العقلى و الحيوان الحسيّ يحشر فى القيامه على صوره هيئات و ملكات كسبتها النفس بيدها العماله، و بهذا يرجع و يؤول معنى التناسخ المنقول عن الحكماء الأقدمين كأفلاطن و من سبقه مثل سقراط و فيثاغورس و غيرهما من الأساطين، و كذا ما ورد فى لسان النبوات، و عليه يحمل الايات المشيره إلى التناسخ، و كذا قوله تعالى: «وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ »، و قوله تعالى: «وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ »، و قوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ »، كلّ ذلك إشاره إلى انقلاب النفوس فى جوهرها و صيرورتها من أفواج الامم الصامته و خروجها يوم النشور إذا بعثر ما فى القبور و حصّل ما فى الصدور على صوره أنواع الحيوانات من السباع و الموذيات و البهائم و الوحوش و الشياطين.

و قال فى المبدأ و المعاد: (ص ٣٢٥) قال بعض العرفاء: كلّ من شاهد بنور البصيره باطنه فى الدّنيا لرآه مشحونا بأصناف السباع و أنواع الهوام مثل الغضب

و الشهوه و الحقد و الحسد و الكبر و العجب و الرياء و غيرها و هى الّتى لا تزال تفترسه و تنهشه إن سهى عنه بلحظه إلّا أنّ أكثر الناس لكونه محجوب العين عن مشاهـدتها فإذا كشف الغطاء و وضع فى قبره عاينها و قـد تمثلت له بصورها و أشـكالها الموافقه لمعانيها فيرى بعينه العقارب و الحيات قد أحدقت به و إنما هى صـفاته الحاضـره الان قد انكشفت له صورها، فإن أردت يا أخى أن تقتلهـا و تقهرهـا و أنت قادر عليها قبل الموت فافعل و إلّا فوطن نفسك على لـدغها و نهشـها بصـميم قلبك فضـلا عن ظاهر بشرتك و جسمك.

و قول الكنـدى كـان أفسـقورس يقول إن النفس إلـخ، يقصـد بأفسـقورس فيثـاغورس الفيلسوف المشـهور من أعـاظم الحكمـاء الأقـدمين قـد اسـتفاد من مشـكاه النّبوه و له فى نضد العالم و ترتيبه على خواصّ العدد و مراتبه رموز عجيبه و أغراض بعيده و له فى شأن المعاد مـذاهب قارب فيها أبيـذ قلس من أنّ عالما فوق عالم الطبيعه روحانيا نورانيا لا يدرك العقل حسـنه و بهاءه، و أنّ الأنفس الزكيه تحتـاج إليه، و أنّ كـلّ انسـان أحسن تقويمه بـالتبرّؤ من العجب و التجبر و الرياء و الحسـد و غيرها من الشـهوات الجسدانيّه فقد صار أهلا أن يلحق بالعالم الروحانى و يطلع على ما شاع (يشاء خ ل) من جواهره من الحكمه الالهيه، و أنّ الأشياء الملذّه للنفس تأتيه حشدا إرسالا كالألحان الموسيقيّه الاتيه إلى حاسّه السمع فلا يحتاج إلى أن يتكلف لها طلبا، نقلناه من تاريخ الحكماء للقفطى.

و من كلمـاته السـاميه: أنّـك سـتعارض لـك فى أفعالـك و أقوالك و أفكارك و سـيظهر لك من كل حركه فكريه أو قوليه او عمليه صوره روحانيه أو جسـمانيه فإن كانت الحركه غضبيّه أو شـهويه صارت ماده لشـيطان يؤذيک فى حياتک و يحجبک عن ملاقاه النور بعـد وفاتک، و إن كانت الحركه عقليه صارت ملكا تلتذّ بمنادمته فى دنياك، و تهتدى به فى اخراك إلى جوار اللّه و دار كرامته، نقلناه من مبحث نشر الصحائف و ابراز الكتب من الأسفار.

و ما أفاد هؤلاء الأعاظم فى إنيّه النفس و تطوّراتها لطيف جدّا إلّا أنّى ما

ص:۳۰۵

رأيت بعد قول اللّه تعالى و رسوله صلى اللّه عليه و آله كلاما فى النفس و أطوارها ألطف و أجمع و أتقن من كلام إمام الموحّدين و رايه السالكين و قدوه المتألّهين علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام حيث قال لحبر من أحبار اليهود و علمائهم: من اعتدل طباعه صفى مزاجه، و من صفى مزاجه قوى أثر النفس فيه، و من قوى أثر النفس فيه سمى إلى ما يرتقيه، و من سمى إلى ما يرتقيه فقد تخلق بالأخلاق النفسانيه، و من تخلق بالأخلاق النفسانيه فقد صار موجودا بما هو انسان دون أن يكون موجودا بما هو حيوان، و دخل فى الباب الملكى، و ليس له عن هذه الحاله مغيّر فقال اليهودى: اللّه أكبر يا ابن أبى طالب لقد نطقت بالفلسفه جميعها، نقله العلاّمه الشّيخ بهاء الدين العاملى قدّس سرّه فى أواخر المجلّد الخامس من الكشكول (ص ۵۹۴ من طبع نجم الدوله).

و قال فى المجلّد الثانى منه (ص ۲۴۶) عن كميل بن زياد قال: سألت مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام فقلت: يا أمير المؤمنين اريد أن تعرّفنى نفسى، فقال: يا كميل و أىّ الأنفس تريد أن اعرّفك ؟ قلت: يا مولاى و هل هى إلاّ نفس واحده ؟!.

قال: يا كميل انما هى أربعه: الناميه النباتيه، و الحسيّه الحيوانيّه، و النّاطقه القدسيّه، و الكليّه الإلهيّه، و لكل واحده من هذه خمس قوى و خاصيّتان:

فالناميه النباتيه لها خمس قوى: ماسكه، و جاذبه، و هاضمه، و دافعه و مربّيه، و لها خاصيّتان: الزياده و النقصان، و انبعاثها من الكبد.

و الحسيّه الحيوانيه لها خمس قوى: سمع، و بصر، و شم، و ذوق، و لمس و لها خاصيّتان: الرّضا و الغضب، و انبعاثها من القلب.

و الناطقه القدسيّه لها خمس قوى: فكر، و ذكر، و علم، و حلم، و نباهه، و ليس لها انبعاث و هى أشبه الأشياء بالنفوس الملكيّه، و لها خاصيّتان:

النزاهه و الحكمه.

و الكليّه الالهيّه لها خمس قوى: بقاء فى فناء، و نعيم فى شقاء، و عزّ فى ذلّ و فقر فى غناء، و صبر فى بلاء، و لها خاصيّتان: الرّضا و التسليم و هذه الّتى

مبدؤها من اللّه و إليه تعود، قال اللّه تعالى: «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى »، و قال اللّه تعالى: «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اِرْجِعِى إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً »، و العقل وسط الكل.

و روى فى كتاب الدرر و الغرر أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام سئل عن العالم العلوى فقال: صور عاريه عن المواد، عاليه من القوّه و الاستعداد، تجلّى لها فأشرقت و طالعها فتلألأت، و ألقى فى هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، و خلق الإنسان ذا نفس ناطقه إن زكّيها بالعلم و العقل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، و إذا اعتدل مزاجها و فارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد (نقلناه من الكلمه التاسعه عشر من قرّه العيون فى أعزّ الفنون للفيض قدّس سرّه)، و قد رواه العالم الجليل ابن شهر آشوب فى المناقب أيضا.

و لنذكر ما حصل لبعض الأعاظم من التخلّص عن درن البدن، و التنزّه عن رين الرذائل النفسانيّه فكوشف لهم ما وراء الطبيعه ترغيبا للمشتاقين إلى السير فى عالم المجردات، و أنموذجا من عظم شأن النفس و شرفها للطالبين:

(۱) قال الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندى فى رسالته فى النفس (ص ۲۷۹ من رسائل الكندى): و قد وصف أرسطاطاليس أمر الملك اليونانى الّذى تحرّج بنفسه فمكث لا- يعيش و لا- يموت أياما كثيره، كلّما أفاق أعلم الناس بفنون من علم الغيب و حدّثهم بما رأى من الأنفس و الصور و الملائكه، و أعطاهم فى ذلك البراهين، و أخبر جماعه من أهل بيته بعمر واحد واحد منهم، فلمّا امتحن كلّ ما قال لم يتجاوز أحد منهم المقدار الّذى حدّه له من العمر، و أخبر أنّ خسفا يكون فى بلاد الأوس بعد سنه، و سيل يكون فى موضع آخر بعد سنتين فكان الأمر كما قال.

قال: و ذكر أرسطاطاليس أنّ السبيل فى ذلك أنّ نفسه إنّما علمت ذلك العلم لأنّها كادت أن تفارق البدن، و انفصلت عنه بعض الانفصال فرأت ذلك فكيف لو فارقت البدن على الحقيقه ؟! لكانت قد رأت عجائب من أمر

الملكوت الأعلى.

فقل للباكين ممّن طبعه أن يبكى من الأشياء المخزونه ينبغى أن يبكى و يكثر البكاء على من يهمل نفسه، و ينهك من ارتكاب الشهوات الحقيره الخسيسه الدنيّه المموّهه الّتى تكسبه الشرّه (الشره - خ ل) و تميل بطبعه إلى طبع البهائم و يدع أن يتشاغل بالنظر فى هذا الأمر الشريف و التخلّص إليه، و يطهّر نفسه حسب طاقته، فإنّ الطهر الحقّ هو طهر النفس لا طهر البدن فإنّ العالم الحكيم المبرّز المتعبد لباريه، إذا كان ملطّخ البدن باكماه فهو عند جميع الجهّال، فضلا عن العلماء أفضل و أشرف من الجاهل الملطّخ البدن بالمسك و العنبر.

و من فضيله المتعبّد للّه الذى قد هجر الدّنيا و لذّاتها الدنيّه أنّ الجهّال كلّهم إلاّ من سخر منهم بنفسه يعترف بفضله و يجلّه و يفرح أن يطلع منه على الخطاء.

فيا أيها الإنسان الجاهل ألا تعلم أنّ مقامك فى هذا العالم إنما هو كلمحه ثمّ تصير إلى العالم الحقيقى، فتبقى فيه أبد الابدين ؟ انتهى كلام الكندى تغمده اللّه بغفرانه.

(۲) و روى الكلينى أعلى اللّه مقامه فى باب حقيقه الإيمان و اليقين من كتاب الايمان و الكفر من جامعه الكافى (ص ۴۴ ج ۲ من المعرب) باسناده عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله صلّى بالنّاس الصبح فنظر إلى شابّ فى المسجد و هو يخفق و يهوى برأسه، مصفرّا لونه، قد نحف جسمه، و غارت عيناه فى رأسه، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كيف أصبحت يا فلان ؟ قال: أصبحت يا رسول اللّه موقنا، فعجب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من قوله و قال: إنّ لكلّ يقين حقيقه فما حقيقه يقينك ؟ فقال: إنّ يقينى يا رسول اللّه هو الّذى أحزننى و أسهر ليلى و أظمأ هو اجرى فعزفت نفسى عن الدّنيا و ما فيها حتّى كأنّى أنظر إلى عرش ربّى و قد نصب للحساب و حشر الخلائق لذلك و أنا فيهم، و كأنّى أنظر إلى أهل الجنّه يتنعّمون فى الجنّه و يتعارفون و على الأرائك متكئون، و كأنّى أنظر إلى أهل النار و هم فيها معذّبون مصطرخون، و كأنّى الان أسمع زفير النار

يدور فى مسامعى، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لأصحابه: هذا عبد نوّر اللّه قلبه بالإيمان ثمّ قال له: ألزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع اللّه لى يا رسول اللّه أن ارزق الشهاده معك، فدعا له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلم يلبث أن خرج فى بعض غزوات النّبى صلى اللّه عليه و آله فاستشهد بعد تسعه نفر و كان هو العاشر.

و روى بعده باسناده عن عبد اللّه بن مسكان عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: استقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حارثه بن مالك بن النعمان الأنصارىّ فقال له: كيف أنت يا حارثه بن مالك ؟ فقال: يا رسول اللّه مؤمن حقّا، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

لكلّ شىء حقيقه فما حقيقه قولك ؟ فقال: يا رسول اللّه عزفت نفسى عن الدّنيا فأسهرت ليلى و أظمأت هو اجرى و كأنّى أنظر إلى عرش ربّى و قد وضع للحساب و كأنّى أنظر إلى أهل الجنّه يتزاورون فى الجنّه، و كأنّى أسمع عواء أهل النار فى النار، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: عبد نوّر اللّه قلبه، أبصرت فأثبت، فقال: يا رسول اللّه ادع اللّه لى أن يرزقنى الشهاده معك فقال: اللهمّ ارزق حارثه الشهاده، فلم يلبث إلّا أياما حتّى بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سريّه فبعثه فيها فقاتل فقتل تسعه أو ثمانيه ثمّ قتل.

و قال: و فى روايه القاسم بن بريد عن أبى بصير قال: استشهد مع جعفر بن أبى طالب بعد تسعه نفر و كان هو العاشر.

قلت: إنّما قال لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: ادع لى أن ارزق الشهاده معك لما فيها من فضيله ساميه و كفى فيها ما قال عزّ من قائل: «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ »، و أرى فى طلبه الشهاده منه صلى اللّه عليه و آله أنّ حفظ الحال أصعب من تحصيله كالمال قال شاعر العجم:

مال را هر كسى بدست آرد رنجش اندر نگاهداشتن است

و تأمّل فى كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حيث قال له: الزم ما أنت عليه، أو أبصرت فاثبت، أمره بلزوم ما وجده من الإيمان الكامل الّذى نوّر اللّه به قلبه و ثباته على ذلك، فإنّ للكمالات الحاصله آفات كثيره و المراقبه فى حفظها و عدم زوالها لازمه جدّا لمن تنعّم بها، قال الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام

لهشام بن الحكم:

يا هشام إنّ اللّه حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: «رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَةً إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهّابُ » حين علموا أنّ القلوب تزيغ و تعود إلى عماها و رداها (رواه الكلينى - ره - فى كتاب العقل و الجهل من اصول الكافى الحديث ١٢).

قال الشّيخ العلّامه البهائى قدّس سرّه كما فى سلافه العصر (ص ٢٩٢):

سانحه: قد تهب من عالم القدس نفحه من نفحات الانس على قلوب أصحاب العلائق الدينيّه، و العلائق الدنيويّه، فتقطر بذلك مشام أرواحهم و تجرى روح الحقيقه فى رميم أشباحهم، فيدركون قيح الأنفاس الجسمانيه، و يذعنون بخساسه الانتكاس فى مهاوى القيود الهيولانيه، فيميلون إلى سلوك مسالك الرشاد و ينتبهون من نوم الغفله عن البداء و المعاد، لكنّ هذا التنبيه سريع الزوال، و وحى الإضمحلال، فيا ليته يبقى إلى حصول جذبه إلهيه تميط عنهم أدناس عالم الزور و تطهّرهم من أرجاس دار الغرور، ثمّ إنّهم عند زوال تلك النفحه القدسيّه، و انقضاء هاتيك النسمه الإنسيه يعودون إلى الانعكاس فى تلك الأدناس، فيتأسّفون على ذلك الحال الرفيع المنال، و ينادى لسان حالهم بهذا المقال، إن كانوا من أصحاب الكمال:

تيرى زدى و زخم دل آسوده شد از ان هان اى طبيب خسته دلان مرهم دگر

و بالجمله كأنّ الشاب خاف من زيغ القلب و زوال النعمه فرأى أنّ خروجه من الدّنيا مع ذلك النور الإلهى أفضل و أحبّ إليه من البقاء فيها مع خوف زواله فاستحبّ الأوّل على الثانى، و اللّه تعالى أعلم.

و قد روى ابن الأثير فى اسد الغابه باسناده عن أنس هذه الواقعه و نسبها إلى حارثه أيضا (ص ٣٥٥ ج ١)، و كذا الغزالى فى إحياء العلوم، لكن نسبها العارف الرّومى فى المجلّد الأوّل من المثنوى إلى زيد و الظاهر أنه زيد بن حارثه حيث قال:

گفت پیغمبر صباحی زید را کیف أصبحت ای رفیق با صفا

إلی آخر الأبیات.

و نسبها أبو نعیم الأصفهانی فی حلیه الأولیاء (ص ۲۴۲ ج ۱) إلی معاذ بن جبل و رواها باسناده عن أنس بن مالک أیضا، و نسبها الدیلمی فی الباب السابع و الثلاثین من کتابه إرشاد القلوب إلی سعد بن معاذ و ألفاظهما واحده و الاختلاف یسیر، و فی روایه أبی نعیم أنّ معاذ بن جبل رضی اللّه تعالی عنه دخل علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فقال: کیف أصبحت یا معاذ؟ قال: أصبحت مؤمنا باللّه تعالی قال: إنّ لکلّ قول مصداقا و لکلّ حقّ حقیقه فما مصداق ما تقول ؟ قال: یا نبیّ اللّه ما أصبحت صباحا قط إلاّ ظننت أنّی لا أمسی، و ما أمسیت مساء قط إلاّ ظننت أنّی لا أصبح، و لا خطوت خطوه إلاّ ظننت أنّی لا أتبعها اخری، و کأنّی أنظر إلی کلّ امّه جاثیه تدعی إلی کتابها معها نبیّها و اوثانها الّتی کانت تعبد من دون اللّه و کأنّی أنظر إلی عقوبه أهل النار و ثواب أهل الجنّه، قال: عرفت فالزم.

(۳) قال العارف المتنزه المتأله السیّد حیدر الاملی قدّس سرّه فی أوّل کتابه جامع الأسرار و منبع الأنوار: و اللّه ثمّ و اللّه لو صارت أطباق السماوات أوراقا، و أشجار الأرضین أقلاما، و البحور السبعه مع المحیط مدادا، و الجنّ و الإنس و الملک کتّابا لا یمکنهم شرح عشر من عشیر ما شدت من المعارف الإلهیه و الحقائق الربانیه، الموصوفه فی الحدیث القدسیّ «أعددت لعبادی الصالحین ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر»، المذکوره فی القرآن: فلا تعلم نفس ما اخفی لهم من قرّه أعین جزاء بما کانوا یعملون.

و لا یتیسّر لهم بیان جزء من أجزاء ما عرفت من الأسرار الجبروتیّه و الغوامض الملکوتیّه المعبّر عنها فی القرآن بما لم یعلم لقوله تعالی: «اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ » المومی إلیها أیضا بتعلیم الرّحمن، لقوله تعالی «اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَیانَ » المسمّاه بکلمات اللّه الّتی لا تبید و لا تنفد لقوله تعالی «قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً »

و لقوله تعالى: «وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

(۴) و فى سلافه العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر (ص ۴۷۹) تأليف العلاّمه السيّد علىّ صدر الدين المدنى صاحب رياض السالكين فى شرح صحيفه سيّد الساجدين، و شرح الفوائد الصمديه فى النحو، و الدرجات الرفيعه فى طبقات الشيعه و غيرها تبلغ إلى ثمانيه عشر مؤلفا فى فنون متنوّعه: الأمير محمّد باقر بن محمّد الشهير بالداماد الحسنى - إلى أن قال صاحب السلافه فى ترجمته قدّس سرّه:

و من غريب رسائله رسالته الخليعه و هى ممّا يدلّ على تألّه سريرته، و تقدّس سيرته، و صورتها:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد كلّه للّه رب العالمين، و صلاته على سيّدنا محمّد و آله الطاهرين، كنت ذات يوم من أيّام شهرنا هذا و قد كان يوم الجمعه سادس عشر شهر رسول اللّه شعبان المكرّم لعام ثلاث و عشرين و ألف من هجرته المقدّسه فى بعض خلواتى أذكر ربّى فى تضاعيف أذكارى و أورادى باسمه الغنى فاكرّر يا غنى يا مغنى مشددها بذلك عن كلّ شىء إلاّ عن التوغل فى حريم سرّه و الانمحاء فى شعاع نوره و كأنّ خاطفه قدسيّه قد ابتدرت إلىّ ، فاجتذبتنى من الوكر الجثمانى ففككت حلق شبكه الحسّ ، و حللت عقد حباله الطبيعه و أخذت أطير بجناح الروح فى وسط ملكوت الحقيقه، و كأنّى قد خلعت بدنى و رفضت عدنى، و مقوت خلدى، و نضوت جسدى، و طويت اقليم الزمان، و صرت إلى عالم الدهر فإذا أنا بمصر الوجود بجماجم امم النظام الجملى من الابداعيات و التكوينيّات و الإلهيات و الطبيعيّات و القدسيات و الهيولانيات و الدهريات و الزمنيات و أقوام الكفر و الإيمان، و أرهاط الجاهليه و الإسلام من الدارجين و الدارجات و الغابرين و الغابرات، و السالفين و السالفات، و العاقبين و العاقبات، فى الازال و الاباد، و بالجمله آحاد مجامع الإمكان و دارات عوالم الإمكان بقضّها و قضيضها و صغيرها و كبيرها باثباتها و بابدائها حالياتها و آتياتها و إذا الجميع زفه و زمره

زمره يجذبهم قاطبه معاملون، وجوه ماهياتهم شطر بابه سبحانه شاخصون، بابصار نيّاتهم تلقاء جنابه جلّ سلطانه من حيث لا يعلمون، و هم جميعا بألسنه فقر ذواتهم الفاخره، و ألسن فاقه هو يأتهم الهالكه فى صحيح الضراعه و صراخ الابتهال ذاكروه و داعوه و مستصرخوه و منادوه بياغنى يا مغنى من حيث هم لا يشعرون فطفقت فى تلك الضجّه العقليّه، و الصرخه الغيبيّه أخرّ مغشيا علىّ ، و كدت من شدّه الوله و الدهش أنسى جوهر ذات العاقله و أغيب عن بصر نفسى المجرده و اهاجر ساهره أرض الكون و أخرج من صقع قطر الوجود رأسا إذ قد ودعتنى تلك الخلسه الخالسه حينا حيونا إليها، و خطفتنى تلك الخطفه الخاطفه تائقا لهوفا عليها فرجعت إلى أرض التيار، و كوره البوار، و بقعه الزور، و قريه الغرور تاره اخرى.

هذا منتهى الرساله المذكوره.

(۵) قال صدر المتألّهين قدّس سرّه فى آخر الثانى من العاشر من رابع الأسفار: إنّى أعلم من المشتغلين بهذه الصناعه من كان رسوخه بحيث يعلم من أحوال الوجود امورا يقصر الأفهام الذكيه عن إدراكها، و لم يوجد مثلها فى زبر المتقدّمين و المتأخرين من الحكماء، و العلماء، للّه الحمد و له الشكر.

و لا ـ يخفى على العارف بأساليب الكلمات أنه أراد بقوله هذا نفسه الشريفه و قال المتألّه السبزوارى رضوان اللّه عليه: و الحقّ معه، و تحقيقاته الأنيقه أعدل شاهد على ما أفاده، شكر اللّه مساعيه.

(۶) قال الشيخ الرئيس فى آخر السابعه من ثامن طبيعيات الشفاء (ص ۴۱۷ ج ۱): حكى لى رجل بيابان دهستان يخدّر نفسه و نفخه الحيات و الأفاعى الّتى بها و هى قتّاله جدّا و الحيّات لا تنكأ فيه باللسع و لا تلسعه اختيارا ما لم يقسرها عليه، فإن لسعته حيه ماتت، و حكى أنّ تنينا عظيما لسعته فماتت و عرض له حمّى يوم، ثمّ إنّى لما حصلت ببيابان دهستان طلبته فلم يعش و خلف ولدا أعظم خاصيّه فى هذا الباب منه، فرأيت منه عجائب نسيت أكثرها و كان من جملتها أنّ الأفاعى تصد عن عزّه و يحتد عن نفسه و يخدّر فى يده، انتهى.

ص:۳۱۳

و هـذه الأـحوال الّتى سـمعتها نزر يسـير ممّـا رأينـا فى الكتب المعتبره من العجائب الصادره عن النفس الناطقه الإنسانيّه، على أنّ هؤلاـء العظـام ممّن لم يبلغوا رتبه النّبوه و الإمامه بل جلّهم لو لا الكلّ اقتبسوا من مشـكاه نبىّ أو وصـىّ نبىّ فما ظنّك بالفائز إلى الخلافه الالهيّه من الأنبياء و الأوصياء صلوات اللّه عليهم أجمعين.

فلنأت بعدّه امور من مواعظ اللّه سبحانه و مواعظ رسوله و أهل بيته ممّا لا محيص عنها للسائر إلى اللّه تعالى فنقول:

١ – القرآن الكريم صوره الإنسان الكامل الكتبيّه، أعنى أنّه صوره الحقيقه المحمّـديه صـلى اللّه عليه و آله إنّ هذا القرآن يهدى للّتى هى أقوم، لقد كان لكم فى رسول اللّه اسوه حسـنه، فبقدر ما قربت منه قربت من الإنسان الكامل، فانظر إلى حظك منه فإنّ حقائق آياته درجات ذاتك و مدارج عروجك، و من وصـيّه إمام الثقلين أبى الحسـنين علىّ عليه السّـلام لابنه محمّد ابن الحنفيّه رضى اللّه عنه كما رواه صدوق الطائفه المحقه فى الفقيه (الوافى ص ۶۴ ج ۱۴):

و عليك بتلاوه (بقراءه – خ) القرآن و العمل به و لزوم فرائضه و شـرائعه و حلاله و حرامه و أمره و نهيه و التهجّد به و تلاوته فى ليلك و نهارك فإنّه عهد من اللّه تعالى إلى خلقه فهو واجب على كلّ مسـلم أن ينظر فى كلّ يوم فى عهده و لو خمسـين آيه، و اعلم أنّ درجـات الجنّه على عـدد آيـات القرآن فـإذا كـان يوم القيـامه يقـال لقارئ القرآن: اقرء و ارق، فلا يكون فى الجنّه بعد النبيّين و الصديقين أرفع درجه منه.

و انظر بنور العقل و العلم إلى ما أفاضه ولىّ اللّه الأعظم فى كلامه هذا فإنّ محاسنه و لطائفه فوق أن يحوم حولها العباره.

و قد روى علم الهدى الشـريف المرتضـى فى الغرر و الدرر عن نافع عن أبى إسـحاق الهجرىّ عن أبى الأحوص عن عبد اللّه بن مسعود عن سيّد البشر صلى اللّه عليه و آله انه قال: إنّ هذا القرآن مأدبه اللّه، فتعلّموا مأدبته ما استطعتم، و إنّ أصفر البيوت

لجوف أصفر من كتاب اللّه تعالى (المجلس ۲۶ منه، ص ۳۵۴ ج ۱ من طبع مصر) قلت: تعبير القرآن بمأدبه اللّه تدرك حلاوته و لا توصف قال الشريف علم الهدى:

المأدبه فى كلام العرب هى الطعام يصنعه الرّجل و يدعو النّاس إليه فشبّه النّبى صلى اللّه عليه و آله ما يكتسبه الإنسان من خير القرآن و نفعه و عائدته عليه إذا قرأه و حفظ بما يناله المدعوّ من طعام الداعى و انتفاعه به، يقال: قد أدب الرّجل يأدب فهو آدب إذا دعا الناس إلى طعامه، و يقال للمأدبه: المدعاه، و ذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضا مأدبه بفتح الدال، و قد روى هذا الحديث بفتح الدال «مأدبه» و قال الأحمر: المراد بهذه اللفظه مع الفتح هو المراد بها مع الضم.

و قال غيره: المأدبه بفتح الدال مفعله من الأدب، معناه أنّ اللّه تعالى أنزل القرآن أدبا للخلق و تقويما لهم و إنما دخلت الهاء فى مأدبه و مأدبه و القرآن مذكر لمعنى المبالغه كما قالوا هذا شراب مطيبه للنفس. و كما قال عنتره: و الكفر مخبثه لنفس المنعم، انتهى ما أردنا من نقل كلامه قدّس سرّه.

فيا إخوان الصفاء هلمّوا إلى مأدبه إلهيه فيها ما تشتهى الأنفس و تلذّ الأعين و إلى مأدبه ليس وراءها أدب و مؤدّب و ما ذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال.

و فى فلاح السائل للسيّد الأجل ابن طاوس قدّس سرّه: فقد روى أنّ مولانا الصّادق عليه السّلام كان يتلو القرآن فى صلاه فغشى عليه فلمّا أفاق سئل ما الّذى أوجب ما انتهت حالك إليه ؟ فقال عليه السّلام ما معناه: ما زلت اكرّر آيات القرآن حتّى بلغت إلى حال كأنّنى سمعتها مشافهه ممّن أنزلها على المكاشفه و العيان، فلم تقم القوّه البشريه بمكاشفه الجلاله الالهيّه.

و اعلم أنّ القرآن محيط لا نفاد له كيف لا و هو مجلى الفيض الإلهى و قد تقدّم فى الرساله عن الامامين الأوّل و السادس عليهما السّلام أنّ اللّه عزّ و جلّ تجلّى لخلقه فى كلامه و لكن لا يبصرون. قال الطريحى رحمه اللّه عليه فى مادّه جمع من مجمع البحرين: و فى الحديث اعطيت جوامع الكلم، يريد به القرآن الكريم لأنّ اللّه جمع بألفاظه اليسيره المعانى الكثيره حتّى روى عنه أنّه قال: ما من حرف

من حروف القرآن إلّا و له سبعون ألف معنى، انتهى.

و قلت: إذا كان شكل واحد هندسى يعرف عند أهله بالشكل القطّاع يفيد «۴۹۷۶۶۴» أحكام هندسيّه كما برهن فى محلّه فلا بعد أن يكون لكلّ حرف من القرآن سبعون ألف معنى. و يطلب الكلام فى القطّاع فى رسالتنا المعموله فى معرفه الوقت و القبله.

يا عباد الرّحمن! هذه آيات آخر الفرقان من القرآن الفرقان لا تلكها بين فكّيك بل تدبّر فيها حقّ التدبّر فانّ كلّ آيه منها دستور برأسه من عمل به فاز و نجا.

«وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً إِلاّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً وَ مَنْ تابَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللّهِ مَتاباً وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً وَ الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَ عُمْياناً وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيّاتِنا قُرَّهَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَهَ بِما صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّهً وَ سَلاماً خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً».

۲ – روى الديلمى رضوان اللّه عليه فى الموضعين من كتابه إرشاد القلوب أحدهما فى أواخر الباب الثالث عشر، و ثانيهما فى أواخر الباب العشرين عن النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: قال اللّه تعالى: من أحدث و لم يتوضّأ فقد جفانى، و من أحدث و توضّأ و لم يصلّ ركعتين فقد جفانى، و من صلّى ركعتين و لم يدعنى فقد جفانى و من أحدث و توضّأ و صلّى ركعتين و دعانى فلم أجبه فيما يسأل من أمر دينه و دنياه

فقد جفوته و لست بربّ جاف.

و اعلم يا حبيبى أنّ الوضوء نور و الدوام على الطهاره سبب لارتقائك إلى عالم القدس. و هذا الدّستور العظيم النفع مجرّب عند أهله جدّا فعليك بالمواظبه عليها ثمّ عليك بعلوّ الهمّه و كبر النفس فاذا صليت الركعتين فلا تسأله تبارك و تعالى إلاّ ما لا يبيد و لا ينفد و لا يفنى فلا تطلب منه إلاّ إيّاه و ليكن لسان حالك هكذا:

ما از تو نداريم بغير از تو تمنّا حلوا بكسى ده كه محبّت نچشيده است

فإنّ من ذاق حلاوه محبّته تعالى يجد دونها تفها، على أنّ ما يطلب ممّا سواه كلّ واحد منها مظهر اسم من أسمائه فاذا وجد الأصل كانت فروعه حاضره عنده، و قلت فى أبيات:

چرا زاهد اندر هواى بهشت است چرا بيخبر از بهشت آفرين است ؟!

و قال العارف المتألّه صدر الدين الدزفولى قدّس سرّه:

خدايا زاهد از تو حور مى خواهد قصورش بين بجنّت مى گريزد از درت يا رب شعورش بين

فاذا صلّيت فقل ساجدا: اللهمّ ارزقنى حلاوه ذكرك و لقاءك، و الحضور عندك و نحوها.

۳ - قال عزّ من قائل: «وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » (الأعراف: ۳۲) و اعلم حبيبى أنّ فضول الطعام يميت القلب بلا كلام، و يفضى إلى جموح النفس و طغيانها، و الجوع من أجلّ خصال المؤمن و نعم ما قال يحيى بن معاذ: لو تشفعت بملائكه سبع سماوات، و بمائه ألف و أربعه و عشرين ألف نبىّ و بكلّ كتاب و حكمه و ولىّ على أن تصالحك النفس فى ترك الدنيا و الدخول تحت الطاعه لم تجبك، و لو تشفعت إليها بالجوع لأجابتك و انقادت لك، نقل قوله هذا أبو طالب المكىّ فى علم القلوب ص ۲۱۵ من طبع مصر.

فى الكافى عن الإمام الصّادق عليه السّلام: إنّ البطن ليطغى من أكله، أقرب ما يكون العبد من ربّه عزّ و جلّ إذا خفّ بطنه، و أبغض ما يكون العبد إلى اللّه عزّ و جلّ إذا امتلأ بطنه.

ص:۳۱۷

۴ – إيّاک و فضول الكلام فقد روى شيخ الطائفه الناجيه فى أماليه بإسناد عن عبد اللّه بن دينار عن أبى عمر قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لا تكثروا الكلام بغير ذكر اللّه فإنّ كثره الكلام بغير ذكر اللّه قسو القلب إنّ أبعد النّاس من اللّه القلب القاسى، و قد جعله الشّيخ قدّس سرّه الخبر الأوّل من كتابه الأمالى فلا بدّ فى عمله هذا من عنايه خاصّه فى ذلک، و قد رواه الكلينى رضوان اللّه عليه فى باب الصمت و حفظ اللسان من اصول الكافى (ص ۹۴ ج ۲ من المعرب) باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كان المسيح عليه السّلام يقول: لا تكثروا – إلى آخر الخبر.

۵ – و عليک بالمحاسبه، ففى باب محاسبه العمل من اصول الكافى (ص ۳۲۸ ج ۲ من المعرب) بإسناده عن أبى الحسن الماضى صلوات اللّه عليه – يعنى الإمام الكاظم عليه السّلام – قال: ليس منّا من لم يحاسب نفسه فى كلّ يوم، فإن عمل حسنا استزاد اللّه، و إن عمل سيّئا استغفر اللّه منه و تاب إليه.

و فى الفصل الخامس من الباب الثانى من مكارم الأخلاق فى وصيّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأبى ذر الغفارى رحمه اللّه عليه: يا أبا ذر لا يكون الرّجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبه الشريک شريكه، فيعلم من أين مطعمه و من أين مشربه و من أين ملبسه أمن حلّ ذلک أم من حرام.

۶ – و المراقبه للّه تعالى، و هى العمده فى الباب، و هى مفتاح كلّ سعاده و مجلبه كلّ خير و هى خروج العبد عن حوله و قوّته مراقبا لمواهب الحق و متعرّضا لنفحات ألطافه و معرضا عمّا سواه، و مستغرقا فى بحر هواه و مشتاقا إلى لقائه، و إليه قلبه يحنّ ولديه روحه يئنّ و به يستعين عليه و منه يستعين إليه حتّى يفتح اللّه له باب رحمه لا ممسک لها و يغلق عليه باب عذاب لا مفتّح له بنور ساطع من رحمه اللّه تعالى على النفس به يزول عنها فى لحظه ما لا يزول بثلاثين سنه بالمجاهدات و الرياضات، يبدّل اللّه سيّئاتهم حسنات، للّذين أحسنوا الحسنى و زياده و الزياده حسنات ألطاف الحق، و ذلک فضل اللّه يؤتيه ما يشاء.

گدائى گردد از يک جذبه شاهى به يک لحظه دهد كوهى بكاهى

فعليك بالمراقبه، و عليك بالمراقبه، و عليك بالمراقبه، ففى الباب التاسع و الثلاثين من إرشاد القلوب للديلمى رضوان اللّه عليه: قال اللّه تعالى: «وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ رَقِيباً »، و قال النّبى صلى اللّه عليه و آله لبعض أصحابه: اعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك، و هذا إشاره إلى المراقبه لأنّ المراقبه علم العبد باطلاع الرب عليه فى كلّ حالاته و ملاحظه الإنسان لهذا الحال هو المراقبه، و أعظم مصالح العبد استحضاره مع عدد أنفاسه أنّ اللّه تعالى عليه رقيب و منه قريب، يعلم أفعاله و يرى حركاته و يسمع أقواله و يطلع على أسراره و أنه ينقلب فى قبضته و ناصيته و قلبه بيده و أنّه لا طاقه له على الستر عنه و لا على الخروج من سلطانه.

قال لقمان لابنه: يا بنىّ إذا أردت أن تعصى اللّه فاطلب مكانا لا يراك فيه إشاره منه لأنّك لا تجد مكانا لا يراك فيه فلا تعصه و قال تعالى: «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ».

و كان بعض العلماء يرفع شابّا على تلاميذه كلّهم فلاموه فى ذلك فأعطى كلّ واحد منهم طيرا و قال: اذبحه فى مكان لا يراك فيه أحد فجاءوا كلّهم بطيورهم و قد ذبحوها فجاء الشاب بطيره و هو غير مذبوح، فقال له: لم لم تذبحه ؟ فقال:

لقولك لا تذبحه إلّا فى موضع لا يراك فيه أحد، و لا يكون مكان إلّا يرانى الواحد الأحد الفرد الصمد، فقال له: أحسنت ثمّ قال لهم: لهذا رفعته عليكم و ميزته منكم.

و من علامات المراقبه إيثار ما آثر اللّه و تعظيم ما أعظم اللّه و تصغير ما صغّر اللّه فالرجاء يحثّك على الطاعات و الخوف يبعد عن المعاصى، و المراقبه تؤدّى إلى طريق الحياء و تحمل على ملازمه الحقائق و المحاسبه على الدقائق، و أفضل الطاعات مراقبه الحقّ سبحانه و تعالى على دوام الأوقات.

و من سعاده المرء أن يلزم نفسه المحاسبه و المراقبه و سياسيه نفسه باطّلاع اللّه و مشاهدته لها، و أنّها لا تغيب عن نظره و لا تخرج عن علمه، انتهى كلامه قدّس سرّه.

قلت: و من آداب المراقب أن يراقب أعمال الأوقات من الشهور و الأيّام بل الساعات بل يواظب أن لا يهمل الانات و يكون على الدوام متعرضا لنفحات انسه

ص:۳۱۹

و نسائم قدسه كما قال صلّى اللّه عليه و آله: إنّ لربّكم فى أيّام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها و لا تعرضوا عنها، و للعلم الايه المرزا جواد آقا الملكى التبريزى قدّس سرّه الشريف كتاب فى مراقبات أعمال السنه و هو من أحسن ما صنع فى هذا الأمر فعليك بالكتاب.

و فى خاتمه إرشاد القلوب فيما سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ربّه ليله المعراج: يا أحمد هل تدرى أىّ عيش أهنى و أىّ حياه أبقى ؟ قال: اللهمّ لا، قال: أمّا العيش الهنىّ فهو الّذى لا يفتر صاحبه عن ذكرى و لا ينسى نعمتى و لا يجهل حقّى يطلب رضاى ليله و نهاره.

و أمّا الحياه الباقيه فهى الّتى يعمل لنفسه حتّى تهون عليه الدّنيا، و تصغر فى عينيه، و تعظم الاخره عنده، و يؤثر هواى على هواه، و يبتغى مرضاتى، و يعظم حقّ عظمتى، و يذكر علمى به و يراقبنى بالليل و النهار كلّ سيئه و معصيه، و ينفى قلبه عن كلّ ما أكره، و يبغض الشيطان و وساوسه، و لا يجعل لإبليس على قلبه سلطانا و سبيلا، فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حبا حتّى أجعل قلبه لى و فراغه و اشتغاله و همّه و حديثه من النعمه الّتى أنعمت بها على أهل محبّتى من خلقى، و أفتح عين قلبه و سمعه حتّى يسمع بقلبه و ينظر بقلبه إلى جلالى و عظمتى و أضيق عليه الدّنيا، و أبغض إليه ما فيها من اللّذات، و أحذره من الدّنيا و ما فيها كما يحذر الراعى غنمه من مراتع الهلكه، فإذا كان هكذا يفرّ من النّاس فرارا و ينقل من دار الفناء إلى دار البقاء و من دار الشيطان إلى دار الرحمن، يا أحمد لازيّنه بالهيبه و العظمه فهذا هو العيش الهنىّ و الحياه الباقيه، و هذا مقام الراضين.

فمن عمل برضاى الزمه ثلاث خصال: أعرفه شكرا لا يخالطه الجهل، و ذكرا لا يخالطه النسيان، و محبّه لا يؤثر على محبّتى محبّه المخلوقين، فإذا أحبّنى أحببته و أفتح عين قلبه إلى جلالى فلا أخفى عليه خاصّه خلقى، فاناجيه فى ظلم اللّيل و نور النهار حتّى ينقطع حديثه من المخلوقين و مجالستهم معهم، و اسمعه كلامه و كلام ملائكتى، و اعرّفه السرّ الّذى سترته عن خلقى و البسه الحياء حتّى

ص:۳۲۰

یستحیی منه الخلق کلّهم، و یمشی علی الأرض مغفورا له، و اجعل قلبه واعیا و بصیرا و لا یخفی علیه شیء من جنّه و لا نار، و اعرّفه بما یمرّ علی الناس فی یوم القیامه من الهول و الشدّه و ما احاسب به الأغنیاء و الفقراء و الجهّال و العلماء و انوّر فی قبره، و انزل علیه منکرا و نکیرا حتّی یسألاه و لا یری غمّ الموت و ظلمه القبر و اللحد و هول المطّلع حتّی أنصب له میزانه و انشر له دیوانه ثمّ أضع کتابه فی یمینه فیقرأه منشورا ثمّ لا أجعل بینی و بینه ترجمانا، فهذه صفات المحبّین، الحدیث.

فتأمّل یا مرید الطریق إلی اللّه تعالی فی قوله عزّ و جلّ لحبیبه خاتم النبیین من الجوائز الکریمه الّتی أعدّها للمراقبین و الراضین و المحبّین و من تلک المواهب الجزیله و العطایا النفیسه العزیزه الیتیمه الثمینه فتح عین القلب و قد ذکرها لعظم شرفها و علوّ رتبتها مرّتین.

و نظیر تلک المنح السنیّه ما وعد عباده فی النوافل و الفرائض من القرب حیث قال تعالی: و ما یتقرّب إلیّ عبدی بشیء أحبّ ممّا افترضت علیه، و إنه لیتقرّب إلیّ بالنوافل حتّی احبّه فإذا أحببته کنت سمعه الّذی یسمع به و بصره الّذی یبصر به، و لسانه الّذی ینطق به، و یده الّذی یبطش بها، إن دعانی أجبته، و إن سألنی أعطیته.

نقله العلّامه الشّیخ البهائی فی کتاب الأربعین، و هو الحدیث الخامس و الثلاثون منه، بإسناده عن أبان بن تغلب عن الإمام جعفر بن محمّد بن علیّ الباقر علیه السّلام قال: لما أسری بالنّبی صلی اللّه علیه و آله قال: یا ربّ ما حال المؤمن عندک ؟ قال: یا محمّد - إلی قوله: و ما یتقرّب إلیّ عبدی - إلخ و قال - قده -: و هذا الحدیث صحیح السند و هو من الأحادیث المشهوره بین الخاصّه و العامّه و قد رووه فی صحاحهم بأدنی تغییر، فراجع إلیه.

و قد رواه ثقه الإسلام الکلینی قدّس سرّه فی باب من أذی المسلمین و احتقرهم من أبواب الإیمان و الکفر (ص ۲۶۳ ج ۲ من المعرب) بطریقین، و روی فیه

حديثا ثالثا يقرب منهما معنى، هذا قرب النوافل الّذى يدور فى ألسنه القوم أى القرب الّذى يحصل للعبد من النوافل، و أما قرب الفرائض فقال عزّ و جلّ ما يتقرّب إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلىّ ممّا افترضته عليه و ما زال يتقرّب إلىّ عبدى بالفرائض حتّى إذا ما احبّه و إذا أحببته كان سمعى الّذى أسمع به، و بصرى الّذى أبصر به، و يدى الّذى أبطش بها.

فانظر إلى تفاوه القربين ففى الأوّل كان اللّه سمع العبد و بصره و لسانه و يده، و فى الثانى كان العبد سمع اللّه تعالى و بصره و يده، فالواجبات أكثر ثوابا و أعلى مرتبه من المندوبات بتلك النسبه بين القربين.

قال العلاّمه المحقّق نصير الدين محمّد الطوسى قدّس اللّه سرّه: العارف إذا انقطع عن نفسه و اتّصل بالحقّ رأى كلّ قدره مستغرقه فى قدرته المتعلقه بجميع المقدورات، و كلّ علم مستغرقا فى علمه الذى لا يعزب عنه شيء من الموجودات و كلّ إراده مستغرقه فى إرادته الّتى لا يتأبّى عنها شىء من الممكنات، بل كلّ وجود و كلّ كمال وجود فهو صادر عنه، فائض من لدنه فصار الحق حينئذ بصره الّذى به يبصر، و سمعه الّذى به يسمع، و قدرته الّتى بها يفعل، و علمه الّذى به يعلم، و وجوده الّذى به يوجد فصار العارف حينئذ متخلقا بأخلاق اللّه بالحقيقه.

نقلنا كلامه من الرابعه من الرابعه من قرّه العيون للفيض رضوان اللّه عليه و فى الثالثه من السابعه من ذلك الكتاب:

قال بعض العارفين إذا تجلّى اللّه سبحانه بذاته لأحد يرى كلّ الذوات و الصفات و الأفعال متلاشيه فى أشعّه ذاته و صفاته و أفعاله يجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنّها مدبّره لها و هى أعضاؤها لا يلمّ بواحد منها شىء إلاّ و يراه ملما به، و يرى ذاته الذات الواحده و صفته صفتها و فعله فعلها لاستهلاكه بالكليّه فى عين التوحيد، و لمّا انجذب بصيره الروح إلى مشاهده جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء فى غلبه نور الذات القديمه و ارتفع التميز بين القدم و الحدوث لزهوق الباطل عند مجىء الحقّ ، و يسمّى هذه الحاله جمعا، و لصاحب

الجمع أن يضيف إلى نفسه كلّ أثر ظهر فى الوجود و كلّ صفه و فعل و اسم لانحصار الكلّ عنده فى ذات واحده فتاره يحكى عن هذا و تاره عن حال ذاك و لا نعنى بقولنا قال فلان بلسان الجمع إلاّ هذا.

عشق بگرفت مرا از من و بنشست بجاى سيّاتم ستدند و حسناتم دادند

ثمّ قال الفيض بعد نقل كلام هذا العارف: و لعلّ هذا هو السرّ فى صدور بعض الكلمات الغريبه من مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبه البيان و غيرها كقوله عليه السّلام:

أنا آدم الأوّل، أنا نوح الأوّل، أنا آيه الجبار، أنا حقيقه الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثمار، أنا مجرى الأنهار - إلى أن قال عليه السّلام: أنا ذلك النور الّذى اقتبس موسى منه الهدى، أنا صاحب الصور، أنا مخرج من فى القبور أنا صاحب يوم النشور، أنا صاحب نوح و منجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى و شافيه أنا أقمت السماوات بأمر ربّى - إلى آخر ما قال من أمثال ذلك صلوات اللّه و سلامه عليه.

و قد أجاد فى المقام العالم العارف الشهير داود بن محمود القيصرى فى الفصل الثامن من مقدّماته على شرح فصوص الحكم فى أنّ العالم هو صوره الحقيقه الإنسانيه بقوله: إنّ الاسم اللّه مشتمل على جميع الأسماء و هو متجلّ فيها بحسب مراتبه فلهذا الاسم الإلهى بالنسبه إلى غيره من الأسماء اعتباران: اعتبار ظهور ذاته فى كلّ واحد من الأسماء، و اعتبار اشتماله عليها كلّها من حيث المرتبه الإلهيه.

فبالأوّل يكون مظاهرها كلّها مظهر هذا الاسم الأعظم لأنّ الظاهر و المظهر فى الوجود شيء واحد لا كثره فيه و لا تعدّد و فى العقل يمتاز كلّ منهما عن الاخر كما يقول أهل النظر بأنّ الوجود عين المهيه فى الخارج و غيره فى العقل فيكون اشتماله عليها اشتمال الحقيقه الواحده على أفرادها المتنوّعه.

و بالثانى يكون مشتملا عليها من حيث المرتبه الالهيّه اشتمال الكلّ المجموعى على الأجزاء الّتى هى عينه بالاعتبار الأوّل.

و إذا علمت هذا علمت أنّ حقائق العالم فى العلم و العين كلّها مظاهر للحقيقه الإنسانيه الّتى هى مظهر للإسم اللّه فأرواحها أيضا كلّها جزئيات الروح الأعظم الإنسانى سواء كان روحا فلكيّا أو عنصريا أو حيوانيا و صورها صور تلك الحقيقه و لوازمها لوازمها لذلك يسمى العالم المفصّل بالإنسان الكبير عند أهل اللّه لظهور الحقيقه الانسانيّه و لوازمها فيه، و لهذا الاشتمال و ظهور الأسرار الإلهيّه كلّها فيها دون غيرها استحقّت الخلافه من بين الحقائق كلّها و للّه درّ القائل: سبحان من أظهر ناسوته - إلى آخر البيتين المذكورين آنفا.

فأوّل ظهورها فى صوره العقل الأوّل الّذى هو صوره إجماليه للمرتبه العمائيّه المشار إليها فى الحديث الصحيح عند سؤال الأعرابى أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق ؟ قال عليه السّلام: كان فى عماء ما فوقه هواء و لا تحته هواء، لذلك قال عليه السّلام:

أوّل ما خلق اللّه نورى، و أراد العقل كما أيّده بقوله: أوّل ما خلق اللّه العقل ثمّ فى صوره باقى العقول و النفوس الناطقه الفلكيه و غيرها، و فى صوره الطبيعه و الهيوا الكلّيّه و الصوره الجسميّه البسيطه و المركّبه بأجمعها.

و يؤيّد ما ذكرنا قول أمير المؤمنين وليّ اللّه فى الأرضين قطب الموحّدين عليّ بن أبى طالب عليه السّلام فى خطبه كان يخطبها للنّاس: أنا نقطه باءبسم اللّه، أنا جنب اللّه الّذى فرطتم فيه، و أنا القلم، و أنا اللّوح المحفوظ ، و أنا العرش، و أنا الكرسى، و أنا السماوات السّبع و الأرضون، إلى أن صحافى أثناء الخطبه و ارتفع عنه حكم تجلّى الوحده و رجع إلى عالم البشريّه، و تجلّى له الحقّ بحكم الكثره فشرع معتذرا فأقرّ بعبوديّته و ضعفه و انقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهيّه.

و لذلك قيل: الانسان الكامل لا بدّ أن يسرى فى جميع الموجودات كسريان الحق فيها، و ذلك فى السفر الثالث الّذى من الحق إلى الخلق بالحق، و عند هذا السفر يتمّ كماله و به يحصل له حق اليقين.

و من ههنا يتبين أنّ الاخريّه هى عين الأوّليّه، و يظهر سرّ هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن و هو بكلّ شيء عليم.

قال الشّيخ رضى اللّه عنه فى فتوحاته فى بيان المقام القطبى: إنّ الكامل الّذى أراد اللّه أن يكون قطب العالم و خليفه اللّه فيه إذا وصل إلى العناصر مثلا متنزلا فى السفر الثالث ينبغى أن يشاهد جميع ما يريد أن يدخل فى الوجود من الأفراد الإنسانيّه إلى يوم القيامه و بذلك الشهود أيضا لا يستحق المقام حتّى يعلم مراتبهم أيضا فسبحان من دبّر كلّ شىء بحكمته، و أتقن كلّ ما صنع برحمته، انتهى كلام القيصرى.

۷ - الأدب مع اللّه تعالى فى كلّ حال، و قد كان بعض مشايخى و هو العالم المتنزّه المتألّه و الحكيم العارف الموّحد البارع الايه السيّد محمّد حسن القاضى الطباطبائى التبريزى الشهير بالإلهى أعلى اللّه تعالى مقاماته و رفع درجاته و جزاه عنّى خير جزاء المعلّمين كثيرا ما يوصينى فيما يوصى بالمراقبه للّه تعالى، و الأدب معه، و محاسبه النفس لا سيّما بالأولى منها، و لا أنسى نفحات أنفاسه الشريفه و بركات فيوضاته المنيفه.

قال عيسى روح اللّه و كلمته عليه السّلام: لا تقولوا العلم فى السماء من يصعد فيأتى به، و لا فى تخوم الأرض من ينزل فيأتى به، العلم مجهول فى قلوبكم تأدّبوا بين يدى اللّه باداب الروحانيين، و تخلّقوا بأخلاق الصديقين، يظهر من قلوبكم حتّى يعطيكم و يغمركم.

قال الإمام الجواد عليه السّلام كما فى الباب ۴۹ من إرشاد القلوب للديلمى فى الأدب مع اللّه تعالى: ما اجتمع رجلان إلّا كان أفضلهما عند اللّه آدبهما فقيل: يا ابن رسول اللّه قد عرفنا فضله عند الناس فما فضله عند اللّه ؟ فقال بقراءه القرآن كما انزل، و يروى حديثنا كما قلنا، و يدعو اللّه مغرما.

و فى ذلك الباب: قد روى أنّ اللّه تعالى يقول فى بعض كتبه: عبدى أمن الجميل أن تناجينى و تلتفت يمينا و شمالا و يكلّمك عبد مثلك تلتفت إليه و تدعنى ؟ و ترى من أدبك إذا كنت تحدث أخالك لا تلتفت إلى غيره فتعطيه من الأدب ما لم تعطنى فبئس العبد عبد يكون كذلك.

ص:۳۲۵

و فیه أیضا: روی أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله خرج إلی غنم له و راعیها عریان یفلی ثیابه فلمّا رآه مقبلا لبسها، فقال النّبی صلی اللّه علیه و آله: امض فلا حاجه لنا فی رعایتک، فقال إنا أهل بیت لا نستخدم من لا یتأدّب مع اللّه و لا یستحیی منه فی خلوته.

و الأدب مع اللّه بالاقتداء بادابه و آداب نبیّه صلی اللّه علیه و آله و أهل بیته علیهم السّلام و هو العمل بطاعته و الحمد للّه علی السرّاء و الضّراء و الصبر علی البلاء و لهذا قال أیوب ربّ إنّی مسّنی الضرّ و أنت أرحم الراحمین، فقد تأدّب هنا من وجهین أحدهما أنه لم یقل انک أمسستنی بالضرّ، و الاخر لم یقل ارحمنی بل عرض تعریضا فقال: و أنت أرحم الراحمین و انما فعل ذلک حفظا لمرتبه الصبر.

و کذا قال إبراهیم علیه السّلام: و إذا مرضت فهو یشفین، و لم یقل إذا مرضتنی حفظا للأدب.

و قال أیوب علیه السّلام فی موضع آخر: إنّی مسّنی الشیطان بنصب و عذاب، أشار بذلک إلی الشیطان لأنّه کان یغری النّاس فیؤذونه و کل ذلک تأدّب منهم مع اللّه تعالی فی مخاطبتهم.

قلت: و تأدّب آدم و زوجه علیهما السّلام بقولهما: ربّنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنکوننّ من الخاسرین، و ترک ابلیس الأدب معه تعالی بقوله: فبما أغویتنی لأقعدنّ لهم صراطک المستقیم.

۸ - و العزله، قال الإمام الصّادق علیه السّلام: صاحب العزله متحصّن بحصن اللّه تعالی و متحرّس بحراسته، فیا طوبی لمن تفرّد به سرا و علانیّه، و فی العزله صیانه الجوارح و فراغ القلب و سلامه العیش و کسر سلاح الشیطان و المجانبه من کلّ سوء و راحه، و ما من نبیّ و لا وصیّ إلاّ و اختار العزله فی زمانه إما فی ابتدائه و إما فی انتهائه - نقلناه من مصباح الشریعه.

و فی کشکول العلاّمه البهائی (ص ۱۵۵ من طبع نجم الدوله) عن سفیان الثوری قال: سمعت الصّادق جعفر بن محمّد یقول: عزّت السلامه حتّی لقد خفی مطلبها فإن تکن فی شیء فیوشک أن تکون فی الخمول، فإن لم توجد فی الخمول

فیوشک أن تکون فی التخلّی و لیس کالخمول، و إن لم تکن فی التخلّی فیوشک أن تکون فی الصمت و لیس کالتخلّی، و إن لم توجد فی الصمت فیوشک أن یکون فی کلام السلف الصالح، و السعید من وجد فی نفسه خلوه.

و تأمّل فی قوله تعالی: «وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَکاناً شَرْقِیًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا » (مریم ۱۸)، و العزله هی الخروج عن مخالطه الخلق بالانزواء و الإنقطاع و أصلها عزل الحواس بالخلوه عن التصرف فی المحسوسات فإنّ کلّ آفه و فتنه و بلاء ابتلی الروح بها دخلت فیه بروازن الحواس فبالخلوه و عزل الحواس ینقطع مدد النفس عن الدنیا و الشیطان و إعانه الهوی و الشیطان.

۹ - و التهجّد، قال اللّه تعالی: «وَ مِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَکَ عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً » (الأسراء ۸۱)، و قال تعالی: «إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنّاتٍ وَ عُیُونٍ آخِذِینَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ کانُوا قَبْلَ ذلِکَ مُحْسِنِینَ کانُوا قَلِیلاً مِنَ اللَّیْلِ ما یَهْجَعُونَ وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ » (الذاریات ۱۸)، و قال تعالی: «یا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّیْلَ إِلاّ قَلِیلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِیلاً أَوْ زِدْ عَلَیْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلاً إِنّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلاً ثَقِیلاً إِنَّ ناشِئَةَ اللَّیْلِ هِیَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِیلاً إِنَّ لَکَ فِی النَّهارِ سَبْحاً طَوِیلاً وَ اذْکُرِ اسْمَ رَبِّکَ وَ تَبَتَّلْ إِلَیْهِ تَبْتِیلاً »، و قال تعالی: «وَ اذْکُرِ اسْمَ رَبِّکَ بُکْرَةً وَ أَصِیلاً وَ مِنَ اللَّیْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَیْلاً طَوِیلاً إِنَّ هؤُلاءِ یُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ یَذَرُونَ وَراءَهُمْ یَوْماً ثَقِیلاً » (الانسان ۲۸).

و روی الشّیخ الصدوق قدّس سرّه فی باب معنی التوحید و العدل من کتاب التوحید (ص ۸۴) عن سلمان الفارسی رحمه اللّه تعالی انّه أتاه رجل فقال: یا أبا عبد اللّه إنّی لا أقوی علی الصلاه باللیل، فقال: لا تعص اللّه بالنهار، و فیه أیضا: جاء رجل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: یا أمیر المؤمنین إنّی قد حرمت الصلاه باللیل، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: أنت رجل قد قیّدتک ذنوبک.

و روى الكلينى – قده – فى باب الذنوب من كتاب الايمان و الكفر (ص ۲۹۰ ج ۲ من المعرب) بإسناده عن ابن بكير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاه الليل و إنّ العمل السيئ أسرع فى صاحبه من السكين فى اللحم.

روى الشّيخ الصدوق رضوان اللّه عليه فى الأمالى بإسناده عن المفضل قال:

سمعت مولاى الصّادق عليه السّلام يقول: كان فيما ناجى اللّه عزّ و جلّ به موسى بن عمران أن قال له: يا ابن عمران كذب من زعم أنه يحبّنى فاذا جنّه الليل نام عنّى أليس كلّ محبّ يحبّ خلوه حبيبه ؟ ها أنا ذايا ابن عمران مطّلع على أحبّائى إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، و مثّلت عقوبتى بين أعينهم يخاطبونى عن المشاهده و يكلّمونى عن الحضور، يا ابن عمران هب لى من قلبك الخشوع و من بدنك الخضوع، و من عينيك (عينك – خ ل) الدّموع فى ظلم الليل و ادعنى فإنك تجدنى قريبا مجيبا.

۱۰ – و التفكّر، قال تعالى: «اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ » (آل عمران: ۱۹۲)، و روى الكلينى فى الكافى (ج ۲ ص ۴۵ من المعرب) عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: أفضل العباده إدمان التفكّر فى اللّه و فى قدرته، و روى عن معمّر بن خلّاد قال: سمعت الرضا عليه السّلام يقول: ليس العباده كثره الصلاه و الصوم، إنما العباده التفكّر فى أمر اللّه عزّ و جلّ ، و روى عن ربعى قال قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: قال أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه: إنّ التفكّر يدعو إلى البرّ و العمل به.

و روى العلّامه البهائى فى الحديث الثانى من كتابه الأربعين باسناده عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: من عرف اللّه و عظّمه منع فاه من الكلام، و بطنه من الطعام، و عنى نفسه بالصيام و القيام، قالوا: بابائنا و امّهاتنا يا رسول اللّه هؤلاء أولياء اللّه ؟ قال: إنّ أولياء اللّه سكتوا فكان سكوتهم فكرا و تكلّموا فكان كلامهم ذكرا، و نظروا فكان نظرهم عبره، و نطقوا فكان نطقهم حكمه، و مشوا فكان مشيهم بين الناس بركه، لو لا الاجال الّتى قد كتبت عليهم لم

تستقرّ أرواحهم فى أجسادهم خوفا من العذاب و شوقا إلى الثواب، و رواه ثقه الإسلام الكلينى فى الكافى بأدنى تفاوت (الحديث ۲۵ من باب المؤمن و علاماته و صفاته من كتاب الإيمان و الكفر: ص ۱۸۶ ج ۲).

۱۱ - و ذكر اللّه تعالى فى كل حال قلبا و لسانا قال تعالى: «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ » (آخر الأعراف).

و روى عن النبىّ صلى اللّه عليه و آله قال: ارتعوا فى رياض الجنّه، فقالوا: و ما رياض الجنّه ؟ فقال: الذكر غدوّا و رواحا فاذكروا، و من كان يحبّ أن يعلم منزلته عند اللّه فلينظر كيف منزله اللّه عنده فانّ اللّه تعالى ينزل العبد حيث أنزل اللّه العبد من نفسه، ألاـ إنّ خير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها عند ربّكم فى درجاتكم و خير ما طلعت عليه الشمس ذكر اللّه سبحانه و تعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرنى، و أىّ منزله أرفع من منزله جليس اللّه تعالى. (الباب الثالث عشر من إرشاد القلوب للديلمى).

و فى كتاب الدّعاء من الكافى: فيما ناجى اللّه تعالى به موسى عليه السّلام قال:

يا موسى لا تنسنى على كلّ حال فإنّ نسيانى يميت القلب (ص ۳۶۱ ج ۲).

و فيه أيضا قال اللّه عزّ و جلّ لعيسى عليه السّلام: يا عيسى اذكرنى فى نفسك أذكرك فى نفسى و اذكرنى فى ملإك [ملئى - خ ل] اذكرك فى ملإ خير من ملإ الادميّين يا عيسى ألن لى قلبك و أكثر ذكرى فى الخلوات، و اعلم أنّ سرورى أن تبصبص إلىّ و كن فى ذلك حيّا و لا تكن ميّتا. (ص ۳۶۴ ج ۲).

و فى الباب الأوّل من توحيد الصّدوق رحمه اللّه عليه: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ما قلت و لا قال القائلون قبلى مثل لا إله إلاّ اللّه.

و فيه أيضا قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: خير العباده قول لا إله إلاّ اللّه.

و فيه أيضا قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: قول لا إله إلاّ اللّه ثمن الجنّه.

و فيه أيضا قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يقول اللّه جلّ جلاله: لا إله إلاّ اللّه حصنى فمن دخله أمن من عذابى.

و فيه أيضا عن زيد بن أرقم عن النّبىّ صلى اللّه عليه و آله، و كذا بإسناده عن محمّد بن حمران، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: من قال لا إله إلاّ اللّه مخلصا دخل الجنّه و إخلاصه أن يحجزه لا إله إلاّ اللّه عمّا حرّم اللّه عزّ و جلّ .

و الذكر هو الخروج عن ذكر ما سوى اللّه بالنسيان عن غيره، و كلمه لا ـ إله إلاّ ـ اللّه ذكر معجون مركّب من النفى و الإثبات فبالنفى تزول المواده الفاسده الّتى يتولّد منها مرض القلب و قيود الروح، و باثبات إلاّ ـ اللّه تحصل صحّه القلب و سلامته عن الرذائل من الأخلاق.

۱۲ - و الرياضه فى طريقى العلم و العمل على النهج الّذى قرّره الشريعه المحمّديّه صلى اللّه عليه و آله فحسب، فدونها لا يوجب إلاّ ـ بعدا و ما ذا بعد الحقّ إلاّ الضلال لما قد دريت آنفا أنّ هذا القرآن يهدى للّتى هى أقوم، و اعلم أنّ العلم و العمل بمنزله جناحين للإنسان و لولاهما لما يقدر على الطيران إلى أوج الكمال و العروج إلى المعارج.

و النفس بالاعتبار الأوّل تسمّى نظريه و بالاعتبار الثانى عمليّه توضيحه أنّ لها باعتبار تأثّرها عمّا فوقها من المبادى باستفاضتها عنها ما تتكمّل به من التعقلات قوّه تسمّى نظريه، و لها أربع مراتب، و أنّ لها باعتبار تأثيرها فى البدن لتفيد جوهره كمالا تأثيرا اختياريا قوّه اخرى تسمّى عمليّه و لها أيضا أربع مراتب، على أنّ هذا الكمال الّذى يحصل للبدن بسببها فى الحقيقه تعود إليها لأنّ البدن آله لها فى تحصيل العلم و العمل.

أما مراتب القوّه النظريه فلأنّ النفس فى مبدء الفطره خاليه عن العلوم كلّها لكنّها مستعدّه لها و إلاّ لامتنع اتّصافها بها و حينئذ تسمّى عقلا ـ هيولانيا تشبيها لها بالهيولى الخاليه فى نفسها عن جميع الصور القابله إيّاها، ثمّ إذا استعملت آلاتها أعنى الحواسّ الظاهره و الباطنه حصل لها علوم أوّليّه و استعدّت لاكتساب النظريات

و حينئذ تسمّى عقلا- بالملكه لأنها حصلت لها بسبب تلك الأوليات ملكه الانتقال إلى النظريات، ثمّ رتّبت العلوم الأوليه و أدركت النظريات و حصلت لها ملكه الاستحضار بحيث تستحضرها متى شاءت من غير كسب جديد لأجل تكرار الاكتساب لكن لا تشاهدها بالفعل بل صارت مخزونه عندها فهو العقل بالفعل لحصول قدره الاستحضار للنفس بالفعل و إذا استحضرت العلوم مشاهده إيّاها تسمّى عقلا- مستفادا لأنّ النفس الانسانيّه فى آخر المراتب تصير عقلا- لكن لا فعّالا للكمالات بل عقلا منفعلا بحسب قبول الكمالات من العقل الفعّال.

و أما مراتب القوّه العمليّه فاوليها تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع النّبويه و النواميس الالهيّه، و هذه المرتبه تسمّى عندهم التجليه - بالجيم، و بعباره واضحه التجليه أن تورد النفس قواها و أعضائها بالمراقبه الكامله تحت انقياد الأحكام الشرعيّه و النواميس الالهيه و إطاعتها فتطيع أوامر الشرع و تجتنب عن المناهى حتّى يظهر آثار الطهاره الظاهريه فى الظاهر أعنى البدن، و يحصل للنفس أيضا على التدريج ملكه التسليم و الانقياد للسلوك إلى طريق الحقّ تعالى و المتكفّل لحصول هذه المرتبه هو علم الفقه على الطريقه الحقّه الجعفريّه ليس إلّا.

و ثانيها تهذيب الباطن عن الملكات الرديّه و نفض آثار شواغله عن عالم الغيب و تسمّى هذه المرتبه التّخليه بالخاء، و بعباره اخرى التّخليه أن يعرض النفس عن المضار الاجتماعيه و الانفراديه و مفاسدهما يحذر من عواقبهما الوخيمه دنيويه و اخرويّه كالحسد و الحرص و الكبر و العجب و غيرها من الأخلاق الرذيله المبيّنه فى الكتب الأخلاقيّه، و رفض تلك الرذائل عن النفس بمنزله علاج البدن من الأمراض الجسمانيه، و شرب المسهل و الدواء لقلعها فكما أنّ الجسم ما كان مريضا لم ينفعه غذاء طيّب مقوّ و على الطبيب أن يداوى الجسم و يعالجه أوّلا- ثمّ يقوّيه بالأغذيه المقويّه كذلك الأمراض الروحيّه أعنى تلك الرذائل الأخلاقيّه ما لم يقلع من النفس و لم يسلم النفس منها لم ينفعه الملكات الفاضله.

و ثالثها مـا يحصل بعـد اتصالها بعالم الغيب و هو تحلّى النفس بالصور القدسـيه و تسـمّى هـذه المرتبه التّحليه بالحاء المهمله، و بعبـاره اخرى التّحليه أن تتحلّى النفس بعـد حصول التخليه بحلىّ الأخلاق الحميـده و الملكات الفاضـله الجميله ممّا هى فى نظام الاجتماع و رشد الفرد و تكامله مؤثر جدّا فالتحليه طهاره معنويه و ما لم يتحقّق هذه الطهاره للانسان فهو ليس بطاهر حقيقه و إن كان ظاهره متّصفا بالطهاره و اتّصاف النّفس بها بمنزله تقويه المريض بالأغذيه المقويّه بعد خلاصه من الأمراض.

و رابعتها ما يتجلّى له عقيب ملكه الإتّصال و الانفصال عن نفسه بالكلّيه و هو ملاحظه جمال اللّه و جلاله و قصر النظر على كماله حتّى يرى كلّ قدره مضـمحلّه جنب قدرته الكامله، و كلّ علم مسـتغرقا فى علمه الشامل بل كلّ وجود فائضا من جنابه، و تسـمّى هـذه المرتبه بالفنـاء فى الحقّ ، رزقنا اللّه و جميع المؤمنين تلك النعمه العظمى و بلغنا إلى تلك الغايه القصوى، و له أيضا ثلاث مراتب: محـو و طمس و محق المحو، فنـاء أفعـال العبـد فى فعـل الحقّ ، و الطمس، فنـاء صـفاته فى صـفات الحقّ و المحق، فنـاء وجوده فى ذات الحق، ففى الأوّل لا يرى فى الوجود فعلا لشـىء إلّا للحق، و فى الثانى لا يرى لشىء من الوجود صفه إلّا للحقّ ، و فى الثالث لا يرى وجودا لشـىء إلّا للحقّ ، و الفناء قسمان: فناء استهلاك كفناء أنوار الكواكب فى نور الشمس، و حينئذ يبقى عين الفـانى و ذاته و يرتفع حكم إنّيته، و فنـاء هلاـك كفناء الأمواج عنـد سـكون البحر، و حينئـذ يزول الفانى و يرتفع عينه و لا يبقى أثره.

و نزيـدك بيانـا و نقول: غبّ مـا حصـلت المراتب الثلاـثه التجليه و التخليه و التحليه للسالك تحصل له ببركه الطهاره و الصـفاء، جـاذبه المحبّه و العشق إلى جناب الحقّ جلّ جلاله فتصـير محبّا لما هو كمال له حقيقه من الحضور دائما عنـده تعالى و عبادته و الخلوه معه و الانس به، و ذكره قلبا و لسانا، فتوجب تلك الأحوال تشديد المحبّه تدريجا و اشـتعال نار المحبّه يسـيرا يسـيرا حتّى يذهل عن نفسه

ص:۳۳۲

و لا ـ يرى إلاّ ـ هو، و يبلغ بحق اليقين إلى أنّه تعـالى هو الأوّل و الاخر و الظّاهر و الباطن، و إلى أنه هو الظاهر لا غير، و أنّ الظاهر هو لا ـ غير، و إلى أنّ الباطن هو الظاهر، و أنّ الأوّل هو الاخر و الاخر هو الأوّل، و الكلّ تحت اسم الظاهر تـدوينا و تكوينا لفظا و عينا، و هذه الحاله للعارف تسمّى بالفناء فى اللّه فالفناء ملاحظه جمال اللّه و جلاله و قصر النظر على كماله.

و للفنـاء ثلاـث درجـات: الاـولى، الفنـاء فى الأفعـال فيرى العارف فى هـذه الـدرجه المؤثّرات و المبادى و الأسـباب و العلل من المجرّدات و المادّيـات و من الطبيعيّـات و الإراديّـات بـاطله بلا أثر، ألا كلّ شـىء ما خلا اللّه باطل، و لا يرى مؤثّرا إلاّ الحقّ جلّ جلاـله و لاـ يرى قـدره عـامله و لاـ إراده نافـذه فى الكائنـات إلاّـ قـدرته و إرادته، فيشـهد ذاتـا غير متنـاهيه، و إراده و قـدره غير متنـاهيتين حـاكمه على الجميـع، و عنت الوجـوه للحىّ القيّوم، فيرى بعين الشـهود بلاـ شوب ريب حقيقه الكريمه: و مـا رميت إذ رميت و لكنّ اللّه رمى، فيكون لسـان حـاله مترنّمـا بمقال لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه، بلا شائبه خيال و وهم بل بعين بصـيره و قلب مستيقـظ نبيه، و فى هـذا المقـام يحصل له اليأس عمّا سواه تعالى و الرجاء الواثق التامّ إليه تعالى، و يساوى عنـده بل يتّحـد قـدره أعظم ملوك الأرض و قدره أخسّ ذوى النفوس كالبقّ مثلا، و هذه الدرجه تسمّى بالمحو و إليه أشار صاحب المثنوى بقوله:

اين سببها بر نظرها پرده ها است كه نه هر ديدار صنعش را سزا است

ديده اى بايد سبب سوراخ كن تا حجب را بر كند از بيخ و بن

تا مسبّب بيند اندر لا مكان هرزه بيند جهد و أسباب دكان

و الثانيه، الفناء فى الصـفات، فيرى العارف فى هذه الدرجه جميع أسمائه تعالى و صفاته من صفات اللطف كالرحمن و الرّحيم و الرّازق و المنعم، و صفات القهر كالقهّار و المنتقم مستهلكه فى غيب الذات الأحديّه، و لا يرى إلاّ الذات

ص:٣٣٣

الأحديّه و لا يرى تعيّنا، و حينئذ يرتفع اختلاف المظاهر كالجبرئيل و العزرائيل و موسى و فرعون من عين صاحب هذا المقام، و يتّحد عنده و لا يتفاوت له اللطف و القهر و البسط و الغضب و العطاء و المنع و الجنّه و النّار و الصحّه و المرض و الفقر و الغنى و العزّه و الذلّه، و إلى هذه المرحله أشار العارف المصقع بقوله:

گر وعده دوزخ است و يا خلد غم مدار بيرون نمى برند تو را از ديار دوست

و هذه الدرجه تسمّى بالطمس.

و اعلم أنّ صفاته تعالى إما ايجابيّه و إما سلبيّه و يقال لنعوته الإيجابيّه لكونها وجوديه جماله تعالى، و لنعوته السلبيّه صفات الجلال لتجليله بأنّه المترفّع عن التركيب و الجوهريه و العرضيّه و الجسميّه و يقال: انّه ليس بمركب و ليس بعرض و ليس بجسم و ليس له ماهيه و نحوها فلزم أن لا يكون مرئيا و مشاهدا بل و لا مدركا و لذا نسب الاحتجاب إلى صفه الجلال كما قيل:

جمالك فى كلّ الحقائق سائر و ليس له إلاّ جلالك ساتر

و قال المتأله السبزوارى قدّس سرّه:

پرده ندارد جمال غير صفات جلال نيست بر اين رخ نقاب نيست بر اين مغز پوست

و الصفات الجماليه و الجلاليّه يقال بمعنى آخر أيضا قال القيصرى فى الفصل الثانى من مقدماته على شرح الفصوص: انّ ذاته تعالى اقتضت بحسب مراتب الالوهيّه و الربوبيّه صفات متعدده متقابله كاللطف و القهر و الرحمه و الغضب و الرضا و السخط و غيرها و تجمعها النعوت الجماليه و الجلاليه إذ كلّ ما يتعلق باللطف فهو الجمال، و ما يتعلق بالقهر فهو الجلال.

و لكلّ جمال أيضا جلال كالهيمان الحاصل من الجمال الإلهى فإنّه عباره عن انقهار العقل منه و تحيّره فيه، و لكلّ جلال جمال و هو اللطف المستور فى القهر الإلـهى كما قال اللّه تعالى: «وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ »، و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: سبحان من اتّسعت رحمته لأوليائه فى شدّه نقمته، و اشتدّت نقمته لأعدائه فى سعه رحمته، و من هنا يعلم سرّ قوله عليه السّلام: حفّت الجنّه بالمكاره

و حفّت النار بالشهوات، انتهى كلام القيصرى.

و الثالثه الفناء فى الذات، و العارف فى هذا المقام يرى جميع أنواع الكائنات المختلفه متّحده كما أنّ الجاهل يحسبها متكثره، إذ تعيّن كلّ واحد منها كالملك و الفلك و الإنسان و الحيوان و الأشجار و المعادن أو همه إلى الكثره فظنّ أنها متبدّده متعدّده و لكن العارف فى ذلك المشهد العظيم يشاهد من عرش التجرد الأعلى إلى مركز التراب بصوره نجارستان انتقش بقلم التجلّى على جدرانه و سقفه و على جميع ما فى ذلك النجارستان عكوس علمه تعالى و قدرته و حياته و رحمته، و نقوش لطفه و قهره، و أشعه جماله و جلاله، و يشاهد جميع ما فى دار الوجود من برّها و بحرها و عاليها و دانيها و مجرّدها و مادّيها متّصلا بعضها ببعض و مرتبطا أحدها باخر و منضما هذا بذاك كهيكل انسان واحد مثلا، يخبر الجميع بنغمه موزونه واحده عن عظمه العالم الربوبىّ ، و فى هذا المقام يتحقّق بحقيقه التوحيد و كلمه لا إله إلّا اللّه الطيّبه، قائلا بلسان الحقيقه يا هو يا من ليس إلّا هو، فإذن لا يبقى له و لا للممكنات الاخرى هويّه، بل هويّه الكلّ مضمحلّ و متلاش فى تجلّى حقيقه الحقّ سبحانه، لمن الملك اليوم للّه الواحد القهّار، و تسمّى هذه الدرجه بالمحق.

و ما حرّرنا فى مراتب القوّه العمليّه نبذه من إفاضات مولانا المكرّم و رشحه من فيوضات استاذنا العليم، الايه العظمى الميرزا أبى الحسن الرفيعى القزوينى متّع اللّه تعالى المسلمين بطول بقائه و أدام أيام افاداته - مع بعض إفاضات منّا مزيدا للإيضاح، و الحمد للّه باسط الرزق فالق الإصباح.

و اعلم أنّ الطهاره الحقيقيّه للنفس إنما هى حاصله فى الثالثه من الدرجات لأنّها تطهير النفس عمّا عداه تعالى، قد أفلح من زكّيها.

و أنّ لسان الغيب الخواجه شمس الدّين الحافظ قدّس سرّه أشار فى بيته:

ساقى حديث سرو و گل و لاله مى رود اين بحث با ثلاثه غسّاله مى رود

إلى هذه الدرجات الثلاث فعبّرها بالثلاثه الغسّاله لتغسيلها النفس عن الأنجاس و الأدناس فبالفناء فى الأفعال ينبت الورد فى روضه سرّ القلب، و يستشمّ

العارف من رياض القـدس ريح الورد، و بالفناء فى الصـفات ينبت الشـقائق فيها إشاره إلى تكامل الورد، و بالثالث ينبت السّر و فيها فيحيط أثر العمل شراشر وجود السالك فالجزاء مرتّب على وفق العمل فكلّما كان العمل أصعب و أشدّ كان جزاؤه أشرف و أسـدّ، جزاء بما كانوا يعملون، نقل هذه اللطيفه المحقّق النراقى قدّس سـرّه فى الخزائن عن الشّيخ محمّد الدارابى (ص ۴۱۳ طبع علميه اسلاميه ۱۳۸۰ ه ق).

و أنّ العلّامه البهائى قـدّس سـرّه نقل فى أواخر المجلّد الأوّل من الكشـكول (ص ۱۴۳ من طبع نجم الدوله) عن النّبى صـلى اللّه عليه و آله قال: خير الـدّعاء دعائى و دعاء الأنبياء من قبلى و هو: «لا إله إلاّ اللّه وحده وحده وحده، لا شـريک له، له الملک و له الحمد يحيى و يميت، و هو حىّ لا يموت، بيده الخير، و هو على كلّ شـىء قدير»، و روى ثقه الإسـلام الكلينى فى كتاب الدّعاء من الكافى (ص ۳۷۵ ج ۲ من المعرب) بإسـناده عن علىّ بن النعمان، عمّن ذكره، عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال: قال جبرئيل عليه السّـلام لرسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله: طوبى لمن قال من امّتک: «لا إله إلاّ اللّه وحده وحده وحده»، و رواه الشّيخ الجليل الصـدوق فى باب ثواب الموحّـدين و العارفين من كتاب التوحيد باسـناده عن جابر بن يزيد الجعفى، عن أبى جعفر عليه السّـلام (ص ۸) و تثليث قول وحده فيها باعتبار توحيد الذات و الصـفات و الأفعال، أفاده العالم المتأله السـعيد القاضـى السـعيد فى شرح توحيد الصدوق.

فـإذا زكيت نفسـک فقـد أفلحت و لاـح فيـک ما وعـد اللّه تعالى عباده الصالحين و لم يكن حجابک إلاّ أنت، قال عزّ من قائل: «كَلاّـ بَـلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ مـا كانُوا يَكْسِـبُونَ كَلاّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِـذٍ لَمَحْجُوبُونَ » (المطفّفين: ۱۶) قال الخواجه صائن الـدّين على التركه فى آخر قواعد التوحيد: إنّ العلوم كلّها موجوده فينا لكنّها مختفيه بالحجب المانعه عن الظهور، و لا يخفى عليک أنّ ظهورهـا تـاره يكون بالحركات اللطيفه الفكريّه الروحانيّه بعـد تسـليط القوّه القدسـيّه على قوّتى الوهميّه و المتخيّله و سائر القوى الجسمانيّه و تهذيب الأخلاق و تزيين النفس بالأخلاق الحسنه، و تاره اخرى بتسكين المتخيّله و المتوهّمه و إلجامهما و منعهما

عن الحركات المضطربه المشوشه بعد تسخير القوى الجسمانيّه بالتزكيه و التصفيه و كلا الطريقين حقّ عند أكثر المحقّقين من أهل النظر و أصحاب المجاهده.

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنّه كلا جانبى هرشى لهنّ طريق

و من اعتقد أنّه لا اعتبار بالتزكيه و التصفيه فى طريق التعلم و النظر ركب متن الهوى و الهوس حسب هذه العقيده الفاسده، و غلبت على نفسه الشهوه و الغضب و استولت عليه الرّذائل الطبيعه المهلكه، و حرمت عليها الفضائل الملكيه المحييه و اشتغل بقراءه كتب مقلّدى الفلاسفه و زبر المتكلمين من أصحاب الجدل و المشاغبه و ضيّع عمره فى ضبط الاراء المتناقضه و حفظ الأحوال و الأقوال المتقابله فأوقع نفسه فى لجج الخيالات الفاسده و الأوهام الباطله عند تلاطم أمواج الشكوك و الشبهات المفرقه فاضمحلّ نور قلبه و عميت بصيرته بتراكم الكدورات المظلمه و العقائد الفاسده و ازداد فيه الجهل و التردد و حصل له البهت و التحيّر و لا يدرى أين يذهب فلحق به من الحق الغضب و ظنّ أن الكمال ما حصل له و وصل إليه و ليس ورائه حاله مرغوبه كماليه و لا سعاده باقيه فتيقّن خبث هذه العقيده و وجه ضررها من لطفه و استعذابه من مكره و غضبه.

۱۳ - و عليك بما نقصّ عليك من قصص ثلاث هى من أحاسن القصص دستورا أما الاولى فقد روى ثقه الإسلام الكلينى فى باب المؤمن و علاماته و صفاته من كتاب الإيمان و الكفر من الكافى (ص ۱۸۶ ج ۲ من المعرب): أنّ الحسن بن علىّ صلوات اللّه عليهما خطب الناس فقال: أيها الناس أنا اخبركم عن أخ لى كان من أعظم الناس فى عينى، و كان رأس ما عظم به فى عينى صغر الدنيا فى عينه كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهى ما لا يجد، و لا يكثر إذا وجد، كان خارجا من سلطان فرجه فلا يستخفّ له عقله و لا رأيه، كان خارجا من سلطان الجهاله فلا يمدّ يده إلّا على ثقه لمنفعه، كان لا يتشهّى و لا يتسخّط و لا يتبرّم، كان أكثر دهره صمّاتا فإذا قال بذّ القائلين، كان لا يدخل فى مراء و لا يشارك فى دعوى و لا يدلى بحجّه حتّى يرى قاضيا، و كان لا يغفل عن اخوانه و لا يخصّ نفسه بشىء دونهم، كان ضعيفا مستضعفا

فإذا جاء الجدّ كان ليثا عاديا، كان لا يلوم أحدا فيما يقع العذر فی مثله حتّی یری اعتذارا، كان یفعل ما یقول و یفعل ما لا یقول، كان إذا بتزّه أمران لا یدری أیهما أفضل نظر إلی أقربهما إلی الهوی فخالفه، كان لا یشكو وجعا إلّا عند من یرجو عنده البرء، و لا یستشیر (یسترشد - خ) إلّا من یرجو عنده النصیحه، كان لا یتبرّم و لا یتسخّط و لا یتشكّی و لا یتشهّی و لا ینتقم و لا یغفل عن العدو، فعلیكم بمثل هذه الأخلاق الكریمه إن أطقتموها، فإن لم تطیقوها كلّها فأخذ القلیل خیر من ترك الكثیر، و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه، و هذا الحدیث قد نسبه الشریف الرضی رضوان اللّه علیه إلی أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام و أتی به فی القسم الثالث من النهج أعنی فی باب المختار من حكم أمیر المؤمنین علیه السّلام و هو المختار ۲۸۹.

و رواه أبو محمّد الحسن بن علیّ بن شعبه الحرّانی رحمه اللّه علیه عن أبی محمّد الامام الحسن بن علیّ المجتبی علیهما السّلام أیضا، كما فی الكافی و فی هامش نسخه مخطوطه عتیقه من النهج توجد فی مكتبتنا: قال السیّد الإمام السعید أبو الرضا رضی اللّه عنه: وجدت هذا الفصل فی أدب ابن المقفع، و وجدت فی كتاب آخر هذا الكلام منسوبا إلی الحسن بن علیّ صلوات اللّه علیهما، و نقل ذلك الحدیث العلّامه البهائی أیضا فی أوائل المجلّد الثالث من كشكوله (ص ۲۴۹ طبع نجم الدوله) من النهج أیضا من غیر تعرّض فیه.

قلت: إذا دار الأمر بین الجامع الكافی و بین غیره من الجوامع الروائیه فضلا عن غیرها فلا ریب أنّ المتعیّن هو الأوّل، علی أنّ روایه ابن شعبه موافقه له و معاضده، و بین النسخ تفاوت فی الجمله و نحن نقلناها من نسخه مخطوطه مصحّحه من الكافی مزدانه بعلائم المقابله و التصحیح من أوّلها إلی آخرها و بتعلیقات أنیقه رشیقه، و بخط صدر الدین السیّد علی خان المدنی قدّس سرّه الّذی تقدّم ذكره فی هذه الرساله غیر مرّه علی ظهرها و هذه صورته: «الحمد للّه سبحانه، علی هذه النسخه الشریفه المعتمده خط السیّد نصیر المله و الدین و خط ابن أخیه و صهره السیّد محمّد معصوم و خط ابنه والدی الأمیر نظام الدین أحمد، و قد

قرأها على السيّد العلّامه نور الدين ابن عليّ بن أبى الحسن العلوى قدّس اللّه سبحانه أسرارهم، كتب عليّ الصدر المدنى عفى عنه».

و أما الثانيه فقد نقلها العلّامه الشّيخ البهائى قدّس سرّه فى أوّل المجلّد الثالث من كتابه القيّم النفيس المسمّى بالكشكول (ص ۲۴۵ من طبع نجم الدوله) حيث قال: من خط س(۱) عن عنوان البصرى و كان شيخا قد أتى عليه أربع و تسعون سنه، قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين فلمّا قدم جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام اختلفت إليه و أحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال لى يوما: إنّى رجل مطلوب و مع ذلك لى أوراد فى كل ساعه من آناء الليل و النهار فلا تشغلنى عن وردى و خذ عن مالك، و اختلف إليه كما كنت تختلف.

فاغتممت من ذلك، و خرجت من عنده، و قلت فى نفسى: لو تفرّس لى خيرا لما زجرنى عن الاختلاف إليه و الأخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّمت عليه ثمّ رجعت من الغد إلى الروضه، و صلّيت فيها ركعتين و قلت: أسألك يا اللّه يا اللّه، أن تعطف عليّ قلب جعفر و ترزقنى من علمه ما أهتدى به إلى صراطك المستقيم، و رجعت إلى دارى مغتمّا و لم أختلف إلى مالك بن أنس لما اشرب فى قلبى من حبّ جعفر عليه السّلام فما خرجت من دارى إلّا إلى الصّلاه المكتوبه حتّى عيل صبرى، فلمّا ضاق صدرى تنعّلت و تردّيت و قصدت جعفرا عليه السّلام و كان بعد ما صلّيت العصر، فلمّا حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك ؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم فى مصلّاه، فجلست بحذاء بابه فما لبثت إلّا يسيرا إذا خرج خادم فقال: ادخل على بركه اللّه.

فدخلت و سلّمت عليه فردّ عليّ السّلام، و قال: اجلس غفر اللّه لك فجلست فأطرق مليّا، ثمّ رفع رأسه فقال: أبو من ؟ قلت: أبو عبد اللّه، قال: ثبّت اللّه

۱- (۱) هكذا فى ذلك الطبع بالسين المهمله فى الاول و الاخر، و فى طبع قم بالشين المعجمه و قال صديقنا الفاضل محمد صادق النصيرى زاده اللّه تعالى نصرا فى تعاليقه على الكشكول، كلمه شين المعجمه اشاره الى مجموعه الشهيد الثانى - ره -، منه.

کنیتک و وفّقک یا أبا عبد اللّه ما مسئلتک ؟ فقلت فی نفسی: لو لم یکن لی فی زیارته و التسلیم علیه غیر هذا الدّعاء لکان کثیرا.

ثمّ رفع رأسه فقال: ما مسئلتک ؟ قلت: سألت اللّه أن یعطف علیّ قلبک و یرزقنی من علمک و أرجو أنّ اللّه تعالی أجابنی فی الشریف ما سألته.

فقال: یا أبا عبد اللّه لیس العلم بالتعلّم و إنّما هو نور یقع علی قلب من یرید اللّه تبارک و تعالی أن یهدیه، فإن أردت العلم فاطلب أوّلا فی نفسک حقیقه العبودیه و اطلب العلم باستعماله، و استفهم اللّه یفهمک.

قلت: یا شریف، قال: یا أبا عبد اللّه، قلت: یا أبا عبد اللّه ما حقیقه العبودیّه ؟ قال: ثلاثه أشیاء أن لا یری العبد لنفسه فیما خوّله اللّه ملکا لأنّ العبید لا یکون لهم ملک، یرون المال مال اللّه یضعونه حیث أمرهم اللّه به، و لا یدبّر العبد لنفسه تدبیرا و جعل اشتغاله فیما أمره اللّه تعالی به و نهاه عنه، فإذا لم یر العبد لنفسه فیما خوّله اللّه ملکا هان علیه الإنفاق فیما أمره اللّه تعالی أن ینفق فیه و إذا فوّض العبد تدبیر نفسه إلی مدبّره هان علیه مصائب الدنیا، و إذا اشتغل العبد بما أمره اللّه تعالی و نهاه لا یتفرّغ منهما إلی المراء و المباهاه مع الناس، و إذا أکرم اللّه العبد بهذه الثلاثه هان علیه الدّنیا و إبلیس و الخلق، و لا یطلب الدّنیا تکاثرا أو تفاخرا و لا یطلب ما عند النّاس عزّا و علوّا و لا یدع أیّامه باطلا، فهذا أوّل درجه التّقی، قال اللّه تعالی: «تِلْکَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ ».

قلت: یا أبا عبد اللّه أوصنی، فقال: اوصیک بتسعه أشیاء فانّها وصیّتی لمریدی الطریق إلی اللّه تعالی، و اللّه أسأل أن یوفّقک لاستعماله:

ثلاثه منها فی ریاضه النّفس، و ثلاثه منها فی الحلم، و ثلاثه منها فی العلم فاحفظها، و إیّاک و التهاون بها، قال عنوان: ففرغت قلبی له.

قال: أمّا اللّواتی فی الرّیاضه: فایّاک أن تأکل ما لا تشتهیه فانّه یورث الحماقه و البله، و لا تأکل إلّا عند الجوع، و إذا أکلت فکل حلالا، و سمّ اللّه

و ذكّر حديث الرسول صلى اللّه عليه و آله: ما ملأ آدميّ وعاء شرّا من بطنه فإن كان و لا بدّ فثلث لطعامه، و ثلث لشرابه، و ثلث لنفسه.

فأمّا اللّواتى فى الحلم: فمن قال لك إن قلت واحده سمعت عشرا فقل له إن قلت عشرا لم تسمع واحده، و من شتمك فقل إن كنت صادقا فيما تقول فأسئل اللّه أن يغفر لى، و إن كنت كاذبا فيما تقول فأسئل اللّه أن يغفر لك، و من وعدك بالخنى فعده بالنصيحه و الدّعاء.

و أمّا اللّواتى فى العلم: فاسئل العلماء ما جهلت، و إيّاك أن تسئلهم تعنّتا و تجربه، و إيّاك أن تعمل برأيك شيئا، و خذ بالاحتياط فى جميع ما تجد إليه سبيلا، و اهرب من الفتيا هربك من الأسد، و لا تجعل رقبتك فى النّاس جسرا قم عنّى يا أبا عبد اللّه فقد نصحت لك و لا تفسد علىّ وردى فإنى امرؤ ضنين بنفسى و السّلام على من اتّبع الهدى، منقول كلّه من خطّ س. انتهى ما أتى به الشّيخ - ره - فى الكشكول.

قلت: تأمّل يا باغى السداد و طالب الرشاد و سالك الطريق إلى ربّ العباد فى هذه الصحيفه المكرّمه الّتى كتبت بقلم الولايه و انتقشت بما كلّه نور و هدايه.

و اخاطب نفسى الخاطئه فأقول لها: أيتها الهالكه ما غرّك بربّك الكريم تعمل عنده الأعمال الفاضحه، قومى و سافرى إلى من خلقك فسوّاك فعدلك فى أىّ صوره مّا شاء ركّبك، ألا ـ ترى أنّ ما سواه معتكف ببابه و مالك لا تطير إلى جنابه، صرفت العمر فى قيل و قال، و ضيّعته فى الجواب و السئوال، قومى فاغتنمى الفرصه، و اخلصى من الغصّه، إيّاك و التسويف فإنّه مبير الوضيع و الشريف، عليك بالحضور عند ربّك الغفور فإنّ الحضور يورث النور بل النور على النور و اللّه نور السموات و الأرض و جمالهما جلّ جلاله و عمّ نواله، أما قرأت الكتاب الحكيم القرآن العظيم يقول قائله عزّ اسمه و له الأسماء الحسنى: من جاهد فينا «لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا »، ألا رأيت كلام إمامك كشّاف الحقائق أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق: ليس العلم بالتعلّم و إنما هو نور يقع على قلب من يريد اللّه تبارك و تعالى أن يهديه.

ص:۳۴۱

اگر بودی کمال اندر نویسائی و خوانائی چرا آن قبلهٔ کل نانویسا بود و ناخوانا

إلی متی فی فراش الغفله و اتخذی لک الخلوه، و انتبهی من النّوم، و توبی نصوحا فی الیوم، و علیک بالسکوت و الصوم، و قومی عن العشیره و القوم، و یا نفسی الاثمه الجانیه و ازهدی فی الدّنیا الفانیه فإنّ حبّها جبّ کلّ عطیّه و رأس کلّ خطیئه، أعرضی عن دار الغرور، و توجهی إلی نور کلّ نور، لعلّ اللّه یحدث بعد ذلک أمرا، و عسی أن تأتیه فردا.

ای شده مغرور بدار غرور قد خسر الغافل یوم النشور

ای که فتادی ز ره عشق دور ألا إلی اللّه تصیر الامور

از چه نداری خبر از خویشتن یار حضور و تو نداری حضور

و ما إخالک بناج لما یداک قد حصّلنا من شرور

و لا تخافنّ سوی نفسکا ترس تو بیجا است ز مرگ و ز گور

و اللّه قد أظهر آیاته بیخبر است گر چه دل و دیده کور

هر چه توانی بره عشق کوش کامده از عشق همه در ظهور

دست ز أنبان شکم باز دار تا که دلت نور دهد همچو هور

هل کان عبد البطن عبد الإلاه ظلمتی از پرتو و نور است دور

آن بطلب کو بود أصل مراد إیّاک و الزّهد لوجدان حور

باش همی در ره دیدار یار إن شئت عیشا دائما فی السرور

این سر بیهوش تو از خیرگی لما یفیقنّ إلی نفخ صور

این دل زنگار تو را راه نیست فی ساحه القدس من اللّه نور

نعم لئن تبت نصوحا عسی أن یغفر اللّه الرّحیم الغفور

فی ظلمه اللیل تناجی الإلاه تکلّم اللّه کموسی بطور

و ابک بکاء عالیا قانتا عند صلاه لیلک بالحضور

نیست گرت مرده دلی بهر چه لست لربّک بعبد شکور

مرد خدا را حسنا روی دل سوی حضور است نه حور و قصور

فیامن خلقنی من العدم، یا من کرّم بنی آدم یا نور المستوحشین فی الظلم یا شاهد کلّ نجوی، یا من إلیه الکل یسعی، یا من هو بدّنا اللازم، یا من جری فی الخلق حکمه الجازم، یا من إلی بابه ألوذ، یا من به من شرّ نفسی أعوذ، یا من تحیّر فیه ما سواه، یا من نطق به الألسن و الأفواه.

ای که زبانها به تو گویاستی ایکه دل و دیدهٔ بیناستی

ای که صفات تو و ذاتت نکو است ای که ز هر عیب مبرّاستی

ای که ز نور رخ زیبای تو روی همه خرّم و زیباستی

ای که سزای دل شوریدگان شورشی از عشق تو برپاستی

ای که ز تو مرغ شباهنگ را نالهٔ جانسوز سحرهاستی

دست حسن گیر و رهائیش ده ای که ز راز دلش آگاستی

و أمّا الثالثه فهی مکاتبه جرت بین العالمین الشّیخ أبی سعید بن أبی الخیر و الشّیخ الرئیس أبی علیّ بن سینا و لمّا رأینا کثره فوائدها أتینا بها مزیدا للفائده و قد نقلها الشّیخ البهائی فی أواخر الکشکول (ص ۶۲۳ من طبع نجم الدوله و ص ۵۹۵ ج ۲ من طبع قم)، و لکنّ صورتها علی طبع قم مشوشه بل مشوهه جدّا، و هی منقوله أیضا فی نامه دانشوران فی ترجمه الشّیخ الرئیس أکمل ممّا فی الکشکول و قد نقل القاضی نور اللّه الشهید نبذه من کلام الشّیخ الرئیس فی مجالس المؤمنین و هذه صورتها:

کتب الشیخ أبو سعید بن أبی الخیر إلی الشّیخ الرئیس أبی علیّ بن سینا أیها العالم وفّقک اللّه لما ینبغی، و رزقک من سعاده الأبد ما تبتغی، إنّی من الطریق المستقیم علی یقین إلاّ أنّ أودیه الظنون علی الطریق المستجدّ (الجد - خ) متشعبّه، و إنّی من کلّ طالب طریقه لعلّ اللّه یفتح لی من باب حقیقه حاله بوسیله

تحقیقه و صدقه تصدیقه، و إنّک بالعلم وفقت لموسوم، بمذاکره أهل هذا الطریق مرسوم، فأسمعنی ما رزقت، و بیّن لی ما علیه وقفت، و إلیه وفّقت، و اعلم أنّ التذبذب بدایه حال الترهّب، و من ترهّب ترأب، و هذا سهل جدّا، و عسر إن عدّ عدّا، و اللّه ولیّ التوفیق.

فأجابه الشیخ الرئیس: وصل خطاب فلان مبیّنا ما صنع اللّه تعالی لدیه (إلیه - خ) و سبوغ نعمه علیه، و الاستمساک بعروه الوثقی، و الاعتصام بحبله المتین و الضرب فی سبیله، و التولیه شطر التقرب إلیه، و التوجه تلقاء وجهه، نافضا عن نفسه غبره هذه الخربه، رافضا بهمّته الاهتمام بهذه القذره - أعزّ وارد و أسرّ واصل و أنفس طالع و أکرم طارق، فقرأته و فهمته و تدبّرته و کرّرته و حقّقته فی نفسی و قرّرته فبدأت بشکر اللّه واهب العقل و مفیض العدل، و حمدته علی ما أولاه، و سألته أن یوفّقه فی اخراه و اولاه، و أن یثبت قدمه علی ما توطّاه، و لا یلقیه إلی ما تخطّاه، و تزیده إلی هدایته هدایه، و إلی درایته الّتی آتاه درایه، إنّه الهادی المبشّر و المدبّر المقدّر، عنه یتشعّب کلّ أثر، و إلیه یستند الحوادث و العبر (الغیر - خ) و کذلک تقضی الملکوت، و یقضی الجبروت و هو من سرّ اللّه الأعظم یعلمه من یعلمه و یذهل عنه من لا یعصمه، طوبی لمن قاده القدر إلی زمره السعداء، و حادبه عن رتبه الأشقیاء، و أوزعه استرباح البقاء من رأس مال الغنی، و ما نزهه هذا العاقل فی دار یتشابه فیها عقبی مدرک و مفوّت، و یتساویان عند حلول وقت موقّت، دار ألیمها موجع، و لذیذها مشبع، و صحّتها قسر الأضداد (قران الأضداد - خ) علی وزن و اعداد، و سلامتها استمرار فاقه إلی استمراء مذاقه، و دوام حاجه إلی مجّ مجاجه.

نعم و اللّه ما المشغول بها إلّا مثبّط ، و المتصرّف فیها إلّا مخبّط ، موزّع البال بین ألم و یأس، و نقود و أجناس، أخیذ حرکات شتّی، و عسیف أوطار تتری و أین هو من المهاجره إلی التوحید، و اعتماد النظام بالتفرید، و الخلوص من التشعّب إلی التّراب، و عن التذبذب إلی التهذّب، و عن ناد (باد - خ) یمارسه إلی

أبد يشارقه، هناك اللذّه حقّا، و الحسن صدقا، سلسال كلّما سقيته على الرّىّ كان أهنى و أشفى، و رزق كلّما أطعمته على الشبع كان أغذى و أمرىء، رىّ استبقاء لاربّ إباء، و شبع استشباع لا شبع استبشاع.

و نسأل اللّه تعالى أن يجلو عن أبصارنا الغشاوه، و عن قلوبنا القساوه، و أن يهدينا كما هداه، و يؤتينا ممّا آتاه، و أن يحجز بيننا و بين هذه الغارّه الغاشّه البسور فى هيأه الباشّه، المعاسره فى حليه المياسره، المفاصله فى معرض المواصله و أن يجعله إمامنا فيما آثر و أثّر، و قائدنا إلى ما صار إليه و سار، إنّه ولىّ ذلك.

فأمّا ما التمسه من تذكره ترد منّى و تبصره تأتيه من قبلى و بيان يشفيه من كلامى فكبصير استرشد من مكفوف، و سميع استخبر عن موقور السمع غير خبير فهل لمثلى أن يخاطبه بموعظه حسنه، و مثل صالح، و صواب مرشد، و طريق أسنّه له منفذ، و إلى غرضه الّذى أمّه منفذ؟.

و مع ذلك فليكن اللّه تعالى أوّل فكره و آخره، و باطن اعتباره و ظاهره و لتكن عين نفسه مكحوله بالنظر إليه، و قدمها موقوفه على المثول بين يديه مسافرا بعقله فى الملكوت الأعلى، و ما فيه من آيات ربّه الكبرى، فإذا انحطّ إلى قراره فلير اللّه فى آثاره فإنّه باطن ظاهر تجلّى بكلّ شىء لكلّ شىء.

ففى كلّ شىء له آيه تدلّ على أنّه واحد

فإذا صارت هذه الحال ملكه، و هذه الخصله وتيره، انطبع فى فصّه نقش الملكوت، و تجلّى له آيه قدس اللّاهوت، فألف الأنس الأعلى، و ذاق اللذّه القصوى، و أخذ عن نفسه إلى من هوبه أولى، و فاضت عليه السكينه، و حفّت به الطمأنينه، و اطّلع على الأدنى اطّلاع راحم لأهله مستوهن بحبله (بخيله - خ):

مستخفّ لثقله، مستحسن لفعله، مستطل لطرفه، و يذكر نفسه و هى بهجه فتعجّب منهم تعجّبهم منه، و قد ودعها و كان معها كمن ليس معها.

و ليعلم أنّ أفضل الحركات الصلاه، و أمثل السكنات الصيام، و أرفع (أنفع - خ) البرّ الصدقه (و أفضل البرّ العطا - خ) و أزكى السّير الاحتمال، و أبطل السعى

الرياء (و أفضل السعى المراياه - على نسخه مجالس المؤمنين)، و لن تخلص النفس عن البدن ما التفتت إلى قيل و قال، و مناقشه و جدال، و انقلعت بحاله من الأحوال، و خير العمل ما صدر عن مقام نيّه (عن خالص نيّه - خ) و خير النيّه ما ينفرج عن جناب علم، و الحكمه ام الفضائل، و معرفه اللّه أوّل الأوائل، إليه يصعد الكلم الطيّب، و العمل الصالح يرفعه، أقول قولى هذا و أستغفر اللّه و أستهديه و أتوب إليه و أستكفيه، و أسأله أن يقرّبنى إليه إنّه سميع مجيب.

ثمّ يقبل على هذه النفس المزيّنه بكمالها الذاتى، و يحرسها عن التلطّخ بما يشينها من الهيئات الانقياديه للنقوش الماديه الّتى إذا بقيت فى النفس المزينه كانت حالها عند الانفصال كحالها عند الاتصال، إذ جوهرها متثاوب و لا مخالطه و إنّما يدنّسها هيئه الانقياد لتلك الصواحب بل يفيدها هيئات الاستيلاء و الاستعلاء و الرياسه و لذلك يهجرا كذب قولك، و يخلّى حتّى تحدث للنّفس هيئه صدوقه فيصدّق الأحلام و الرؤيا و اللذّات، فليستعملها على اصلاح الطبيعه و إلقاء الشخص و النوع و السياسه.

و أمّا المشروب فأن يهجر شربه ملهيا بل تشفّيا تداويا، و يعاشر كلّ فرقه بعادته و رسمه، و يسمح بالمقدور من المال و يترک لمساعده النّاس كثيرا ما هو خلاف طبعه، ثمّ لا يقصر فى الأوضاع الشرعيّه، و تعظيم السنن الإلهيّه و المواظبات على التعبدات البدنيّه، و يكون دوام عمره إذا خلا و خلص من المعاشرين، نظر بالرويّه و الفكره فى الملوك الأول و ملكها، و اكبس عن عثار النّاس من حيث لا تقف على النّاس، عاهد اللّه أن تسير بهذه السيره و تدين بهذه الدّيانه، و اللّه ولىّ الّذين آمنوا حسبنا اللّه نعم الوكيل.

هذا آخر المكاتبه، و قد نقل منها الشّيخ فى الكشكول - إلى قوله: إنّه سميع مجيب، و نقلنا بعده من نامهٔ دانشوران، و نقل القاضى نور اللّه الشهيد نوّر اللّه مرقده فى المجالس بعد قوله: إنّه سميع مجيب، هذا السطر أيضا: و الحمد للّه ربّ العالمين، و الصّلاه و السّلام على خير خلقه محمّد و آله أجمعين.

ص:۳۴۶

۱۴ - کن عالی الهمّه، علی حدّ لا تعبد إلّا إیّاه تعالی، و لا تکن فی إعراضک عن متاع الدّنیا و طیّباتها معاملا و لا فی عباداتک أجیرا، و کن کما نطق به الناطق بالصواب میزان یوم الحساب، و فصل الخطاب أمیر المؤمنین و سیّد الوصیّین علیّ علیه السّلام: ما عبدتک خوفا من نارک و لا طمعا فی جنّتک بل وجدتک أهلا للعباده فعبدتک.

تو بندگی چو گدایان بشرط مزد مکن که خواجه خود صفت بنده پروری داند

و فی الباب التاسع عشر من مصباح الشریعه: قال النبیّ صلی اللّه علیه و آله: قال اللّه تعالی:

من شغله ذکری عن مسئلتی أعطیته أفضل ما أعطی للسائلین.

و روی ثقه الإسلام الکلینیّ فی باب العباده من کتاب الإیمان و الکفر من اصول الکافی (ص ۶۸ ج ۲ من المعرب) باسناده عن هارون بن خارجه عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: إنّ العبّاد ثلاثه: قوم عبدوا اللّه عزّ و جل خوفا فتلک عباده العبید و قوم عبدوا اللّه تبارک و تعالی طلب الثواب فتلک عباده الاجراء، و قوم عبدوا اللّه عزّ و جلّ حبّا له فتلک عباده الأحرار و هی أفضل العباده.

و رواه ابن شعبه رحمه اللّه علیه فی تحف العقول عن سیّد الشهداء أبی عبد اللّه الحسین علیه السّلام أیضا، حیث قال علیه السّلام: إنّ قوما عبدوا اللّه رغبه فتلک عباده التجار و إنّ قوما عبدوا اللّه رهبه فتلک عباده العبید، و إنّ قوما عبدوا اللّه شکرا فتلک عباده الأحرار و هی أفضل العباده، و هذا بعینه منقول فی النهج عن أمیر المؤمنین علیه السّلام (المختار ۲۳۷ من باب حکمه علیه السّلام).

فکن من أهل اللّه لا من أهل الدّنیا و لا من أهل الاخره، و حقیقه الزهد أن یزهد فی الدّنیا و الاخره، کما قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: الدّنیا حرام علی أهل الاخره، و الاخره حرام علی أهل الدّنیا، و هما حرامان علی أهل اللّه.

و فی ذلک الباب من الکافی بإسناده عن عمرو بن جمیع، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أفضل النّاس من عشق العباده فعانقها و أحبّها بقلبه

و باشرها بجسده و تفرّغ لها، فهو لا يبالى على ما أصبح من الدّنيا على عسر أم على يسر.

أقول: هذه الروايه قد نطقت بالعشق، و فى عشق من سفينه البحار للمحدث القمّى رحمه اللّه عليه: النبوى صلى اللّه عليه و آله أنّ الجنّه لأعشق لسلمان من سلمان للجنّه.

و فى تاسع البحار (ص ٥٨٠) عن الخرائج: روى عن أبى جعفر عليه السّلام، عن أبيه قال: مرّ علىّ عليه السّلام بكربلا فقال لما مرّ به أصحابه و قد اغرورقت عيناه يبكى و يقول: هذا مناخ ركابهم، و هذا ملقى رحالهم، ههنا مراق دمائهم، طوبى لك من تربه عليها تراق دماء الأحبّه، و قال الباقر عليه السّلام خرج علىّ يسير بالنّاس حتّى إذا كان بكربلا على ميلين أو ميل تقدّم بين أيديهم حتّى طاف بمكان يقال له المقدفان فقال: قتل فيها مائتا نبىّ و مائتا سبط ، كلّهم شهداء و مناخ ركاب و مصارع عشّاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم و يلحقهم من بعدهم.

و كم نرى من المقدّسين الخشك يطعنون فى أهل اللّه باطلاقهم العشق و مشتقاته قائلين بأنّ أىّ خبر نطق به ؟ و هذا خبرهم بل هذه أخبارهم، على أنّه لو لم يأت به أثر فى الجوامع الروائيه لكانت حجتهم داحضه و كلمتهم سفلى.

و فى الباب الرابع و الخمسين من إرشاد القلوب للديلمى و هو آخر أبواب الكتاب فيما سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ربّه ليله المعراج: يا أحمد وجوه الزاهدين مصفرّه من تعب الليل و صوم النهار، و ألسنتهم كلال من ذكر اللّه تعالى، قلوبهم فى صدورهم مطعونه من كثره صمتهم قد أعطوا المجهود من أنفسهم لا من خوف نار و لا من شوق جنّه و لكن ينظرون فى ملكوت السموات و الأرض فيعلمون أنّ اللّه سبحانه أهل للعباده، يا أحمد هذه درجه الأنبياء و الصديقين من امّتك و امّه غيرك و أقوام من الشهداء - إلخ.

و فى باب اتباع الهوى من كتاب الايمان و الكفر من اصول الكافى (ص ٢٥١ ج ٢ من المعرب) عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يقول اللّه عزّ و جلّ : و عزّتى و جلالى و عظمتى و كبريائى و نورى و علوّى و ارتفاع مكانى لا يؤثر

عبد هواه علی هوای إلاّ شتّت علیه أمره و لبست علیه دنیاه و شغلت قلبه بها و لم اوته منها إلاّ ما قدّرت له، و عزّتی و جلالی و عظمتی و نوری و علوّی و ارتفاع مکانی لا یؤثر عبد هوای علی هواه إلاّ استحفظته ملائکتی و کفّلت السموات و الأرضین رزقه و کنت له من وراء تجاره کلّ تاجر و أتته الدّنیا و هی راغمه.

و إذا ذقت حلاوه ذکره تعالی و أنست به و رزقت جنّه اللقاء لا تطلب منه تعالی إلاّ إیّاه و تنسی غیره، کما فی الباب التاسع عشر من مصباح الشریعه قال الصّادق علیه السّلام: لقد دعوت اللّه مره فاستجاب لی و نسیت الحاجه لأنّ استجابته بإقباله علی عبده عند دعوته أعظم و أجلّ ممّا یرید منه العبد و لو کانت الجنّه و نعیمها الأبدی، و لیس یعقل ذلک إلاّ العاملون المحبّون العارفون صفوه اللّه و خواصّه انتهی.

و کأنما الشّیخ العارف السعدی رضوان اللّه علیه یشیر إلی قوله علیه السّلام، حیث زیّن مطلع گلستانه بو رد بیانه: یکی از صاحبدلان سر بجیب مراقبت فرو برده و در بحر مکاشفت مستغرق گشته، حالی که از آن حالت باز آمد، یکی از دوستان گفت: در این بوستان که بودی ما را چه تحفه آوردی ؟ گفت بخاطر داشتم که چون بدرخت گل رسم دامنی پر کنم هدیّهٔ أصحاب را، چون برسیدم بوی گلم چنان مست کرد که دامن از دست برفت، و لقد أجاد، طیّب اللّه رمسه و قدّس سرّه.

فمن عبد اللّه تعالی طلب الثواب أو خوفا من العقاب فهو محروم عن اللذّه الحقیقیّه، بل إنّک إن فتّشته لم تجده إلاّ عابد هواه إن عبده تعالی رغبه، أو محبّا لنفسه لا لمولاه إن عبده رهبه، و قد أفاد الشّیخ الرئیس أبو علیّ بن سینا تغمّده اللّه بغفرانه فی مقامات العارفین بقوله:

المستحلّ توسیط الحقّ مرحوم من وجه فإنه لم یطعم لذّه البهجه به فیستطعمها إنّما معارفته مع اللذّات المخدجه فهو حنون إلیها غافل عمّا ورائها، و ما مثله بالقیاس إلی العارفین إلاّ مثل الصبیان بالقیاس إلی المحنکین، فانّهم لمّا

غفلوا عن طيّبات يحرص عليها البالغون، و اقتصرت بهم المباشره على طيّبات اللعب صاروا يتعجّبون من أهل الجدّ إذا زورّوا عنها عائفين لها عاكفين على غيرها، كذلك من غضّ النقص بصره عن مطالعه بهجه الحقّ أعلق كفّيه بما يليه من اللذّات لذّات الزور، فتركها فى دنياه عن كره، و ما تركها إلّا ليستأجل أضعافها و إنّما يعبد اللّه تعالى و يطيعه ليخوّله فى الاخره شبعه منها فيبعث إلى مطعم شهيّ و مشرب هنيء و منكح بهيّ ، و إذا بعثر عنه فلا مطمح لبصره فى اولاه و اخراه إلّا إلى لذّات قبقبه و ذبذبه، و المستبصر بهدايه القدس فى شجون الإيثار قد عرف اللذّه الحقّ و ولّى وجهه سمتها مسترحما على هذا المأخوذ عن رشده إلى ضدّه، و إن كان ما يتوخاه بكدّه مبذولا له بحسب وعده.

۱۵ - التوبه و هى لا تنفك عمّن استبصر و إلّا فليس بمستبصر، و لا أنسى عذوبه كلام سيّدنا الاستاذ محمّد حسن الإلهى المقدّم ذكره قدّس سرّه، و لطافه بيانه فى التوبه حيث قال: التوبه الحقيقيّه أن تتوب من خيرك و شرّك، و بعد تأمّل قليل قلت له: أمّا التوبه من الشرّ فلا كلام فيها، و أما التوبه من الخير فما مراد جنابك منها؟ فقال رضوان اللّه عليه: ما نحسبها خيرا من صلاتنا و صيامنا و قراءتنا القرآن و دراستنا و غيرها لو تأمّلنا فيها لرأيناها مخدجه غير كامله - و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - فيجب على المستبصر أن يتوب من هذه الأعمال الناقصه، و أن يقصد الإتيان بها على النحو الكامل الّذى يتقبّل اللّه و انما يتقبّل اللّه من المتقين، فما حسبناه خيرا ليس بخير حقيقه، فطوبى لمن وفّق بالتوبه ممّا حسبه خيرا و عمل ما هو خير واقعا.

و التوبه تذهب بدرن القلب، و تزيل رينه فإذا يستبصر التائب بدائه و دوائه و يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امّه، قال الامام الباقر عليه السّلام: التائب من الذنب كمن لا ذنب له، و إذا تخلّصت النفس من الرذائل و تنزهت من أوساخ الذنوب فقد قبلت توبته، و أمّا البحث الكلامى عن التوبه فقد أشبعنا الكلام فيه فى شرحنا على المختار ۲۳۵ من خطب النهج من كتابنا تكمله منهاج البراعه (ص ۱۷۱ - إلى - ۲۰۱

من ج ۱۵).

و قال السیّد بن طاوس قدّس سرّه الشریف فی أعمال شهر ذی القعده من کتابه الإقبال: فصل: فیما نذکره ممّا یعمل فی یوم الأحد من الشهر المذکور و ما فیه من الفضل المذخور وجدنا ذلک بخطّ الشّیخ علیّ بن یحیی الخیّاط رحمه اللّه و غیره فی کتب أصحابنا الامامیه و قد روینا عنه کلّما رواه و خطّه عندنا بذلک فی إجازه تاریخها شهر ربیع الأوّل سنه تسع و ستمائه فقال ما هذا لفظه:

روی أحمد بن عبد اللّه، عن منصور بن عبد الحمید، عن أبی أمامه، عن أنس بن مالک قال: خرج رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یوم الأحد فی شهر ذی القعده فقال: یا أیها الناس من کان منکم یرید التوبه ؟ قلنا: کلّنا یرید التوبه یا رسول اللّه، فقال علیه السّلام:

اغتسلوا و توضّأوا و صلّوا أربع رکعات و اقراوا فی کلّ رکعه فاتحه الکتاب مرّه قل هو اللّه أحد ثلاث مرات و المعوذتین مرّه ثمّ استغفروا سبعین مرّه ثمّ اختموا بلا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلیّ العظیم ثمّ قولوا: یا عزیز یا غفار اغفر لی ذنوبی و ذنوب جمیع المؤمنین و المؤمنات فانّه لا یغفر الذّنوب إلاّ أنت.

ثمّ قال علیه السّلام: ما من عبد من امّتی فعل هذا إلاّ نودی من السماء یا عبد اللّه استأنف العمل فإنک مقبول التوبه مغفور الذنب.

و ینادی ملک من تحت العرش أیها العبد بورک علیک و علی أهلک و ذرّیتک.

و ینادی مناد آخر أیها العبد ترضی خصماؤک یوم القیامه.

و ینادی ملک آخر أیها العبد تموت علی الإیمان و لا أسلب منک الدین و یفسح فی قبرک و ینوّر فیه.

و ینادی مناد آخر أیها العبد یرضی أبواک و إن کانا ساخطین و غفر لأبویک ذلک و لذریتک و أنت فی سعه من الرزق فی الدنیا و الاخره.

و ینادی جبرئیل علیه السّلام: أنا الّذی آتیک مع ملک الموت علیه السّلام أن یرفق بک و لا یخدشک أثر الموت انما تخرج الروح من جسدک سلاّ (سلاما - خ).

قلنا: یا رسول اللّه لو أنّ عبدا یقول فی غیر الشهر؟ فقال علیه السّلام: مثل ما وصفت

ص:۳۵۱

و إنما علّمنی جبرئیل علیه السّلام هذه الکلمات أیّام اللّه ربّی (أیّام اسری بی - خ).

و نـذیّل الرساله بقصـیده الفارسیّه تفوّه بها هـذا الراجی لقاء ربّه الرّحیم و قد فرغ منها فی أوائل ذی الحجّه ۱۳۸۸ ه ق، و سمّاها بالقصیده اللّقائیّه:

ای دل بدر کن از سرت کبر و ریا را خواهی اگر بینی جمال کبریا را

تا با خودی بیگانه ای از آشنایان بیگانه شو از خود شناسی آشنا را

عنقای أوج قاف قرب دلبر من در زیر پر بگرفته کلّ ما سوا را

در پایتخت کشور دل پادشاهی منگر مگر سلطان یهدی من یشا را

مرآت أسماء و صفات حق بود دل مشکن چنین آیینهٔ ایزد نما را

ای همدم کرّ و بیان عالم قدس از خود بدر کن لشکر دیو دغا را

تا از سواد و از خیال و از بیاضت فانی شوی بینی جهان جان فزا را

گر جذبه ای از جانب جانانه یابی بازیچه خوانی جذب کاه و کهربا را

گاهی ز اشراق رخ مهر آفرینش بر آسمان جان دهد رشک ضیا را

گاهی ز زلف مشکسای دلربایش آشفتهٔ خود می کند أحوال ما را

دل در میان اصبعین او است دائم از قبض و بسطش فهم کن این مدّعا را

اللّه قد خلقکم أطوارا أی قوم کیف فلا ترجون للّه وقارا

در آستان لطف آن محبوب یکتا دریوزه گر بینم همه شاه و گدا را

تسبیح گوی ذات پاک لا یزالیش بنگر ز ذرّات ثریّا تا ثری را

بنیوش از من باش دائم در حضورش تا در حضور او چه ها یابی چه ها را

گر تار و پود بودم از هم بر شکافی جز او نخواهی یافت این دولت سرا را

در چشم حق بینم من او او من نباشد یکتاپرستم من نمی دانم دو تا را

عشق منش از گفتهٔ استاد نبود نوشیده ام با شیر مادر این غذا را

تنها نه من سرگشته ام ز ان رو که بینم نالان و سرگردان او أرض و سما را

تنها نه من در حیرتم از سرّ انسان بل صار فیه القوم کلّهم حیاری

فکری بکن بنگر که ای و در کجائی هم از کجا بودی و می خواهی کجا را

ص:۳۵۲

دردا که ما را آگهی از خویش نبود ور نه بما کردی عطا کشف غطا را

دردت اگر باشد پی درمان دردت از چه نجوئی از طبیب خود دوا را

یارت دهد اندر حریم خویش بارت مر آزمونرا گوی از اخلاص یا را

بیدار باش و در ره زاد أبد کوش بگسل ز خود دام هوسها و هوا را

بر آب زن اوراق نقش این و آنرا بر دل نشان أحکام قرآن و دعا را

در خلوت شبهای تارت می توانی آری بکف سرچشمۀ آب بقا را

گوئی خلیل آسا اگر وجّهت وجهی گردد بتو راز نهانی آشکارا

تسلیم باش و سر بنه اندر رضایش بر بند لب از گفتن چون و چرا را

از رحمت بی انتهای خویش دارد وابستۀ دام بلا أهل ولا را

زاهد بود سوداگر و عابد أجیری محو است و طمس و محق أرباب وفا را

آیین مردان خدا تقوی است تقوی مرزوق عند اللّه بین أهل تقی را

ره رو چنانکه مردم هشیار رفتند راهی مبین جز راه و رسم مصطفی را

گر مشکلی پیش آیدت ایسالك ره ناد علیّا آن شه مشکل گشا را

خواهی روی اندر منای عاشقانش بار سفر بر بند سوی کربلا را

گفتار نیکو باید و کردار نیکو تا در جزای این و آن یابی لقا را

أبناء نوعت را ز خود خوشنود می دار خواهی ز خود خوشنود أر داری خدا را

بیچاره ایم ای چارۀ بیچاره گانت جز تو که یارد دست ما گیرد نگارا

عارم بود از این کلیمی أربعینم از جود تو دارم من امید عطا را

تسخیر خود کن نجم را آنسان که کردی تسخیر خود مهر و مه و استاره ها را

و قد فرغنا من تألیف هذه الرساله اللقائیه فی بلدنا الامل وقت السحر من لیله الاثنین السادسه عشر من ربیع المولود من شهور

سنه تسع و ثمانين و ثلاثمائه بعد الألف من الهجره على هاجرها الف تحيّه و سلام، رزقنا اللّه تعالى القرب منه و نعمه لقائه.

ص:۳۵۳

و من كتاب له عليه السلام الى أهل البصره و هو

اشاره

المختار التاسع و العشرون من باب المختار

من كتبه و رسائله

و قد كان من انتشار حبلكم و شقاقكم ما لم تغبّوا عنه، فعفوت عن مجرمكم، و رفعت السّيف عن مدبركم، و قبلت من مقبلكم فإن خطت بكم الأمور المرديه، و سفه الاراء [الأراء - معا] الجائره إلى منابذتى و خلافى فها أنذا [أناذا - نسخه] قد قرّبت جيادى و رحلت ركابى. و لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعنّ بكم وقعه لا يكون يوم الجمل إليها إلاّ كلقعه لاعق، مع إنّى عارف لذى الطّاعه منكم فضله و لذى النّصيحه حقّه، غير متجاوز متّهما إلى بريء، و لا ناكثا إلى وفيّ .

المصدر

رواه أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفىّ الكوفىّ المتوفّى ۲۸۳ ه - ق فى كتاب الغارات.

بعث أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام جاريه بن قدامه إلى أهل البصره على ما يأتى تفصيله فى المعنى، و كتب معه هذا الكتاب إليهم، و هذا المختار بعض ذلك الكتاب و هذه صورته الكامله:

ص:۳۵۴

من عبـد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من ساكنى البصـره من المؤمنين و المسـلمين: سـلام عليكم أمّا بعد فإنّ اللّه حليم ذو أناه لا يعجل بالعقوبه قبل البيّنه، و لا يأخذ المذنب عند أوّل وهله، و لكنّه يقبل التوبه، و يستديم الأناه، و يرضى بالإنابه، ليكون أعظم للحجّه، و أبلغ فى المعذره.

و قد كان من انتشار حبلكم و شقاقكم ما لم تغبّوا عنه فعفوت عن مجرمكم، و رفعت السّيف عن مدبركم، و قبلت من مقبلكم، و أخـذت بيعتكم فـإن تفوا ببيعتى، و تقبلوا نصـيحتى، و تسـتقيموا على طـاعتى، أعمل فيكم بالكتاب و السـنّه و قصـد الحق و اقيم فيكم سبيل الهـدى، فو اللّه ما أعلم أنّ واليا بعـد محمّـد صـلى اللّه عليه و آله أعلم بذلك منّى و لا أعمل بقولى، أقول قولى هذا صادقا غير ذامّ لمن مضى، و لا متنقص لأعمالهم.

و إن خطت بكم الأهواء المرديه، و سـفه الاراء الجائره إلى منابذتى تريدون خلافى فها أنا ذا قد قرّبت جيادى، و رحلت ركابى، و أيم اللّه لئن ألجـأتمونى إلى المسـير إليكم لأوقعنّ بكم وقعه لا يكون يوم الجمـل إليهـا إلّا كلعقه لاعق، مع أنّى عارف لـذى الطاعه منكم فضله، و لذى النصيحه حقّه، غير متجاوز متّهما إلى برىء، و لا ناكثا إلى وفىّ .

و إنّى لظانّ أن لا تجعلوا إن شاء اللّه على أنفسكم سبيلا، و قد قدّمت هذا الكتاب إليكم حجّه عليكم و لن أكتب إليكم من بعده كتابا، إن أنتم استغششتم نصيحتى، و نابذتم رسولى حتّى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء اللّه تعالى و السّلام.

اللغه

(الحبـل)كنـايه عن العهـد و(الانتشار)كنايه عن نقضه. قال الراغب فى المفردات: الحبل معروف، قال عزّ و جلّ :«فِى جِيـدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ »و شبّه به من حيث الهيئه حبل الوريد و حبل العاتق و الحبل المسـتطيل من الرمل و اسـتعير للوصل و لكلّ ما يتوصّل به إلى شىء، قال عزّ و جلّ :«وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ »

ص:۳۵۵

«جَمِيعاً »فحبله هو الّذى معه التوصّل به إليه من القرآن و العقل و غير ذلك ممّا إذا اعتصمت به أدّاك إلى جواره، و يقال للعهد: حبل. انتهى.

(لم تغبوا عنه) ذهب الشرّاح و المترجمين إلى أنّ كلمه تغبوا مشتقّه من غبى فهى فى الأصل ناقصه اللاّم، قال الفاضل الشارح المعتزلى: ما لم تغبوا عنه أى لم تسهوا عنه و لم تغفلوا، يقال: غبت عن الشىء أغبى غباوه إذا لم يفطن، و غبى الشىء علىّ كذلك إذا لم تعرفه، و فلان غبىّ على فعيل، أى قليل الفطنه، و قد تغابى، أى تغافل، يقول لهم: قد كان من خروجكم يوم الجمل عن الطاعه و نشركم حبل الجماعه و شقاقكم إلى ما لستم أغبياء عنه فعفوت و رفعت السيف و قبلت التوبه.

انتهى كلامه، و هكذا قد حذا حذوه غيره من الشراح.

قلت: الكلمه مشتقه من الإغباب فهى فى الأصل مضاعف، و هى مختار الشريف الرضى، كما فى نسخه الّتى قوبلت و صحّحت على نسخته، و قد مرّ ذكرها غير مرّه، و الكلمه المشكوله فى تلك النسخه بضمّ التاء و كسر الغين المعجمه و تشديد الباء الموحّده، قال ابن الأثير فى النهايه: و فى حديث هشام كتب إليه الجنيد يغبّ عن هلاك المسلمين أى لم يخبره بكثره من هلك منهم مأخوذ من الغبّ الورد فاستعاره لموضع التقصير فى الإعلام بكنه الأمر، و قيل: هو من الغبّه و هى البلغه من العيش. انتهى.

(خطت بكم) أى تجاوزت من الخطو، (المرديه): المهلكه، (الجائره) المائله عن الحق (المنابذه) المخالفه و المظاهره للعداوه (فها أنذا) أو فهأنذا، أصلهما فها أناذا.

(جياد) جمع جواد، أى فرس سريع الجرى رائع، (الركاب): الابل، رحل البعير من باب منع أى شدّ على ظهره الرحل، و الرحل مركب للبعير أصغر من القتب، و فى منتهى الأرب: رحل البعير رحلا پالان بر نهاد بر شتر.

(اللعقه)بفتح اللاّم فعله للمرّه من اللعق بمعنى اللحس، و فى بعض النسخ

مشكوله بضمّها كلقمه و هى اسم ما تأخذه فى الملعقه أو الأصبع، و القليل ممّا يلعق و لكنّ الاولى مطابقه لمختار الرضى و هى كنايه عن قلّه اللّبث، (و لا ناكثا) أى ناقضا لعهده.

الاعراب

(ما لم تغبوا عنه) كلمه ما اسم كان اخّر عن الخبر المقدّم لتوسع الظروف (فهأنذا) جواب إن الشرطيه فى قوله: فإن خطت (إلى منابذتى) متعلّق بقوله:

خطت، اللاّم فى (لئن ألجأتمونى) تسمّى اللاّم المؤذنه و الموطّئه أيضا و هى اللاّم الداخله على أداه الشرط و أكثر ما تدخل على إن، سمّيت المؤذنه للإيذان بأنّ الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط سواء كان ذلك القسم مذكورا أو مقدرا، و سمّيت المؤطّئه لأنها وطّأت أى مهّدت الجواب للقسم، و اللاّم فى لأوقعنّ لام جواب القسم، و جمله: لا يكون يوم الجمل، إلخ، صفه للوقعه.

(غير) منصوب حال بضمير إنّى (متّهما) على صيغه المفعول.

المعنى

قد علمت أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام بعث جاريه بن قدامه إلى أهل البصره و كتب معه هذا الكتاب إليهم قال كاتب الواقدى محمّد بن سعد فى الطبقات الكبرى (ص ۵۶ ج ۷ من طبع مصر): جاريه بن قدامه السعدىّ بن زهير بن الحصين بن رزاح ابن أسعد بن بجير بن ربيعه بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم.

قال: أخبرنا عبد اللّه بن نمير قال: حدّثنا هشام بن عروه عن أبيه عن الأحنف بن قيس عن ابن عمّ له يقال له جاريه بن قدامه أنّه سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقال: يا رسول اللّه قل لى قولا ينفعنى و أقلل لى لعلىّ أعيه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لا تغضب، ثمّ أعاده عليه فقال: لا تغضب، حتّى أعاد عليه مرارا كلّ ذلك يقول له: لا تغضب.

قال: و جاريه بن قدامه فيمن شهد قتل عمر بن الخطّاب، قال: و كنّا آخر

من دخل علیه فسألناه وصیّه و لم یسألها إیّاه أحد قبلنا.

و لجاریه بن قدامه أخبار و مشاهد کان علیّ بن أبی طالب علیه السّلام بعثه إلی البصره و بها عبد اللّه بن عامر بن الحضرمی خلیفه عبد اللّه بن عامر بن کریز فحاصره فی دار سنبیل رجل من بنی تمیم و کان معاویه بعثه إلی البصره یبایع له، انتهی کلام ابن سعد.

قلت: کتب أمیر المؤمنین علیه السّلام إلی أهل البصره هذا الکتاب مع جاریه فی الواقعه الّتی أشار إلیها ابن سعد و سیأتی تفصیل ذلک.

قوله علیه السّلام:(و قد کان من انتشار حبلکم-إلی قوله:و قبلت من مقبلکم)لمّا نقض أهل البصره عهدهم الّذی عاهدوه أمیر المؤمنین علیّا علیه السّلام و نکثوا بیعتهم إیّاه فی وقعه الجمل عبّر عن فعلهم هذا بقولهانتشار حبلکمفالحبل کنایه عن العهد و الانتشار عن النکث کقوله تعالی:«وَ لاٰ تَکُونُوا کَالَّتِی نَقَضَتْ غَزْلَهٰا مِنْ بَعْدِ قُوَّهٍ أَنْکٰاثاً »(النحل ۹۳)، و قوله علیه السّلام: ما لم تغبّوا عنه أی کنتم عالمین بما فعلتم من نقض عهدکم، ثمّ نبّههم بما فعل بعد ظفره علیهم من الاکرام و الاحسان فی إزاء ما أساءوا به بقوله: فعفوت عن مجرمکم و قد مضی ذکر سیرته علیه السّلام فی أهل البصره فی شرحنا علی المختار الثانی من باب الکتب (ص ۹۳ ج ۱۷) و سیرته علیه السّلام فی کلّ موطن لقیه عدوّ فی شرحنا علی المختار الرابع عشر من ذلک الباب (ص ۱۳۳ ج ۱۸).

قوله علیه السّلام:(فإن خطت بکم الامور - إلخ) لمّا کان معاویه بعث بعد وقعه الجمل عبد اللّه بن عامر الحضرمیّ إلی البصره لیبایعهم له و کان سفه آرائهم الجائره و امورهم المهلکه یجرّ أهلها إلی مخالفه أمیر المؤمنین علیه السّلام و نقض عهده ثانیا أخبرهم موعدا بقوله فإن خطت اه، ای إن عدتم إلی الفتنه و نقض العهد بتلک الامور و الاراء من أهل الهوی و الضلال فها أناذا قد استعدت للقتال و الکرّه حتّی قرّبت جیادی و رحلت رکابی و لئن ألجأتمونی إلی المسیر إلیکم لاوقعنّ بکم وقعه أی حربا لا یکون وقعه الجمل بالنسبه إلیها فی الحقاره و الخفّه إلاّ کلحسه لا حس و کأنّ فی کلامه علیه السّلام لئن ألجأتمونی إشاره إلی العفو عمّا مضی منهم أی إن کنتم

إلى الان اتّبعتم تلك الاراء فإن تبتم وعدتم إلى الحقّ عفوت عنكم و إلّا فلا بدّ لى إلّا المسير إليكم فاوقعن بكم كذا و كذا.

قوله عليه السّلام:(مع إنّى عارف - إلخ) أردف كلامه فى الإيعاد و التهديد بالتحبيب و التأليف فقال مع إنّى عارف بفضل ذى الطاعه منكم و حق ذى النصيحه منكم لا آخذ متّهما ببرىء، و لا ناكثا بوفىّ .

نعم إنّ من هو سلطان العالم الأرضى و خليفه اللّه فيه و ربّ إنسانىّ فائز بالخواصّ النبويّه فهو يؤتى كلّ ذى حقّ حقّه و لا يتصور فيه أن يتجاوز متّهما إلى برىء أو ناكثا إلى وفىّ و انما التجاوز من داب أبناء الدّنيا و عبيد الهوى، هذا هو زياد بن أبيه خطب بالبصره الخطبه المشهوره الّتى تدعى البتراء ذكرها أبو عثمان الجاحظ فى البيان و التبيين ج ۲ ص ۶۱، و ابن قتيبه فى عيون الأخبار ج ۲ ص ۳۴۱، و أبو جعفر الطبرى فى حوادث سنه ۴۵ من تاريخه، و أبو على القالى فى ذيل الأمالى ص ۱۸۵ من طبع مصر، و أتى بها صاحب العقد الفريد أيضا.

قال الجاحظ : قال أبو الحسن المدائنى و غيره ذكر ذلك عن مسلمه بن محارب و عن أبى بكر الهذلىّ قالا: قدم زياد البصره واليا لمعاويه بن أبى سفيان و ضمّ إليه خراسان و سجستان فخطب خطبه بتراء لم يحمد اللّه فيها و لم يصلّ على النبىّ .

أما بعد فإنّ الجهاله الجهلاء و الضلاله العمياء و الغىّ الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم و يشتمل عليه حلماؤكم - إلى أن قال: و إنّى لأقسم باللّه لاخذنّ الولىّ بالولىّ (و فى نسخه العقد: لاخذن الولىّ بالمولى)، و المقيم بالظّاعن و المقبل بالمدبر، و المطيع بالعاصى، و الصحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتّى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، او تستقيم لى قناتكم - إلى آخر الخطبه.

قال: فقام إليه أبو بلال مرداس بن اديّه، و هو يهمس و يقول: أنبأنا اللّه بغير ما قلت، فقال: «وَ إِبْراهِيمَ الَّذِى وَفّى أَلّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَ أَنْ لَيْسَ »

«لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى » و أنت تزعم أنک تأخذ البریء بالسقیم، و المطیع بالعاصی و المقبل بالمدبر فسمعه زیاد فقال: إنّا لا نبلغ ما نرید فیک و فی أصحابک حتّی نخوض إلیکم الباطل خوضا.

و قال الجاحظ فی أوّل الجزء الثانی من البیان و التبیین: إنّ خطباء السّلف الطیّب، و أهل البیان من التابعین بإحسان ما زالوا یسمّون الخطبه الّتی لم تبتدء بالتحمید و تستفتح بالتمجید البتراء، و یسمّون الّتی لم توشّح بالقرآن و تزیّن بالصّلاه علی النّبی صلی اللّه علیه و آله الشوهاء.

و أمّا ذکر تفصیل الواقعه فقد أفاد الفاضل الشارح المعتزلی فی الجزء الرابع من شرحه علی المختار السادس و الخمسین من باب الخطب من النهج أوّله: و لقد کنّا مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله نقتل آبائنا و أبنائنا و إخواننا و أعمامنا ما یزیدنا ذلک إلّا إیمانا و تسلیما إلخ، بقوله: و هذا الکلام قاله أمیر المؤمنین علیه السّلام فی قصه ابن الحضرمی حیث قدم البصره من قبل معاویه و استنهض أمیر المؤمنین أصحابه إلی البصره فتقاعدوا، قال: قال أبو إسحاق إبراهیم بن محمّد بن سعید بن هلال الثقفی فی کتاب الغارات: حدّثنا محمّد بن یوسف قال: حدّثنا الحسن بن علیّ الزعفرانی عن محمّد بن عبد اللّه بن عثمان عن ابن أبی سیف عن یزید بن حارثه الأزدی عن عمرو ابن محصن أنّ معاویه لما أصاب محمّد بن أبی بکر بمصر و ظهر علیها دعا عبد اللّه بن عامر الحضرمی فقال له: سر إلی البصره فإنّ جلّ أهلها یرون رأینا فی عثمان و یعظمون قتله و قد قتلوا فی الطلب بدمه فهم متودّدون حنقون لما أصابهم ودّوا لو یجدون من یدعوهم و یجمعهم و ینهض بهم فی الطلب بدم عثمان و احذر ربیعه و انزل فی مضر و تودّد الأزد فإنّ الأزد کلّها معک إلّا قلیلا منهم و إنهم إنشاء اللّه غیر مخالفیک.

فقال عبد اللّه الحضرمی له: أناسهم فی کنانتک و أنا من قد جربت و عدوّ أهل حربک و ظهیرک علی قتله عثمان فوجّهنی إلیهم متی شئت، فقال: اخرج غدا إنشاء اللّه، فودّعه و خرج من عنده.

فلمّا كان الليل جلس معاويه و أصحابه يتحدثون فقال لهم معاويه: فى أىّ منزل ينزل القمر الليله ؟ فقال: بسعد الذابح، فكره معاويه ذلك و أرسل إليه أن لا تبرح حتّى يأتيك أمرى، فأقام و رأى معاويه أن يكتب إلى عمرو بن العاص و هو يومئذ بمصر عامله عليها يستطلع رأيه فى ذلك، فكتب إليه و قد كان تسمّى بامره المؤمنين بعد يوم صفين و بعد تحكيم الحكمين:

من عبد اللّه معاويه أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص سلام عليك أما بعد فإنّى قد رأيت رأيا هممت بإمضائه و لم يخذلنى عنه إلّا استطلاع رأيك فإن يوافقنى أحمد اللّه و أمضيه، و إن يخالفنى فإنّى أستخير اللّه و أستهديه إنّى نظرت فى أمر أهل البصره فوجدت معظم أهلها لنا وليّا و لعلىّ و شيعته عدوا و قد اوقع علمه بهم الواقعه الّتى علمت فأحقاد تلك الدماء ثابته فى صدورهم لا تبرح و لا تريم، و قد علمت أن قتلنا ابن أبى بكر و وقعتنا بأهل مصر قد أطفأت نيران أصحاب علىّ فى الافاق و رفعت رءوس أشياعنا أين ما كانوا من البلاد، و قد بلغ من كان بالبصره على مثل رأينا من ذلك ما بلغ الناس و ليس أحد ممّن يرى رأينا أكثر عددا و لا أضرّ خلافا على علىّ من اولئك فقد رأيت أن ابعث إليهم عبد اللّه بن عامر الحضرمى فينزل من مضر و يتودّد الأزد و يحذر ربيعه و يبتغى دم ابن عفان و يذكرهم وقعه علىّ بهم الّتى أهلكت صالحى إخوانهم و آبائهم و أبنائهم فقد رجوت عند ذلك أن يفسد على علىّ و شيعته ذلك الفرج من الأرض و متى يؤتى من خلفهم و أمامهم يضلّ سعيهم و يبطل كيدهم فهذا رأيى فما رأيك ؟ فلا تحبس رسولى إلّا قدر مضى الساعه الّتى ينتظر فيها جواب كتابى هذا أرشدنا اللّه و إيّاك و السلام عليك و رحمه اللّه و بركاته.

فكتب عمرو بن العاص إلى معاويه أما بعد فقد بلغنى رسولك و كتابك فقرأته و فهمت رأيك الّذى رأيته فعجبت له و قلت: إنّ الّذى ألقاه فى روعك و جعله فى نفسك هو الثائر بابن عفّان و الطالب بدمه و انّه لم يك منك و لا منا منذ نهضنا فى هذه الحرب و نادينا أهلها و لا رأى الناس رأيا أضرّ على عدوّك و لا أسرّ لوليّك من هذا

الأمر الّذى الهمته، فامض رأيك مسدّدا فقد وجهت الصليب الأريب الناصح غير الظنين و السلام.

فلمّا جاءه كتاب عمرو دعا ابن الحضرمى، و قد كان ظنّ حين تركه معاويه أياما لا يأمره بالشخوص أنّ معاويه قد رجع عن إشخاصه إلى غير ذلك الوجه فقال: يا ابن الحضرمى سر على بركه اللّه إلى أهل البصره فانزل فى مضر و احذر ربيعه و تودّد الأزد و انع ابن عفّان و ذكّرهم الوقعه الّتى أهلكتهم و منّ لمن سمع و أطاع دينا [دنيا] لا تفنى و أثره لا تفقدها حتّى يفقدنا أو نفقده.

فودّعه ثمّ خرج من عنده و قد دفع إليه كتابا و أمره إذا قدم أن يقرأه على الناس، قال عمرو بن محصن: فكنت معه حين خرج فلمّا خرجنا سرنا ما شاء اللّه أن نسير فسنح لنا ظبى اعضب عن شمائلنا فنظرت إليه فو اللّه لرأيت الكراهيه فى وجهه ثمّ مضينا حتّى نزلنا البصره فى بنى تميم فسمع بقدومنا أهل البصره فجاءنا كلّ من يرى رأى عثمان فاجتمع إلينا رءوس أهلها.

فحمد اللّه ابن الحضرمى و أثنى عليه ثمّ قال: أما بعد ايها الناس فإنّ إمامكم إمام الهدى عثمان بن عفّان قتله علىّ بن أبى طالب ظلما فطلبتم بدمه و قاتلتم من قتله فجزاكم اللّه من أهل مصر خيرا و قد اصيب منكم الملاء الأخيار و قد جاءكم اللّه باخوان لكم لهم بأس يتقى و عدد لا يحصى فلقوا عدوكم الّذى قتلوكم فبلغوا الغايه الّتى أرادوا صابرين و رجعوا و قد نالوا ما طلبوا فما لؤهم و ساعدوهم و تذكروا آثاركم لتشفوا صدوركم من عدوّكم.

فقام إليه الضّحاك بن عبد اللّه الهلالى فقال: قبح اللّه ما جئتنا به و ما دعوتنا إليه جئتنا و اللّه بمثل ما جاء به صاحباك طلحه و الزبير، اتيانا و قد بايعنا عليا و اجتمعنا له فكلمتنا واحده و نحن على سبيل مستقيم فدعوانا إلى الفرقه و قاما فينا بزخرف القول حتّى ضربنا بعضنا ببعض عدوانا و ظلما فاقتتلنا على ذلك، و ايم اللّه ما سلمنا من عظيم و بال ذلك و نحن الان مجمعون على بيعه هذا العبد الصالح الّذى أقال العثره و عفا عن الشيء [المسيء] و أخذ بيعه غائبنا و شاهدنا أ فتأمرنا الان أن نختلع

أسيافنا من أغمادها ثمّ يضرب بعضنا بعضا ليكون معاويه أميرا و تكون له وزيرا و نعدل بهذا الأمر عن علىّ عليه السّلام و اللّه ليوم من الأيّام علىّ مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله خير من بلاء معاويه و آل معاويه لو بقوا فى الدّنيا، ما الدّنيا باقيه.

فقام عبد اللّه بن حازم السلمى فقال للضحّاك: اسكت فلست بأهل أن تتكلّم فى أمر العامّه، ثمّ أقبل على ابن الحضرمى فقال: نحن يدك و أنصارك و القول ما قلت و قد فهمنا عنك فادعنا أنّى شئت.

فقال الضّحاك لابن حازم: يا ابن السوداء و اللّه لا يعزّ من نصرت، و لا يذلّ بخذلانك من خذلت، فتشاتما، قال صاحب كتاب الغارات: و الضحّاك هذا هو الّذى يقول:

يا ايها ذا لسائلى عن نسبى بين ثقيف و هلال منصبى

امّى اسماء و ضحّاك أبى

قال: و هو القائل فى بنى العبّاس:

ما ولدت من ناقه لفحل فى جبل نعلمه و سهل

كستّه من بطن ام الفضل أكرم بها من كهله و كهل

عمّ النّبى المصطفى ذى الفضل و خاتم الأنبياء بعد الرسل

قال: فقام عبد الرّحمن بن عمير بن عثمان القرشى ثمّ التّيمى فقال: عباد اللّه إنا لم ندعكم إلى الاختلاف و الفرقه لا نريد أن تقتلوا و لا تتنابزوا و لكنّا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمتكم و توازروا إخوانكم الّذين هم على رأيكم، و أن تلموا شعثكم و تصلحوا ذات بينكم فمهلا مهلا و رحمكم اللّه استمعوا لهذا الكتاب و أطيعوا الّذى يقرأ عليكم.

ففضّوا كتاب معاويه و إذا فيه: من عبد اللّه معاويه أمير المؤمنين إلى من قرئ كتابى هذا عليه من المؤمنين و المسلمين من أهل البصره: سلام عليكم أمّا بعد فإنّ سفكك الدّماء بغير حلّها، و قتل النفوس الّتى حرّم اللّه قتلها هلاك موبق و خسران

مبین، لا یقبل اللّه ممّن سفکها صرفا و لا عدلا و قد رأیتم رحمکم اللّه آثار ابن عفان و سیرته و حبّه للعافیه و معدلته و سدّه للثغور و إعطاءه فی الحقوق و إنصافه للمظلوم و حبّه للضعیف حتّی توثب علیه المتوثبون و تظاهر علیه الظالمون فقتلوه مسلما محرما ظمان صائما لم یسفک فیهم دما، و لم یقتل فیهم أحدا، و لا یطلبونه بضربه سیف و لا سوط ، و انما ندعوکم أیّها المسلمون إلی الطلب بدمه، و إلی قتال من قتله، فانا و إیّاکم علی أمر هدی واضح، و سبیل مستقیم إنّکم إن جامعتمونا طفئت النائره و اجتمعت الکلمه و استقام أمر هذه الامّه و أقرّ الظالمون المتوثبون الّذی قتلوا إمامهم بغیر حق فاخذوا بجرائرهم و ما قدّمت أیدیهم انّ لکم أن أعمل فیکم بالکتاب و ان أعطیتم فی السّنه عطائین و لا أحتمل فضلا من فیئکم عنکم أبدا فسارعوا إلی ما تدعون رحمکم اللّه، و قد بعث إلیکم رجلا من الصالحین کان من امناء خلیفتکم المظلوم ابن عفّان و عمّاله و أعوانه علی الهدی و الحق جعلنا اللّه و إیّاکم ممّن یجیب إلی الحق و یعرفه و ینکر الباطل و یجحده، و السلام علیکم و رحمه اللّه.

قال: و لما قرئ علیهم الکتاب قال معظمهم: سمعنا و أطعنا.

قال: و روی محمّد بن عبد اللّه بن عثمان، عن علیّ بن أبی طالب، عن أبی زهیر عن أبی منقر الشیبانی قال: قال الأحنف لمّا قرئ علیهم کتاب معاویه: أمّا أنا فلا ناقه لی فی هذا و لا جمل و أعتزل أمرهم ذلک، و قال عمرو بن مرحوم من عبد القیس: أیّها النّاس ألزموا طاعتکم و لا تنکثوا بیعتکم فیقع بکم واقعه و تصیبکم قارعه و لا یکن بعدها لکم بقیه ألا إنّی قد نصحت لکم و لکن لا تحبّون الناصحین.

قال إبراهیم بن هلال: و روی محمّد بن عبد اللّه عن ابن أبی سیف، عن الأسود بن قیس، عن ثعلبه بن عباد: إنّ الّذی کان سدّد لمعاویه رأیه فی تسریح ابن الحضرمی کتاب کتبه إلیه عبّاس بن صخّار العبدی، و هو ممّن کان یری رأی عثمان و یخالف قومه فی حبّهم علیّا و نصرتهم إیّاه و کان الکتاب: أما بعد فقد بلغنا و قعتک بأهل مصر الّذین بغوا علی إمامهم و قتلوا خلیفتهم طمعا و بغیا

فقرّت بـذلک العيون و شـفيت بـذلک النفوس و بردت أفئـده أقوام کانوا لقتل عثمان کارهين و لعـدوّه مفارقين و لکم موالين و بک راضـين، فان رأيت تبعث إلينا أميرا طيّبا زکيّا ذا عفاف و ديّن إلى الطلب بـدم عثمان فعلت فإنّى لا إخال النّاس إلاّ مجمعين عليک، و إنّ ابن عبّاس غائب عن المصر و السلام.

قال: فلمّا قرأ معاويه کتابه قال: لا عزمت رأيا سوى ما کتب به إلىّ هذا، و کتب إليه جوابه:

أمّا بعـد فقـد قرأت کتابک فعرفت نصـيحتک، و قبلت مشورتک، رحمک اللّه و سـدّدک اثبت هداک اللّه على رأيک الرشـيد فکأنک بالرجل الّذى سألت قد أتاک و کأنک بالجيش قد أظلّ عليک فسررت و حببت و السّلام.

قال إبراهيم: و حـدّثنا محمّـد بن عبد اللّه قال: حدّثنى علىّ بن أبى سـيف عن أبى زهير قال: لما نزل ابن الحضـرمى فى بنى تميم أرسل إلى الرءوس فأتوه فقال لهم: أجيبونى إلى الحق و انصرونى على هذا الأمر قال: و إنّ الأمير بالبصره يومئذ زياد بن عبيد قد اسـتخلفه عبد اللّه بن عبّاس و قدم على علىّ عليه السّـلام إلى الکوفه يعزّيه عن محمّد بن أبى بکر قال: فقام إليه ابن صخّار فقال: إى و الّذى له أسعى و إيّاه أخشى لننصرنّک بأسيافنا و أيدينا.

و قام المثنى بن مخزمه العبـدى فقال: لا و الّذى لا إله إلاّ هو لإن لم ترجع إلى مکانک الّذى أقبلت منه لنجاهـدنّک بأسـيافنا و أيـدينا و نبالنـا و أسنّه رماحنـا نحن نـدع ابن عمّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سيّد المسـلمين و نـدخل فى طاعه حزب من الأحزاب طاع ؟ و اللّه لا يکون ذلک أبدا حتّى تسير کتيبه و نفلق السيوف بالهام.

فأقبل ابن الحضـرمى على صبره بن شـيمان الأزدى فقال: يا صبره أنت رأس قومک و عظيم من عظماء العرب و أحـد الطلبه بدم عثمان رأينا رأيک، و رأيک رأينا و بلاء القوم عندک فى نفسک و عشيرتک ما قد ذقت و رأيت فانصرنى و کن من دونى.

فقال له: إن أنت أتيتنى فنزلت فى دارى نصرتک و منعتک.

فقال: إنّ أمير المؤمنين معاويه أمرنى أن أترک فى قومه من مصر، فقال: اتّبع

ما أمرک به، و انصرف من عنده و أقبل الناس إلی ابن الحضرمی و کثر تبعه ففزع لذلک زیاد و هاله و هو فی دار الإماره فبعث إلی الحصین بن المنذر و مالک بن مسمع فدعاهما فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال: أما بعد فإنّکم أنصار أمیر المؤمنین و شیعته وثقته و قد جاءکم هذا الرجل بما قد بلغکم فأجیرونی حتّی یأتینی أمر أمیر المؤمنین و رأیه.

فأما مالک بن مسمع فقال: هذا أمر فیه نظر أرجع إلی من ورائی و أنظر و أستشیر و ألقاک.

و أما حصین بن المنذر فقال: نحن فاعلون و لن نخذلک و لن نسلمک، فلم یر زیاد من القوم ما یطمئنّ إلیه فبعث إلی صبره بن شیمان الأزدی فقال: یا ابن شیمان أنت سیّد قومک و أحد عظماء هذا المصر فإن یکن فیه أحد هو أعظم أهله فأنت ذاک، أفلا تجیرنی و تمنعنی و تمنع بیت مال المسلمین فإنّما أنا أمین علیه ؟ فقال: بلی إن تحمّلت حتّی تنزل فی داری منعتک، فقال: إنّی فاعل فارتحل لیلا حتّی نزل دار صبره بن شیمان، و کتب إلی عبد اللّه بن عبّاس و لم یکن معاویه ادعی زیادا بعد، لأنّه إنّما ادّعاه بعد وفاه علیّ علیه السّلام:

للأمین عبد اللّه بن عبّاس من زیاد بن عبید سلام علیک أما بعد فإنّ عبد اللّه ابن عامر بن الحضرمی قبل من قبل معاویه حتّی نزل فی بنی تمیم، و نعی ابن عفّان و دعا إلی الحرب فبایعه جلّ أهل البصره فلمّا رأیت ذلک استجرت بالأزد بصبره ابن شیمان و قومه لنفسی و لبیت مال المسلمین و رحلت من قصر الاماره فنزلت فیهم و انّ الأزد معی، و شیعه أمیر المؤمنین من فرسان القبائل یختلف إلیّ ، و شیعه عثمان یختلف إلی ابن الحضرمی، و القصر خال منّا و منهم فارفع ذلک إلی أمیر المؤمنین لیری فیه رأیه و أعجل إلیّ بالذی تری أن تکون منه فیه و السّلام علیک و رحمه اللّه و برکاته.

قال: فرفع ذلک ابن عبّاس إلی علیّ علیه السّلام و شاع فی النّاس بالکوفه ما کان ذلک، و کانت بنو تمیم و قیس و من یری رأی عثمان قد أمروا ابن

الحضرمی أن یسیر إلی قصر الأماره حین خلاه زیاد، فلمّا تهیّأ لذلک و دعا أصحابه رکبت الأزد و بعثت إلیه و إلیهم إنا و اللّه لا ندعکم تأتون القصر فتنزلون فیه من لا یرضی و من نحن له کارهون حتّی یأتی رجل لنا و لکم رضا فأبی أصحاب ابن الحضرمی إلاّ أن یسیروا إلی القصر، و أبت الأزد إلاّ أن یمنعوهم فرکب الأحنف فقال لأصحاب ابن الحضرمی: إنّکم و اللّه ما أنتم بأحق بقصر الأماره من القوم و مالکم أن تؤمر علیهم من یکرهونه فانصرفوا عنهم ففعلوا، ثمّ جاء إلی الأزد فقال: إنّه لم یکن ما تکرهون و لا یؤتی إلاّ ما تحبّون فانصرفوا رحمکم اللّه ففعلوا.

قال إبراهیم: و حدّثنا محمّد بن عبد اللّه بن أبی سیف عن الکلبی: أنّ ابن الحضرمی لمّا أتی البصره و دخلها نزل فی بنی تمیم فی دار سبیل و دعا بنی تمیم و اخلاط مضر، فقال زیاد لأبی الأسود الدؤلی: أما تری ما صنعوا أهل البصره إلی معاویه و ما فی الأزد لی مطمع ؟ فقال: إن کنت ترکتهم لم ینصروک و إن أصبحت فیهم منعوک.

فخرج زیاد من لیلته فأتی صبره بن شیمان الحدانی الأزدی فأجاره، و قال له حین أصبح: یا زیاد انّه لیس حسنا بنا أن تقیم فینا مختفیا أکثر من یومک هذا، فأعدّ له منبرا و سریرا فی مسجد الحدان و جعل له شرطا و صلّی بهم الجمعه فی مسجد الحدان، و غلب ابن الحضرمی علی ما یلیه من البصره و جباها و أجمعت الأزد علی زیاد فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

یا معشر الأزد إنّکم کنتم أعدائی فأصبحتم أولیائی، و أولی الناس بی و إنّی لو کنت فی بنی تمیم و ابن الحضرمی فیکم لم أطمع فیه أبدا و أنتم دونه، فلا یطمع ابن الحضرمی فیّ و أنتم دونی، و لیس ابن آکله الأکباد فی بقیّه الأحزاب و أولیاء الشیطان بأدنی إلی الغلبه من أمیر المؤمنین فی المهاجرین و الأنصار و قد أصبحت فیکم مضمونا و أمانه مرادّه و قد رأینا وقعتکم یوم الجمل فاصبروا مع الحق صبرکم مع الباطل فانّکم لا تحمدون إلاّ علی النجده و لا تعذرون علی الجبن.

ص:۳۶۷

فقام شيمان أبو صبره و لم يكن شهد يوم الجمل و كان غائبا فقال: يا معشر الأزد ما أبقيت عواقب الجمل عليكم إلّا سوء الذكر و قد كنتم أمس على علىّ فكونوا اليوم له، و اعلموا أنّ إسلامكم ذلّ ، و خذلانكم إيّاه عار، و أنتم حىّ مضماركم الصبر، و عاقبتكم الوفاء، فإن سار القوم بصاحبهم فسيروا بصاحبكم و إن استمدّوا معاويه فاستمدّوا عليّا، و إن وادعوكم فوادعوهم.

ثمّ قام صبره ابنه فقال: يا معشر الأزد إنّا قلنا يوم الجمل نمنع مصرنا و نطيع امنا، فنطلب دم خليفتنا المظلوم فجدّدنا فى القتال و أقمنا بعد انهزام الناس حتّى قتل منّا من لا خير فينا بعده، زياد جاركم اليوم و الجار مضمون و لسنا نخاف من علىّ ما نخاف من معاويه فهبوا لنا أنفسكم و امنعوا جاركم أو فابلغوه مأمنه.

فقالت الأزد: إنما نحن لكم تبع فأجيروه، فضحك زياد و قال: يا صبره أ تخشون أن لا تقوموا لبنى تميم ؟ فقال صبره: إن جاءونا بالأحنف جئناهم بأبى صبره، و إن جاءوا بالحباب جئت أنا و إن كان فيهم شباب كثير، فقال زياد: إنما كنت مازحا.

فلمّا رأت بنو تميم أنّ الأزد قد قامت دون زياد بعثت إليهم أخرجوا صاحبكم و نحن نخرج صاحبنا فأىّ الأميرين غلب علىّ أو معاويه دخلنا فى طاعته و لا نهلك عامّتنا.

فبعث إليهم أبو صبره إنما كان هذا يرجى عندنا قبل أن نجيره، و لعمرى ما قتل زياد و إخراجه إلّا سوءا و أنّكم لتعلمون أنّا لم نجره إلّا كرما، فالهوا عن هذا.

قال: و روى أبو الكنود أنّ شبث بن ربعى قال لعلىّ عليه السّلام: يا أمير المؤمنين ابعث إلى هذا الحىّ من تميم فادعهم إلى طاعتك و لزوم بيعتك و لا تسلّط عليهم أزدعمان البعداء البغضاء فإنّ واحدا من قومك خير لك من عشره من غيرهم.

فقال له مخنف بن سليم الأزدى: إنّ البعيد البغيض من عصى اللّه و خالف أمير المؤمنين و هم قومك، و إنّ الحبيب القريب من أطاع اللّه و نصر أمير المؤمنين و هم قومى و أحدهم خير لأمير المؤمنين من عشره قومك.

ص:۳۶۸

فقـال أمير المؤمنين عليه السّلام: مه تنـاهوا أيهـا النّاس و ليردعكم الإسـلام و وقاره عن التباغی و التهاذی، و لتجمع كلمتكم، و ألزموا دين اللّه الّذی لا يقبل من أحد غيره، و كلمه الإخلاص الّتی هی قوام الدّين، و حجّه اللّه علی الكافرين، و اذكروا إذ كنتم قليلاـ مشركين متباغضين متفرقين فألّف بينكم بالإسلام فكثرتم و اجتمعتم و تحاببتم فلا تفرّقوا بعد إذ اجتمعتم، و لا تتباغضوا بعد إذ تحاببتم، و إذا رأيتم النّاس و بينهم النائره و قد تداعوا إلی العشائر و القبائل فاقصدوا لهامهم و وجوههم بالسيف حتّی يفزعوا إلی اللّه و إلی كتابه و سنه نبيّه فأما تلك الحميّه من خطرات الشياطين فانتهوا عنها لا أبا لكم تفلحوا و تنجحوا.

ثمّ إنّه عليه السّلام دعی أعين بن صبيعه المجاشعی و قال: يا أعين ألم يبلغك أنّ قومك وثبوا علی عاملی مع ابن الحضرمی بالبصره يدعون إلی فراقی و شقاقی و يساعدون الضلّال القاسطين علیّ .

فقال: لا تساء يا أمير المؤمنين و لا يكن ما تكره ابعثنی إليهم فأنا لك زعيم بطاعتهم و تفريق جماعتهم و نفی ابن الحضرمی من البصره أو قتله.

قال: فاخرج الساعه، فخرج من عنده و مضی حتّی قدم البصره، هذه روايه ابن هلال صاحب كتاب الغارات.

و روی الواقدی أنّ عليّا عليه السّلام استنفر بنی تميم أيّاما لينهض منهم إلی البصره من يكفيه أمر ابن الحضرمی و يردّ غاديه بنی تميم الّذين أجاروه بها فلم يجبه أحد فخاطبهم و قال: أليس من العجب أن ينصرنی الأزد و تخذلنی مضر؟ و أعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفه بی و خلاف تميم البصره علیّ ، و أن استنجد بطائفه منها بشخص إلی إخوانها فيدعوهم إلی الرشاد فإن أجابت و إلاّ فالمنابذه و الحرب فكأنّی اخاطب صمّا بكما لا يفقهون حوارا، و لا يجيبون نداء، كلّ هذا جبنا عن البأس و حبّا للحياه لقد كنّا مع رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله نقتل آباءنا و أبنائنا – الفصل إلی آخره.

قال: فقام إليه أعين بن صبيعه المجاشعی فقال: أنا إنشاء اللّه أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب و أتكفل لك بقتل ابن الحضرمی أو إخراجه عن البصره

ص:۳۶۹

فأمره بالتهيّوء للشخوص، فشخص حتّى قدم البصره.

قال إبراهيم بن هلال: فلمّا قدمها دخل على زياد و هو بالأزد مقيم فرحّب به و أجلسه إلى جانبه فأخبره بما قال له علىّ عليه السّلام و ما ردّ عليه و ما الّذى عليه رأيه فإنّه يكلمه إذ جاءه كتاب من علىّ عليه السّلام فيه:

من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد: سلام عليك أمّا بعد فإنّى قد بعثت أعين بن صبيعه ليفرق قومه من ابن الحضرمى فارقب ما يكون منه فإن فعل و بلغ من ذلك ما يظنّ به و كان فى ذلك تفريق تلك الأوباش فهو ما تحبّ و إن ترامت الامور بالقوم إلى الشقاق و العصيان فانبذ من أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم فإن ظهرت فهو ما ظننت و إلاّ فطاولهم و ماطلهم فكان كتائب المسلمين قد أطلت عليك فقتل اللّه المفسدين الظالمين و نصر المؤمنين المحقّين و السلام.

فلمّا قرأه زياد أقرأه أعين بن صبيعه فقال له: إنّى لأرجو أن يكفى هذا الأمر إن شاء اللّه.

ثمّ خرج من عنده فأتى رحله فجمع إليه رجالا من قومه فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

يا قوم على ما ذا تقتلون أنفسكم و تهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء الأشرار، و إنّى و اللّه ما جئتكم حتّى عبّيت إليكم الجنود فإن تنيبوا إلى الحقّ يقبل منكم و يكفّ عنكم، و إن أبيتم فهو و اللّه استيصالكم و بواركم.

فقالوا: بل نسمع و نطيع، فقال: انهضوا الان على بركه اللّه عزّ و جلّ ، فنهض بهم إلى جماعه ابن الحضرمى فخرجوا إليه مع ابن الحضرمى فصافوه و وافقهم عامه يومه يناشدهم اللّه و يقول: يا قوم لا تنكثوا بيعتكم و لا تخلفوا إمامكم، و لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا، فقد رأيتم و جربتم كيف صنع اللّه بكم عند نكثكم بيعتكم و خلافكم، فكفّوا عنه و لم يكن بينه و بينهم قتال، و هم فى ذلك يشتمونه و ينالون منه، فانصرف عنهم و هو منهم منتصف.

فلمّا رأى إلى رحله تبعه عشره نفر يظنّ النّاس أنهم خوارج فضربوه بأسيافهم

ص:٣٧٠

و هو على فراشه و لا يظنّ أنّ الّذى كان يكون فخرج يشتدّ عريانا فلحقوه فى الطريق فقتلوه فأراد زياد أن يناهض ابن الحضرمى حين قتل أعين بجماعه من معه من الأزد و غيرهم من شيعه علىّ عليه السّلام فأرسل بنو تميم من الأزد، و اللّه ما غرضنا لجاركم إذ أجرتموه و لا لمال هو له و لا لأحد ليس على رأينا فما تريدون إلى حربنا و إلى جارنا فكان الأزد عند ذلك كرهت قتالهم.

فكتب زياد إلى علىّ عليه السّلام أما بعد يا أمير المؤمنين فإنّ أعين بن صبيعه قدم علينا من قبلك بجدّ و مناصحه و صدق و يقين فجمع إليه من أطاعه من عشيرته فحثّهم على الطاعه و الجماعه، و حذّرهم الخلاف و الفرقه ثمّ نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه فوافقهم عامه النهار فهال أهل الخلال تقدمه و تصدع عن ابن الحضرمى كثير ممّن كان يريد نصرته فكان كذلك حتّى أمسى فأتى فى رحله فبنيه نفر من هذه الخارجه المارقه فاصيب رحمه اللّه فأردت أن اناهض القوم ابن الحضرمى عند ذلك فحدث أمر قد أمرت صاحب كتابى هذا أن يذكره لأمير المؤمنين و قد رأيت إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت أن يبعث إليهم جاريه بن قدامه فإنّه نافذ البصيره و مطاع فى العشيره شديد على عدوّ أمير المؤمنين فإن يقدم يفرّق بينهم بإذن اللّه، و السّلام على أمير المؤمنين و رحمه اللّه و بركاته.

فلمّا جاء الكتاب دعا جاريه بن قدامه فقال له: يا ابن قدامه تمنع الأزد عاملى و تبيت مالى و تشاقنى مضر و تنابذنى و بنا ابتدأها اللّه تعالى بالكرامه و عرفه الهدى و تداعوا إلى المعشر الّذين حادّوا اللّه و رسوله و أرادوا إطفاء نور اللّه سبحانه حتّى علت كلمه اللّه و هلك الكافرون، فقال: يا أمير المؤمنين ابعثنى إليهم و استعن باللّه عليهم، قال: قد بعثتك إليهم و استعنت باللّه عليهم.

قال إبراهيم: فحدثنا محمّد بن عبد اللّه قال: حدثنى ابن أبى السيف عن سليمان ابن أبى راشد عن كعب بن قعين قال: خرجت مع جاريه من الكوفه إلى البصره فى خمسين رجلا من بنى تميم ما كان فيهم يمانى غيرى و كنت شديد التشيّع فقلت لجاريه: إن شئت كنت معك، و إن شئت ملت إلى قومى، فقال: بل معى فو اللّه لوددت

أن الطير و البهائم تنصرنى عليهم فضلا عن الإنس.

قال: و روى كعب بن قعين أنّ عليّا عليه السّلام كتب مع جاريه كتابا و قال اقرأه على أصحابك، قال: فمضينا معه فلمّا دخلنا البصره بدأ بزياد فرحّب به و أجلسه إلى جانبه و ناجاه ساعه و سائله ثمّ خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال: احذر على نفسك و اتّق أن تلقى ما لقى صاحبك القادم قبلك.

و خرج جاريه من عنده فقام فى الأزد فقال: جزاكم اللّه من حىّ خيرا، ما أعظم عناءكم، و أحسن بلاءكم، و أطوعكم لأميركم! لقد عرفتم الحقّ إذ ضيّعه من أنكره، و دعوتم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه، ثمّ قرأ عليهم و على من كان معه من شيعه على عليه السّلام و غيرهم كتاب علىّ عليه السّلام فإذا فيه:

من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من ساكنى البصره من المؤمنين و المسلمين - إلى قوله عليه السّلام: حتّى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء اللّه تعالى و السّلام، كما تقدّم فى المصدر.

قال: فلمّا قرئ الكتاب على الناس قام صبره بن شيمان فقال: سمعنا و أطعنا و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم سلم، إن كفيت يا جاريه قومك بقومك فذاك، و إن أحببت أن ننصرك نصرناك.

و قام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك و نحوه فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه و مضى نحو بنى تميم فقام زياد فى الأزد فقال:

يا معشر الأزد إنّ هؤلاء كانوا أمس سلما فأصبحوا اليوم حربا و إن كنتم حربا فأصبحتم سلما و إنّى و اللّه ما اخترتكم إلّا على التجربه و لا أقمت فيكم إلّا على الأمل فما رضيتم إذ أجرتمونى حتّى نصبتم لى منبرا و سريرا و جعلتم لى شرطا و أعوانا و مناديا و جمعه فما فقدت بحضرتكم شيئا إلّا هذا الدرهم لا اجبه اليوم فإن لا اجبه اليوم اجبه غدا إن شاء اللّه، و اعلموا أنّ حربكم اليوم معاويه أيسر عليكم فى الدّنيا و الدّين من حربكم أمس عليّا، و قد قدّم عليكم جاريه بن قدامه و إنّما أرسله علىّ ليصدع أمر قومه و اللّه ما هو بالأمير المطاع و لو أدرك أمله فى قومه لرجع إلى

أمير المؤمنين و لكان لى تبعا، و أنتم الهامّه العظمى و الجمره الحاميه فقدّموه إلى قومه فإن اضطرّ إلى نصركم فسيروا إليه إن رأيتم ذلك.

فقام أبو صبره بن شيمان فقال: يا زياد إنّى و اللّه لو شهدت قومى يوم الجمل رجوت أن لا يقاتلوا عليّا و قد مضى الأمر بما فيه و هو يوم بيوم و أمر بأمر و اللّه إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسيّئ و التوبه مع الحقّ و العفو مع الندم و لو كانت هذه فتنه لدعونا القوم إلى إبطال الدّماء و استيناف الامور و لكنّها جماعه دماؤها حرام و جروحها قصاص و نحن معك نحبّ ما أحببت.

فعجب زياد من كلامه و قال: ما أظنّ فى النّاس مثل هذا.

ثمّ قام صبره ابنه فقال: إنّا و اللّه ما اصبنا بمصيبه فى دين و لا دنيا كما اصبنا أمس يوم الجمل، و إنّا لنرجو اليوم أن يمحص ذلك بطاعه اللّه و طاعه أمير المؤمنين و ما أنت يا زياد فو اللّه ما أدركت أملك فينا، و لا أدركنا ما أملنا فيك دون ردّك إلى دارك و نحن رادّوك إليها غدا إن شاء اللّه تعالى، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منّا فإنّك إلّا تفعل لم تأت ما يشبهك، و إنّا و اللّه نخاف حرب علىّ فى الاخره ما لا نخاف من حرب معاويه فى الدّنيا فقدّم هواك و أخّر هوانا فنحن معك و طوعك.

ثمّ قام خنفر الجمّانى فقال: ايّها الأمير إنّك لو رضيت منّا بما ترضى به من غيرنا لم نرض ذلك لأنفسنا سربنا إلى القوم إن شئت، و أيم اللّه ما لقينا يوما قطّ إلّا اكتفينا بعفونا دون جهدنا إلّا ما كان أمس.

قال إبراهيم: فأمّا جاريه فإنّه كلّم قومه فلم يجيبوه و خرج إليهم منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه و أسمعوه، فأرسل إلى زياد و الأزد يستصرخهم و يأمرهم أن يسيروا إليه فسارت الأزد بزياد و خرج إليهم ابن الحضرمى و على خيله عبد اللّه بن حازم السلمى فاقتتلوا ساعه و أقبل شريك بن الأعور الحارثى و كان من شيعه علىّ عليه السّلام و صديقا لجاريه بن قدامه فقال ألا اقاتل معك عدوّك ؟ فقال: بلى فما لبثوا بنى تميم أن هزموهم و اضطرّوهم إلى دار سبيل السعدى فحصروا ابن الحضرمى

و حدود مأتی رجل من بنی تمیم و معهم عبد اللّه بن حازم السلمی فجاءت امّه و هی سوداء حبشیّه اسمها عجلی فنادته فأشرف علیها فقالت یا بنیّ أنزل إلیّ فأبی فکشفت رأسها و أبدت قناعها و سألته النزول فأبی، فقالت: و اللّه لتنزلنّ أو لأتعرين و أهوت بیدها إلی ساقها فلمّا رأی ذلک نزل فذهبت به و أحاط جاریه و زیاد بالدّار، و قال جاریه: علیّ بالنّار فقالت الأزد: لسنا من الحریق بالنّار فی شیء و هم قومک و أنت أعلم.

فحرق جاریه الدّار علیهم فهلک ابن الحضرمی فی سبعین رجلا أحدهم عبد الرّحمن بن عمیر بن عثمان القرشیّ ثمّ التمیمیّ ، و سمّی جاریه منذ ذلک الیوم محرقا، و سارت الأزد بزیاد حتّی أوطنوه قصر الإماره و معه بیت المال، و قالت له: هل بقی علینا من جوارک شیء؟ قال: لا، قالوا: فبرءنا منه ؟ فقال: نعم فانصرفوا عنه.

و کتب زیاد إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام: أما بعد فإنّ جاریه بن قدامه العبد الصالح قدم من عندک فناهض جمع ابن الحضرمی بمن قصره و أعانه من الأزد ففضّه و اضطرّه إلی دار من دور البصره فی عدد کثیر من أصحابه فلم یخرج حتّی حکم اللّه تعالی بینهما فقتل ابن الحضرمی و أصحابه منهم من أحرق بالنار، و منهم من هدم علیه البیت من أعلاه، و منهم من قتل بالسیف، و سلم منهم نفر أنابوا و تابوا فصفح عنهم، و بعدا لمن عصی و غوی، و السّلام علی أمیر المؤمنین و رحمه اللّه و برکاته.

فلمّا وصل کتاب زیاد قرأه علیّ علیه السّلام النّاس و کان زیاد قد أنفذه مع ظبیان ابن عماره، فسرّ علیّ علیه السّلام بذلک و سرّ أصحابه و أثنی علی جاریه و علی زیاد و علی الأزد البصره فقال: إنها أوّل القری خرابا إمّا غرقا و إمّا حرقا حتّی یبقی مسجدها کجؤجؤ سفینه، ثمّ قال لظبیان: أین منزلک منها؟ فقال: مکان کذا، فقال: علیک بضواحیها.

ص:۳۷۴

الترجمه

این نامه ایست که أمیر علیه السّلام بأهل بصره نوشت:

از گسیختن رشتهٔ پیمان و دشمنی خود آگاهید، که من از گناهکارتان درگذشتم و از گریزندهٔ شما شمشیر برداشتم، و به پوزش روی آورنده را پذیرفتم، پس اگر کارهای تباه کننده، و بیخردی اندیشه های بیجا، شما را به جنگ و خلاف با من براه انداخت، این منم که اسبان تازی را هوار کارزاری خود را نزدیک گردانیده ام و دم دست آورده ام، و بر شتران سواری خود پالان نهادم.

و اگر مرا بامدن ناچار کنید با شما کاری و کارزاری کنم که جنگ جمل در پیش آن چون لیسیدن لیسندهٔ انگشت خود را پس از خوراک، بیش نباشد، با این که به پایهٔ فرمانبردار، و به حقّ نیکخواه شما آشنایم، بدون این که از گناهکار درگذرم و بجای آن بی گناه را بگیرم، و یا از پیمان شکن بگذرم و به آن که پیمان را بسر برده مؤاخذه کنم.

و من کتاب له علیه السّلام الی معاویه - و هو المختار

اشاره

الثلاثون من باب المختار من کتبه و رسائله

فاتّق اللّه فیما لدیک، و انظر فی حقّه علیک، و ارجع إلی معرفه ما لا تعذر بجهالته فإنّ للطّاعه أعلاما واضحه، و سبلا نیّره، و مهجّه نهجه [نهجه - معا]، و غایه مطلّبه یردها الأکیاس و یخالفها الأنکاس، من نکّب عنها جار عن الحقّ ، و خبط فی التّیه، و غیّر اللّه نعمته، و أحلّ به نقمته، فنفسک نفسک فقد

ص:۳۷۵

بيّن اللّه لك سبيلك، و حيث تناهت بك أمورك فقد أجريت إلى غايه خسر، و محلّه كفر، و إنّ نفسك قد أوحلتك شرّا، و أقحمتك غيّا، و أوردتك المهالك، و أوعرت عليك المسالك.

المصدر

هذا الفصل اختاره الشريف الرضى رضوان اللّه عليه على دأبه من كتاب له عليه السّلام إلى معاويه و هذه صورته الكامله:

أمّا بعد فقد بلغنى كتابك تذكر مشاغبتى، و تستقبح مواربتى، و تزعمنى متجبّرا، و عن حقّ اللّه مقصّرا، فسبحان اللّه، كيف تستجيز الغيبه ؟ و تستحسن العضيهه ؟ و إنّى لم اشاغب إلاّ فى أمر بمعروف، أو نهى عن منكر و لم أتجبّر [و لم أضجر - نسخه] إلاّ على باغ مارق، أو ملحد منافق، و لم آخذ فى ذلك إلاّ بقول اللّه سبحانه: «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ ».

و أما التقصير فى حقّ اللّه تعالى فمعاذ اللّه! و المقصّر فى حقّ اللّه جلّ ثناؤه من عطّل الحقوق المؤكّده، و ركن إلى الأهواء المبتدعه، و أخلد إلى الضلاله المحيّره.

و من العجب أن تصف يا معاويه الإحسان، و تخالف البرهان، و تنكث الوثائق الّتى هى للّه عزّ جل طلبه، و على عباده حجّه، مع نبذ الإسلام، و تضييع الأحكام و طمس الأعلام، و الجرى فى الهوى، و التّهوس فى الرّدى.

فاتّق اللّه فيما لديك، و انظر فى حقّه عليك - إلى آخر الفصل المختار من النهج، و إنّ للنّاس جماعه يد اللّه عليها، و غضب اللّه على من خالفها، فنفسك نفسك قبل حلول رمسك، فإنّك إلى اللّه راجع، و إلى حشره مهطع، و سيبهظك كربه و يحلّ بك غمّه، يوم لا يغنى النّادم ندمه، و لا يقبل من المعتذر عذره، يوم لا يغنى

مولی عن مولی شیئا و لا هم ینصرون.

قلت: إنّ کلامه علیه السّلام أما بعد فقد بلغنی کتابک تذکر مشاغبتی، صریح فی أنّ هذا الکتاب جواب عن کتاب کتبه معاویه إلیه و لکن لم نظفر علیه مع کثره الفحص و التتبع، و کتاب أمیر المؤمنین علی علیه السّلام هذا نقله الشارح المعتزلی و الشارح البحرانی فی المقام و علم الهدی ابن المولی المحسن الفیض فی معادن الحکمه «ص ۱۵۹ ج ۱» و أحمد زکی صفوت فی جمهره رسائل العرب «ص ۴۳۳ ج ۱» و لم ینقلوا کتاب معاویه بل الأخیرین نقلا کتاب أمیر المؤمنین علیه السّلام هذا من الأوّلین و أتی به المجلسی فی ثامن البحار «ص ۵۴۰» ناقلا عن البحرانی أیضا.

اللغه

(مشاغبتی) الشّغب تهییج الشرّ کالتشغیب و شاغبه شارّه، (مواربتی) المواربه:

المداهاه و المخاتله کما فی القاموس، و فی غیر واحد من النسخ موازرتی، (متجبرا) بالجیم و الباء الموحده کما فی عدّه نسخ و فی نسخ اخری متحیرا بالحاء المهمله و الیاء المثناه من تحت و الأوّل أنسب بما یأتی من قوله علیه السّلام: و لم أتجبّر إلّا علی باغ مارق، و منه یعلم رجحان أتجبّر علی أضجر أیضا.

(العضیهه): بالفتح البهیّه و هی الإفک و البهتان کما قاله الجوهری فی الصحاح قال المتوکّل اللیثی:

احذر وصال اللئیم إنّ له عضها إذا حبل وصله انقطعا

و البیت من الحماسه (الحماسه ۴۴۲) قال المرزوقی فی شرحه علیها: العضه ذکر القبیح کذبا و زورا، و یقال عضهته إذا رمیته بالزّور، و أعضه الرجل أتی بالعضیهه و هی الإفک، و من کلامهم یا للعضیهه و یا للأفیکه.

(رکن) إلیه من بابی علم و نصر أی مال إلیه و سکن و وثق به.

(أخلد إلی الضلاله) قال الجوهری: أخلدت إلی فلان أی رکنت إلیه، و منه قوله تعالی: «وَ لکِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَی الْأَرْضِ »، (الطمس) ازاله الأثر بالمحو، قال تعالی:

«فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ » «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ » أى أزل صورتها «وَ لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ » أى أزلنا ضوأها و صورتها كما يطمس الأثر قاله الراغب فى المفردات.

(التهوّس فى الردى) تهوّس: مشى ثقيلا فى أرض ليّنه كما عن اللّسان، و قال الجوهرى فى الصّحاح: الهوس السوق اللين، يقال: هست الإبل فهاست أى ترعى و تسير.

(المحجّه) الطريق الواضحه، و (النهجه) الطريق الواضحه أيضا و أنهج الطريق أى استبان و صار نهجا واضحا بيّنا، أى جادّه مستبينه.

(مطلبه) بتشديد اللاّم المفتوحه، كما فى نسخه الرضى أى مطلوبه، و فى غير واحده من النسخ مطلوبه، و قال المجلسى فى البحار: النسخ المصحّحه متّفقه على تشديد الطّاء، فالكلمه على هذا من اطّلب كافتعل، يقال: اطّلبه أى طلبه قال الجوهرى فى الصّحاح: طلبت الشىء طلبا و كذلك اطّلبته على افتعلته، و قال الشارح البحرانى: مطّلبه بتشديد الطاء و فتح اللاّم، أى مطلوبه جدّا منهم بناء على أنّ كثره المبانى تدلّ على كثره المعانى، قال الرضى فى شرح الشافيه:

اعلم أنّ المزيد فيه لغير الإلحاق لا بدّ لزيادته من معنى لأنّها إذا لم يكن لغرض لفظى، كما كانت فى الإلحاق، و لا لمعنى كانت عبثا. انتهى.

و قرأها الشارح المعتزلى على سكون الطاء و كسر اللاّم، حيث قال: قوله غايه مطلبه أى مساعفه لطالبها بما يطلبه، تقول: طلب فلان منّى كذا فأطلبته أى اسعفته به، ثمّ خطّأ الراوندى بقوله: قال الراوندى: مطلبه بمعنى متطلّبه يقال: طلبت كذا و تطلبته و هذا ليس بشىء يخرج الكلام أن يكون له معنى. انتهى.

قلت: التطلّب طلب الشىء مرّه بعد اخرى مع تكلّف، و يأبى سياق الكلام عن حمله على هذا المعنى، و لذا قال الشارح المذكور ردّا على الراوندى:

و هذا ليس بشىء يخرج الكلام عن أن يكون له معنى.

ثمّ إنّ ما اختاره الشارح المعتزلى ليس بسديد أيضا لأنّ قول أمير المؤمنين عليه السّلام: يردها الأكياس و ما بعده يبيّن لنا أنّ الكلمه بمعنى المطلوبه سواء

كانت بتشديد اللّام، كما فى نسخه الرضى، أو بتشديد الطّاء و فتح اللّام كما فى البحار.

و عاضد ما اختاره الشارح المذكور الفاضل أحمد زكى صفوت فى جمهره رسائل العرب بقوله: و يجوز أن تكون مطلبه بسكون الطاء و كسر اللاّم من أطلبه إذا أعطاه ما طلبه أى تؤتى أصحابها ما يطلبون من ثواب اللّه و رحمته و هذا أحسن. انتهى. و لقد علمت ما فيه.

(الأكياس) جمع كيّس كجيّد أى العاقل و يجمع على الكيسى أيضا إجراء له مجرى ضده أحمق و حمقى، قال إبراهيم النّخعى لمنصور بن المعتمر:

سل مسأله الحمقى، و احفظ حفظ الكيسى كما فى البيان و التبيين (ج ١ ص ٢٩٩).

(الأنكاس)جمع النّكس بكسر النّون فالسّكون قال رجل من بنى أسد:

و ما أنا بالنّكس الدّنىّ و لا الّذى إذا صدّعنّى ذو الموده أحرب

و البيت من أبيات الحماسه (الحماسه ٩١) و قال المرزوقى فى شرحه: النّكس أصله فى السهام و نقل إلى الضعيف من الرّجال، يقال: نكسته نكسا ثمّ يسمّى المنكوس نكسا، كما يقال: نقضته نقضا ثمّ يسمّى المنقوض نقضا بكسر النون كأنّ السهم انكسر فوقه فنكس فسمّى نكسا، فيقول: ما أنا بالمستضعف اللئيم و لا الّذى إذا انحرف عنه من يوادّه دعا بالويل و الحرب فقال و احرباه.

و فى الحماسه ٣٩٧، قالت امرأه من بنى الحارث:

فارس ما غادروه ملحما غير زمّيل و لا نكس و كل

و قال المرزوقى فى شرحه: النّكس المقصّر عن غايه النجده و الكرامه و أصله فى السّهام و هو الّذى انكسر فجعل أسفله أعلاه فلا يزال ضعيفا.

و فى الحماسه ٧١٤، قال عمرو بن الإطنابه.

ليسوا بأنكاس و لا ميل إذا ما الحرب شبّت أشعلوا بالشّاعل

و قال المرزوقى فى شرحه: الأنكاس جمع النّكس، و النّكس أصله فى السّهام تنكسر فيجعل أسفلها أعلاها فتضعف، انتهى. قلت: و يقال للأحمق أنكس

شبیها بذلک السهم النّکس،و فی المفردات للراغب: النّکس السهم الّذی انکسر فوقه فجعل أعلاه أسفله فیکون ردیئا و لرداءته یشبّه به الرجل الدّنیّ ، (نکب عنها) من باب نصر و فرح أی عدل عنها، یقال: نکبت الریح إذا مالت عن مهابّ الرّیاح، فالرّیح نکباء.

و الفعل فی نسخه الرضی کان بتشدید الکاف و قد اخترناه، یقال: نکّب عن الطریق بالتشدید إذا عدل و تنحّی، و نکّب الشیء نحّاه، لازم متعدّ، و یقال: نکّبه الطریق، و نکّب به الطریق، و نکّب به عن الطریق أی عدّله و نحّاه، و فی المقام بمعناه الأوّل.

(جار عن الحقّ) من الجور کما مضی فی المختار المقدّم قوله علیه السّلام:

و سفه الاراء الجائره، قال الجوهری: الجور المیل عن القصد یقال: جار عن الطریق، انتهی کلامه.

(خبط) مشی علی غیر هدی و استقامه، و (التیه): الضلال، (نقمته) بفتح النون و کسر القاف کما فی نسخه الرضی، و فیها وجهان آخران بفتح النون و سکون القاف، و بکسر النون و سکون القاف أیضا و هی اسم من الانتقام و هی المکافأه بالعقوبه یقال: حلّت به النقمه، تجمع علی نقم و نقم و نقمات.

(تناهت) أی بلغت، قال الجوهری: الإنهاء الإبلاغ و أنهیت الخبر فانتهی و تناهی أی بلغ.

(أجریت) یقال: أجری فلان إلی غایه کذا أی قصدها بفعله و أصله من إجراء الخیل للمسابقه، و المحله: المنزله.

(أوحلتک) بالواو فالحاء المهمله کما فی نسخه الرضی رضوان اللّه علیه و فی نسخ قد أولجتک، و فی بعضها: قد أوجلتک، و المختار هو الأوّل، أی أورطتک فی الوحل، قال الجوهری: الوحل بالتحریک الطین، و وحل الرجل بالکسر وقع فی الوحل، و أوحله غیره.

(أقحمتک) أی أدخلتک، و الاقتحام الدخول فی الأمر بشدّه و عنف،

و يقال: أقحم فرسه النهر، أى أوقعه و أدخله فيه بعنف.

(الغىّ): الضلال و الانهماك فى الباطل، و قال الراغب فى المفردات: الغىّ جهل من اعتقاد فاسد و ذلك أنّ الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا و لا فاسدا، و قد يكون من اعتقاد شىء فاسد و هذا النحو الثانى يقال له غىّ ، قال تعالى: «ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى »... «وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ »، و قوله:

«فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » أى عذابا فسمّاه الغىّ لما كان الغىّ هو سببه و ذلك كتسميه الشىء بما هو سببه كقولهم للنبات: ندى.

(اوعرت) من الوعر اى الصعب وزنا و معنى: يقال: مكان وعر و طريق وعر و مطلب وعر، و أوعرت عليك المسالك أى اخشنت و صعبت (رمسك) الرمس القبر، قال الفيومىّ فى المصباح: رمست الميت رمسا من باب قتل و فى لغه من باب ضرب دفنته، و الرمس: التراب تسميه بالمصدر ثمّ سمّى القبر به و الجمع رموس مثل فلس و فلوس، قال مسور بن زياده الحارثى:

أبعد الّذى بالنّعف نعف كويكب رهينه رمس ذى تراب و جندل

و البيت من الحماسه (۶۴) قال المرزوقى فى الشرح: الرمس القبر، و الأصل فى الرمس التغطيه يقال: رمسته بالتراب و منه الرياح الروامس، و قال المتلمّس:

أ لم تر أنّ المرأ رهن منيّه صريع لعافى الطير أو سوف يرمس

و البيت من الحماسه أيضا (الحماسه ۲۲۰) و قال المرزوقى: و معنى يرمس يدفن و الرمس الدفن و الرياح الروامس منه و توسّعوا فى الدّفن فقيل: ارمس هذا الحديث، كما يقال: ادفن.

(مهطع) قال ابن الأثير فى النهايه: فى حديث علىّ عليه السّلام سراعا إلى أمره مهطعين إلى معاده: الإهطاع الاسراع فى العدو، و قال الراغب: هطع الرجل ببصره إذا صوّبه، و بعير مهطع إذا صوّب عنقه، قال تعالى: «مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ »... - «مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ » انتهى، و الإهطاع لا يكون إلاّ مع خوف و ذلّ و خشوع يقال: أهطع فى السير إذا أسرع و أقبل مسرعا خائفا كهطع كما يستفاد من قوله

تعالی: «وَ لا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمّا یَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنَّما یُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِیهِ الْأَبْصارُ مُهْطِعِینَ مُقْنِعِی رُؤُسِهِمْ لا یَرْتَدُّ إِلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ » (إبراهیم: ۴۴)، و قوله تعالی:

«یَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ کَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِینَ إِلَی الدّاعِ یَقُولُ الْکافِرُونَ هذا یَوْمٌ عَسِرٌ » (القمر: ۹)، و قوله تعالی: «فَما لِ الَّذِینَ کَفَرُوا قِبَلَکَ مُهْطِعِینَ عَنِ الْیَمِینِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِینَ » قال أحمد بن یحیی: المهطع الّذی ینظر فی ذلّ و خشوع لا یقلع بصره کما فی مجمع البیان، و قال: قال الزجاج: المهطع المقبل ببصره علی الشیء لا یزایله و ذلک من نظر العدو.

و فی القاموس هطع کمنع هطعا و هطوعا أسرع مقبلا خائفا أو أقبل ببصره علی الشیء لا یقلع عنه.

(سیبهظک) قال الجوهری فی الصحاح: بهظه الحمل یبهظه بهظا أی أثقله و عجز عنه فهو مبهوظ و هذا أمر باهظ أی شاقّ ، قال زیاد بن حمل کما فی الحماسه أو زیاد بن منقذ کما فی ماده قزم من صحاح اللّغه فی أبیات منها:

و کان عهدی بها و المشی یبهضها من القریب و منها النّوم و السّأم

قال المرزوقی: و معنی یبهضها یثقل علیها و یشقّ .

الاعراب

(معاذ اللّه) منصوب مفعول مطلق لفعله المحذوف العامل فیه کسبحان اللّه قال الجوهری فی الصحاح: قولهم: معاذ اللّه أی أعوذ باللّه معاذا، تجعله بدلا من اللفظ بالفعل لأنّه مصدر و إن کان غیر مستعمل مثل سبحان اللّه و یقال أیضا معاذه اللّه و معاذه وجه اللّه و معاذ وجه اللّه و هو مثل المعنی و المعناه و المأتی و المأتاه، و یقال عوذ باللّه منک أی أعوذ باللّه منک.

(فان للطاعه) الفاء فی مقام التعلیل لقوله: لا تعذر بجهالته، و ضمیر یردها و یخالفها و عنها راجع إلی السبل و المهجّه، و أمکن أن یرجع إلی الطّاعه

و الغايه أيضا على توسّع.

(فنفسك نفسك) منصوب من باب الإغراء و هو أن تحمل المخاطب على فعل شيء محبوب نحو قول الشاعر:

أخاك أخاك إنّ من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

و الفعل يقدّر فى كلّ موضع بحسبه ففى الشعر يقتضى الزم مثلا و فى الغزال الغزال يناسب ارم، و ههنا احفظ و ارحم و انقذ و نحوهما.

قوله:(و حيث تناهت بك امورك) أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بقوله:

الأولى أن لا يكون هذا معطوفا و لا متّصلا بقوله: فقد بيّن اللّه لك سبيلك، بل يكون كقولهم لمن يأمرونه بالوقوف: حيث أنت، أى قف حيث أنت فلا يذكرون الفعل، و مثله قولهم: مكانك، أى قف مكانك.

المعنى

قوله عليه السّلام:(فاتّق اللّه فيما لديك) ما كان لديه هو تولّى امور المسلمين غصبا و طغيانا، فإنّ ما كان فى يده هو حقّ اللّه و حقّ رسوله و حقّ اولى الأمر و حقّه سبحانه مفوّض إلى نبيّه أو وصىّ نبيّه و لا يتولّى ذلك المنصب إلاّ نبىّ أو وصىّ أو شقىّ ، و الشقى من غصب حقّ الإمام الحقّ أى حقّ اللّه و رسوله، و لذا أمره الأمير عليه السّلام باتقائه اللّه فى ذلك، و صرّح باسم اللّه سبحانه لأنّه عليه السّلام كأنّما يقول له: اتّق اللّه فى تصرّفك حقّه سبحانه عدوانا، كما نقول نحن لمن خان زيدا مثلا: استح من زيد فى خيانتك فى عرضه و ماله.

قوله عليه السّلام:(و انظر فى حقّه عليك) حقّه تعالى عليه أن لا يعصيه فيما أمره، و ممّا أمره به هو قوله سبحانه: «أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » (النساء: ۶۰) اللهمّ إلاّ أن يقال انّ الايه مصدّره بقوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » و مذيّله بقوله سبحانه: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ » فمعاويه و أترابه خارجه عن الخطاب رأسا.

و فی رساله إمامنا سیّد السّاجدین و زین العابدین علیّ بن الحسین صلوات اللّه علیهما المعروفه برساله الحقوق، قد نقلها کامله المحدّث الخبیر ابن شعبه الحرّانی قدّس سرّه فی تحف العقول: اعلم رحمک اللّه أنّ للّه علیک حقوقا محیطه بک فی کلّ حرکه تحرّکتها، أو سکنه سکنتها، أو منزله نزلتها، أو جارحه قلبتها، أو آله تصرّفت بها، بعضها أکبر من بعض، و أکبر حقوق اللّه علیک ما أوجبه لنفسه تبارک و تعالی من حقّه الّذی هو أصل الحقوق و منه تفرّع.

فالویل ثمّ الویل لمن لم یطع اللّه سبحانه فی حقّه علیه، فضلا عن أن یغاصب حقّه.

قوله علیه السّلام:(و ارجع إلی معرفه ما لا تعذر بجهالته) أمره أن یرجع إلی معرفه ما لا یقبل عذره بجهالته من وجوب طاعه اللّه سبحانه و رسوله و طاعه الإمام الحقّ ، و لمّا أخرجته هوی النفس عن الطاعه إلی العصیان و الطغیان و عن نور المعرفه إلی ظلمه الجهاله و حیره الضلاله، أمره بالرجوع إلی معرفه ما أی الحقّ الّذی لا یسمع تجاهله فیه.

قوله علیه السّلام (فإنّ للطاعه أعلاما واضحه - إلخ) الأعلام جمع العلم بفتحتین و هو شیء منصوب فی الطریق یهتدی به و غایه الطاعه القرب منه تعالی و الغایه ما إلیه الحرکه، و وصف علیه السّلام الأعلام بالواضحه و تالییها بالنیّره و النهجه لحسم العذر أصلا و سدّ طرق العذر من جمیع الجوانب، فانّ السبل إذا کانت نیّره و المهجه نهجه و أعلامها واضحه و کانت غایتها مطلّبه، فمن أین یعتذر المتمرّد عن الطاعه، و ما مستمسکه فی العذر، و بأیّ باب یدخل لذلک ؟ و قد دریت من بحثنا عن الإمامه فی المختار ۲۳۷ من باب الخطب (ص ۳۵ - إلی ص ۱۷۵ من ج ۱۶) أنّ القرآن و رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و آله هم الأئمه الحقّ و الأعلام الواضحه و السّبل النیّره و المهجه النهجه لا غیر، فراجع إلی ذلک المبحث الشریف حتّی یتبیّن لک بالعیان أنّ الال هم الّذین اختارهم اللّه و اجتباهم و اصطفاهم أعلاما واضحه للطریقه الّتی هی أقوم، إنّ هذا القرآن یهدی للّتی هی أقوم.

قوله علیه السّلام:(یردها الأکیاس و یخالفها الأنکاس) قد دریت فی اللّغه

أنّ الأكياس بمعنى العقلاء، و إنما يردها الأكياس لأنّ العقل ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان، و أنّ الأنكاس جمع النكس و هو الرجل الدّنى المنكوس على ما بيّن فى اللّغه مشبعا، و إنّما يخالفها الأنكاس لأنّهم لدناءه طبعهم، و قصور همّتهم ألفوا بقاذورات الدّنيا الدّنيّه و أوساخ الامال النفسانيّه الشيطانيّه فهم ناكسوا رؤوسهم إلى اللّذائذ الحيوانيّه الداثره الفانيه أقرب شىء شبها بهم الأنعام السائمه، و فى كتاب العقل و الجهل من الكافى: بإسناده عن محمّد بن عبد الجبّار عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: ما العقل ؟ قال: ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان، قال: قلت: فالّذى كان فى معاويه ؟ فقال:

تلك النكراء تلك الشيطنه و هى شبيهه بالعقل و ليست بالعقل، و قد مضى بحثنا عن هذا الحديث و شرحه فى المختار السابع باب الكتب و الرسائل فراجع إلى (ص ٢٢٥ ج ١٧).

و قد تقدّم فى رسالتنا فى لقاء اللّه تعالى أنّ حشر الخلائق حسب أعمالهم، و أنّ كلّ أحد إلى غايه سعيه و عمله و إلى ما يحبّه و يهواه، فحيث إنّ الأنكاس أدبروا ههنا عن أمر اللّه تعالى و طاعته و لقائه و أقبلوا إلى الشهوات النفسانيه و لم يرفعوا رؤوسهم عن معلفهم و مرعيهم فهم فى النشأه الاخره أيضا ناكسون لأنّ الدّنيا مزرعه الاخره قال عزّ من قائل: «نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ » (الواقعه ٦١-٦٣)، و فى الكافى كما فى الصافى عن السّجاد عليه السّلام: العجب كلّ العجب لمن أنكر النشأه الاخرى و هو يرى النشأه الاولى.

و قال عزّ من قائل: «وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنّا مُوقِنُونَ » (الم السجده: ١٣).

و روى ثقه الإسلام الكلينى فى باب ظلمه قلب المنافق و إن أعطى اللسان و نور قلب المؤمن و إن قصر بلسانه من كتاب الإيمان و الكفر (ص ٣٠٩ ج ٢ من المعرب) بإسناده عن المفضل عن سعد عن أبى جعفر عليه السّلام: قال إنّ القلوب أربعه: قلب فيه

نفاق و ایمان، و قلب منکوس، و قلب مطبوع، و قلب أزهر أجرد فقلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئه السراج، فأمّا المطبوع فقلب المنافق، و أما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شكر و إن ابتلاه صبر، و أما المنكوس فقلب المشرك ثمّ قرأ هذه الايه: «أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » (الملك: ٢٢) فأما القلب الّذى فيه إيمان و نفاق فهم قوم كانوا بالطائف فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك و إن أدركه على إيمانه نجى.

و قال العلم الحجّه المولى صالح المازندرانى قدّس سرّه فى بيانه: (ص ١٣٠ ج ١٠) القلب المنكوس كالكوز المقلوب - إلى أن قال: و قيل: القلب المنكوس القلب الناظر إلى الدّنيا و المتوجّه إليها لأنّ الدّنيا تحت الاخره و الاخره فوقها فالناظر إليها منكوس رأسه، و الايه من باب التمثيل بالأشياء المحسوسه تقريبا للفهم و الاستشهاد باعتبار أنّ المشرك يمشى مكبّا على وجهه لكون قلبه مكبوبا، مقلوبا و المؤمن يمشى سويّا لكون قلبه على وجه الفطره مستقيما عارفا بالحق كما يرشد إليه قوله تعالى: «عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ».

قوله عليه السّلام:(من نكّب عنها - إلخ) أى من عدل و تنحّى عنها مال عن الوسط و العدل و القصد، و مشى على غير هدايه و استقامه فى الضلال.

قوله عليه السّلام:(و غير اللّه نعمته و أحلّ به نقمته فنفسك نفسك) إنّما أمره بحفظ نفسه و كرّره تأكيدا و تشديدا لما قال سبحانه: «إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ » (الرعد: ١٢)، و قال تعالى: «فَما كانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (التوبه: ٧١).

فى باب محاسبه العمل من كتاب الايمان و الكفر من الكافى (ص ٣٢٩ ج ٢ من المعرب): قال أبو عبد اللّه عليه السّلام لرجل: إنّك قد جعلت طبيب نفسك، و بيّن لك الداء، و عرّفت آيه الصحه، و دللت على الدواء، فانظر كيف قيامك على نفسك.

و فى ذلك الباب عنه عليه السّلام أيضا: اقصر نفسك عمّا يضرّها من قبل أن تفارقك واسع فى فكاكها كما تسعى فى طلب معيشتك فإنّ نفسك رهينه بعملك.

و فيه عنه عليه السّلام أيضا قال: كتب رجل إلى أبى ذرّ رضى اللّه عنه يا أبا ذر أطرفنى بشىء من العلم، فكتب إليه: أنّ العلم كثير و لكن إن قدرت أن لا تسيئ إلى من تحبّه فافعل، قال: فقال له الرجل: و هل رأيت أحدا يسيئ إلى من يحبّه ؟ فقال له: نعم نفسك أحبّ الأنفس إليك فإذا أنت عصيت اللّه فقد أسأت إليها.

قوله عليه السّلام:(و حيث تناهت بك امورك - إلخ) قال بعضهم: حيث عطف على سبيلك، أى فقد بيّن اللّه لك مالك و منقلبك، قال تعالى: «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ »، فهو عليه السّلام يحذّره عن عاقبته الوخيمه، و يخوّفه عن جزاء أعماله الفاضحه، ثمّ كأنّما قيل: و إلى ما تناهت به اموره و أىّ شىء يترتّب على أفعاله ؟ فأجاب عليه السّلام: فإنّه قد أجرى إلى غايه خسر إلخ، فما تناهت به اموره جزاء أعماله السيئه.

هذا غايه ما يمكن أن يقرّر معنى العباره على قول هذا البعض، و لكنّ الإنصاف أنّ الصواب هو ما أفاده الفاضل الشارح المعتزلى كما تقدّم فى بيان الإعراب، أى قف حيث أنت لأنك قد أجريت إلى غايه خسر فالفاء فى فقد فى معرض التعليل للفعل المحذوف أعنى قف، و الكلام على هذا الوجه خال عن التكلّف دون الأوّل.

و لا يخفى لطافه قوله عليه السّلام: و إنّ نفسك قد أوحلتك شرا، و قد علمت أنّ معنى أوحلتك أورطتك فى الوحل، فالويل ثمّ الويل لمن أطاع نفسه و نسى حظّه، فإنّ النفس لأمّاره بالسوء ينسى مطيعه ذكر اللّه تعالى كما قال تعالى: «اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللّهِ »، و قال تعالى: «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَعْمى قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى وَ كَذلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَشَدُّ وَ أَبْقى » (طه: ١٢٥).

هذا آخر المجلّد الخامس من تكمله منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه و به انتهى المنهاج إلى المجلّد التاسع عشر، و للّه الحمد على ما أولانا، و له الشكر بما تفضّل علينا من إفاضه مننه، و إسبال نعمه علينا، و كيف أشكره تعالى حقّ شكره و ليس من شكر أشكره به إلاّ و هو نعمه جزيله أنعم بها علىّ ، اللّهم ارزقنا قلبا

ذاکرا و لسانـا شاکرا، اللّهم ثبّت قلوبنا علی دینک، اللّهم ارزقنا نعمه الحضور عنـدک، اللّهم یا عاصم قلوب المؤمنین خلّصـنا من شرور أنفسـنا و وفّقنا بالتنعّم من مأدبتک القرآن الفرقان العظیم، و باتّباع سـنّه نبیک الکریم، و اطاعتک و اطاعه رسولک و اولی الأمر الّذین هم وسائط فیضک و أبواب رحمتک یا أرحم الراحمین.

و قـد حصل الفراغ من تألیف هـذا السـفر الکریم بید العبد الراجی لقاء ربّه الرّحیم: نجم الدّین الحسن بن عبد اللّه الطبری الاملی فی الامـل، لیله الأربعـاء الثامنه عشـر من ربیع المولود من شـهور سـنه تسع و ثمانین و ثلاثمائه بعـد الألف من هجره خاتم النبیّین صلّی اللّه علیه و علی آله الطیبین الطاهرین، و الحمد للّه، و آخر دعویهم أن الحمد للّه ربّ العالمین.

الترجمه

این نامه ایست که أمیر علیه السّلام بمعاویه نوشت:

در آنچه که در دست داری از خدا بترس، و حقّ خدا را بر خود بنگر و بشـناختن آنچه که عذرت در ندانسـتن آن پذیرفته نمی شود باز گرد، زیرا برای بندگی و طاعت نشانها و پرچمهای روشن، و راههای هویدا، و جادّهٔ آشکار و نتیجه و غایت مطلوبست خردمنـدان بـدان در آینـد، و سـفلگان از آن روی گرداننـد، هر که از آنها بازگشت از حقّ برگشت، و در وادی گمراهی بسر برد، و خـدای نعمتش را بر وی دگرگون کرد، و او را در عـذابش افکند پس خویشـتن را دریاب و خود را باش که خدا راه را برایت روشن کرد، و چون کارهـا بـدست تو افتاد نهـایت زیـان را از دست خویش جـاری کردی و در وادی کفر در آمـدی، نفست تو را به شـرّ کشانید و از دست وی بگل درماندی و تو را بگمراهی در آورد و به نابودیها رسانید و راهها را بر تو دشوار کرد.

إلی هنا انتهی الجزء التاسع عشـر من هذه الطبعه النفیسه القیمه و تمّ تصـحیحه و ترتیبه بید العبد - السید ابراهیم المیانجی - عفی عنه و عن والـدیه فی الیوم السـابع من شـهر رجب الأصبّ - ۱۳۸۹ - و یلیه انشـاء اللّه الجزء العشـرون و أوله: المختـار الحادی و الثلاثون و الحمد للّه کما هو أهله.

ص:۳۸۸

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ .ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹